حـــال
تجديـد الخطـاب الدينى
فى مصر

(المجلد الثانى)

obeikan.com

مركز البحوث والدراسات السياسية
Center For Political Research & Studies

تليفون: ٥٦٨٠٩٩٨ – ٥٦٧٦٩٥١

فاكس: ٥٦٨٠٩٩٨

E-mail : cen-cprs@yahoo.com
website : www.cprsegypt.org

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى ٢٠٠٦

مكتبة الشروق الدولية

٩ شارع السعادة ــ أبراج عثمان ــ روكسى ــ القاهرة

تليفون وفاكس : ٤٥٠١٢٢٨ ــ ٤٥٠١٢٢٩ ــ ٢٥٦٥٩٣٩

Email: shoroukintl@hotmail.Com
shoroukintl@yahoo.Com

obeikan.com

حـــال
تجـديـــد الخطـــاب الدينـى
فى مصر

إبـــراهيم البيـــومى غـــانم
أحـــلام الســـعدى فرهـــود
أحمـــــــد زايـــــــد
أمـــــانى مســـعـــــود
حـــــــازم مـــــــاهر

رضـــــــوى صـــــــلاح
سيف الدين عبد الفتـاح
علـــــــى ليلـــــــة
فـــــــوزى خليـــــل
مـــــدحت مـــــاهر

هبـــــة رءوف عـــــزت

تحرير:

نـــاديـــة مـصـطـفـى
إبراهيـم البيومـى غانـم

الـمجـلد الثانى
٢٠٠٦

مكتبة الشروق الدولية

obeikan.com

البرنامج الوطنى لدار الكتب المصرية
الفهرسة أثناء النشر
(بطاقة فهرسة)

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (إدارة الشئون الفنية)

حال تجديد الخطاب الدينى فى مصر / إبراهيم البيومى غانم وآخرون

تحرير : نادية مصطفى، إبراهيم البيومى غانم

ط١ ـ القاهرة : مركز البحوث والدراسات السياسية و مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦م.

٤٢٤ ص ،مج٢ ، ١٧ × ٢٤سم.

تدمك : 1 - 1714-09 -977

١ - الخطب الدينية الإسلامية

أ- غانم، إبراهيم البيومى و آخرون (مؤلف)

ب ـ مصطفى، نادية (محرر) ٢١٣

رقم الإيداع ١٥٨٢٢ /٢٠٠٦

الترقيم الدولى I.S.B.N. - 977-09-1714-1

obeikan.com

المحتويات

الصفحة

المحور الثالث
الخريطة وحالات تطبيقية

٥- خريطة الخطاب الدينى فى مصر ـ د. أحمد زايد ٤٢١
- تعقيب ـ الشيخ/ جمال قطب ٥١٦
ـ د.محمد السيد سعيد ٥١٩

٦- تجديد الخطاب الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم ٥٢٥
د. فوزى خليل
- تعقيب ـ د. صفوت العالم ٦٢٧
ـ د. حسن الشافعى ٦٣٠

٧- تجديد الخطاب الدينى فى مقررات التعليم فى مصر
دراسة فى مضمون مادة التربية الدينية الإسلامية « مرحلة التعليم الأساسى » ٦٣٥
د. أحلام السعدى فرهود
- تعقيب ـ د. إمام حسنين ٧٢٣
ـ د. محسن خضر ٧٢٦

٨- تجديد الخطاب الدينى فى مصر:
تحليل آراء عينة من الجمهور العام ـ د. إبراهيم البيومى غانم ٧٣١
- تعقيب ـ أ. نبيل عبد الفتاح ٧٧٩
ـ د. السيد عمر ٧٨٦

محاضرة ختامية:
حول قضايا تجديد الخطاب الدينى ـ د. محمد عمارة ٧٨٩

التقرير الختامى:
قضايا واتجاهات المناقشة ـ د. إبراهيم البيومى غانم ٧٩٩
تعريف بالمشاركين ٨٢٩
قائمة كتب المركز ٨٣٢

openkan.com

obeikan.com

المحور الثالث

الخريطة وحالات تطبيقية

٥- خريطة الخطاب الدينى فى مصر — د. أحمد زايد

- **تعقيب** — الشيخ/ جمال قطب
  د. محمد السيد سعيد

٦- تجديد الخطاب الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم

د. فوزى خليل

- **تعقيب** — د. صفوت العالم
  د. حسن الشافعى

٧- تجديد الخطاب الدينى فى مقررات التعليم فى مصر

دراسة فى مضمون مادة التربية الدينية الإسلامية « مرحلة التعليم الأساسى »

د. أحلام السعدى فرهود

- **تعقيب** — د. إمام حسنين
  د. محسن خضر

٨- تجديد الخطاب الدينى فى مصر:

تحليل آراء عينة من الجمهور العام — د. إبراهيم البيومى غانم

- **تعقيب** — أ. نبيل عبد الفتاح
  د. السيد عمر

obeikan.com

obeikan.com

٥- خريطة الخطاب الدينى فى مصر

دكتور أحمد زايد

أولاً : مقدمة : حول المشكلة والمنهج

يهدف هذا البحث إلى محاولة التعرف على موضوعات الخطاب الدينى فى مصر المعاصرة، وخصائصه، وآليات إنتاجه، وذلك عبر تحليل نصوص من الخطاب صادرة عن مؤسسات دينية متعددة إسلامية ومسيحية -ولتحقيق هذا الهدف- يحاول البحث أن يتصدى للإجابة عن عدد من الأسئلة يمكن حصرها فيما يلى: ما هى الموضوعات المختلفة التى تناولها الخطاب؟ وما هى الفروق بين الموضوعات التى يتناولها الخطاب الإسلامى والخطاب المسيحى؟ وهل يعكس الخطاب اتجاهًا واحدًا متجانسًا، أم اتجاهات مختلفة متنوعة؟ وما هى طبيعة التغير فى موضوعات الخطاب عبر الزمن؟ وإلى أىِّ حدٍّ يعبر الخطاب عن اتجاهات أيديولوچية مختلفة؟ وما هى التغيرات التى طرأت على هذا الخطاب فى ضوء الأحداث الأخيرة؟ -خاصة أحداث الحادى عشر من سبتمبر وما بعدها- وإلى أىِّ حدٍّ يطور هذا الخطاب موضوعات تعالج القضايا المطروحة على الساحة الدولية والمحلية؟ وإلى أىِّ حدٍّ يتفاعل هذا الخطاب مع قضية الآخر، وخاصة تصوراته عن المجتمعات الغربية وعن قضايا العولمة... إلخ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، كان علينا أن نحل بعض المشكلات المنهجية التى يمكن حصرها فيما يلى:

١- التوصل إلى تعريف إجرائى محدد لما نقصده بالخطاب الدينى:

من المعروف أن مفهوم الخطاب يثير إشكاليات مختلفة. وقد توصلت العلوم الحديثة - خاصة النظريات التفكيكية وما بعد الحداثية- إلى تصور عام لمفهوم الخطاب يُدخل فى نطاقه كل الأقوال المسموعة والمكتوبة، والرموز والعبارات؛ بل وأساليب السلوك، باعتبار أن المجتمع ذاته يفهم على أنه نص Text يخضع لنفس أساليب تحليل الخطاب.

ومع أن المصطلح يشير فى اللغة إلى التعبيرات اللفظية المكتوبة أو المرسلة فى الكلام - كالخطب الدينية، والنصوص الدينية- كما يشير إلى المناقشات وصور التعبير اللغوى المختلفة حول موضوع معين، أو حول قضية معينة؛ فإن استخدامه فى العلم الاجتماعى امتد ليشمل

أكثر من معناه اللغوىِّ، فهو يستخدم فى العلوم الاجتماعية بوصفه طريقة منظمة للتفكير، حيث تنتظم الأفكار المختلفة والآراء المختلفة فى أنماط مختلفة من الخطاب[١]. ويصبح الخطاب بهذا المعنى مرادفًا لمفهوم المدخل النظرى أو المنحى النظرى، أو المنحى المنهجى، أو أسلوب التناول أو الأطروحة... وهنا يتسع مفهومه ليشمل صور الخطاب المختلفة فى السياسة وفى الدين؛ بل وفى الحياة الاجتماعية اليومية أيضًا. وهنا يتحول مفهوم الخطاب إلى مفهوم تحليلى لا يتم فيه تحليل الخطاب فقط؛ بل يتم تحليل الأقوال والأفعال وأساليب السلوك المصاحبة له. فالخطاب لا يتكون فقط من الجمل التى تشكل نظامًا مُتعيَّنًا، ولكنه يشتمل أيضًا على صور الأداء اللفظى والعلاقات المتعيِّنة التى تستخدم لتحقيق أغراض معينة، ولذلك فإنه لا يعبر فقط عن النصوص والكلام وإنما يعبر أيضًا عن الرؤية ووجهة النظر[٢]؛ بل إنه يعبر عن سياق من العلاقات التى ترتبط بأفعال وأقوال فى موقف معين[٣]؛ -على اعتبار أن ما يظهر فى الحياة اليومية من أساليب تعبيرية أو منطوقات تعبر عن علامات أو إشارات لها دلالات مختلفة- وهى تسرد وفق قواعد معينة تحمل فى طياتها فعلاً معينًا، ومن ثم فهى تعبير عن وجود، وهى جزء لا يتجزأ من التاريخ.

ومع تسليمنا بهذا المعنى العام لمفهوم الخطاب؛ فإننا نستخدم مفهوم الخطاب الدينى فى هذا البحث، ليشير إلى الأقوال والنصوص المكتوبة التى تصدر عن المؤسسات الدينية أو عن رجال الدين، أو التى تصدر عن موقف أيديولوچى ذى صبغة دينية أو عقائدية، والذى يعبر عن وجهة نظر محددة إزاء قضايا دينية أو دنيوية، أو الذى يدافع عن عقيدة معينة، ويعمل على نشر هذه العقيدة. وفى ضوء ذلك؛ فإن الخطاب الدينى يتحدد إجرائيًّا فى مجموعة النصوص المكتوبة والمسموعة التى تصدر عن مؤسسات دينية، أو عن أفراد يمثِّلون هذه المؤسسات، أو يتخذون موقفًا ذا صبغة دينية، وتظهر هذه النصوص فى شكل كتب أو خطب أو مقالات صحفية، أو نشرات.

٢- تحديد العينة التى سيتم تحليلها:

وقد تم تحديد هذه العينة فى ضوء التعريف الإجرائى الذى ارتضيناه فى هذا البحث بحيث تشتمل على:

أ- تمثيل الخطاب الدينى الإسلامى والمسيحى.

ب- تمثيل الاتجاهات المختلفة داخل كل خطاب.

جـ- تمثيل الأجيال المختلفة من ممثّلى الدعاة.

د- تمثيل الفترة الزمنية الممتدة من عام ٢٠٠٠م إلى عام ٢٠٠٤م، مع إفراد مساحة أوسع للأعمال المنشورة فى عام ٢٠٠١م،على اعتبار أنه العام الذى حدث فيه الحدث الكبير (١١ سبتمبر٢٠٠١م).

وفى ضوء ذلك تم تحديد المصادر التالية لاختيار عينة التحليل.

الخطاب الدينى الإسلامى:

- المقالات الافتتاحية بمجلة الأزهر التى يصدرها الجامع الأزهر -باعتباره يمثل المؤسسة الرسمية للدين الإسلامى- (بلغ عدد المقالات التى تناولها التحليل ٣٣ مقالاً) (انظر ملحق رقم «١»).
- تحليل نماذج من كتب الشيخ يوسف القرضاوى، على أنه يمثل الإسلام الحركى الذى يرتبط بنشر الإسلام عبر حركة دينية معروفة.
- نماذج من مقالات فهمى هويدى، على أنه يمثل التيار الفكرى الصحفى فى الخطاب الدينى الإسلامى. (بلغ عدد المقالات التى تناولها التحليل ٥١ مقالاً) (انظر ملحق رقم «٢»).
- نصوص من مقالات الداعية -الشاب- عمرو خالد، على أنه يمثل الجيل الجديد من الدعاة. (بلغ عدد البرامج التى تم تحليلها برنامجين، حلل منهما ٤٥ حلقة) (انظر ملحق رقم «٣»).

الخطاب الدينى المسيحى:

- عظات البابا فى مجلة الكرازة المرقسية التى تصدر عن الكنيسة الأرثوذكسية. (بلغ عدد المقالات ٥٦ مقالاً) (انظر ملحق رقم «٤»).
- نماذج من كتب الأنبا موسى أسقف الشباب، على أنه يمثل الحركة الفكرية الاجتماعية داخل الكنيسة.
- نماذج من مقالات يوسف سيدهم المنشورة فى جريدة وطنى، على أنه يمثل الجانب الفكرى الصحفى. (بلغ عدد المقالات التى تم تحليلها ٤٢ مقالاً) (انظر ملحق رقم «٥»).

٣- أسلوب التحليل:

يعتمد هذا البحث على أسلوب تحليل الخطاب، حيث يسعى إلى الكشف عن الافتراضات الكامنة خلف النصوص أو المشروع الفكرى.. إن هدفنا هنا هو فك شفرة النص باكتشاف ما وراءه من افتراضات أو ميول فكرية أو مفهومات. ونحن إذ نفعل ذلك؛ فإننا نسعى إلى تفكيك النص، لكى يكشف لنا عن معانيه وتجلياته. وكما يؤكد المتخصصون؛ فإن تحليل الخطاب لا يجيب بالقطع عن كل الأسئلة الخاصة، ولكنه يحاول أن يطل على النص من أعلى لكى يكوّن فكرة عامة وشاملة عنه، وذلك كمقدمة لسبر غور النص، بالتعرف على ما يضمره من قضايا وميول واتجاهات ومفهومات، ولذلك؛ فإن تحليل الخطاب هو محاولة لمعرفة الرسائل التى يود النص أن يرسلها، وأن يضع هذه الرسائل فى سياقها التاريخى والاجتماعى(٤).

إن تحليل الخطاب بهذا المعنى لا يقدم لنا حلولاً جاهزة للمشكلات والقضايا التى يثيرها، ولكنه يساعدنا على أن نفهم السياق الذى تبلورت فيه هذه القضايا والمشكلات، وأن ندرك طبيعة الافتراضات الكامنة خلفها. ومن ثم فإن تحليل الخطاب لا يتبنى اتجاهًا نظريًّا معينـًا، ولا يـرتبط بإطـار معرفـى، وإنمـا ينطلـق مـن استراتيـچيـة ذات أفـق مفتـوح تستدعى أىّ أطـر معرفية وأساليب تحليلية، من أجل أن تكشف عن ما هو مضمر فى النص المسموع أو المقروء أو المرئى. وتسمح هذه الاستراتيچية فى تحليل الخطاب باستخدام استراتيچيات فرعية مثل:

أ- استراتيـچية تفكيك النص: وذلك من خلال رفض أو نقد المعنى الظاهر له، وافتراض وجود عالم مفتوح من المعانى والعلاقات، وكذلك رفض التفسيرات الثقافية (الفكرية) الشائعة حول النصوص التى تتحيز لمعنى دون الآخر من خلال ما تفرضه من تصنيفات أو معانى مسيطرة، والبحث الدائم عن الاختلاف، مع عدم التقُّيد بأية مسلمات أو مقدمات تفسيرية، أو أطر تفسيرية مثالية مسبقة تـُخضع النص من أعلى، وتجرُّه إلى قوالب ثابتة(٥).

ب- استراتيـچية نقد النص والسياق: وتنطلق هذه الاستراتيـچية من الإمكانات النقدية لتحليل الخطاب، أو ما يطلق عليه تحليل الخطاب النقدى Critical Discourse Analysis، والذى ينظر إلى النصوص على أنها تـُنتج عبر أفراد ينخرطون فى نسيج المواقف الاجتماعية Socially Situated Speakers and Writers. فالذين ينتجون النصوص يدخلون إلى اللغة وهم محملون باستعدادات مختلفة، كما أنهم يحملون فى ذاكرتهم تاريخًا ذا دلالات

سياسية وإيديولوچية، ومن ثم فإن اللغة التى يستخدمونها هى لغة مادية تعكس أطرًا إيديولوچية محددة، فاللغة لا تشكل صيغًا مستقلة، بقدر ما تعبر عن أيديولوچيات، واللغة لا تكشف عن نفسها؛ إلا من خلال تمثيلها لأنساق من العبارات لها مدلولات لغوية محددة. وفضلاً عن هذا، فإن النصوص تكشف -طالما أنها مرتبطة بسياق محدد- عن علاقات قوة، وعلاقات هيمنة. ولا يمتد النقد الذى يعتمد هذه الاستراتيچية إلى النص فقط؛ بل يمتد إلى كل المكونات المرتبطة ببنية النص، كاللغة المستخدمة، وكاتب النص -كمثقف أو كاتب أو منتج ثقافى- والبناء الاجتماعى والثقافى الذى يتشكل النص فى إطاره[٦].

جـ- استراتيچية التأويل: فتحليل الخطاب لا يخرج عن كونه تأويلاً للنصوص يحتمل الصواب والخطأ. فلسنا هنا بصدد مادة صلبة يمكن الحديث من خلالها عن معايير للصدق والثبات، وإنما نحن بصدد ميل تأويلى يحاول فيه الباحث أن يطل بأفقه التأويلى على النصوص، ليكتشف الآفاق المعرفية وغير المعرفية التى تضمرها هذه النصوص، ومن ثم فإن هذا الالتقاء بين النص والمحلل، هو التقاء ذاتى تنصهر فيه الآفاق -أفق الباحث وأفق النص الذى يحلله- كما يقول جادمار[٧]. وفى ضوء ذلك؛ فإن معايير الصدق والثبات فى تحليل الخطاب هى معايير ذاتية تعتمد فى أساسها على قوة الحجة، وصدق البصيرة، ونقاء الهدف. فعندما يكون الهدف هو البحث عن الحقيقة والتنزّه عن الهوى والغرض، وعندما تكون البصيرة صادقة لا تميل إلى الباطل ولا تحيد عن الحق، وعندما تكون الحجة قوية ومنطقية، يكون تحليل الخطاب صادقًا. ورغم كل هذا؛ فإن النص الذى ينتجه الباحث من تحليله للخطاب يبقى فى النهاية نصًّا مفتوحًا على الخبرة، قابلاً للنقد والتأويل والتفكيك.

وفى ضوء الاستفادة من هذه الاستراتيچيات التحليلية التى يوفرها منهج تحليل الخطاب، يحاول هذا البحث أن يقدم قراءةً لبعض النصوص التى تمثل الخطاب الدينى فى مصر والعالم العربى، فى محاولة لاستجلاء المعانى والافتراضات المضمَرة فى هذه النصوص، والعمل على فتح هذه النصوص على أفق تأويلى مختلف لا يسلم بما تطرحه من معانٍ ظاهرة، وإنما يحاول أن يخضعها لتحليل نقدى يكشف ارتباطاتها وعلاقاتها وميولها الإيديولوچية.

ولتحقيق هذا الهدف نتخذ بعض «الهاديات» التحليلية التى تمكننا من قراءة النص مثل:

- الكشف عن الخصيصة -أو الخصائص- المحورية التى يتبلور حولها الخطاب.

- الكشف عن الموضوعات التى يجادل فيها الخطاب.

- الكشف عن بعض الآليات التى يُنتج بها الخطاب وينتشر.

- النظر فى العلاقة بين منتج النصوص والسياق الذى تنتج فيه هذه النصوص.

٤- الواقع البحثى لموضوع الخطاب الدينى:

ولعلنا فى نهاية هذه المقدمة المنهجية نشير إلى التراث البحثى حول الخطاب الدينى - خاصة فى مصر- فقد لاحظنا من استعراضنا لهذا التراث: أن الدراسات ماتزال قليلة ومتناثرة، وليست فى معظمها دراسات نابعة من حقل البحث السوسيولوچى؛ فقد بدأ الاهتمام بدراسة الخطاب الدينى مع تزايد تيارات الإسلام السياسى وتصاعد موجات الإرهاب. وظهرت بدايات هذه الدراسات عالميًّا ومحليًّا مع نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات. وكانت دراسة محمود إسماعيل بعنوان « مفارقات فى الخطاب الدينى المعاصر» (١٩٨٦م)[٨] رائدة فى هذا المجال، حيث حاول أن يصنف الخطاب، وأن ينقد اتجاه بعض الأكاديميين إلى الدخول إلى دائرة الخطاب الدينى، رافضًا هذا الخلط بين ما هو دينى وما هو دنيوى. ثم جاءت دراسة نصر أبو زيد عن « نقد الخطاب الدينى » (٢٠٠٣م)[٩]، وهى دراسة رائدة بحق؛ إذ سبق علماء الاجتماع إلى دراسة هذا الموضوع مؤكدًا على قضية مهمة، هى عدم وجود فرق فى موضوعات الخطاب وآلياته بين الخطاب المتطرف والخطاب المعتدل، وأن هذه التفرقة هى تفرقة زائفة روج لها الإعلام؛ ودعم هذه الأطروحة من خلال تتبع أوجه التشابه بين الخطابين وخاصة فى الآليات التى ينتج بها الخطاب، وتتابعت الدراسات بعد ذلك من المصريين والأجانب؛ حيث يمكن رصد عدد من الدراسات التى أجريت فى التسعينيات، والتى دارت حول الموضوعات التالية:

أ- نقد التداخل بين الخطاب الدينى والخطاب السياسى، وربط هذا التداخل بصور التداخل فى النظم الحياتية الحديثة فى المجتمع[١٠].

ب- إلقاء الضوء على دور الخطاب الدينى فى تشكيل الذات الاجتماعية، أو تشكيل الهوية، وخاصة تشكيل هوية الجماعة القبطية[١١].

جـ- دراسة تجربة الاعتقال فى الخطاب الدينى، حيث يروى بعض الدعاة تجاربهم فى

الاعتقال، مثل زينب الغزالى فى كتابها « أيام من حياتى »، والذى أجريت عليه دراسة حاولت من خلالها اكتشاف آليات عمل السلطة فى مرحلة معينة من تاريخ مصر(١٢).

ولقد أعطت أحداث الحادى عشر من سبتمبر طابعًا جديدًا لدراسة الخطاب الدينى، حيث بدأت هذه الدراسة ترتبط بما يسمى إصلاح الخطاب الدينى أو تجديده، ولقد ظهر هذا الاتجاه لدى الباحثين ولدى رجال الدين على حد سواء. ولقد أشارت هذه الدراسات إلى عولمة الحركة الإسلامية، وأهمية إصلاح السياسات المتصلة بالدين وأهمية إصلاح الخطاب الدينى(١٣)، والتأكيد على أن مصطلح تجديد الخطاب الدينى ارتبط فى الأساس بالخطاب الإسلامى؛ إلا أنه سرعان ما انتقل إلى تجديد اللاهوت المسيحى وإشكاليات تجديد كلتا الديانتين السماويتين الأوسع انتشارًا فى دول المنطقة والعالم(١٤) كما أشارت هذه الدراسات إلى: أهمية تحديد منهج الدعوة الإسلامية لتواكب الظروف الراهنة بما فيها من معطيات وما تحفل به من تحديات(١٥)، وإلى أهمية تنقية الخطاب الدينى الإسلامى والمسيحى من التعصب عن طريق تدعيم فكرة قبول الآخر(١٦).

وعلى الرغم من الدراسات القليلة؛ إلا أنها عكست بوضوح طبيعة الاهتمام بتحليل الخطاب الدينى، والذى تحوَّل عبر مراحل ثلاث إلى: النقد، والتحليل، والمطالبة بالتجديد والإصلاح.. ولعل وجه القصور فى كل هذه الدراسات أنها لم تعتمد -إلا فى النذر اليسير- على تحليل مادة خطابية؛ فمعظم هذه الدراسات تقدم تحليلات استنباطية. ويمكن النظر إلى دراستنا هذه على أنها تسد هذه الثغرة، أو أنها تُضاف إلى الدراسات القليلة التى اعتمدت على تحليل نصوص.

ثانيًا: مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى

تتنوع مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى فى مصر تنوعًا كبيرًا، وخاصة مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى الإسلامى، وربما يكون هذا مصدرًا لدخول أفكار مختلفة وتفسيرات مختلفة حول الموضوع الواحد، وسوف نحاول فيما يلى: أن نلقى الضوء على خريطة المؤسسات المنتجة للخطاب الدينى الإسلامى والمسيحى.

١- مؤسسات إنتاج الخطاب الإسلامى

لا تقتصر مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى الإسلامى على المؤسسات الرسمية التى

تنحصر فى ثلاث مؤسسات هى: الأزهر، ووزارة الأوقاف، ودار الإفتاء؛ وإنما تتسع اتِّساعًا كبيرًا لتشمل المساجد التى تنتمى إلى وزارة الأوقاف شكلاً ولكنها قد لا تلتزم بالضرورة بسياسة الوزارة، بل تخضع فى خطابها لاتجاهات أئمة المساجد وميولهم الدينية والسياسية، وهناك أيضًا: الجماعات السياسية غير الرسمية ذات التوجه الدينى التى تصدر نشراتها الخاصة وبياناتها الخاصة، وأهم هذه الجماعات جماعة الإخوان المسلمين.

أ- الأزهر: يعد الأزهر أقدم مؤسسة فى مصر (أنشىء عام ٣٦١هـ/ ٩٧٢م). ومع أنه نشأ نشأة شيعية للدعوة للمذهب الفاطمى فى مصر؛ إلا أنه تحول بعد ذلك إلى مؤسسة سُنية. وعلى الرغم من استقلاله كمؤسسة دينية؛ إلا أن أعماله تُنظم من خلال قوانين أصدرتها الدولة منذ عام ١٨٧٢م حتى صدور قانون تطوير الأزهر عام ١٩٦١م. ويضم الأزهر فى داخله مؤسسات فرعية هى: المجلس الأعلى للأزهر، ومجمع البحوث الإسلامية، وجامعة الأزهر.

ب- وزارة الأوقاف: وهى من أقدم الوزارات فى مصر؛ إذ أنشئت عام ١٨٣٥م. ومع أنها تهدف إلى الحفاظ على أوقاف المسلمين وتنفيذ شروط الواقفين؛ إلا أنها تعد مؤسسة لإنتاج الخطاب الدينى -طالما أن أحد أهدافها أيضًا هو الدعوة الإسلامية فى الداخل والخارج- ولذلك فهى تُشرف فى الداخل على المساجد المنتشرة فى أنحاء الجمهورية. كما تشرف الوزارة على المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى تعُّد الدعوة إلى الإسلام، وتعريف شعوب العالم بأصوله ومبادئه إحدى مهامه الرئيسية.

جـ- دار الإفتاء: وهى مؤسسة قديمة أنشئت فى مصر الحديثة فى عام ١٨٩٥م فى حضن الأزهر، ثم انفصلت عنه، ويرأسها مفتى الديار المصرية، الذى يعدُّ رمزًا دينيًّا تقترب مكانته من مكانة شيخ الأزهر. وتجيب دار الإفتاء عن الأسئلة الشرعية، وتبين حكم الشرع فيها، كما تؤدى دورًا فى تدريب المبعوثين من الدول الإسلامية على الإفتاء، وتصدق على أحكام الإعدام. وقد برز دور دار الإفتاء فى السنوات الأخيرة لتصديها لعدد من القضايا الاجتماعية والسياسية وإبداء الرأى فيها، وتحولت بذلك إلى عنصر فاعل فى إنتاج الخطاب الدينى.

د- المساجد المستقلة: مع أن المساجد تخضع لإشراف وزارة الأوقاف؛ إلا أن هناك بعض المساجد التى لم تدخل بعد تحت إشرافها، كما أن هناك مساجد تخضع - على الرغم من إشراف وزارة الأوقاف عليها - لسيطرة اتجاه سياسى معين، كالمساجد التى يسيطر عليها الإخوان المسلمون، وتلك التى تعد مراكز لأنشطة الجمعية الشرعية المركزية وجمعياتها الفرعية.

وليس ثمة وحدة أو تنسيق بين هذه المؤسسات التى تنتج الخطاب الدينى، الأمر الذى يجعل الخطابات الصادرة عنها لا تتسم فى الكثير من الأحيان بالانسجام، بل إننا قد نلحظ عدم الانسجام هذا داخل المؤسسة الواحدة كالصراع القائم بين إدارة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية، أو جبهة علماء الأزهر، وهى هيئة مستقلة تأسست من خلال جماعة من مشايخ الأزهر الذين رأوا فى فتاوى شيخ الأزهر ومواقفه تنازلاً(*). ويظهر الاختلاف وعدم الانسجام على نحو أعمق فى مواقف الدعاة المتصلين بالناس داخل المساجد والذين لا يختلفون فى مواقفهم فحسب، بل فى عمق درايتهم بالدين أيضًا.

٢- مؤسسات إنتاج الخطاب المسيحى:

فى الوقت الذى توجد فيه مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى الإسلامى متجاورة أحيانًا (ومتنازعة أحيانًا)، توجد مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى المسيحى متعامدة يخضع أدناها لرقابة أعلاها. وهى وإن وجدت متجاورة؛ إلا أنها تخضع كلها لسلطة عليا واحدة هى سلطة البطريرك الأعلى للكنيسة، ومعه مجموعة من القساوسة الكبار يطلق عليهم « رجال الكهنوت » أو « الإكليروس » ينتشرون فى الكنائس ولهم سلطة إدارتها وتدبير أمورها. ويتراتب رجال الكهنوت إلى فئات ثلاث هى: الأساقفة (وهم رتبة عليا ويوكل إليهم إدارة أبراشيات أو مناطق)، والقساوسة (وهم الذين يديرون شئون الكنائس)، والشمامسة (وهم الذين يساعدون القساوسة فى إدارة شئون الكنائس). ويعمل تحت إدارة السلطة العليا للكنيسة القبطية مؤسسات فرعية تسهم فى إنتاج الخطاب الدينى بجانب الكنيسة بتدرجها السابق.

أ- المجمع المقدس: وهو السلطة التشريعية العليا فى الكنيسة، وهو المرجع الأعلى فيما يتصل بشئون العقيدة، ويرأسه البابا. ويتكون من الأساقفة الكبار فى الكنيسة الذى يكون لكل منهم دائرة عمل محددة؛ كأسقف الشباب، وأسقف التعليم، وأسقف البحث العلمى... إلخ. ويصدر عند هذا المجمع مطبوعات عدة يؤلفها الأساقفة ويعالجون فيها قضايا الساعة.

ب- مجمع الكهنة: ويتكون من كهنة كل أبراشية، ويرأسه الأسقف الذى يرأس الأبراشية.

(*) تأسست جبهة علماء الأزهر فى الأربعينيات من القرن الماضى كجمعية أهلية تهتم بشئون الفكر الإسلامى وقضايا العصر بشكل عام (المحرر)

جـ- المجلس الملى: وهو مجلس يجمع بعض العلمانيين مع رجال الكنيسة بحيث يعمل على تأكيد الدور الشعبى فى إدارة الكنيسة، ويعمل بمثابة همزة الوصل بين ما هو دينى وما هو دنيوى.

د- مدارس الأحد: وهى فصول تعليمية وتثقيفية داخل الكنائس، ولقد نشأت كجهود تطوعية داخل الكنائس، ولكنها ما لبثت أن تحولت إلى مؤسسة رسمية تتبع أسقف التعليم (وهو البابا نفسه)، وتعمل وفق أسس رسمية وتُصدر مطبوعات تعبر عن آراء ومواقف الكنيسة، ومن أهم مطبوعاتها مجلة مدارس الأحد.

ثالثا: خريطة الخطاب الدينى الإسلامى

نقدم فيما يلى عرضًا لخريطة الخطاب الإسلامى كما تم التعبير عنه فى عدد من مؤسسات إنتاجه. -وكما سبق وأشرنا- فإننا قمنا باختيار صور من الخطاب تعبر عن تنويعات آنية ورأسية منه. فبدأنا بتحليل الخطاب الأزهرى كما تعبر عنه المقالة الافتتاحية فى مجلة الأزهر؛ وعرجنا بعد ذلك إلى تحليل نماذج من خطاب الداعية الشيخ يوسف القرضاوى على أنه من أكثر الدعاة انتشارًا وتأثيرًا فى العالم الإسلامى، ثم انتقلنا إلى تحليل عينة من نصوص فهمى هويدى على أنه من أكثر المفكرين الإسلاميين انتشارًا فى الصحافة العربية، وأخيرًا أخذنا نماذج من نصوص عمرو خالد على أنه يمثل الجيل الجديد من الدعاة.

١- خطاب الأزهر:

بلغ عدد المقالات التى تم تناولها من افتتاحيات مجلة الأزهر ٣٣ مقالاً، وهى عينة ممثلة للفترة من يناير ٢٠٠٠م إلى سبتمبر ٢٠٠٤م. ولقد بدأنا بحصر الموضوعات التى تناولتها هذه المقالات فجاءت الموضوعات الدينية فى المقدمة (فبلغت ١٦ موضوعًا)، تليها الموضوعات ذات الطابع الاجتماعى (١٠ موضوعات)، ثم الموضوعات ذات الطابع الثقافى (٧ موضوعات).

واشتملت الموضوعات الدينية على إثنى عشر موضوعًا فرعيًّا؛ احتل الحج، والصوم، والاحتفال بالمولد النبوى، والأعياد مركز الصدارة، حيث تكرر الحديث عن هذه الموضوعات فى أكثر من افتتاحية، ثم جاءت بعد ذلك موضوعات مثل؛ التوبة، والذكر، والتوحيد، والأخلاق،

والعدل، وميراث المرأة، وما ينبغى أن يكون عليه الداعية من دراية وثقافة.. أما الموضوعات الثقافية فقد اشتملت على موضوعات حول البحث العلمى، ومنهج كتابة التاريخ، والأدب الهابط، والإلحاد، ونقد العلوم الإنسانية والدراسات الاجتماعية، وقسوة وعنف الغرب، والعلاقة بين الدين والأخلاق. وجاءت الموضوعات الاجتماعية لتغطى موضوعات مثل هدر الوقت، والعدالة، وثرثرة العامة، وتضليل الرأى العام، والنفاق، والعادات الاجتماعية السيئة.

ومن الواضح أن الخطاب الدينى الصادر عن الأزهر: يركز فى معظمه على الوعظ والإرشاد، وتوضيح صحيح الدين، فى مقابل الأفكار المغلوطة، أو الأفكار المستوردة، ويكشف عن الأسس التى يجب أن تقوم عليها الدعوة الصحيحة، ويؤكد فى كل الأحوال على رسالة الأزهر ورسالة مجلة الأزهر. وتظهر هذه الخصائص فى الموضوعات ذات الطبيعة الدينية الخاصة. وعندما ينتقل الخطاب إلى الموضوعات ذات الطبيعة الثقافية أو الفكرية أو السياسية؛ فإنه يتحول إلى خطاب أكثر حدة، ويتخلى عن النصح والإرشاد والوعظ؛ ليدخل فى اتجاه النقد اللاذع بل وتوجيه الاتهامات أحيانًا. ونأخذ أمثلة على ذلك فيما يلى:

أ- فى مقال عن نقد الدراسات الإنسانية والاجتماعية، يتهم الكاتب المتخصصين فى هذه الدراسات بقصور معلوماتهم الإسلامية؛ ذلك لأنهم جعلوا كتب أوروبا مرجعهم الأوحد، حيث يشير النص إلى أن « أكثر الذين يكتبون فى آفاق الدراسات الإنسانية من تربية واجتماع وعلم نفس، وتاريخ وحضارة، وأخلاق، أكثر هؤلاء الأساتذة الكاتبين قد اقتصرت معلوماتهم الإسلامية على ما أخذوه فى المرحلة الثانوية -وحدها- فهم لا يعرفون من حقائق الإسلام غير ما ألم به طالب المدرسة الثانوية فى البلاد العربية، وهو مقدار لا يسمح بإعطاء فكرة صادقة عن الإسلام... هذا الطالب الذى عرف القشور السطحية من دينه يتوجه إلى الجامعة ليدرس العلوم الإنسانية كما حذقها أساتذته الذين جعلوا كتب أوروبا مرجعهم الأوحد؛ فإذا قضى سنواته الجامعية وتفوق فى الليسانس فقد يُبعث إلى كلية أوروبية، وقد يلتحق بالدراسات العليا بجامعته، ثم ينال الدكتوراة فى موضوع تخصصه، وقد ألمَّ بكلامه ونظرياته ومراجعه فى نطاق أجنبى تام لا يتصل بالإسلام فى شىء، ثم يعين بعد ذلك مدرسًا، فأستاذًا مساعدًا، فأستاذًا بالجامعة ليشرح للطلاب المسلمين من مسائل! وهنا تكون الكارثة الطامة؛ إذ يتعرض صاحب هذه الدراسة مثلاً إلى نشأة الدين، فيجده فى رأى من ينقل عنهم

من رجال الاجتماع وليد أساطير وخرافات فرضتها سلطات خاصة، ليكّون فى النهاية طقوسًا وعبادات وصفحات وقوانين! ».

ب- فى مقال آخر عن الأدب الهابط: يهاجم الكاتب من وُصفوا بالمثقفين الذين لا عمل لهم فى الحياة إلا الإشادة بالإلحاد الدينى، والدفاع عن السقوط الخُلقى، وصياغة الانحدار الأخلاقى، والكفر الصريح بدعوى حرية الفكر.

« حين قام وزير الثقافة بإقالة من أشرفوا على نشر الأدب الهابط، كثر ترديد الصحف - من يومية وأسبوعية- لكلمة المثقفين، دعوة المثقفين، وذكرت بهذا الصدد أسماء لا تذكر إلا فى مجالين فقط؛ مجال الدفاع عن السقوط الخلقى، أو مجال الإشادة بالإلحاد الدينى، وكأن هؤلاء الذين وُصِفوا بالمثقفين لا عمل لهم فى الحياة إلا صيانة الانحدار الخلقى، والكفر الصريح معًا بدعوى حرية الفكر. وقد صودرت حرية الفكر فى أمور كثيرة غير هذين فلم نسمع لهم صوتًا؛ إذ ليس هناك مجال يحرصون على حمايته غير الأدب السافل والإلحاد الصريح! ».

« إذا جاء مدَّعو الثقافة اليوم ليعلنوا أنهم فى جانب الأدب الإباحى الذى يصور الواقع الخسيس دون حياء؛ فليعلموا أنهم يبعدون عن مفهوم الثقافة الحقيقية! وإذا كان أمثال عباس محمود العقاد وتوفيق الحكيم ومنصور فهمى قد أبانوا باطل هؤلاء المدَّعين؛ فلم يبق عليهم إلا أن يعترفوا بأنهم ينحرفون عن معنى الأدب الصحيح ».

جـ- فى مقال ثالث بعنوان « إنسانية الغرب فى الميزان » تصادف نشرها فى شهر سبتمبر ٢٠٠١م، يشن الكاتب حربًا نقدية على الغرب بسبب عنف حضارته بدءًا من العصر الإغريقى وحتى الآن؛ فقد كان الإغريق يعذبون العبيد ظلمًا وعدوانًا، وكانت الحضارة اليونانية تتخذ من مشاهد القتل احتفالات ترفيهية؛ حيث كانوا يدفعون بالحيوانات الجائعة من النمور والذئاب والأسود لتنقض على الأسرى بين تصفيق المشاهدين وصياحات الإعجاب، وتعرض الكاتب للفلسفة المسيحية فى العصور الوسطى واتهمها بأنها تدعو إلى الإرهاب الفكرى؛ حيث أعطى الفكر الأوغسطينى حق نفى وجلد وتعذيب الملحد. ومهد ذلك إلى منح البابا حق الإله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء. كما أشار المقال -أيضًا- إلى محاكم التفتيش والمخالفات التى ارتكبتها فى حق الأبرياء. وفى ضوء ذلك كله اتهم الكاتب الحضارة الأوروبية كلها بأنها حضارة عنف ولا إنسانية فيها.

د- فى الموضوعات الاجتماعية نجد نقدًا لنظم التعليم، وإهدار الوقت، والثرثرة بين الناس، والنفاق والعادات الاجتماعية السيئة. ويتميز النقد الاجتماعى الصادر عن الخطاب الدينى الرسمى: بأنه يتخذ من الأساس الدينى والأخلاقى معيارًا لقياس الأشياء والحكم عليها، ففشل نظام التعليم لعدم التزامه بالأسس الإسلامية، وميل بعض الشباب إلى الانحراف ناتج عن ابتعادهم عن القيم الدينية « تكشف لجان الاختيار عن حقائق مذهلة حين يتقدم حامل الليسانس والبكالوريوس إلى الوظائف العامة فى المؤسسات والإذاعة وغيرهما؛ إذ يسأل الجامعى المثقف عن بداءة مبدئية؛ فلا يدرى عنها شيئًا، يسأل عن مدينة مثل « بروكسل » فيقول إنها اسم طبيب... وأنت تحار فى سبب هذه الأمية التى فاقت الأمية الأبجدية فى خطورتها، فالأمى غير المتعلم معذور حين يجهل كل شىء، ومع ذلك فقد يعرف ما لا يعرفه المتعلم المثقف، إذا قورن بينهما فى بعض مناحى السلوك الإنسانى!.. وما دمنا قد تحدثنا عن إخفاق الجامعة فى تثقيف أبنائها الطلاب، فلابد أن نتحدث عن أسباب هذا الإخفاق، بل لابد قبل الحديث عن الإخفاق الثقافى، أن نشير إلى الإخفاق التربوى؛ لأن إغفال الجامعات لتنمية السلوك الإنسانى، وتنشئة الطالب نشأة إسلامية تلتمس قواعدها من أخلاق القرآن، وسنة الرسول، وسيرة السلف الصالح، هذا الإغفال جعل بعض الشباب يميل نحو الانحراف؛ إذ لا يعصمه من الزلل نص محكم من كتاب الله، أو درس تهذيبى يريه النمط المنشود فى الحياة ».

هـ- يتجه النقد فى بعض الأحيان إلى نقد المسلمين بشكل عام ونقد أحوالهم. فالمسلمون - على سبيل المثال- يتفانون فى إضاعة الوقت. ويتجه نقد أحوال المسلمين فى بعض الأحيان إلى إثارة قضايا اجتماعية عامة، مثل قضية المخدرات والإدمان. « إن الوقت هو رأسمال الإنسان، وهو أغلى ما يكون عند العلماء والعقلاء؛ إذ هو قوام علمهم، وعماد حياتهم، وهو أرخص ما يكون عند الجهال، كما أن السلف الصالح من هذه الأمة يعرفون شرف الوقت وقيمته وأهميته... أما اليوم فيكاد يكون التهاون بقيمة مبالاة فى المقاهى والملاهى ودور السينما، لا ليفيدوا من الحضارة النافعة التى برز فيها الغرب؛ بل على الأكثر ليتمتعوا بالعرض الزائل أمامهم، ويعجبوا بمهارة اللصوص والقتلة، وعصابات السلب والنهب والقتل، وإذا لم تكن الملاهى أكَّبوا على لعب الورق والنرد، وأقاموا حلقات القمار، وكل ما يضيِّع الوقت ويبدِّد الأعمار فى غير طائل، ويذهب بالدين والخلق ».

و- غالبًا ما ينتهى النقد بتقديم نصائح إلى المسلمين. وتأخذ هذه النصائح صورة الموعظة التى تقترب بالسلوك من نمطه المثالى الذى يقف خلف الخطاب ويوجهه، فعندما يتحدث أحد الكتاب عن الثرثرة التى يُضيِّع فيها الناس -من المسلمين- أوقاتهم ينتهى الكاتب بالقول: « إن من احتقار المواهب الإنسانية أن يفيض عقلاء القوم فى حديث ممرور لا يجلب غير الحنق والضيق، وقد تكون التفاهة مسرَّة للجهلاء؛ ولكنها للمثقفين كارثة يعز فيها ويند عنها العزاء، فليت الذين أوتوا نصيبًا من المعرفة يتركون هراءهم السقيم إلى سمر ينعش الأرواح ويسمو بالأخلاق ».

ز- يتخذ الخطاب الدينى الصادر عن مجلة الأزهر اتجاهًا محافظًا، فهو لا يقدم تنازلات، ولا يحاول أن يتقبل أمورًا أصبحت راسخة فى المجتمع كعمل المرأة. « فللمرأة وظائف اجتماعية خاصة كالطب والتربية والتعليم والحضانة. ونجد من يقول: إن نسيبة -رضى الله عنها- قد حاربت مع الرسول، وهذا تضليل كاذب؛ لأن ساعة الحرب تمثل حدثًا طارئًا يتجند له كل مواطن، فهل الدعوة إلى اقتصار المرأة على المهن المناسبة لتكوينها الطبيعى، تدفع المعارض إلى الاستشهاد بنسيبة -رضى الله عنها- وأمثالها الكثيرات! وإذا كانت الأحكام العرفية تعلن رسميًّا فى أيام الحرب، وتعد المصانع لنوع خاص من الذخيرة وتحمى بعض الطرق لتخصص لسير العربات الحربية، وتحمل المرأة السلاح لتقف مع الرجل تجاه العدو الصاعق؛ إذا كان ذلك كله يحدث استثنائيًّا أيام الحرب؛ أنتخذه دليلاً على ما يصنع فى عهد السلم، ونتشدق بأن نسيبة -رضى الله عنها- كانت تحمل السلاح؟! لقد كانت تحمل السلاح كالرجل، ولم تكن ذات خلاعة ومجون! ». وفى ضوء هذا يناهض الخطاب الدينى الخطاب الحداثى الذى يدعو إلى مساواة المرأة بالرجل فى الميراث، أو الذين ينطلقون من القوانين الوضعية، ومن هنا تظهر صور من الهجوم والنقد لأفكار « سلامة موسى » و« قاسم أمين » وغيرهما.

٢- الخطاب الإسلامى المعولم:

ترددنا فى استخدام هذا العنوان الذى فضلناه عن عنوان « الخطاب الإسلامى الحركى » الذى كنا انتوينا أن نعنون به هذا الجزء من البحث. ولا نقصد بصفة المعوْلم هنا خطاب الجماعات الإسلامية المنظمة عبر العالم، والتى تنتج الخطاب الإسلامى المتطرف، ولكننا نقصد

الخطاب الإسلامى الذى يتجاوز حدود قطر واحد، ويصبح مؤثِّرًا على مستوى العالم من خلال ما يملكه من حجة، وما يتاح له من إمكانات. ولقد وجدنا أن أكثر النصوص تمثيلاً لهذا الخطاب: هى نصوص الشيخ يوسف القرضاوى، المصرى الذى يعيش فى قطر، ويظهر أسبوعيًّا -وبشكل استمر أكثر من ثمانى سنوات- على قناة الجزيرة، وتُقرأ كتبه فى سائر أنحاء العالم الإسلامى من المغرب إلى أندونيسيا، كما أن له هو نفسه شبكة اتصالات واسعة عبر العالم الإسلامى ومع الجاليات الإسلامية التى تقيم فى أوروبا وأمريكا.

وقد قرأنا خمسة نصوص للشيخ القرضاوى نشرت فى الفترة من ١٩٨٨م إلى ٢٠٠٤م وهى:

- بيانات الحل الإسلامى: شبهات العلمانيين والمتغربين، ١٩٨٨م.
- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، ٢٠٠١م.
- من أجل صحوة راشدة، ٢٠٠١م.
- رعاية البيئة فى الشريعة الإسلامية، ٢٠٠١م.
- خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة، ٢٠٠٤م.

ويكشف خطاب الشيخ القرضاوى عن رؤية واضحة للإصلاح؛ فهو خطاب يتفاعل تفاعلاً كبيرًا مع قضايا الساعة الساخنة، فهو ليس خطابًا انسحابيًّا يكتفى بالنظر فى أمور الدين؛ ولكنه خطاب جلّ اهتمامه هو شئون الدنيا، فهو يتأمل فى أحوال المسلمين تارة، ويبحث عن حل لأحوالهم ومشكلاتهم تارة أخرى، ويناقش المفهومات والقضايا التى يختلف حولها المثقفون والمفكرون ورجال الدين. ومن ثم؛ فإن الخطاب هنا ليس خطاب عظات ومواعظ فقط؛ ولكنه خطاب يحمل رسالة واضحة للإصلاح، التعامل مع القضايا المطروحة على الساحة.

أ- لماذا تأخر المسلمون؟ يحتل هذا السؤال مكانًا بارزًا فى نصوص الشيخ، ونجده يظهر بشكل متكرر فى كل النصوص التى تم تحليلها. فثمة افتراض بأن المسلمين قد تأخروا عن غيرهم، وأن لهم صحوة حديثة، ولكن هذه الصحوة يشوبها بعض القصور، وهى تنحرف أحيانًا عن جادة الصواب. وتصنف أسباب تأخر المسلمين إلى أسباب داخلية وأخرى خارجية، جاءت كما يلى:

- **الجمود والجحود**: حيث ضاع الإسلام بين جاحد ينفر من الدين، وجامد ينفر الناس

عنه، فالمسلمون هم مسلمون بأسمائهم لا بدينهم « إننا مسلمون بأسمائنا، بشهادات ميلادنا، وبعض الشعائر التى تربطنا بديننا، نحن المسلمون « رسميون » أو « جغرافيون » بحكم وجودنا فى أرض الإسلام، ولكن الواقع أن حياتنا ليست إسلامية؛ بل هى خليط غير متجانس من الإسلام والمادية، والوثنية الفكرية والروحية » .

(من أجل صحوة راشدة، ص١٦٤)

- **الانشغال بالفروع عن الهموم الكبرى**: فالذى يوقع الناس فى « حفرة الاختلاف وينأى بهم عن الاجتماع والائتلاف فراغ نفوسهم من الهموم الكبيرة والآمال العظيمة والأحلام الواسعة، وإذا فرغت الأنفس من الهموم الكبيرة، اعتركت على المسائل الصغيرة، واختلفت فيما بينها على غير شىء ». (الصحوة الإسلامية، ص٩١)

- **الركون إلى عالم الخرافات، كالسحر والشعوذة**: واستخدام التصوف كنوع من الكهانة والتجارة بالدين، ونشر الخرافات والشركيات. ويربط خطاب الشيخ بوضوح، بين انتشار الركون إلى الخرافة، والفهم الخاطئ للتصوف الذى يقوم على الكهانة وسيطرة الشيوخ على المريدين الذين يخضعون لهم « كالميت بين يدى المريد ». ويرفض الشيخ هذا النوع من التصوف.

- **الافتتان بالغرب وتقليده**: فهو يتحدث عن « فريق الأذناب المقلدين للمعسكر الغربى الذين هالهم صنم الحضارة الغربية، فبرروا كل ما تجىء به، وتحمَّسوا له، ودعوا إليه باسم التطور والتجديد، ولو كان هو العرى والانحلال والإلحاد والإباحية ».

(من أجل صحوة راشدة، ص٦٠)

ب- العلاقة بالغرب: يتحاور خطاب الشيخ حوارًا صريحًا مع الحضارة الغربية، ويقوم هذا الحوار على فرضية كامنة فى الخطاب، وهو يعبر عنها بوضوح، مؤداها: أن العلاقة بالغرب شكلت أحد أسباب تأخر المسلمين، وأن ثقافة الغرب وحضارته تختلف عن ثقافة وحضارة المسلمين، وإن كان هذا لا يمنع أن نأخذ عنه علومه. ومن الملاحظات المهمة فى هذا الصدد.. ظهور اختلاف واضح فى موقف الشيخ وخطابه حول الغرب فيما بعد ١١ سبتمبر. ففى كتاب « بيانات الحل الإسلامى » وما قبله يتحدث عن استهداف الغرب للإسلام، ويناقش أفكار كونت وماركس المناوئة للدين، ويرد على ادعاءات العلمانيين الذين يتهمون الشريعة بالجمود؛

ويؤكد على أن الاستعمار القديم والجديد أراد أن يكون لكل شعب من الشعوب تفسيره الخاص للإسلام « وبذلك توجد إسلامات متفرقة ضعيفة يسهل هدمها وابتلاعها، بدل من إسلام واحد قوى تعسر مقاومته... وهكذا يفقد الإسلام وحدته وتفقد أمته وحدتها الفكرية.. وتصبح أممًا شتى بإرادة الاستعمار، لا أمة واحدة كما أمر الله ». (بيانات الحل الإسلامى، ص٩٤)

ومع أن خطاب الشيخ هو خطاب متسامح بوجه عام؛ إلا أن هذه الدعوة إلى التسامح قد ازدادت بشكل واضح فى خطاب الشيخ فيما بعد ١١ سبتمبر، حيث نجده يشن حملة فى كتابه بعنوان « خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة » ينتقد الدعاة والخطباء الذين يدعون على اليهود والنصارى، حيث يؤكد على أن الاعتزاز بالعقيدة والاستمساك بها لا يعنى « التعصب ضد الآخرين، أو الإنكار لوجودهم، أو التنكر لحقوقهم، أو إضمار البغض والعداء لهم... فحساب الناس على كفرهم إذا كفروا، وعلى ضلالهم إذا ضلوا، ليس فى هذه الدنيا، وإنما هو فى يوم الفصل، أو يوم الحساب الذى تُوفَّى فيه كل نفس ما كسبت، وتجزى بما عملت، من خير أو شر، والذى يحاسب الناس فى هذا اليوم أو تلك الدار، إنما هو خالقهم الذى يعلم سرهم ونجواهم، وما تُخْفِى صدورهم، ويعلم المعذور منهم من غير المعذور، ويعلم من كَفَرَ منهم عجزًا أو جهلاً، ومن كَفَرَ منهم عنادًا واستكبارًا من بعد ما تبين له الحق ».

(خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة، ص ١٠٢-١٠٣)

وثمة ثلاث ملاحظات تدل على تحول فى فكر الشيخ، وعلى قدرة خطابه على التَّفاعل مع متغيرات العصر:

الأولى: استخدامه لكلمة « **الخطاب الإسلامى** » وهى كلمة غربية، وإيمانه بأهمية تجديد هذا الخطاب وتهذيبه وإصلاحه؛ حيث يقول « ما ينبغى أن يتبناه الخطاب الإسلامى فى عصر العولمة: الدعوة إلى إشاعة الحب بين الناس وتحرير الناس من دعاوى الكراهية والحقد والحسد والبغضاء، وهى التى سمَّاها الرسول ﷺ (داء الأمم)، وهو داء يفتك بالعلاقات الإنسانية أكثر مما تفتك الأمراض والأوبئة القاتلة بالأجسام ».

(خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة، ص ١٠٥)

والثانية: استخدامه لكلمة **العولمة** « فخطابنا الإسلامى لا يجوز له، أولا يليق به، ولا يقبل منه أن يتجاهل ما يجرى فى عالمنا الكبير اليوم بعد ثورة الاتصالات وثورة المعلومات، ولا يجوز

له أن يتغافل ما يقال عن « صِدام الحضارات » و« حوار الحضارات »، أو ما يقال عن « حوار الأديان » أو التقارب بين الأديان، أو يصمت عما تريده القوى الكبرى من تغيير هويتنا، أو مناهجنا التعليمية، وإصلاح عقولنا الفاسدة، وتحريرنا من ثقافتنا المتخلفة؛ فلا يجوز للخطاب الدينى أن تستهلكه القضايا المحلية إلى حد أن يجهل ما يشكو منه العالم من اختلال التوازن الكونى، واختلال التوازن البيئى، واختلال التوازن الإنسانى.. يلزم الخطاب الدينى أن ينظر بعينين إحداهما ترنو إلى الواقع المحلى والإقليمى، والأخرى تنظر إلى الواقع العالمى. وهذا التوازن مطلوب ». (خطابنا الإسلامى، ص ١٢٧)

ويكشف النص عن وعى بالمفهومات المتداولة فى الخطاب العالمى، كما يكشف عن وعى بقضايا العولمة، وعلاقة المحلى بالعالمى.

الثالثة: أنه يناقش قضايا يزداد ترديدها يومًا بعد يوم فى الخطابات الرسمية وخطابات حقوق الإنسان، وخطابات المنظمات العالمية، مثل قضية البيئة، وقضية المرأة، وقضية المواطنة؛ فقد خصص الشيخ كتابًا كاملاً عن البيئة بعنوان « رعاية البيئة فى شريعة الإسلام » (٢٠٠١م)، حيث قدم تأصيلاً شرعيًّا لرعاية البيئة، وأهم الركائز الإسلامية لرعاية البيئة كالتشجير والعمارة، والتثمير والنظافة، والمحافظة على البيئة من الإتلاف ومن الأخطار التى تهددها، مثل خطر التلوث، وخطر استنزاف الموارد، وخطر اختلال التوازن. كما خصص الشيخ كتبًا لمعالجة قضية المرأة، منها كتاب « مركز المرأة فى الحياة الإسلامية »، كما عرض لكثير من قضايا المرأة فى كتاب له بعنوان « فتاوى معاصرة » الصادر فى ثلاثة أجزاء، وعاد إلى الموضوع فى كتابه الأخير عن الخطاب الإسلامى فى عصر العولمة، حيث نقد الخطاب الإسلامى المتشدد الذى ينظر إلى المرأة باعتبارها مخلوقًا دون الرجل، وأن عليها أن تلزم بيتها ولا تخرج منه... وأن وجه المرأة عورة ولا يجوز كشفه. كما انتقد أولئك الذين يعارضون تعليم المرأة والذين يردد بعضهم أحاديث لم يحسنوا فهمها ولم يضعوها فى موضعها الصحيح، وأغفلوا مئات الآيات والأحاديث التى تبين موقف الإسلام حقًّا من المرأة. وبنفس الروح أبدى الشيخ استعداده للتخلِّى عن مفهوم « أهل الذمة » الذى لا تقبله بعض الأقليات، وقال « .. إذا كان مواطنونا من غير المسلمين يتأذون من هذا الاصطلاح، فلا أجد مانعًا من استخدام كلمة « المواطنة » أو « المواطن »، فإن الفقهاء متفقون على أن أهل الذمة من « أهل دار الإسلام »، فهم من أهل الدار

وإن لم يكونوا من أهل الملة. وأهل الدار تعنى بالتعبير العصرى « مواطنين ».

(خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة، ص ٤٦)

جـ- الرجوع إلى الإسلام طريق الإصلاح: يتجه خطاب الشيخ نحو تجسيد مشكلات الأمة وصور الخلل فى حياتها، ويتفاعل مع قضايا العصر بطرح آراء فى موضوعات كالعلاقة بالغرب والمرأة والمواطنة، ومن الطبيعى فى ضوء ذلك أن يعود فى كل مرة إلى الإسلام كمثل أعلى، وكحل لكل أدواء العصر؛ بل إنه يرى: أن الحل الإسلامى حل حتمى، وكتب كتابًا بعنوان « حتمية الحل الإسلامى »، وأصدر جزءًا خاصًّا من هذه السلسلة بعنوان « الحل الإسلامى فريضة وضرورة »، وآخر بعنوان « بيانات الحل الإسلامى ». وقد كتب فى هذا الأخير يقول: « إن كثيرًا من المشكلات التى نعانيها اليوم، ونشكو منها، ونختلف فى وصف علاج إسلامى لها، قد لا تبرز أصلاً فى ظل المجتمع الإسلامى الصحيح، بروزها الآن ثمرة لأوضاع غير إسلامية، ونتيجة لمجتمع غير ملتزم بمنهج الإسلام ونظام الإسلام؛ فإذا تغيرت صفة المجتمع، وتغيرت أوضاعه بظهور المجتمع المسلم المتوازن المتكامل -بمقوماته وخصائصه وأوضاعه- تلاشت تلك المشكلات، أو انكمشت، ولم تعد تشكل مشكلة حقيقية ». (بيانات الحل الإسلامى، ص ٢٠٨)

وغالبًا ما يتجه فكر الشيخ إلى ربط الحل الإسلامى بالصحوة الإسلامية، فهو ينتقد مفهومات كالتطرف والإرهاب ويقول: بأن هناك صحوة إسلامية، ولكنه لا يريد بهذه الصحوة الإسلامية أن تنحرف أو أن تفرط فى الغلو؛ بل يريدها صحوة إسلامية راشدة، وكتب كتابًا بهذا العنوان جاء فيه « ... وهذا ينتهى بنا إلى أن العلاج الفذ لما عليه المسلمون من ضعف وتمزق وانحطاط: هو العودة إلى الإسلام الصحيح، كما دعا إلى ذلك المجددون الأصلاء مثل جمال الدين الأفغانى، والكواكبى، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وحسن البنا، وصادق الرافعى، وعباس العقاد، وغيرهم من المفكرين ودعاة الإصلاح ». (من أجل صحوة راشدة، ص١٢٠)

ويقوم افتراض الحل الإسلامى عند الشيخ القرضاوى على قناعة بأن الإسلام يقدم حلولاً لكل المشكلات؛ ولذلك فإنه يكتب أجزاء مفصلة عن موقف الإسلام من العلم والفن والحرية والمال، والقوة العسكرية، والصحة العامة، والحياة الطبيعية، والزراعة، والتجارة، والصناعة، وبناء الإنسان الصالح. وهو كثيرًا ما يتخذ من تجربة تركيا التى انجرفت إلى العلمانية على يد كمال أتاتورك ثم بدأت تعود إلى الإسلام، حيث يقول فى نص مطول: « تركيا التى أراد

أتاتورك وحزبه أن يعروها من لباس الإسلام وأخلاقه وتقاليده وأحكامه ولغته وكل ما يمت بصلة إليه، حتى ألغى غطاء الرأس، وحتى الكتابة، فقد جعل غطاء الرأس إجباريًا هو القبعة، وجعل حروف الكتابة هى اللاتينية، ومنع الكلام بالدين ولو فى الأذان، وأباح للمسلمة أن تتزوج اليهودى أو النصرانى، وسوَّى بين الذكر والأنثى فى الميراث، وجعل القوانين كلها غربية لحمًا ودمًا وعظمًا، حتى القوانين التى تسمى «الأحوال الشخصية»، وطوردت الثقافة الإسلامية والعربية، وحورب أهلها؛ بل قوتلوا وقتلوا، وظن الناس أن شمس الإسلام قد غربت عن تركيا إلى الأبد، وأن ظل الإسلام قد تقلص عنهم إلى غير رجعة، ومرَّت على ذلك عشرات من السنين جاءت راكدة، كفيلة بأن تُميت الإسلام فى الصدور، وأن تدب معها عقارب اليأس إلى القلوب. ولكننا لم نزل نقرأ ونسمع عن امتداد قوة التدين هناك، وانكماش الإلحاد والإباحية، وخفض صوتهما يومًا بعد يوم، رغم ما لديهما من إمكانات مادية وأدبية، وما يلقى دعاتها من مساعدات داخلية وخارجية». (صحوة راشدة، ص ١٢٦)

ويؤكد الشيخ القرضاوى على منهج الوسطية كسبيل إلى الحل الإسلامى. وهو منهج يفترض أنه يوازن بين الغلو والتفريط، وبين الجمود والجحود، والتيسير، وإحسان الظن بالآخرين، والحوار بالتى هى أحسن، والتسامح. ويؤكد الشيخ فى خطابه إلى أن دعوته هذه إلى الوسطية ليست جديدة، ولا هى من نتائج ٩/١١ ولكنها أصيلة فى منهجه؛ حيث يؤكد فى كتابه «خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة (ص١٢): «ما نقدمه اليوم ليس جديدًا على نهجنا، ولا هو من ثمرات ١١سبتمبر (٢٠٠١م)، ولذا نجد فيه مقتبسات كثيرة من كتبنا القديمة والجديد اليوم: أن كثيرًا من المسلمين ممن كانوا يعارضون تيار الوسطية: أصبحوا ينادون به ويشعرون بالحاجة إليه، حتى بعض الحكام انتبهوا إلى أهمية هذا الأمر، وضرورة التمسك به، وتربية الأمة عليه، بعد أن كانوا يرفضونه، ويقاومون دعاته».

(خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة، ص١٢)

٣- النقد من منظور إسلامى:

اتخذنا من كتابات المفكر الإسلامى فهمى هويدى نموذجًا على ما أطلقنا عليه الخطاب الإسلامى -ذا الطابع الثقافى الفكرى- فهذا الخطاب لا ينتج من خلال مؤسسة رسمية؛ كما أن صاحبه ليس من رجال الدعوة الإسلامية، وهو لا يصنف على أنه رجل دين؛ وإنما هو كاتب

ومثقف يوجه كتاباته شطر قضايا معينة، ويتخذ من الإسلام قاعدة انطلاق فكرية: فأنت ترى الإسلام يطل فى كل كتاباته. حقيقة أنه لا يذكر الإسلام كثيرًا فى عناوين مقالاته، فمن بين المقالات التى تم النظر فيها لكتابة هذا الجزء وعددها ٥١ مقالاً نشرت بجريدة الأهرام فى الفترة من ٢٠٠٠م حتى ٢٠٠٣م لم ترد كلمة الإسلام إلا مرتين، كما لم ترد كلمة المسلمين إلا مرة واحدة، أما كلمة الخطاب الإسلامى فلم ترد مطلقًا.

ومع هذا؛ فإن النصوص التى ينتجها تنطلق من مسلمات وافتراضات نابعة من الإسلام. ويتجه الخطاب هنا نحو وجهة نقدية خالصة، فهو لا يؤسس لمشروع كما هو الحال فى خطاب الشيخ يوسف القرضاوى، وإنما هو خطاب ممتعض، قانط يلتبث برؤية نقدية وهو يوجه سهام النقد اللاذع، ويستشهد بالأدلة والبراهين التى تؤيد وجهة نظره، ليدلل للقارئ فى النهاية على أن هناك شيئًا خطأ يجب التنبيه إليه، لافتًا للنظر فى بعض الأحيان إلى ما يجب أن تكون عليه الأمور. ومن هنا فقد وصفنا هذا الخطاب بأنه ضرب من النقد السياسى والاجتماعى، يخرج عن الذات المثقفة التى تفترض فى نفسها إنصافًا واستقلالاً؛ ولذلك فإننا نرى الذات حاضرة دائمًا فى هذا الخطاب، فهى ذات ناصحة أمينة لها تجارب وخبرات وأفكار يفترض أنها تصب فى النهاية فى هذا النقد الذى يخرج ممزوجًا بالرؤية الذاتية. وبين هاجس الاستقلال الثقافى (الخطاب الثقافى بوصفه خطابًا مستقلاً)، وهاجس الذاتية (الخطاب بوصفه خطابًا ملتبسًا بالذات الناقدة المتعضة)، وهاجس العقيدة (الخطاب بوصفه خطابًا يتخذ من الإسلام قاعدة للانطلاق)، بين هذه الأضلاع الثلاثة يتشكل الخطاب النقدى لفهمى هويدى.

ويتنازع الخطاب ثلاثة موضوعات: الأول: يتمحور حول القضية الفلسطينية التى يعتبرها الكاتب قضية أولى، وقد يتطرق الخطاب فى **محوره الأول** هذا إلى موضوعات سياسية مستجدة كموضوع أفغانستان والعراق، ولكنه دائم العزف على وتر القضية الفلسطينية. وحتى فى تناول هذه الموضوعات المستجدة يتم ربطها مع القضية الفلسطينية فى إطار نظرة عامة إلى مشكلات المسلمين وعلاقتهم بالاستعمار. **والثانى**: يدور حول « **أحوال المسلمين** » وما أصابهم من تدهور وإخفاق، ويدخل فى هذا المحور تحليله للظلم الواقع على المسلمين، ولقضايا مثل الانتماء والديمقراطية، ونقده للخطاب الثقافى الشائع فى بلاد المسلمين. أما **المحور الثالث**: فإنه يتعلق بالثانى ويُعتبر استمرارًا له، ولكنه ينصب على الأحوال العربية والمصرية.

وعبر كل المستويات الثلاثة: تقف الذات المثقفة موقفًا نقديًّا لا تعبر فقط عن رغبة هذه الذات فى إثبات حيادها واستقلالها؛ بل تعبر أيضًا عن رغبة هذه الذات فى الكشف عن خبرتها، وعن قدرتها على تقديم النصح والمشورة. إذن الخطاب هنا ينتج عن ذات قلقة، أو ينقل ذاتًا ممتعضة، تحيل الأخطاء إلى غيرها، وتفترض آخر: هو الذى يتحمل هذه الأخطاء، والآخر هنا ليس الغرب فقط، بل العرب والمسلمين أنفسهم، الذين بلغهم هذا الإطار الغربى وأشاع فى حياتهم إمكانية التماهى معه.

أ- هاجس فلسطينى: استحوذت القضية الفلسطينية على اهتمام الكاتب استحواذًا كبيرًا؛ فمن بين ٥١ مقالاً -تم تحليلها- احتلت قضية فلسطين ٢١ مقالاً، وإذا أضفنا إلى هذا العدد المقالات التى تعالج قضايا ألصقت بالقضية الفلسطينية مثل قضية « أفغانستان والعراق » لبلغ هذا العدد ٣٣ مقالاً بنسبة ٦١,١٪ من مجموع المقالات.

ويدرك الكاتب هذا الأمر إدراكًا جيدًا حيث كتب قائلاً: « شاءت المقادير أن تبدأ الرحلة وتنتهى بالوجع الفلسطينى.. ومن ثم أدركت أن أى كلام -خارج الموضوع الفلسطينى- هو بمثابة تمرير لما يجرى وإخلال بمبدأ الأولويات، وهو ترف لا نملكه وتخٍّل طوعى عن واجب الوقت ».

وتبدو مشكلة فلسطين فى ذهن الكاتب كنموذج للظلم الواقع على المسلمين، وكنموذج للطريقة التى يخلط بها الغرب بين الإرهاب -الذى يعرض حياة الأبرياء للخطر- والمقاومة الشرعية للاحتلال. وقد دافع المؤلف عن هذا الرأى بوضوح، ودافع عنه بشكل خاص -بعد أحداث ١١ سبتمبر- حيث كتب محاورًا للشيخ القرضاوى قائلاً: « إن المظالم وكبت الحريات فى مقدمة الأسباب التى تؤدى إلى الإرهاب والتطرف، وما يتعرض له الشعب الفلسطينى يعد نموذجًا للظلم الذى يسكت عليه المجتمع الدولى، والذى تسوغه بعض الدول الكبرى. وحذر فى هذا الصدد من « الخلط بين الإرهاب الذى هدد حياة الأبرياء بالخطر، وبين المقاومة الشرعية للاحتلال الذى هى حق مشروع فى كل المواثيق الدولية فضلاً عن التعاليم الدينية ».

وفى تناوله لقضية فلسطين يتفاعل الخطاب مع مجريات الأحداث المرتبطة بهذه القضية. فهو يكتب عن الانتفاضة، وعن المذابح الإسرائيلية، وعن دور العرب، وعن القيادة الفلسطينية...

إلخ؛ ولكن هذه المواكبة للأحداث ترتبط دائمًا بتصويب سهام النقد إلى العرب والمسلمين وإلى القيادات الفلسطينية، وهاهى نصوصه تكشف عن هذا النقد:

- « إذا أردنا أن نأخذ الأمور على محمل الجد، فثمة تقصير عربى ينبغى الاعتراف به فى حق الانتفاضة الفلسطينية التى قلت فى البداية إننا تقاعسنا فى دعمها، وإن داء الفتور أصاب موقفنا منها ».

- « لنرفع رايات الغضب فوق أعيادنا ».

- « نحن بإزاء طور آخر من أطوار التصعيد الشارونى؛ إذ بعد حملة الاغتيالات، وقصف المناطق السكنية.. وبعد اقتحام مناطق السلطة، تظهر فى الأفق عمليات قتل السياسة.. واستراتيجيات التعذيب والتذويب، والعمليات الاستشهادية، ومخطط استئصال الوجود الفلسطينى، وبيع القضية الفلسطينية، وصهينة الكلام حول القضية الفلسطينية... ».

وينسحب نفس الخطاب على الموضوعات الأخرى، فهو إما يوجه سهام النقد، أو يسدى النصائح عند عرض مشكلة أفغانستان ومشكلة العراق. ولا ينطلق الخطاب هنا وهناك من مسلمات فكرية واضحة بقدر ما ينطلق من رؤية نقدية، تنتهى إلى تقرير مصير المستقبل على نحو افتراض أو تشخيص الأحوال أو إسداء النصائح. فهو ينتقد طالبان، لأنهم لم يخالطوا غيرهم من المسلمين، ولو أنهم فعلوا لاختلف الأمر، إنهم على العكس من ذلك « .. أصبحوا يفاجئون العالم كل حين بخطيئة أو حماقة من نوع مختلف ». ويشخص حال أفغانستان -بعد الغزو- بأنه حال فوضى. فكلمة الفوضى « مرشحة بقوة لكى تكون عنوانًا عريضًا لأفغانستان القادمة »، ويصدر أحكامًا على المرأة الأفغانية، حيث يخشى أن تخرج من أصولية الإسلام لتدخل فى الأصولية التغريبية، فتنقل من تطرف إلى تطرف آخر معاكس.. « يعيد أفغانستان إلى نقطة الصفر فى مشكلة خيارها الحضارى ».

وإذ يتناول موضوعًا آخر -كالعراق- فيما بعد الغزو؛ فإنه يربطه بالمخطط الصهيونى. فهو يعرض للسيناريوهات التى يطرحها المخطط الصهيونى فى فترة ما بعد

السقوط، ويحلل المشهد ويكشف عن تجليات الانكسار والتراجع على ما تدل عليه النصوص التالية:

- « طبقًا للسيناريو الموضوع.. فالأمر يختلف فى الحالة العراقية، ذلك أن إغراء النفط العراقى يستعدى وجودًا ضروريًّا للقوات الأمريكية التى لم تذهب إلى العراق لإسقاط نظامها واحتلالها فحسب، وإنما لها أهداف أخرى أهمها أن تضع يدها على مواردها النفطية ».

- « إلى أن يتاح لنا أن نبوح بما ينبغى أن يقال فى استيعاب عبرة المشهد العراقى ودروسه، فربما كان مفيدًا أن نتابع الحوار الدائر حول الموضوع فى إسرائيل -الذى يبدو أنه أوسع كثيرًا مما نظن- فقد اعتبر شارون أن غزو العراق بمثابة زلزال ضرب الشرق الأوسط، وقلب ميزان القوى فيه، الأمر الذى يستدعى إعادة النظر فى كل شىء فيه.. فباحتلال العراق؛ فإن قوة عسكرية عربية خرجت من دائرة الحرب ضد إسرائيل ».

وعن استمرار احتلال القوات الأمريكية للعراق يقول هويدى:

- « إن الولايات المتحدة أدركت أن مشوارها فى العراق لا يزال طويلاً، وأن خبرة الأشهر الخمسة التى أعقبت سقوط بغداد دلَّت على أن العراق لا يزال بلدًا حافلاً بالمفاجآت التى لم تخطر على بال مخططى الحرب.. وأصبح النظام فى حكم المؤجل حتى إشعار آخر».

ب- أحوال المسلمين: يتجه خطاب هويدى بشأن أحوال المسلمين إلى نقد أحوالهم أو نقد الظلم الواقع عليهم، ويعكس خطابه إحساسًا قويًّا بالظلم والقهر، وكأنه يعبر عن وعىٍ قلق مفرط الحساسية تجاه كل ما هو غريب، بل تجاه كل ما هو غربى. فالمسلمون قد وقعوا ضحية ظرف تاريخى، وثمة حرب تدور عليهم بشكل مستمر.. فالعرب والمسلمون من المظاليم فى هذه الدنيا، وهم إذ يفرحون لنصرة أى مظلوم؛ فإنهم يعبرون عما يقع عليهم من ظلم « إذ يحق لنا أن نفرح لإنصاف أى مظلوم، حتى وإن كان على صعيد رد الاعتبار التاريخى؛ فإن فرحتنا ستظل مشوبة بقدر غير قليل من المرارة والحزن، حيث ينكأ المشهد جراحنا الغائرة، ويستدعى من عمق الذاكرة سجل مظلومية العرب والمسلمين، الذين أبيد منهم على مدار التاريخ حوالى ثمانية ملايين إنسان ».

ومع أن الغرب يعد موضوعًا حاضرًا فى الحديث عن الظلم الواقع على المسلمين؛ إلا أن هذا الغرب يتجسد رمزيًّا فى الهيمنة الأمريكية، -وخاصة فيما بعد الحادى عشر من سبتمبر- فلم يعد العالم « محكومًا بلون واحد رأسمالى/ غربى، كما قيل بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، وإنما أصبح عالمًا أمريكيًّا بامتياز؛ إذ أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هى المهيمنة وصاحبة الكلمة الأخيرة فى شئون العالم ».

ويمتد وعى الكاتب إلى تحليل آثار هذه الهيمنة على العرب والمسلمين. فالمسلمون يتعرضون للظلم طيلة حياتهم، ولكن أحداث الحادى عشر من سبتمبر قد أدت إلى ازدياد الجرأة عليهم. فقد اجتاحت الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بعد هذه الأحداث لوثة « استهدفت الفتك بكل ما هو عربى أو إسلامى.. حيث تضاعفت الكتابات التى تجرح الإسلام وتعاليمه ». ويقول فى مكان آخر:

« بعد أحداث ١١ سبتمبر ازدادت الجرأة علينا واتسع نطاقها، فى السابق كان الذى يهاجم الإسلام والمسلمين نفر من المتخصصين، إلى جانب الأبواق وثيقة الصلة بإسرائيل، لكننا بعد ذلك التاريخ بدأنا نسمع أصواتًا لبعض السياسيِّين... ». كما تحدث فى هذا السياق أيضًا عن اللوثة الغربية وما وراءها بعد ١١ سبتمبر، فقال:

« إنهم يريدون إسلامًا معدلاً...، والحروب الثلاث ضد الإسلام والمسلمين، واستيراد الفتاوى من أوروبا (أيرلندا)، والغزو الفكرى الثقافى الذى بدأ، والعلمانية غير الذكية، وإلى متى سنظل بلا ألسنة، والقهر الثقافى باسم الاندماج... إلخ ».

وإذا كان ثمة هجوم على المسلمين، وثمة ظلم واقع عليهم؛ فإنهم أيضًا يتحملون جزءًا من المسئولية. لقد تحول المسلمون إلى جزء من الواقع الغربى نفسه إلى درجة أن ذكر عنوان « المسلمون والغرب » لم يعد كافيًا للتعبير عن هذه العلاقة؛ لأن « المسلمين صاروا جزءًا من الغرب، بمعنى أنهم صاروا فيه وليسوا خارج محيطه أو فى مقابله ». وهم إذ يقفون هذا الموقف؛ فإنهم يقصرون فى أداء دورهم، وفى تقدير إمكاناتهم، وفى ردود أفعالهم. والعرب من بين المسلمين، هم أكثر الناس تقصيرًا، حيث أصابهم الفتور؛ وهاهى عباراته تتحدث فى أكثر من مكان عن الفتور العربى:

- « إذا أردنا أن نأخذ الأمور على محمل الجد، فثمة تقصير عربى ينبغى الاعتراف به، وأن داء الفتور أصاب موقفنا العربى ».

- « لكننى أخشى من ذلك داء الفتور اللعين الذى لا أعرف كيف نبرأ منه ».

- « لا يستطيع المرء أن يخفى دهشته إزاء الفتور العربى؛ الذى قوبلت به مساعى الملاحقة القانونية للمسئولين عن مذبحة صبرا وشاتيلا ».

ويعلق على رد السفير الفرنسى على الدعوة الإسرائيلية لحضور احتفال ذكرى إنشاء إسرائيل فيقول: « كتب الدبلوماسى الفرنسى على الدعوة العبارة التالية: « أعيدوا غزة والضفة الغربية والقدس للفلسطينيين.. فلماذا فعلها الفرنسى وزهد عن المسألة بعض العرب؟ ».

وثمة تفسير لهذا الفتور العربى والإسلامى، فهو ناتج عن عجزهم وغياب دورهم الرسمى وغير الرسمى. ويأخذ نموذجًا على ذلك من سلوك جماعة طالبان التى لا تخالط الناس « فلو أنهم خالطوا غيرهم من المسلمين، وشاركوا فى المنتديات والملتقيات التى تعقد بين الحين والآخر فى أنحاء العالم العربى والإسلامى، ولو أتيح لنفر منهم أن يواصلوا تعليمهم فى معاهدنا وكلياتنا... ولكننا أوصدنا الأبواب فى وجوههم ». وعلى نفس المنوال يلقى باللائمة على المؤسسات الدينية وعلى رأسها الأزهر؛ « فغياب الأزهر وتراجع تأثيره فى العالم الإسلامى أحدث فراغًا تمددت فيه العديد من مدارس الغلو والشذوذ الفكرى، ونمت فيه عشوائيات أضرت كثيرًا بسمعة الإسلام ».

جـ- قضايا عربية ومصرية: ومن قضايا المسلمين بعامة، وعلاقتهم بذوى السلطان الأكبر من حولهم، إلى قضايا العرب ومصر وشعبها، والحقيقة أن كل القضايا التى يعالجها الخطاب الناقد لفهمى هويدى على مستوى العالم الإسلامى.. هى قضايا تمس مصر أيضًا؛ فهو عندما يتناول قضية -كقضية الانتماء- يشن حملة على روح التغريب التى سرت فى حياة الأمة واقتلعت « الكثير من الأعمدة والوشائج. وأصبح الانتماء إلى الأمة العربية فضلاً عن الإسلامية.. يقابل بالاستغراب والاستهجان، الأمر الذى يبدو فى ظله الاحتفال بالقرن الميلادى والتهوين من شأن القرن الهجرى نتاجًا طبيعيًّا لا غرابة فيه ». لقد اتخذ الخطاب فى هذا المثال حادثة الاحتفال بالقرن الميلادى على مستوى العالم، ليناقش قضية الانتماء فى الوطن العربى كلية. إنه ينتقل من العام إلى الخاص، ويسحب النقد على العالم العربى كله بما فيه مصر بطبيعة الحال. ويُعد ذلك منهجًا واضحًا فى تناول هذا الخطاب النقدى للقضايا العربية والمصرية، فعندما قررت فرنسا منع الحجاب الإسلامى فى المدارس الفرنسية، يتناول قضية الحجاب، وينتقد الفكر العلمانى، وينظر إلى نقد الحجاب كجزء من التدخل الغربى فى العالم الإسلامى، حيث اعتبر أنصار العلمانية الحجاب « حدًّا فاصلاً بين الولاء للجمهورية والانقلاب عليها ».

وقد يبدأ النقد من حدث داخلى ليتناول قضية فكرية أو ثقافية أو سياسية، فعندما انتشرت فى مصر الدعوة إلى التنوير، وبدأت تعقد الندوات حول التنوير، وأصبح المصطلح يدور على ألسنة بعض المثقفين، نجده يوجه سهام النقد إلى مصطلح التنوير والحركة التنويرية والاستنارة ويصفها بأنها «استنارة مظلمة»، وينتهى إلى أن هذا المفهوم مفهوم مستورد من الغرب، وأنه يستخدم بمعنى غامض ومتحيزٌ، وأن التنوير ظُلم على يد دعاة التنوير وعلى يد المناوئين له، وينتهى بأنه لا يعرف بالضبط من ظلم التنوير أكثر من الآخر: «الذين يرفعون رايته أم الذين يتربصون به». وعلى نفس المنوال ينتهز فرصة الانتخابات فى مصر ليتحدث عن الديمقراطية معلنًا «موت السياسة فى مصر». فهو يقارن بين الانتخابات فى مصر ونظيرتها فى المكسيك. ويأخذ من قضية ازدواج الجنسية موضوعًا للهجوم الساخر على الطريقة التى يتم بها اختيار نواب الشعب، ويسأل: كيف يمكن أن يكون المرء نائبًا عن الشعب المصرى، بينما هو فى الوقت نفسه محسوبًا على شعب آخر؟ وهل يجوز للشخص أن يتولى منصبًا عامًّا فى مصر وله ولاء موازٍ لبلد آخر؟.

وبهذه الطريقة يتفاعل الخطاب مع الأحداث، ولا يترك قضية دون التعامل معها؛ ولكنه يحتفظ بوجهته الأساسية التى تتخذ من هذه الأحداث نقطة انطلاق لتوجيه سهام النقد إلى سياسات أو أفكار أو رجال. وتبدو الذات الناقدة هنا وكأنها متعالية على الجميع؛ فهى ليست ناقدة للآخر الغربى فقط، ولكنها ناقدة للآخر الداخلى بنفس القدر. وتضع الذات فى هذه الحالة سدًّا منيعًا بينها وبين أضرابها وبنى جلدتها، لكى تصبح ذاتًا مستقلة، متميزة، لا يلوثها ما يلوث الآخرين الذين تمتد إليهم سهام النقد.

د- آليات الخطاب الناقد: ينتج الخطاب هنا من ذات ناقدة، فيكون النقد آليته الأساسية. ورغم أن النقد يحاول أن يستقل بالذات عما سواها؛ فإنه يعكس أصداء هذه الذات وشجونها، فيأتى نقدًا ذاتيًّا خالصًا.

٤- الخطاب الدعوى الجديد:

اندمج الخطاب الإسلامى اندماجًا كاملاً فى منظومة الاتصال الجماهيرى، والاستهلاك الجماهيرى، وأصبحت عملية إنتاجه كخطاب دينى وثقافى ترتبط ارتباطًا شديدًا بعملية الإنتاج الاقتصادى للمصنفات الثقافية. وتلك قضية تحتاج إلى مزيد من البحث والتقصى.

وإذا كانت هذه القضية يمكن أن تطرح فى درس عملية إنتاج الخطاب الدينى قاطبة؛ فإنها تطرح بشكل أقوى فى درس الخطاب الدينى للدعاة الجدد، وعلى رأسهم الداعية عمرو خالد الذى نخصص له هذا التناول المختصر. فالخطاب هنا يمتزج امتزاجًا كبيرًا بثقافة الاستهلاك بما تفرضه من ترويج للصور والرموز، وبما تؤطر له من نماذج البطولة والمثل العليا. فى هذه المنظومة يتحول الداعية إلى نجم إعلامى، تتوازى طلته الدينية مع طلة النجوم الآخرين القادمين من عوالم أخرى غير العالم الدينى. هنا تتداخل الحقول، تنصهر الأدوار، ويصبح كل شىء قابل للتحول إلى كل شىء.

وإذ يمتزج الخطاب بالثقافة الاستهلاكية على هذا النحو؛ فإنه يكيف نفسه مع كل مستجد ومستحدث، ويقدم نفسه بشكل متغير وجديد، ويطرق موضوعات الساعة وما بعد الساعة. ويتعامل مع مشكلات الواقع بشكل جرىء، ويتناول موضوعات جيل المستقبل من الشباب، ويتحدث بشكل عملى براجماتى. وهنا نجد أن الخطاب لا ينطلق من رؤية عامة، أو من استراتيجية عامة، بقدر ما يتناول موضوعات عامة ومشكلات متفرقة تتوافق كثيرًا مع المعطيات الحداثية القائمة، وتعكس روح العصر، وتعمل على دفع المتلقين إلى الاقتناع بأن لا تعارض البتة بين الدين والحياة المعاصرة، وأننا نستطيع أن نلبس الحياة المعاصرة رداءً دينيًّا خالصًا.

وثمة خصيصة مهمة ترتبط بهذا الخطاب الدعوى الجديد: هى أنه خطاب يُنتج أساسًا من خلال التليفزيون. فهو ليس خطابًا مبثوثًا فى كتب أو صحف بقدر ما هو رسائل عبر هذه الوسيلة الاتصالية الفعالة. فهو يأتينا فى شكل برامج تليفزيونية، أو فى شكل محاضرات عامة تدعو إليها بعض الجهات، ويحضرها حشد غفير من الشباب. وتتوافق هذه الوسيلة مع طبيعة هذا الخطاب وأهدافه، فهو خطاب سريع يقدم فى شكل جرعات منظمة -درست بعناية- لكى يكون لوقعها على القلوب والعقول وقع السحر، وخاصة أنها تقدم عبر تقنيات الاتصال الحديثة التى تحول الواقع إلى صور وخيالات، وتضفى عليه ضروبًا مختلفة من التجميل والتبهيج. وما إن تُقدم هذه النصوص فى البرنامج التليفزيونى حتى تجد لها منافذ أخرى وقنوات أخرى للنشر. فهى تنشر فى كتب وعلى شرائط واسطوانات مدمجة، وتوضع على شبكة الإنترنت، فيتسع جوهرها، ويضفى عليها مزيدًا من الهيبة والاحترام.

ولذلك؛ فإن ما قمنا بتحليله فى هذا الجزء ما هو؛ إلا نصوص برامج تليفزيونية قدمها الداعية عمرو خالد، وقد اخترنا اثنين من هذه البرامج أحدهما بعنوان « حتى يغيروا ما بأنفسهم »، والآخر برنامج « صناع الحياة ».

ويتخذ الخطاب طابعًا تحفيزيًّا خالصًا، فيسخط على الواقع الحاضر سخطًا جمًّا، ويلفت النظر إلى عظمة الماضى، وذلك من أجل تأكيد أن النهضة ممكنة فى المستقبل. هذه النهضة تصبح ممكنة لو أننا غرسنا فى أنفسنا منظومة للقيم، وحاولنا أن نتغلب على المشكلات التى تلقيها علينا الحضارة. وعبر هذه المنظومة الخطابية يمتد الآخر الغربى ويتربع، إما من أجل المقارنة، أو من أجل توضيح الموقف وأسس تحقيق الاستقلال عنه. ولا يتبع الخطاب بالضرورة هذه المنظومة؛ ولكنها مستخلصة من جماع قراءة النصوص، وهى وسيلتنا لتجميع خيوط هذا الخطاب وسبر أغواره.

أ- الحاضر: السخط والقنوط: يشن الخطاب حربًا شعواء على تخلف الحاضر الإسلامى، وعلى حالة الخمول والكسل التى تضرب أرض المسلمين. ويقبل المبالغة فى تشخيص هذا الحاضر إلى درجة؛ أنه ينكر على المسلمين الشهادة على الناس، وهى إحدى الرسائل المنوطة بوجودهم بحكم النص القرآنى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة البقرة: آية ١٤٣].

ويعمل الخطاب على تصوير الواقع على نحو مبالغ فيه، قد يصل أحيانًا إلى حد محاولة إحداث صدمة لدى المشاهدين والمستمعين.. وعلى سبيل المثال؛ فإنه يقرر فى إحدى حلقات برنامجه بأننا أمة تموت وتخرج من التاريخ. ويقرر فى هذا الصدد بأنه يخشى أن يأتى الله يوم القيامة بأمة محمد منذ عصر النبوة وحتى يوم الدين لتشهد على البشرية، فيستبعد جيلنا ويقال لنا: أنتم كنتم خارج التاريخ، أنتم لم تكونوا شهداء على الناس. فالله لا يرضى -وهو العادل الذى لا يظلم أحدًا- لن يرضى بشهادة من لم يرولم يسمع، ولم يكن له حضور. وهو يدلل على عدم الحضور هذا -أو قل التخلف- عبر أمثلة عديدة من الموضوعات التى يتطرق لها، وعبر مقارنات مع الدول المتقدمة فى الغرب، فهو دائمًا يقول هم عندهم كذا ونحن عندنا كذا. ومن ثم فإن تحليله لواقع المسلمين يبدو تحليلاً معياريًّا يتخذ من الغرب الذى توجه إليه سهام النقد عادة نموذجًا للتطور والتقدم. وهو فى كل الأحوال يسأل المسلمين: لماذا لا يتدبرون أمرهم على

نحو ما توحى به هذه العبارة: « ألا تخافون أن يسألنا ربنا يوم القيامة: ألم أهبكم العقل، فأفضلكم به على سائر المخلوقات، فلم عطلتموه واستوردتم إبداع غيركم؟ » إن الخطاب هنا يبدو خطابًا استنكاريًّا يستنكر على المسلمين أحوالهم، ويضعهم فى مقابلة مع نظرائهم من الشعوب التى تقدمت، وكأن الخطاب يريد أن يشحذ الهمة ويستنفر الهمم من أجل نهضة مرتقبة. وهكذا ينبذ الواقع ويستهجنه فى مقابل المثال الذى يطرح نماذج للسلوك والعمل نحن لا نستطيع أن نطاولها.

- فهذا طالب اليابان الذى يخترع الموتور أثناء دراسته للدكتوراة فى أمريكا، فيعود إلى بلده قبل حصوله على الدكتوراة؛ ليقدم اختراعه الذى أحدث ثورة، وهى قصة يضعها أمام ما رواه أحد أساتذة الجامعة المصرية والتى تقول بأننا: « نعمد إلى دراسة المشاكل التى تم حلها سابقًا، فنعيد مشكلتها ليقدم فيها الطالب رسالة جديدة. فقد صار هدفنا منح الشهادات لا حل المشكلات، وبالتالى سنبقى ضائعين دومًا ».
- ويتحدث ساخرًا عن الهواتف الجوالة -موجهًا خطابه إلى جماهيره- قائلاً: « أتفرحون لأن معكم أحدث طراز للهاتف الجوال؟ لا تفرحوا، فما أنتم إلا مستهلكون للتكنولوچية، ولستم منتجين لها ».
- وعن التقدم فى الفنون والآداب والثقافة، يستنفر الخطاب المتلقين بأسلوب غير تقليدى قائلاً: ما هى ملامح أمتنا اليوم؟ ويجيب بشكل سريع: إنها ليست لها ملامح. ويخاطب الأمة قائلاً: « انظرى يا أمتنا إلى المرآة لتتعرفى على ملامحك.. ومرآتنا هى ثقافتنا: تخيل أنك نظرت فى المرآة يومًا ولم تر ملامحك؛ فماذا سيحدث لك؟ سوف تفقد عقلك وتصرخ قائلاً: أين ملامحى؟ وأنا أصرخ اليوم وأقول: الثقافة والفنون التى تعبر عن ملامح أمتنا: أين هى؟ أين ملامحك يا أمتى؟ » وبعد هذا التدليل الصارخ بالأمة غير ذات الملامح يأتى الحديث الهادئ عن أوروبا أيام النهضة، وكيف كان فنها وأدبها وثقافتها تواكب هذه المرحلة وتدفع بالأمة إلى الأمام. ويتحدث أيضًا عن ألمانيا بعد الحرب العالمية وكيف حققت نهضتها خلال عشرين سنة. ويستخلص من ذلك درسًا، مؤداه أن الحلم عندما يسيطر على عقول الناس لابد أن يتحقق، ويقرر بأن هذه قاعدة.

ويميل الخطاب إلى **نقد أساليب سلوكية تنتشر بين الناس، فهو يتخذ من النقد**

الاجتماعى أسلوبًا لكشف زيف الواقع الحاضر الذى نعيش فيه. وتدل على ذلك نصوص عديدة نسوق بعضها فيما يلى:

- شباب ينام فترات طويلة. ولا يجرؤ على إيقاظه أحد... بنات تظل بالساعات تضبط ماكياج... نساء كل يوم لها ٣ أو ٤ ساعات تسوق وتلف فى المحلات... أو جلسات نميمة فى الأندية... أو مكالمات بعد منتصف الليل... ونتصور أننا سننتصر... هيهات.. إنك لا تضيع نفسك فقط... إنك تضيع أمة... تسيئ إلى والديك حتى إذا أفقت، كانا قد فارقا الدنيا فتندم أنك لم تبرهما أحياء...

- موظف فى مصلحة يعطل مصالح الناس ويقهرهم ومنهم أرامل ومطلقات وعجائز... موظف يتحمل المهانة من رئيسه فى العمل من أجل لقمة العيش... أمة تداس أرضها وتدنس وتغتصب... والأمة ساكتة لا تتحرك لقد ضاعت منا العزة.

- شركات تقدر الخبير الأجنبى، وتعامله معاملة غير تلك التى يعامل بها خبير بنفس الكفاءة ولكنه من بنى الجلدة... كنت مرة فى طائرة -تأخرت عن موعد إقلاعها- وكان على الطائرة عرب وأجانب، فمر واحد من طاقم الضيافة يعتذر للأجانب واحدًا واحدًا، ولم يفكر أحد أن يعتذر لنا. ومن هنا ينمو شعور بتقبل المهانة... فلما تضيع القدس... أو يقتل العراقى... لا مانع.

- المواطن العربى يمضى ٦٠٪ من يومه فى مشاهدة التلفاز، و٢٨٪ فى أشياء لا قيمة لها، وينام فى الثانية أو الثالثة صباحًا، ويستيقظ فى العاشرة. المواطن الغربى يستيقظ فى السادسة صباحًا، وينام فى العاشرة مساء، ولا يعرف اللهو إلا فى عطلة نهاية الأسبوع. المواطن الغربى يقرأ وهو فى وسائل المواصلات، أو أثناء انتظاره للطبيب. المواطن العربى وقته ضائع فى لعب على الكمبيوتر، أو الدردشة (شات)، أو التنزه بالسيارة على غير هدى، أو الأكل، أو الجلوس فى المقاهى، أو التحدث لساعات فى الهاتف...

وغالبًا ما يتجه هذا النقد للواقع إلى **المقارنة بالغرب**. وقد قدمنا نماذج من ذلك قبل قليل، ولكن هذه القضية تحتاج إلى نظر، ونحن بصدد هذا الخطاب. فالغرب هنا ليس مصدرًا للشر، وليس مصدرًا للسيطرة والهيمنة والاستغلال، ولكنه نموذج لكل شىء جميل، وهو دائمًا حاضر فى عملية المقارنة:

- كان بينى وبين أجنبى موعد، فتأخرت عليه قليلاً فى الوصول، وحين التقينا ابتدرنى سائلاً: هل أنت مسلم؟ قلت نعم، قال: هل تصلى؟ قلت نعم.. قال: هل حججت؟ فأدركت ما يعنى، وشعرت بحرج شديد.. وكأنه يتهمنى فى دينى لأنى لم أقدِّر قيمة الوقت وألتزم بموعدى. إن إقامة الحجة على ابن آدم يوم القيامة مرتبطة بالوقت.

- إننى أحاول أن أبذل مجهودًا لأجعلكم تؤمنون وتصدقون أن للوقت قيمة عظيمة، مع أن هذا المعنى مستقر تمامًا فى عقول أهل الغرب؛ ولذلك يسبقوننا... ونقول فى المثل «الوقت من ذهب»... لا واللّٰه: الوقت أغلى من الذهب... فالذهب يباع ويشترى، أما الوقت فإذا ذهب لا يعود... إذا ضاع وقتك ضاع عمرك...

- للأسف: أصبح كل أدائنا للأعمال تحت بند: أى كلام.. أى أداء.. شىء يؤدى الغرض والسلام، وكل شىء؛ مذاكرة الطالب، صناعة الصانع، تدريس المدرس، كل مجالاتنا لا تحمل طابع الجودة والإتقان، بل الاستعجال والتسيب والفهلوة، مع أن الإتقان سنة حياة المسلمين، قال رسول اللّٰه (ﷺ):« إن اللّٰه يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه ». الغرب أخذ هذا الشعار مبدأ، ولذلك سادوا وتقدموا؛ لأن القيادة مرتبطة بالقوانين.. فهيا بنا نتخلق بالإحسان، ونتخلق بالإتقان.

- إن حالنا ينقصه الكثير والكثير.. الجدية أصبحت صفة مفتقدة.. لقد ساهم الكبار فى ضياعها.

- إن الأمة تترهل... هل يعقل أن يكون متوسط ساعات العمل اليومية الفعلية فى الغرب من ٨ إلى ١٠ ساعات، وأن يكون متوسط ساعات العمل الفعلية اليومية فى الأمة العربية على أحسن الدراسات ١٢ إلى ١٣ دقيقة، والبعض هبط بها إلى ٥ دقائق.

- هل يعلم المدرس الذى لا يشرح فى الفصل -ويرى التلامذة تخرج وتهرب من المدرسة- أنه يقتل الأمة؟!... أولياء الأمور الذين يطلبون من المراقب فى الامتحان أن يكون رحيمًا ويترك الفرصة للأولاد أن يتعاونوا، أو نقولها باسمها الحقيقى: يغشوا.. هل يتصورون ما يفعلونه بأنفسهم وأمتهم؟ وأكثر من ذلك الأب أو الأم هما اللذان يساعدان أبنهما على عمل البرشامة التى سيغش منها.. الغش ليس كلمة بسيطة وليس مشكلة هينة.. هذا التحايل على الحصول على ما نريد، يصبح صفة لصيقة، ومن هنا انهارت أمتنا، وارتفعت الأمم الغربية... إنهم لا يغشون ولا يكذبون.

- علاقات الأولاد والبنات... هل هذا معقول؟!! أليس هناك ما يستحق الاهتمام غير حبهم لبعض فى التليفون وفى النادى طول النهار؟!...

- قال لى صديق: كنت أسير فى الطريق، فسمعت شابًّا يصرخ فى أبيه فى التليفون غضبانًا لأن أباه اشترى لأخيه سيارة من ماركة كذا وهى باهظة الثمن جدًّا، ولم يشتر له واحدة مثلها... وأردف صديقى: لقد بكيت وأنا أسير وحدى؛ بكيت على أسلوبه فى الكلام مع والده، وبكيت على اهتماماته وأخوة له تـُذبح وتـُقتل ولا تجد ما تأكل. لماذا استوردنا أسوأ ما عند الغرب وتركنا أسباب نجاحاتهم؟. نحن نتناسى تمامًا فترة النهار فى حياة الشباب الغربى وجديتها الشديدة فى العمل، ولا نراهم إلا بعد العودة إلى البيوت وبداية انحرافاتهم واستهتارهم.. من الميوعة أن نرى شابًّا يرقص فى فرح ويتمايل... والشباب والبنات سويًّا أمام أى مطرب متلاصقين يتمايلون... رأى سيدنا عمر بن الخطاب شابًّا يسير باستهتار فاقترب منه سائلاً: أمريض أنت؟! فقال الشاب: لا... فعلاه سيدنا عمر بالدرة -أى ضربه بعصًا كانت معه- قائلاً: أما نحن؛ فلا نرضى لأمة محمد أن تمشى هكذا.

- إذا أحببتم الغناء غنوا ما يُعلى همة الأمة.. وكفانا ميوعة.. نحن لا نتكلم فى حلال أو حرام، نحن نتكلم عن خلق يرتقى بالأمة وينقذها من استكمال طريق الانهيار. انظروا إلى ألمانيا.. اليابان.. وكيف استطاعت هذه الدول أن تقف على أقدامها بعد حروب طاحنة أتت على بنيتها الأساسية؟! بالجدية طبعًا.

ب- الماضى المزدهر: إن تصور خطاب عمرو خالد للواقع الراهن يمكن أن ينتهى إلى حالة من الإحساس بالعجز واليأس. ولكن الخطاب يستدرك بالحديث عن عظمة الماضى، وعن إمكانية العمل فى المستقبل، فيبعث الأمل من جديد فى نفوس مستمعيه. وفى ضوء ذلك يجسد الخطاب ماضى المسلمين على أنه ماضٍ عظيم؛ حقق المسلمون فيه نهضة عظيمة.. فأمتنا « أمة عريقة جدًّا، وأرضنا كانت مهدًا للحضارات منذ زمن بعيد جدًّا كالحضارة الفرعونية والأشورية والفينيقية. ثم جاء الإسلام واستوعب كل الحضارات , وأخذ المفيد منها، وهذبه ووجهه وصهره فى بوتقة الإسلام. فعمرو بن العاص عندما دخل مصر لم يهدم الأهرامات أو أبا الهول، لكن جاء القرآن يعلمنا كيف نستفيد من هذه الآثار، وكيف نعتبر من قصص الأمم السابقة، وجمع الإسلام كل هذه الثقافات ».

وفى هذا الإطار؛ فإن رجال الأمس يصبحون أفضل من رجال اليوم، والصحابة هم المثل الأعلى دائمًا. فقد كانوا « يضحون بكل شىء؛ لأن حلمهم كان المدينة المنورة، وكان الثمن أن يتخلوا عن ممتلكاتهم، فالحلم كان أكبر من كل هذه الممتلكات، فجاءت المدينة المنورة، ومنها جاءت الفلوس والأولاد والممتلكات وكل شىء؛ وذلك لأن الحلم كان غاليًا جدًّا ». ويؤكد فى نص آخر « إن الصحابة فى المدينة المنورة كانت لديهم رغبة فى النهضة، ونية صادقة ومخلصة فى نشر دين الله، وحكم الله فى الأرض، وبعد عشرين أو ثلاثين عامًا، جاءت الإمكانية، وقامت النهضة وصارت دولة الإسلام مترامية الأطراف، ممتدة من المحيط إلى المحيط. وحصل عكس ذلك بعد حوالى ٥٠٠ عام؛ إذ كانت الإمكانية موجودة، ولكن الرغبة زالت، فبدأ الانحطاط ».

ويميل الخطاب إلى سرد قصص من الماضى تدل على عظمة هذا الماضى وازدهاره؛ فيحكى عن عمر بن الخطاب حين يقول: « متى أنام؟! فإذا نمت بالليل أضعت حق ربى، وإذا نمت بالنهار أضعت حق الرعية ». ويحكى عن المعتصم الذى يهدد ملك الروم بإرسال جيش جرار له؛ لأن امرأة مسلمة أهينت فى أحد الأسواق، ويؤكد الخطاب فى نهاية رواية قصة المعتصم بحديث عن الكرامة وكيف أن « كرامة امرأة واحدة مسلمة تسير لها الجيوش »، وكثيرًا ما ينهى القصة بالرجوع إلى الوقت الحاضر مقارنًا وناصحًا.. ففى نهاية رواية قصة المرأة التى استصرخت المعتصم يقول: « آه لنساء المسلمين تذبح وتغتصب ولا مغيث ». -وفى نفس الإطار- يحكى قصة عبد الله بن الزبير بن العوام الذى لم يفر من أمام عمر بن الخطاب وكان عمره سبع سنوات، مثلما فعل بقية الصبية، وأورد الحوار الذى دار بينه وبين عمر بن الخطاب، والذى انتهى بأن أكد الصبى لعمر أنه لم يخلق ليلعب وإنما خلق ليعز الإسلام. ويحكى قصة بين المهاجرين والأنصار فيقول: « واسمعوا معى هذه القصة التى تكررت بين المهاجرين والأنصار.. سعد بن الربيع، وعبد الرحمن بن عوف، رجلان من بلدين مختلفين لم يلتقيا من قبل ولا يعرف أحدهما الآخر.. ولكن رسول الله ﷺ آخى بينهما.. فجاء سعد إلى عبد الرحمن بنصف ماله وملابسه وقسّم بيته بينهما.. ما هذه العظمة؟! الفرق أنهم كانوا يسمعون الآيات فتكون واجبة التنفيذ.. إنما المؤمنون أخوة.. سمعًا وطاعة، فى غزوة بدر يأسر أحد الأنصار شقيق مصعب بن عمير -وكان يحكم وثاقه- فلما مر بهما مصعب خفف من حدة القيد محبة له وإكرامًا له فى أخيه.. أخوة الدين أعلى من أخوة الدم، إذا كان أحد الأخوة كافرًا؛ هل نشعر بذلك الآن؟.. هل دم إخوتنا فى العراق يحرمنا النوم؛

لأننا أخوة بحق؟.. هل البيوت التى تنهدم والأطفال التى تداس تحرق قلوبنا وأكبادنا؛ لأن المصاب فى بيتى؛ لأنه فى بيت أخى؟.. اسمعوا معى كيف بلغت هذه الأمة فى يوم من الأيام قمة العالم»..

يتحول الماضى فى إطار هذا الخطاب إلى شىء أشبه بالكنز الذى نغترف منه العظات والوصايا، وهو ماضٍ نقى لا تشوبه شائبة، ويترك المستمع فى هذه الحالة وهو يقارن بين ماضيه المشرق وحاضره المتخلف، وحاضر الشعوب الأخرى المزدهر، فتتدفق فى نفسه الحسرة على ما يجرى، والتى قد تدعوه إلى أن يتمسك بالإسلام. يظهر الماضى فى الخطاب هنا ظهورًا رمزيًّا يدل على أن ثمة أملاً فى المستقبل، وأن الذى صنع الماضى يستطيع أن يصنع الحاضر.

جـ- المستقبل: يبدو أن الاهتمام بتصوير الماضى الزاهر للصور الإسلامية الأولى، وتصوير الحاضر البائس للمسلمين، يحاول أن يشكل من هذه النصوص أساسًا للحفز والاستنهاض للتوجه إلى المستقبل. ونصادف هنا رؤية واضحة للطريقة التى يتم بها التغيير. فلسنا هنا بصدد دعوة إلى ثورة على الأوضاع القائمة، أو رؤية فلسفية أو استراتيجية عن شكل التغيير وحجمه، ولكننا بصدد فكرة بسيطة مفادها أن الإنسان إذا ما اقتنع بفكرة ما مكونًا حلمًا حول هذه الفكرة؛ فإنه قادر على تنفيذها. فالفكرة والحلم بتنفيذهما هو الطريق إلى تغيير الواقع. فما من «إنسان يؤمن بفكرة، بحيث تملأ كيانه كله، ويصر عليها، ويعيش لأجلها، إلا واستطاع أن يحققها فى النهاية». فكأن التغيير يأتى من داخل الأفراد لا من خارجهم، فهم إذا غيروا ما بأنفسهم؛ فإن ما حولهم سوف يتغير.

وبداية طريق التغير هذا تبدأ من اعتزاز الفرد بنفسه وبدينه، ومن اعتناقه للإسلام الذى يمنحه العزة. «فما زلنا فى طريق التغيير حتى يمن الله علينا بالمعونة والعطاء.. وتخيلوا لو كل الأمة نوت التغيير أكيد سنصل فى يوم من الأيام إلى ما نصبو إليه. واليوم بعد أن قلنا لا للسلبية، نعم للإيجابية، ولا للميوعة، نعم للجدية، يجب أن نقول: لا للذلة، نعم للعزة. المؤمن عزيز. عزيز بنفسه ودينه وبقرآنه ووطنه.. لا يقبل الإهانة أبدًا.. والإنسان يهين نفسه بالميوعة.. يهين نفسه بالمعصية.. يهين نفسه بالسلبية - بعدم الاهتمام بأحوال المسلمين.. حين يعتبر أن لقمة العيش أغلى من كرامته فيأكلها مغموسة فى إهانته.. نحن أمة أراد الله لها العزة. فكيف نرمى عزتنا ونزرع ذلنا بأيدينا. أتعرفون كيف نزرع الذلة فى النفوس؟» فالفرد «يجب أن يكون

عزيزًا لتصبح الأمة عزيزة.. هذا هدف استراتيجى كبير، ولا يوجد مصدر للعزة إلا مصدرًا واحدًا. مصدر العزة هو الله سبحانه وتعالى، قال (تعالى): ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [سورة فاطر: آية ١٠].

وإذ يدفع الخطاب مستمعيه إلى الحلم؛ فإنه يصور لهم أحلامًا فعلية. تبدو هذه الأحلام للمستمعين على أنها واقع يمكن تحقيقه، ولكنها تظل -على المستوى الخطابى- أحلامًا متخيلة. وتبدو الأحلام المتخيلة هذه، وبالطريقة التى تعرض بها، وكأنها أحلام قريبة المنال يمكن تحقيقها بسهولة. ومن هنا يمكن أن نفسر الانجذاب الكبير إلى الاستماع إلى هذا النوع من الخطاب. فالخطاب يقدم للأفراد أحلامًا، أو قل: إنه يبيع لهم أحلامًا جاهزة، تُضاف إلى أحلامهم، أو قل تلغى أحلامهم، فتتحقق السعادة المرجوة، وتبدو الآمال وكأنها قريبة. ولنتأمل الطريقة التى تسرد بها الأحلام، والتى تدعو الشباب إلى أن يتخيلوها:

- « تخيل الشباب يقوم بعمل مشاتل.. تخيل أزمة المرور فى شوارعنا تبدأ من الرابعة صباحًا؛ لأن الناس تذهب إلى عملها بعد صلاة الفجر.. تخيل السائحين لاحظوا أن الناس فى بلادنا أصبحوا مبتسمين وزال العبوس والاكتئاب من الوجود، فقد عرفوا أن السعادة أصلها الإنتاج والنجاح الذى جعل الرأس تكون مرفوعة.. تخيل.. تخيل.. هذه الأشياء التى ذكرتها ليست خيالات.. أدْخلها إلى عقلك واجعلها ملء عينيك.. اجعل كل هذه الأشياء حية أمام عينيك وانظر لها.. انظر إلى الطرق الخضراء، وإلى الشباب المنتج، وإلى العنوسة التى قلَّت، وإلى الهيافة التى اختفت، وإلى الأغانى الفيديو كليب التى لا تدعو إلا للإنتاج.. والدنيا كلها تقول ازرع لبلدك.. »
- « ومن أحلام الشباب.. تخيل عالم أمريكى يفتخر بأنه فى بلدك بعد عشرين سنة من الآن.. تخيل خبر فى جريدة روسية -على سبيل المثال- عن أن ألف عالم روسى يحتفلون بقبولهم فى مركز أبحاث الطاقة الشمسية بمصر.. تخيل عودة بغداد عاصمة البحث العلمى فى العالم كما كانت.. ».
- « تخيلوا أننا استطعنا إنقاذ أفريقيا من الجوع والعطش ببحوثنا العلمية.. تخيلوا أن كل محافظة بها مركز بحث علمى يمد المحافظة باحتياجاتها فى كل المجالات.. تخيل مئات العلماء الذين يعيشون بالخارج مثل الدكتور أحمد زويل والدكتور فاروق الباز وغيرهم يعودون لبلادهم أو يساهمون فى مراكز البحث العلمى ببلادنا.. ».

د- منظومة القيم: وإذا كان التغير فى المستقبل، يأتى من خلال قناعات فكرية، وتطوير أحلام؛ فإن هذا يحتاج إلى منظومة من القيم التى يجب أن يتحلَّى بها المسلم، وإذا كان الحديث عن المستقبل يضع متلقى الخطاب فى حالة الحلم الوردى الجميل؛ فإن الحديث عن القيم يخلق لديه عالمًا مثاليًّا يتعالى على عالمه الواقعى الذى يمتلئ بالمشكلات ويجد فيه المأوى. ويحلِّق الخطاب هنا فى عالم مثالى يصنع لدى المتلقى صورًا مختلفة من البهجة، وخاصة أنه يُقدم عبر أسلوب جذاب، وعبر سرد قصصى فى بعض الأحيان. فالحديث عن القيم يأتى دائمًا مقرونًا بالإشارة إلى سلوكيات واقعية غير مرغوب فيها، وغالبًا ما يدعم بالإشارة إلى مقارنات بعصور سابقة، أو بما يحدث فى الغرب. ويكشف الخطاب عن اهتمام بمنظومة كبيرة من القيم؛ إذ يركز حلقات خاصة عن حسن الخلق، وقيمة الوقت، والإحسان، والجدية، والإيجابية، والفخر بالشهادة، وتحديد الهدف فى الحياة، والإتقان، والإرادة، والمحافظة على مواردنا، ونقدم فيما يلى أمثلة على تصوير الخطاب لبعض القيم، محاولين التركيز على الأساليب المختلفة فى الطريقة التى تعرض بها القيم:

- « لكى نكرس هذا المعنى يجب أن نقول إن السلبية هى أخطر آفة.. بينما الإيجابية هى أهم وأخطر وسيلة لنهضة الأمة.. ولو تواجدت الإيجابية.. على الفور تحدث نهضة للأمة ».

- « فهذا الشاب المتدين -المصلى الصائم- لو أساء إلى جيرانه وأزعج من حوله بصوت كاسيت سيارته.. أو باصطحابه مجموعة من البنات، كل هذا مثال سيئ للمسلم، والفتاة المحجبة ذات الملابس الضيقة والضحك بصوت عال والخوض فى سير الناس مثال أسوأ ».

- « من أهم وسائل الثبات: عدم الإعجاب بالنفس، فالإعجاب بالنفس آفة من تديَّن وسار على الطريق، فينسى أن المنعم بذلك هو الله، وإن لم يتفوه بها ويداخله شعور كما داخل قارون: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [سورة القصص: آية ٧٨]. ومن هنا يبدأ انحداره وفقده للثبات.. كل هذه الأمور، أمور إيمانية.. فكيف يثبت الآخرون؟!... غير المسلمين: غاندى.. نيلسون مانديلا،

وغيرهم.. هناك صفات تجمع كل الناس وتساعدهم على الثبات: **أولها-** أن تكون صاحب قضية، هى كل حياتك، ولا ترضى بغيرها بديلاً مهما كانت البدائل تبدو أحلى..

ثانيها- احترام الذات.. «ولكن يجب أن نفهم أن الثبات ليس معناه الجمود ولكن هناك مرونة، وهناك توازنات يجب أن تراعى.. ولكن الحقائق الواضحة لا تحتمل الجدال.. نثبت عليها.. مثلاً قضية الرشوة مهما قدموا لك من مبررات أو اجتمعت المصلحة كلها عليك، هذه قصة منتهية. هل تذكرون الفتاة الأمريكية التى ثبتت فى وجه الجرافة الإسرائيلية.. إنها ليست مسلمة؛ فلماذا ثبتت؟! لأن هذا موقف حق.. إبادة وهدم المنازل ظلم واستبداد.. لم ترض عن اغتصاب الحق.. فماتت وأصبحت حجة على المسلمين الذين لا يثبتوا..»

- «إن الأمة التى لا تشعر بأهمية الوقت لا تستطيع أن تنهض على قدميها.. انظروا إلى شعائر الإسلام.. كلها مرتبطة بوقت.. الصلوات الخمس.. تتحدد مواقيتها بالوقت.. رمضان فترة من الزمن.. يحددها وقت ميلاد الهلال فى أوله وآخره.. الحج عرفة والوقوف بعرفات.. له وقت معلوم.. وكل الشعائر الأخرى حتى زكاة المال.. يجب أن يحول عليها الحول.. أى العام».
- «الإتقان سُنَّة حياة المسلمين، قال رسول الله (ﷺ):«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً، أن يتقنه» الغرب أخذ هذا الشعار مبدأ، ولذلك سادوا وتقدموا؛ لأن القيادة مرتبطة بالقوانين.. فهيا بنا نتخلق بالإحسان، نتخلق بالإتقان».
- «إن حالنا ينقصه الكثير والكثير.. الجدية أصبحت صفة مفتقدة.. لقد ساهم الكبار فى ضياعها».
- «إن أحد العناصر الأساسية لقيام الأمم.. الأخلاق.. لقد ورد فى القرآن الكريم صفات عباد الرحمن، ولو نظرنا إليهم؛ لوجدنا أن الجزء الأكبر هو أخلاقهم: يمشون على الأرض هونًا؛ فليسوا متكبرين، ولا يجادلون السفهاء، ويبتعدون عن مواضع العراك والمشاكل، ولهم عباداتهم التى تعينهم على شهادة الحق والبعد عن اللغو وهكذا».

ومن الواضح: أن قيمًا تتخلل الحديث؛ ولكنه مع كل مرة يختلف مسار الخطاب. فمرة تُقدم القيمة: فى شكل نصيحة، ومرة أخرى: فى شكل تعديل لما هو واقعى، ومرة

ثالثة: فى شكل مقارنة، ورابعة: فى شكل حفز واستنفار؛ ولذلك فإن فهمًا أكثر اكتمالاً لهذا الخطاب، يتم من قراءة بعض آليات إنتاجه.

٥- آليات الخطاب الإسلامى:

بعد أن عرضنا لهذه الصور المختلفة من الخطاب الدينى الإسلامى، يمكن أن ننظر فى استكشاف، أو استشفاف بعض الآليات التى تحكم عملية إنتاج هذا الخطاب. ولاشك أن هذه الآليات تختلف باختلاف الفرضيات التى ينبنى عليها الخطاب، ولكنها حاضرة فى كل الخطابات تقريبًا، وإن كان بصور متفاوتة؛ ولذلك فإننا سوف نشير -ونحن نعرض لهذه الآليات- إلى الخصوصية والعمومية فى هذه الآليات، فرغم أن هذه الآليات عامة؛ إلا أن بعضها أكثر ظهورًا فى خطاب بعينه.

أ- المقارنة بين الواقع والمثال: يتأسس الخطاب الدينى على افتراضيات إسلامية خالصة، وهو ينطلق من مسلمة أنه يمثل الإسلام الخالص أو المثالى، وأنه يدعو إليه. ويعيد الخطاب إنتاج نفسه من خلال اتجاهه المحافظ الواضح. وتعد المقارنة بين واقع الحال وبين المُثل العليا إحدى الآليات الأساسية التى يعتمد عليها الخطاب فى إنتاج ذاته، كما ينعكس فى المقارنة الدائمة بين أحوال المسلمين ومراجعتها على نصوص القرآن والسُّنة. ويبدو الأمر هنا وكأن الحياة فسدت، وانتشر فيها الضلال والفسوق والعصيان. وتكون إحدى المهام المنوطة بالخطاب الإسلامى: هى إعادة هذه الحياة إلى سيرتها الأولى. ويتحاور الخطاب مع ثلاثة اتجاهات: **الأول** هو الإسلام كما يتصوره الكاتب نقيًّا ومثاليًّا، **والثانى** هو واقع المسلمين الذى يهدف هذا الخطاب إلى تغييره، والذى يصوره على أنه واقع ناقص، به الكثير من المثالب التى تبعده عن صحيح الدين، **والثالث** هو الغرب بفكره وثقافته ومجتمعه الذى يتم تصويره على أنه أحد مصادر التلف الذى أصاب حياة المسلمين. وتُستخدم النصوص الدينية فى الخطاب الذى يتعامل مع هذه المستويات الثلاثة؛ لكى يتم تأكيد فكرة أساسية، هى الفكرة الحاكمة للخطاب ومساره، وهى: أن الالتزام بالإسلام روحًا ونصًّا هو الطريق القويم.

ب- الركون إلى النصوص: رغم أن الاستعانة بالنصوص القرآنية ونصوص الأحاديث النبوية تعد آلية أساسية فى إثبات أهمية الموضوع وصحة الافتراضات التى يقوم عليها؛ إلا أن الاعتماد على النصوص يظهر بشكل أوفر فى الخطاب الصادر عن أفراد لهم أصول أزهرية،

سواء كانوا يمثلون المؤسسة الرسمية، أم كانوا يعملون بشكل مستقل مثل الشيخ القرضاوى، فى حين يقل الاعتماد على النصوص فى الخطاب الثقافى، وفى خطاب الدعاة الجدد. وتضفى النصوص على الخطاب هيئة خاصة، وتمنحه مصداقية. ولا يظهر فى الخطاب أى شكل من أشكال التفسيرات المختلفة للنصوص، أو فهمها بشكل مختلف، فغالبًا ما تقدم النصوص فى ضوء فهمها وتفسيراتها الذاتية المعهودة.

جـ- النقد: يصدق هذا على الخطاب الناقد، خاصة الخطاب الثقافى الفكرى، وخطاب الدعاة الجدد. فالخطاب هنا ينتج من ذات ناقدة، ومن ثم يكون للنقد آليته الأساسية، ومع أن النقد يحاول أن يستقل بالذات عما سواها؛ فإنه يعكس أصداء هذه الذات وشجونها، فيأتى نقدًا ذاتيًّا خالصًا. وفى إطار آلية النقد يكشف الخطاب عن آليات فرعية يمكن أن نشير إلى بعضها كما يلى:

الحث والتحفيز: حيث يحاول أن ينبه الأمة العربية والمسلمين بعامة إلى أهمية الدفاع عن القضايا التى تخصنا -القضية الفلسطينية بخاصة- فتأتى النصوص مدعمة لذلك فيقول:

- « إننى أدعو إلى مراجعة النفس فى سلوكياتنا التى ينبىء بعضها عن تغيب لا يليق مع الحزن والمحنة ».
- « إن ما يجرى على فلسطين ينسحب على العرب أجمعين، باعتبار أن الجميع فى سفينة واحدة..وإن فات ذلك على بعض الغافلين أو المستغفلين ».
- « إن أدعياء العجز ودعاة الانبطاح فى زماننا يروِّجون لإفلاس الأمة كل حين.. ولا يملّون من محاولة إقناعنا؛ بأن الركوع هو خيارنا الوحيد ».

التخويف وتقديم النصائح: وتأتى هذه الآلية بارزة فى الخطاب؛ فهو أحيانا ما يعتمد على تخويف الآخر من العواقب، وأحيانـًا؛ أخرى يظهر كناصح أمين لهذا الآخر، وتظهر هذه الآلية فى نصوصه على النحو التالى:

- « إن التاريخ يعيد نفسه أحيانـًا لكن قليلين هم الذين يقرأونه ويعتبرون »
- « الأخطر من انهيار برجى التجارة العالمى؛ ألا يرى الأمريكيون فى المشهد إلا سحابات الدخان الكثيف ».

المزاوجة بين التفاؤل والتشاؤم: على الرغم من أن الآلية الأساسية هنا هى الرؤية المتشائمة؛ إلا أن هويدى لديه رغبة داخلية للحد منها والسعى الدائم نحو التفاؤل والحث عليه من خلال تقديم المبررات والحجج « لماذا الحذر والتشاؤم؟ »، « خشيت أن يعيد التاريخ نفسه، فتتكرر مآسيه وفواجعه وتظل أفغانستان تخرج من حفرة؛ لكى تقع فى بئر! »

الدهشة المصحوبة أحيانًا بالشماتة: « مازلت غير قادر على تصديق الذى رأته عيناى فى نيويورك وواشنطون..الأمر الذى جعل من الدهشة قاسمًا مشتركًا أعظم.. فالذى جرى ما كان له أن يخطر على قلب بشر.. خسرت فيه الولايات المتحدة الجولة الأولى، وفقدت فيه الهيبة والمكانة، وتهشم وجه الدولة العظمى، والدهشة ليست مقصورة علينا وحدنا ».

السرد والأسلوب القصصى: من خلال قص الحكايات والاستشهاد بأقوال الصحابة والأدعية الدينية، وعرض للخبرات والتجارب وحكايات الأسفار والرحلات.

الحوار: والذى ينقسم إلى حوار مع الذات أحيانًا، وحوار مع الآخر أحيانًا أخرى. ويأتى حوار الذات من خلال مراجعة الأحداث وإعادة النظر فيها « كم من الملاحظات والدروس والعبر التى يستخدمها المرء من الاحتكاك بالمشهد، بعد أن يرى مسرح الأحداث، ويستمع إلى شخوصها ويناقش الرموز والعقول المؤثرة فى مسارها ». « دعك الآن من المسعى الإسرائيلى الخبيث واللحوح لإذكاء تلك الفكرة »؛ كما أنه حوار يقدم رؤية عن الواقع بموازناته وأولوياته، ومحاولة تحرى المصلحة محاولاً أن يقدم نوعًا جديدًا من الفقه لا يعتمد على النصوص المحفوظة وإطلاق الفتاوى؛ ولكنه فقه يمكن تسميته « بفقه الواقع ».

أسلوب الاستفهام: حيث يحمل خطابه دائمًا استفهامًا غرضه الاستنكار أحيانًا والاستدراك أحيانًا أخرى. وإن كان الطابع الاستنكارى هو الطابع الآخذ بشدة فى خطابه؛ فى حين كان الاستدراك متمثلاً فى طرح أسئلة بعد أن تشتهر لها إجابات، وتثار حول صحتها الشكوك، الأمر الذى يحرك الدعوة إلى مراجعتها وتصويبها، ومن قبل هذه التساؤلات ما يلى:

- « هل يؤدى تغير المناهج إلى سد منافذ التطرف والإرهاب؟ »
- « هل تعلن موت السياسة؟ »
- « أبعد كل تلك الدماء التى سالت على أرض فلسطين يكون لنا عيد؟ »

جلد الذات: فتصوير الخطاب لأحوال المسلمين ووصفه لسلوكياتهم يقسو قسوة شديدة عليهم. فهم كالدمى يحركها غيرهم، وهم لا يستطيعون حركة فى الحياة. والخطاب يؤكد دائمًا بأنه « لا يصلح أن تعيش فى هذه الدنيا بدون تصنيف، بدون أن تترك بصمة.. لا يصلح أن تقول نحن نعيش والسلام، والدنيا هى التى تحركنا.. لتحرك أنت الدنيا لا لتتركها تحركك ». فهذا الحكم يتم تعميمه على المسلمين « الذين أعطاهم قرآنهم ودينهم أهدافًا واضحة للقرب من اللّٰه ودخول الجنة، يعيشون هكذا فى الحياة مثلما تحركهم الدنيا ».

د- التمسرح: ويظهر التمسرح على وجه خاص فى خطاب الدعاة الجدد. وقد أكدنا فى تقديمنا لهذه الصورة من الخطاب الدينى أهمية التداخل بين الطريقة التى يقدم بها الخطاب الدينى وثقافة الاستهلاك الجماهيرى؛ ولذلك فمن السهل أن نكتشف آلية التمسرح بسهولة ونحن نقرأ هذا الخطاب، حتى دون أن نسمعه. فهو يستخدم أساليب خطاب مختلفة مباشرة وغير مباشرة، ناصحة أحيانًا، ومخدرة أحيانًا أخرى، وهو فى كل الأحوال ينقل المستمع من النقيض إلى النقيض، وكأنه عمل درامى يلعب بمشاعر المتلقى ويدفعه إلى قناعات معينة. وإذا ما أضفنا إلى ذلك الطريقة التى يتم بها تقديم الخطاب عبر الصورة؛ فإن عملية التمسرح هذه تكتمل عبر التحكم فى نبرات الصوت حماسًا أو انخفاضًا أو ارتفاعًا، وعبر تعبيرات الوجه وحركة الأيدى. فى هذا الظرف يتحول الداعية وهو ينتج خطابه إلى شخص أقرب ما يكون إلى « النجم » الذى يشار إليه بالبنان.

هـ- ثنائيات المقارنة: يميل الخطاب إلى المقارنة بشكل مستمر بين الماضى والحاضر، وبين أحوال الغرب وأحوالنا، وبين الأفراد المستقيمين وأضرابهم المنحرفين، وبين نماذج من رجال الأمس ونسائه ونماذج من رجال الحاضر ونسائه. وتقدم هذه الثنائيات بشكل يعبر عن تناقض واضح، يشعر المتلقى بأن ثمة هوة كبيرة بين قطبى الثنائية؛ مما يعمق لديه الإحساس بوطأة الواقع وحلاوة الحلم بالمستقبل.

و- الانتقائية: لا تقف الأمثلة التى يقدمها الخطاب أو يعتمد عليها عند حد معين، ولكنها تميل إلى الانتقاء من الحاضر (الغرب والدول المتقدمة)، ومن الماضى (نماذج مشرقة ومواقف مشرقة لخلفاء أو قادة جيوش). وتظهر الانتقائية بشكل واضح من التداخل الشديد الذى يظهر فى الخطاب بين الماضى والحاضر، وبين الغرب والشرق، فالنص ينقلك فجأة إلى مثال من الماضى، ثم يعرج بسرعة على مثال من الحاضر، ثم يسخر، فينحصر وينقلب إلى خطاب ناصح.

ز- النصح والإرشاد: مع أن الخطاب يحاول أن يقترب من متلقيه؛ إلا أنه يتحول فى أحيان كثيرة إلى خطاب مفارق يقدم النص من عل، ويبالغ فى تجسيد الأمور، وفى تحسين ما يريد تحسينه، وتقبيح ما يريد تقبيحه، وكثيرًا ما يوحى الخطاب للمتلقين أنه يملك زمام الأخبار والمعلومات « سأخبركم خبرًا عجيبًا جدًّا » (هكذا). أو أن يطلب من مستمعيه أن « يتخيلوا ». أو أن يحكى لهم عن مظاهر سلبية فى الحياة، ويقوم بتفسير سبب وجودها بطريقة تدل على معرفة قاطعة، كأن يقول « سأحكى لكم كيف صارت الميوعة وعدم الجدية مسيطرة علينا، وسأركز فى حديثى عن الإعلام.. إلخ ». وغالبًا ما يميز الخطاب نفسه عن سائر الخطابات الدينية الأخرى عندما يؤكد بأنه لا يتحدث عن الحلال والحرام. وهو ينفى عن نفسه هذه الصفة، ولكنه يتحدث عن نهضة الأمة: « أنا أتحدث عن بلاد تنهار.. وأمم تسقط.. ونجد أن الميوعة تزداد بين الشباب.. وصارت القدوة بين الشباب وهو الشخص الذى يصاحب البنات.. ويقص شعره بطريقة كذا.. ويلبس بطريقة كذا.. ونفس الشىء للبنات.. »

ح- الافتتان بالعلم: يتحدث الخطاب -لا سيما خطاب الدعاة الجدد- كثيرًا عن العلم والتكنولوجية، ويقارن بين تقدم الغرب فى العلم والتكنولوجية وتخلف المسلمين فى هذين المجالين. فهو يتحدث عن الفرق بين العلم والتكنولوجية، وعن أهمية التكنولوجية وخطورتها، وعن خطورة استيراد التكنولوجية. وكثيرًا ما يورد فى الخطاب إحصاءات من تقارير عالمية حول معدلات استخدام التكنولوجية ونسبة مستخدمى الإنترنت. ويتحدث عن المكتبات الإلكترونية، وعن دور التكنولوجية فى التعليم، وعن الاستخدام الأمثل للتكنولوجية، ويشعر القارئ لنصوص عمرو خالد وكأن التكنولوجية هى الخلاص البشرى إذا حسن استخدامها. وكيف لا؛ وهى من إبداع العالم الغربى الذى يمثل الصورة المبهرة فى الخطاب! ولكن يبقى السؤال: كيف يتوافق هذا الافتتان بالتكنولوجية مع مبدأ تغيير العالم الذى يعتمد العلم وسيلة للخروج من الأزمة؟

رابعًا: خريطة الخطاب الدينى المسيحى

نحاول فى هذا الجزء من الدراسة أن نلقى بعض الضوء على الخطاب الدينى المسيحى كما يعبر عنه رسميًّا داخل الكنيسة القبطية، وكما يظهر عبر صفحات الجرائد القبطية، أو فى منشورات (كتب) كتبت بغرض دينى، ويتم تداولها على نطاق واسع بين الأقباط. ولقد حاولنا

قدر الإمكان أن نجعل النصوص التى خضعت للتحليل أقرب إلى تمثيل الخطاب الدينى المسيحى بشكل عام، كما راعينا فى اختيار هذه النصوص أن تكون متنوعة، وتعبر عن أجيال مختلفة، وتوجهات مختلفة داخل الكنيسة. وفى ضوء ذلك؛ فقد كان فى مقدمة النصوص - التى خضعت للتحليل- النصوص البابوية، يليها النصوص التى تقدم من خلال الكنيسة لتوعية وتثقيف الشباب المسيحى ويعرض لها الأنبا موسى (أسقف الشباب) فى سلسلة من الكتب التى أعدت خصيصًا لهذا الغرض، بحيث تمثل الحركة الدينية ذات التوحد الدنيوى داخل الكنيسة. ولكى تتضح الصورة أكثر؛ فقد اخترنا نصوصًا من مقالات تكتب بشكل منتظم وعلى صدر الصفحة الأولى من جريدة «وطنى»، وهى الجريدة التى تصدرها كل أسبوع مؤسسة وطنى للطباعة والنشر. والتى تمثل كتابات الأقباط الذين يكتبون من خارج أسوار الكنيسة مع الالتزام بمبادئها، فهم لا يرتدون بالضرورة الزى الكنسى، ولا يعملون فى وظائف دينية؛ ولكن لهم أفكارًا تنشر على الملأ المسيحى القبطى.

١- الخطاب البابوى: يوتوبيا الروح:

اعتمد تحليلنا للخطاب البابوى المسيحى على نصوص يكتبها البابا بشكل منتظم فى مجلة الكرازة المرقسية التى تصدر كل أسبوعين عن الكنيسة الأرثوذكسية، وشكلت هذه النصوص ٥٦ نصًّا، تم اختيارها لتمثل الفترة من عام ٢٠٠٠م حتى عام ٢٠٠٤م.

يعكس الخطاب البابوى ميلاً نحو الروحانية والمثالية، فهو يحلق فى عالم الروحانيات والمثل العليا. ويميل الخطاب إلى عدم التركيز على السلبيات أو الأخطاء، كما لا يميل إلى نقد الذات أو نقد الآخر(*)، وفى مقابل ذلك يميل ميلاً شديدًا إلى التفاؤل بالمستقبل، وإلى فتح آفاق نحو الأمل. يبدو الخطاب -إذن- وكأنه يفتح الطريق إلى عالم المثل، وإلى عالم يمكن أن يتجاوز فيه الإنسان الخطيئة؛ ولذلك فإننا نميل إلى أن نسم هذا الخطاب بأنه خطاب يميل إلى اليوتوبيا، ويتجاوز الواقع، آملاً فى حياة أفضل للبشر. وهذه اليوتوبيا وهى يوتوبيا روحية خالصة، يحقق الإنسان فيها خلاصًا كاملاً(**). وبينما يتخذ الخطاب هذا النهج اليوتوبى؛ فإنه

(*) عدم نقد الآخر فى الخطاب المسيحى: هو تطبيق لبعض التعاليم الواردة فى الكتاب المقدس (المحرر)

(**) يشير مفهوم اليوتوبيا فى الثقافة الغربية إلى «المثالية» التى لا تقبل التحقيق فى عالم الواقع، أما مفهوم «الدين» حسب الثقافة العربية فيشير إلى ما يمكن تحقيقه فى الواقع، ويكون من شأنه ضبط سلوك الإنسان وترشيده؛ ولذلك يصعب وصف الخطاب الدينى بأنه يوتوبيا؛ لأنه صلب هذا الخطاب ويتجه للواقع وقابل للتطبيق (المحرر).

يتعامل مع الواقع بشكل غير مباشر؛ إذ لا يتخذ الخطاب من الواقع موضوعًا للقول إلا فى النذر اليسير، ولكن الواقع يبدو حاضرًا خلف نصوص الخطاب، ولا يظهر ولا يتجلى أمامنا بشكل مباشر، ولكنه قابع خلف النص يوجهه إلى تجاوزه نحو عالم المثل.

من الطبيعى فى ضوء ذلك أن تتقدم قضايا الروح على قضايا المادة، وأن يأتى الاهتمام بالقضايا الاجتماعية المباشرة اهتمامًا هامشيًّا. ومن هنا فقد جاءت قضايا العقيدة على رأس الموضوعات بنسبة ٣٥,٧ ٪ تقريبًا، وجاء الحديث عن القيم فى المرتبة الثانية بنسبة ٣٢,١٪، وجاء موضوع طقوس العبادة فى المرتبة الثالثة بنسبة ١٧,٨٪، وجاءت معالجة الموضوعات الاجتماعية الواقعية فى ذيل القائمة بنسبة ١٤,٣٪. ويبدو أن هذا الترتيب يتسق مع فكرة السعى نحو عالم المثل، وكأن لسان حال الخطاب يقول للمتلقى: تسلح بالعقيدة والقيم، وأد الطقوس على خير وجه، تتغلب على كل مصاعب الحياة.

وإذ يسير الخطاب على هذا النحو؛ فإنه يحاول أن يحيد السياسة، ربما إعمالاً للمبدأ المسيحى « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله »، فليست هناك رغبة ظاهرة فى إضفاء الطابع السياسى على الخطاب، أو فى فتح أفق للتحاور حول قضايا عامة تخص المجتمع، أو تُطرح على الساحة الدولية والمحلية. يحاول الخطاب فى سعيه نحو عالم المثل، وفى حواره غير المباشر مع واقع الحياة، أن يكون خطابًا محايدًا لا يزج بنفسه فى أمور السياسة، ولا يغامر بمناقشة قضايا عامة. فجلّ اهتمامه هو الفرد الذى يحاول الخطاب أن يأخذه نحو الكمال دون أن يوجه له لومًا أو اتهامًا. ولذلك فقد غلبت على الخطاب الموضوعات العقائدية والطقوسية، وإن ظهرت معالجة لقضايا أخرى؛ فإنها تكون قضايا ذات طابع اجتماعى، أو تتصل بحياة الأفراد وطريقتهم فى العمل، وهى غالبًا ما تظهر بين ثنايا النصوص، وإن هى ظهرت على نحو مباشر؛ فإنها لا تمثل مساحة واسعة داخل الخطاب. ونلقى فيما يلى نظرة سريعة على الموضوعات التى يتم تناولها فى الخطاب البابوى:

أ- تحتل الموضوعات العقائدية مكان الصدارة فى الخطاب، ويناقش البابا هنا موضوعات متفرقة مثل موضوع القيامة لدى الأحياء والموتى، وطبيعة الإيمان، والتجسد والميلاد، وحكمة السيد المسيح، واستحقاق الملكوت، والخلاص، والحياة الروحية، والمعمودية. وعندما يتناول خطاب البابا هذه الموضوعات؛ فإنه يبدأ دائمًا بالتأكيد على تحديد المعنى

المقصود وشرحه. فعندما يشرح موضوع القيامة؛ فإنه يوضح أن معجزات القيامة التى تتم لبعض البشر تختلف عن معجزات القيامة عند المسيح.. وعندما يتناول قضية الإيمان فى نِعم الله؛ فإنه يعدد هذه النعم. ويحرص الخطاب على أن يوضح: أن لله حكمة فى خلق الأشياء، ويبدو الكون هنا وكأنه كون مرتب يعمل الإنسان فيه طالبًا من الله الفرج والرضا « فالله قادر على كل شىء.. وعلينا أن نطلب الحل من الله. فنعمل ونطلب من الله أن يعمل معنا ». ويتطلب ذلك حركة دائمة فى العقيدة « فالحياة الروحية مطلوب فيها الحركة وعدم التوقف، وأن التوبة هى حركة داخل القلب لتجديد الحياة، والحركة للصلح مع الله، والنمو الروحى هو لون إيجابى من الحركة ». ويبدو العالم مرتبًا ومنظمًا على نحو آخر؛ إذ يكشف الخطاب: أن العالم به أنواع من البشر، بعضهم قريب من الله، وبعضهم بعيد عن الله، وأن التوبة مفتوحة دائمًا أمام أولئك البعيدين عن الله، فعند حديثه عن القيامة يورد قول الشاعر:

كم مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم فى الناس أموات

وهو بيت يصنف البشر إلى صنفين: ذوى المكارم العالية الذين لا يموتون، وآخرين يعيشون كالأموات. ثم يستطرد النص فيصنف هؤلاء الأحياء الأموات إلى ثلاثة أصناف: الخطاة الذين انفصلوا عن الله؛ والخاملين النائمين الذين بلا حركة وبلا إنتاج، والأمم القديمة الوثنية التى أعطاها الرب حياة جديدة بلا إيمان. ولاشك أن الصنف الأول القريب من الرب العامل على حركة الحياة هو الأكثر تميزًا، فى مقابل الخطاة والخاملين والوثنيين؛ ولذلك فإن هذا الصنف المميز من البشر هو الأقرب إلى الله، وهو الذى يستحق « ملكوت الرب » أى أنه هو القادر على أن يقدم الخدمة، وأن يكون من أبناء الله. ويظهر هذا فى حديث البابا عن استحقاق الملكوت، فهو يعتبر أن التوبة شرط للاستحقاق، ثم يقول « ما مدى استحقاقنا للرب؟ واستحقاقنا أن نكون له تلاميذ؟ لا تقل إذن ما دمت قد آمنت واعتمدت فقد انتهى الأمر، كلا: هناك شرط الثمر أيضًا » ويضيف « إن الله -من تواضعه- سمح لنا أن نصلى، ولكن هل نحن مستحقون أن نقف أمام الله ونخاطبه؟ لا بالطبع. ثمة بشر مميزون -هم فى الغالب رجال الدين- هم الأقدر على مخاطبة الرب، وهم الأقرب إلى العالم الروحى ».

ب- ويميل خطاب البابا إلى ترسيخ نوعية خاصة من القيم فى نفوس متلقيه. ويضع الخطاب القيم السلبية فى مقابل القيم الإيجابية، -وإن كان الخطاب يتسع للقيم الإيجابية

أكثر من اتساعه للقيم السلبية- ولقد ظهر فى النصوص البابوية التى تم تحليلها موضوعات تعكس اهتمام البابا بالقيم السلبية ونقدها وحث المتلقين على الإقلاع عنها، وهو يذكرها باختصار ولا يفرد لها سطورًا وصفحات كثيرة، بل يعالجها باقتضاب فى سياق الكلام.

- الكذب وهو من أخطاء اللسان فيقول: « الكذب من أخطاء اللسان وهو على درجات وأنواع، منه المبالغة، وأنصاف الحقائق، وعدم الدقة فى الكلام، والأحكام غير العادلة Not Fair، وشهادة الزور، وتلفيق التهم على الأبرياء، وطرق اللف والدوران، والخداع والتضليل، والغش والاحتيال، والتملق والنفاق، والرياء ».
- الكلام بكبرياء وتشامخ وتعالٍ « كمن يتكلم وكأن الحديث يصدر من فوق ».
- علو وحدة الصوت والصياح.
- السلوكيات شبه الشريرة، والتى يدخل فيها كثرة الإلحاح، والتزيد فى الكلام، والزيارة على غير موعد، والتشدد فى ثمن البيع أو الشراء، والتأخير فى المواعيد، وتضييع الوقت.
- شهوة الاستزادة أو الطمع.

هذه نماذج من السلوكيات السلبية التى يشير إليها الخطاب البابوى، وفى مقابل الترغيب فى ترك هذه السلوكيات، تحاول النصوص أن تؤكد على القيم الإيجابية التى تشكل منظومة المؤمن المسيحى. ولذلك فقد غطت عظاته التى تم تحليلها عددًا كبيرًا من القيم الإيجابية تم استخلاصها من النصوص على النحو التالى:

- **التصالح**: « لا تنتظر حتى يأتى ليعاتبك ويقود العتاب إلى الصلح، بل اذهب وقم بالمبادرة، وخذ بركة المصالحة ».. « إذا قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئًا عليك، اترك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك » (مت٥: ٢٣، ٢٤). « لذلك احرص على أصدقائك، فلا تخاصم، وإن خاصمت فلا تطل خصامك، بل كن مسرعًا إلى الصلح وحفظ وحدانية الروح » (أف٤).
- **العطاء**: هذا العطاء الذى يشبه بالثمار، فالمؤمن كالشجرة المثمرة.. وكل إنسان يريد أن يتقرب من الرب لابد أن يثمر ثمارًا جيدة ويقدمها إلى الآخرين ».. « مغبوط هو العطاء

أكثر من الأخذ » (أع٢٠: ٣٥).. « فهو فى كل تعامله معطاء، يعطى الذى يطلب والذى لا يطلب، هو كريم فى عطائه، يعطى بلا حدود، وفى فرح وبكل قلبه... ». وأكد فى موضوع آخر على « مبدأ أهمية العطاء من الأعوان»، « فالرب يعلمنا أن أعظم عطاء هو العطاء من الأعوان»، « فالذى يعطى من أعوازه (من احتياجاته) يدل على أن عطاءه فيه الكثير من الحب والبذل، ومن تفضيل غيره على نفسه.. بعكس الذى يعطى مما فاض عنه من سعة، دون أن يشعر باحتياج ».. « إن العطاء لا يكون له العمق مثل من يعطى وهو محتاج إلى ما يعطيه ».

- **العمل**: اهتم خطاب البابا بالعمل وأهميته ولزومه مؤكدًا على أن اللّٰه يعمل، وملائكته تعمل وكذلك الضيعة والبشر. فيقول: « اللّٰه دائم العمل ونحن -صورة اللّٰه- ينبغى أن نكون مثله فى عمل مستمر». ويقول أيضًا « فالإنسان إذا لم يعمل، يمكن للشيطان أن يعمل فيه، كما يقول المثل عقل الكسلان معمل للشيطان ».. « إن الذى لا يعمل، يصاب بالخمول، وتدركه الشيخوخة المبكرة، فلابد له أن يعمل، لكى ينشط ». والعمل الذى يشير إليه البابا فى هذا الخطاب ليس فقط العمل والحركة، بل يقصد العمل لأجل اللّٰه، ولأجل نفسه والمجتمع الذى يعيش فيه، فيقول: « عليك أن تعمل عمل الرب، تعمل الخير: بالنية وبالإرادة، بحيث يكون الهدف من عملك خيرًا، وكذلك النتيجة بقدر الإمكان »، « فالعمل لازم فى كل شىء ». ويقول: « من يعرف أن يعمل حسنًا ولا يعمل فتلك خطية له » (يع٤: ١٧).

- **تحمل المسئولية ومحاسبة النفس**: أكد البابا أيضًا على ضرورة تحمل المسئولية ومحاسبة الفرد لنفسه على تقصيره فيقول: « كل إنسان عليه مسئولية تجاه نفسه، أنت مسئول عن تثقيف نفسك وتدريبها روحيًّا، وعن ضبط نفسك أمام الشهوات، وأنت مسئول عن تنفيذ وصايا اللّٰه وفعل مشيئته.. ثم هناك مسئولية تجاه الأسرة.. ومسئولية تجاه الكنيسة.. ومسئولية تجاه وطنك وتجاه المجتمع الذى تعيش فيه، منها: أن تقيد نفسك فى سجل الانتخابات وتكون لك بطاقة انتخاب تستخدمها وتدلى بصوتك، وتختار أفضل العناصر الصالحة لخدمة بلدك؛ لأنك إن لم تفعل ذلك ستعطى فرصة لغير الصالحين أن يتم انتخابهم ». ومع الاهتمام بقيمة تحمل المسئولية يؤكد الخطاب على

أن هذه المسئولية تفرض علينا محاسبة النفس فيقول: « إن البعض يحاولون أن يهربوا من محاسبتهم لأنفسهم؛ إلا أنه من الخير لنا أن نحاسب أنفسنا وندين أنفسنا، ولا نسمح خلال ذلك بأية اعتذارات أو تبريرات تقلل من المسئولية أو تلغيها.. إن جهاز الإدانة الذى سمح الله بوجوده فينا وظيفته هى أن ندين به أنفسنا، لا أن ندين به الآخرين، كما أنه سمح أن توجد بين غرائزنا غريزة الغضب، لنغضب بها على أخطائنا، وعلى الخطية عمومًا، لا أن نغضب بها على الآخرين.. محاسبة النفس ومعرفة خطاياها ونقائصها، تسبب الانسحاق، وفى انسحاق النفس يوجد التواضع والدموع والتوبة ».

- **الوفاء بالعهد**: ويخاطبنا البابا عن قيمة العهد والوفاء به فيقول: « كما تكون الرحمة لحافظى عهده، تكون العقوبة واللعنة لمن ينكث عهده فيقول الرب « تقطع تلك النفس من شعبها، إنه نكث عهدى ».. وكلمة عهد تعنى نوعًا من الاتفاق الوثيق، وقد تأتى بمعنى ميثاق، وقد تأخذ مظهر قسم أو نذر».

- **التفاؤل**: ويؤكد خطابه على أهمية أن يكون البشر متفائلين، فجاء النص ليظهر هذه القيمة ويؤكدها فيقول: « الليل المظلم -مهما بلغ ظلامه- سيأتى بعده الفجر المنير، بل يقول المثل: « إن الفجر يأتى بعد أشد ساعات الليل ظلمة ».. « إن نظرة الخوف والشك تجلب اليأس.. أما نظرة التفاؤل والإيمان فتأكد أن الله سيعمل عملاً، ولو فى الساعة الرابعة والعشرين »، كما يقول: « الإنسان الذى يحيا فى فرح الرجاء، لا يتعب أبدًا، بل يشعر أن برد الشتاء يعقبه دفء الربيع.. إذن نتأمل فى النقط البيضاء فى كل ما حولنا.. فبالنظرة المتفائلة -أى بالرجاء- نتأكد أن الله سيتدخل ».

- **التكامل فى حياة الفضيلة**: يقول: « أريد أن أتكلم عن خطورة الحياة بالفضيلة الواحدة منفصلة عن باقى الفضائل، أو خطورة أية فضيلة منفصلة عن الحكمة والإفراز، فالتواضع مثلاً - بغير حكمة - قد يوصل صاحبه إلى أن يستهتر الناس به، ويصبح هزءًا بينهم، بل ويشجعهم أن يخطئوا إليه، وكذلك الوداعة بغير إفراز، إذن ينبغى أن يمتزج التواضع بالحكمة، وتمتزج الوداعة بالحكمة ». ويشير إلى أهمية « أن نسلك فى الفضائل بحيث لا تتناقض إحداهما مع الأخرى، بل تكملها، وبحيث لا تمارس فضيلة على حساب فضيلة أخرى تُنقصنا ».

جـ- ويهتم الخطاب البابوى القبطى بطقوس العبادة حيث يحاول أن يوضح طبيعة هذه الطقوس ووظائفها. ومن الطقوس التى ظهرت عبر قراءة خطاب البابا شروط الطلب من الله، والصلاة وطلب العون من الله أثناء الصلاة، حيث يدرك المصلى أن العون لا يأتى إلا من عند الله، وقوة الخدمة كما مارسها أنبياء الله والتى تكشف عن قوة الإيمان، وكيف يتم صيد الناس وربح نفوسهم من خلال الحكمة والصبر والموعظة، والصلاة وأهميتها، وأهمية ووسائل الوقوف بين يدى الله، وأهمية التجارب والخبرات الروحية، وكيف نتودد إلى الله لكى يحفظنا... إلخ.

ولم يكتف الخطاب بتوضيح أهمية هذه الطقوس أو العبادات، بل حاول أيضًا أن يكشف عن جوانب فى وظائفها وشروط أدائها الحسن؛ فالصلاة تقرب بين الشخص والرب: « فحينما تطلب من الله ويعطيك، تزداد صلتك به، ويقوى إيمانك بالله وبفاعلية الصلاة وفائدتها، وتفرح بما تأخذه من يد الله المحب. -وللطلب شروط- فقد لا تستجاب الصلاة؛ لأنها ضد مشيئة الله، أو لأنها لأجل ذات عالمية خاطئة، الأمر إذن يحتاج إلى حكمة فى الطلب ».

ويستطرد الخطاب فى هذه الحالة خاصة لينتقل من مجال العبادات إلى الحياة الدنيا، حيث ينصح الناس بالحكمة فى الطلب، فلا يطلبوا الأشياء فى ضوء المبدأ القائل « أسرع ولا تبطىء ».

ويتجه الخطاب البابوى المتصل بالطقوس والعبادات لا إلى جمهور المتلقين فقط، بل يتجه بقوة إلى القائمين على الخدمة، حيث يقول فى أحد نصوصه « ليتكم يا إخوتى الكهنة والخدام تجعلون هذه الآية بالذات مقياسًا لنجاح خدمتكم وقوتها »، ويقول فى نص آخر « إن الرب يعرف عينات النفوس الصالحة لصيد الناس، حتى ولو كانت مشغولة بصيد السمك أو بمكان الجباية.. يعرفهم ويدعوهم »، وينسج الخطاب هنا حول فكرة قوة وفاعلية الخدمة، « فالخادم الحقيقى هو خادم قوى فى خدمته.. إنه قوى؛ لأنه صورة الله، والله قوى ». وهنا يتأكد مرة أخرى هذا الانقسام بين أولئك المقربين إلى الله، وأولئك الذين يجب أن يوجهوا نحو الله. وهذا موضوع أساسى من الموضوعات التى يتمحور حولها الفكر المسيحى بشكل عام.

د- ويأتى الحديث عن المشكلات والقضايا الاجتماعية فى الخطاب البابوى على نحو غير مباشر أحيانًا، وعلى نحو مباشر فى أحيان أخرى. فالخطاب الروحى الخالص يتناول موضوعات اجتماعية على نحو غير مباشر، فعند الحديث عن قيمة المسئولية تتحدث النصوص

عن مسئولية الأفراد نحو الأسرة والوطن والسياسة الداخلية، وعند حديثه عن العبادات وقوة الخدمة يتطرق إلى ضرورة أن تكون قوة الخدمة فى خدمة الرب والكنيسة. كما أن الخطاب يؤكد بشكل دائم على أن شار المؤمن تظهر فى تفاعلاته مع الآخرين التى يجب أن تقوم على التسامح والتصالح والصدق. ومع ظهور هذا الميل نحو تناول الأمور المتعلقة بحياة الناس بشكل غير مباشر عبر الخطاب الروحى الخالص، إلا أن النصوص تكشف عن ميل أقل نحو تناول الموضوعات الاجتماعية، مثل مسئولية الأسرة عن تربية الأبناء وتعليمهم « .. فالأبوان يتسلمان الطفل من المعمودية نقيًّا وطاهرًا، وعليهما أن يقوما بعمل الأشبين. فالأم هى مدرسة الدين الأولى بالنسبة إلى طفلها ». ومن الموضوعات التى تطرقت إليها النصوص موضوع المشاركة السياسية فنحن « مسئولون أمام الوطن وأمام الكنيسة وأمام ضمائرنا عن السلبية السياسية، وعما تجره هذه السياسة من أخطار عامة وخاصة »، بل إن الخطاب تطرق إلى قضايا اقتصادية، مثل خسائر البنوك والشركات التى أرجعها إلى عدم الشعور بالمسئولية والأمانة.

وينتقل الخطاب فى تعامله مع المشكلات والقضايا الاجتماعية من العام إلى الخاص، ومن الدينى إلى الدنيوى، ومن الاجتماعى إلى النفسى. واحتل موضوع القلق مكانًا بين اهتمامات البابا، فيحدثنا عن أن أسباب القلق قد ترجع إلى وجود مشكلة ليس لها حل، أو معاشرة القلقين، أو طول المدة وعدم جدوى الانتظار، أو التشاؤم، أو الخوف، أو بسبب الإنجاب، أو ما يعانيه الطلبة أثناء الامتحانات، أو التفكير فى المستقبل، أو المرض وتوقع الموت... إلخ. ويحذر البابا من عاقبة القلق « فهو يؤدى إلى الحزن والاكتئاب، وأيضًا التردد فى أى عمل يعمله؛ إذ ليست له الثقة فيما يعمل، وهكذا لا يستطيع أن يتحمل أية مسئولية تعهد إليه خوفًا من الفشل ». ويتركز علاج القلق فى « الإيمان.. معاشرة الأقوياء.. ويزول القلق بوعود الله، والاتكال عليه، وبتقوية الشخصية وعدم الخوف والصبر وإعطاء فرصة لكى يتدخل الله ويحل الأمور».

ثم يرجع النص مرة أخرى إلى قضية اجتماعية أخرى وهى « علاقة الفرد بنفسه »، فيقول « لك نفس واحدة، إن ربحتها ربحت كل شىء، وإن خسرتها خسرت كل شىء ». ويعرض الخطاب لكيفية اهتمام الفرد بنفسه والذى يتم عن طريق « محاسبة النفس، والاختلاء بالنفس، ولوم النفس، ونصح النفس، وتشجيع النفس، وضبط النفس، وتثقيف النفس

وتنميتها، والانطلاق من الذات ». وهنا نجد الخطاب يعكس خصائص خطاب البابا الروحية الذى يحاول تقوية الذات ومعرفتها حق المعرفة؛ لأن هذا هو الطريق إلى معرفة الله « من واجبك أن تحرص على أن تنمو بنفسك فى كل شىء، تنمو مثلاً فى المعرفة، فى معرفة الله، ومعرفة مشيئته ووصاياه، ومعرفة الطريق الروحى ومسالكه ودروبه، إلى أن تصل إلى ملء القامة التى أرادها لها الله، فالنمو الروحى عنصر هام فى حياتك.. فلا تقف عند حد فى روحياتك.. أعط نفسك الفرصة أن تنمو وتتقدم سواء فى الصلاة، أو الخدمة، أو محبة الله، أو محبة الناس ».

ولم يكتف البابا بتقديم النصائح والوصايا المرتبطة بمشكلات اجتماعية قد تحدث فى حياة الفرد، بل حاول أن يمتد من هذا التصور إلى الواقع محاولاً تلمس الطرق التى يحل بها الأفراد المشكلات الاجتماعية التى قد يتعرضون لها، فيعرض للقراء « أمثلة من شباب ناجح » على اعتبار أن « للشباب مكانة؛ لأنه زهرة العمر، وفترة القوة والنشاط، حتى إن كبير السن الذى يعيد له الله قوته يقال له فى المزمور « إن الله يشبع عمرك: فيتجدد مثل النسر شبابك ». وفى هذا الإطار تقدم نصوص البابا أمثلة للشباب الناجح من حياة الأنبياء والقديسين مثل يوسف، وداود، وسليمان الحكيم، ويوحنا المعمدان، ومارمرقس، ويوحنا وغيرهم.

٢- الخطاب الكنسى الموجه:

تمت قراءة خمسة نصوص للأنبا موسى أسقف الشباب فى الكنيسة القبطية، من خلال الاطلاع عليها فى خمسة كتب.. منها ثلاثة قام هو بتأليفها منفردًا، واشترك مع آخرين فى كتابة الرابع، وكتب مقدمة الخامس. ويتناول الكتاب الأول موضوع الاغتراب والانتماء[١٧]. كما يتناول الثانى قضايا تنظيم الأسرة وأطفال الأنابيب والاستنساخ[١٨]. ويعرض الثالث مشكلات العولمة أو ما أطلق عليها تحديات القرن الجديد[١٩]، ويتناول الكتاب الرابع قضية حوار الحضارات[٢٠]، والخامس موضوع الأنا والآخر[٢١].

إذا كان الخطاب البابوى قد اتخذ الطابع الروحى الخالص أو ما أطلقنا عليه يوتوبيا الروح؛ فإن نصوص الأنبا موسى تتحاور مع قضايا العالم المعاصر بشكل مباشر، فالنصوص تعالج قضايا ذات طابع عام، وتمس من قريب أو بعيد قطاع الشباب بشكل خاص. وعندما تصافح العين عناوين الكتب؛ فإنها تخالط عناوين لكتب علمانية لا تحمل مضمونًا دينيًّا، فهى

تتناول مشكلات اجتماعية وثقافية؛ ولكن ما إن يقلب المرء صفحات الكتب حتى يكتشف أن ثمة مسحة دينية تغلب على صفحاتها ففيها روح الإنجيل، وأقوال الآباء، ورؤية الدين المسيحى لهذه القضايا. وتبدو النصوص وكأنها تحرص على مواكبة المستجدات، ومواكبة كل ما يطرأ على الساحة الثقافية والعالمية. ويأخذ المرء الانطباع بأن المهمة الملقاة على عاتق هذه النصوص هى متابعة مستجدات العصر، وأن تنوه إلى انعكاسات هذه المستجدات على المجتمع خاصة الشباب، فهى محاولة تقدم نهجًا دينيًّا يمكن أن يساهم فى التعامل مع هذه المستجدات أو يتكيف معها.

والمتأمل لموضوعات الكتب وتواريخ ظهورها يلاحظ عددًا من الملاحظات:

الملاحظة الأولى: أن ثمة انتقالاً عبر الزمن من عالم الاجتماع إلى عالم السياسة، فقد كان الاهتمام ينصب فى التسعينيات على موضوعات كالاغتراب والانتماء، وفى آخر التسعينيات ظهرت موضوعات الاستنساخ وتنظيم الأسرة، ومع مطلع عام ٢٠٠٠م ظهرت النصوص حول تحديات العولمة، ثم تبع ذلك حوار الحضارات والأنا والآخر.

الملاحظة الثانية: أن هذا التتابع الزمنى يدل على أن النصوص تتفاعل مع المحيط العالمى وليس المحيط المحلى فحسب، بل يمكن القول أن ثمة انتقالاً من المحيط المحلى فى تناول القضايا إلى المحيط العالمى.

الملاحظة الثالثة: ظهور مفهوم الآخر فى النصوص، والبحث عن تفسيرات دينية لهذا المفهوم.

الملاحظة الرابعة: تكشف النصوص عن تداخل بين الدينى والدنيوى، فكل القضايا التى يناقشها الخطاب هى قضايا دنيوية، أو تحديات تواجه الإنسان المعاصر، وتحاول النصوص أن تقدم حلولاً دينية لهذه التحديات.

وفى ضوء هذه الملاحظات نحاول فيما يلى أن نقترب من النصوص، وأن نتعرف على الطريقة التى تقدم بها من خلال الموضوعات التالية.

أ- الاغتراب والانتماء: انشغلت النصوص بقضية اغتراب الشباب ودرجة انتمائه، حيث قدمت النصوص تعريفًا للاغتراب يرفعه إلى مرتبة الاغتراب عن الله، والذى تتسلل منه صور

من الاغتراب قد تصل إلى الاغتراب عن النفس. ويشن النص - فى حديثه عن المستوى الأول من الاغتراب - هجومًا على التيارات الوجودية والماركسية أو ما يسميه الإلحاد المعاصر الذى يربط بينه وبين الإلحاد القديم. فالملحدون القدماء يقولون لله - ما ورد فى العهد القديم - « يا الله أبعد عنا، وبمعرفة طرقك لا نَسر»، ويقول الفيلسوف الملحد المعاصر « يا أبانا الذى فى السموات إبق فيها ». ويؤدى الاغتراب عن الله إلى الاغتراب عن النفس الذى ينتج من جوع الإنسان اللانهائى إلى المطلق، ومن اغتراب النفس إلى اغتراب المجتمع الذى ينسى فيه الإنسان واجباته الاجتماعية. ويحاول النص هنا أن ينفى عن المسيحية أنها ديانة أخروية، ويفسر الأسباب التى روجت لهذه الفكرة، والتى شارك فيها بعض رجال الدين أنفسهم فى بلاد مثل روسيا وإثيوبيا -حيث عاش رجال الدين فى بذخ بعيدًا عن الفقراء والمطحونين- فقد كانت « الكنيسة ورجال الدين غائبين عن ساحة الخدمة الاجتماعية والإحساس بالفقير والجائع والمطحون ». وإذا كان الاغتراب يبدأ من السماء (الله) وينزل إلى النفس والمجتمع؛ فإن الانتماء يبدأ من المجتمع الصغير والأسرة، ويتدرج إلى أعلى لكى يصل إلى الانتماء الطائفى، ثم الدينى، ثم الوطنى، وأخيرًا الانتماء إلى البشرية جمعاء، ويركز النص على فكرة الانتماء الوطنى والوحدة الوطنية حيث يؤكد « الانتماء للوطن يعطى إحساس الحب له، ولكل مؤسساته ورجالاته، وطموحاته، ويشعرنى بمسئوليتى نحو همومه وآلامه، ويفتح قلبى على إخوتى فى الوطن مسلمين ومسيحيين دون تفرقة دينية، دون تقوقع مريض، ودون نفسية أقليات مريضة.. بل بالعكس، فالإنسان المسيحى مطالب بأن ينشر الحب والخير فى كل مكان وزمان، ومع كل إنسان، بغض النظر عن فارق الدين والعرق ».

(الشباب بين الاغتراب والانتماء، ١٩٩٤م، ص٤٨)

ب- قضايا معاصرة: تحاول النصوص أن تقدم الرأى فى القضايا التى تطرح من خلال التطورات الحديثة فى العلم مثل: قضية تنظيم الأسرة، والاستنساخ، وأطفال الأنابيب؛ حيث يؤكد أن تنظيم الأسرة ليس تدخلاً فى مشيئة الله « حينما نمنع تكوين الجنين لضرورات عامة أو خاصة »، وأننا « لا نرفض عطية الله حينما ننظم الأسرة؛ لأن العقل لا يتعارض مع الإيمان ». وينسحب نفس القول على أطفال الأنابيب، ولكن قبولها دينيًّا يتم بشروط خوفًا من وقوع انحرافات، ومن أهم شروط قبولها أن يكون الزواج قائمًا، وألا يحدث أى قتل للأجنة

الاحتياطية. وفى مقابل ذلك؛ فإن استنساخ البشر يعد مرفوضًا؛ لأنه يجلب على البشر مشكلات جمة.

جـ- العولمة وتحدياتها: وتواصل النصوص حديثها عن التحديات التى يفرضها التطور البشرى والعولمة المعاصرة على المجتمعات، ويقدم رأى الدين فيها، ولا يقتصر الحديث هنا على تحديات بعينها، وإنما يناقش حزمة متنوعة من التحديات الثقافية والسياسية والاقتصادية مثل:

- الانفلات الجنسى.
- السعى نحو الثراء السريع.
- التطرف الدينى.
- اتفاقية الجات، وتأثيرها على ضرب المنتجات المحلية.
- إدمان الكمبيوتر.
- الانفجار السكانى.
- اهتزاز القيم.
- سيطرة رأس المال على وسائل الإعلام.
- مشكلة المخدرات.
- الحداثة وما بعد الحداثة.
- البطالة.
- الخصخصة.
- سيطرة رجال الأعمال على السياسة.
- ثقافة الاستهلاك.
- ثقافة الجسد.
- غياب الآخر.

obeikan.com

وتعكس هذه القضايا وعيًا بطبيعة المتغيرات العالمية وانعكاساتها على القضايا المحلية، وتكشف النصوص التالية عن هذا الوعى:

- فعن التطرف الدينى يقول: « حتى الدين - والمفترض أن يكون ترياقًا لكل الأمراض - بدأ البعض يغالى فيه إلى درجة التطرف الفكرى والإيذاء البدنى والإرهاب المخيف. وهذا التطرف الدينى لم يعد قاصرًا على دين واحد، بل نراه فى كل الأديان، بدءًا من الجماعات الإرهابية فى الإسلام، والمسيحية البيضاء بأمريكا، واليهودية المتطرفة (حركة كاخ) -حتى اليابان- ومن أطلقوا السموم فى مترو الأنفاق ».

(الأنبا موسى، تحديات القرن الجديد، ٢٠٠٠، ص٧٦)

- وعن السعى نحو الثراء السريع يقول: « مع اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، ومع ثقافة السوق المفتوح، والتجارة العالمية الحرة، واتفاقيات الجات، والخصخصة، وتفشى البطالة حتى فى الغرب المتقدم بسبب الميكنة.. أصبح الشباب يعشق الثراء السريع، ولو على حساب المبادئ، والقيم الدينية والمجتمعية »

(تحديات القرن الجديد، ٢٠٠٠، ص٧٥).

- وعن الانفلات الجنسى يقول: « هو ما نراه الآن فى المجتمعات الغربية؛ حيث تحول الإنسان إلى شىء أو إلى سلعة، وعلاقات الجنسين المقدسة فى سر الزواج، تتحول إلى علاقة منحرفة قبل الزواج وخارج الزواج؛ بل إلى علاقات شاذة اعتمدتها الحكومات، وبدأت تعترف بها بعض كنائس الغرب، ومعروف أن الغرب الآن -بحسب ما وصفته إحدى الدراسات التى قرأتها فى أمريكا- « المجتمع الموجه جنسيًّا »، ويكفى أن ننظر إلى نشرات الأخبار، أو من سقطوا فى بعض الانحرافات والجرائم من الساسة والمشهورين، لندرك هذه الحقيقة الفاجعة ».

(تحديات القرن الجديد، ٢٠٠٠، ص ٧٢-٧٣)

د- نظرة كلية للكون: وتؤكد النصوص على نظرة كلية للكون يتفاعل فيها الفرد مع عوالم مختلفة تتدرج من السموات العلا من اللّه، وتنزل إلى الأسرة، فالكنيسة، فالمجتمع، فالإنسانية جمعاء. والفرد المؤمن -المتوازن فى إيمانه- هو الذى يوزع ولاءه على هذه العوالم على نحو متوازن. وفى هذا الإطار وجد نص الأنبا موسى الطريق إلى مناقشة القضايا ذات الصبغة

العالمية مثل موضوع حوار الحضارات وضرورة التفاعل؛ حيث تتخذ النصوص - من خلال هذه الرؤية النسقية للكون - موقفًا رافضًا لفكرة صراع الحضارات، ولفكرة « نهاية التاريخ »، أو « نهاية الإنسان ». ويؤكد النص على أهمية الاهتمام بهذه الأفكار كنوع من التفاعل مع معطيات العصر « لم يعد ممكنًا أن نتجاهل المتغيرات التى تحدث فيما حولنا، ليس فقط كمصريين؛ ولكن أيضًا كمسيحيين، وذلك بعد أن صار العالم قرية صغيرة، يستحيل أن يبقى فيها جزء بعيدًا عن الأجزاء الأخرى، فنحن أمام عولمة سياسية واقتصادية ومعلوماتية، وثقافية ستؤثر حتمًا فينا، وفى أجيالنا الصاعدة، فنظرية صراع الحضارات كما أرادها صموئيل هنتجتون لا تتحدث عن حضارات خالصة، بل فيها خلط بالأديان والثقافات.. ويتحدث فوكوياما وغيره الآن عن « ما بعد الإنسان » ويقصد بذلك تطورات تكنولوچية الچينات والهندسة الوراثية، وماذا سنفعل بالإنسان حيث تتطور حياة من يمسكون بناصية هذا العلم، بطريقة مختلفة تمامًا عن أولئك الذين لا يتقنون التعامل معه، وهذا سيؤدى حتمًا إلى مشاكل اجتماعية وسياسية... إلخ ». (حوار الحضارات وضرورة التفاعل، ٢٠٠٢، ص ٦-٧)

ويقوم الرأى هنا على تطوير مفهومات مسيحية حول الآخر، حيث يؤكد النص فكرة التنوع « فالاختلاف حتمى بين أعضاء الجسد الواحد، وكذلك الرؤى، فما معنى ذلك، وكيف يكون الإنسان نفسه دون السقوط فى الأنا، إنه يحقق ذلك لو أنه رأى المسيح فى كل آخر ». ويظهر النص نزعة إنسانية مفرطة فى النظر إلى الآخر، فى ضوء مقولة العيش فى سلام فى إطار نسق الأسرة والكنيسة والمجتمع والله. فالآخر هو « رفيق الطريق، والحبيب والصديق، كما أنه طريقى إلى الله، وهو يساعدنى على تشكيل نفسى، وعلى قبول نفسى، وعلى اكتشاف قدراتى ومواهبى. والآخر هو الذى يعلمنى ويعرفنى حدود حريتى، وهو طريقى لتصحيح أخطائى وانحرافاتى، وهو يصلى من أجلى »، كما أن « الآخر يشكل نوعًا من التحدى البناء لى ولغيرى.. لأرتفع بالنعمة وأمانة الجهاد فوق أهواء: الغضب، والحزن، والكبرياء ».

ومن الواضح هنا أن ثمة نزوعًا إنسانيًّا خالصًا، وثمة نظرة مثالية إلى الحياة، التى يجب أن تقوم على الانسجام التام بين العوالم المختلفة التى يعيش فيها الفرد، وعلاقته بالآخرين وعلاقته بالأسرة وبالكنيسة، وبالإنسانية. ولكن تبنِّى هذه النزعة الإنسانية الخالصة لا يمنع النصوص من أن ترفض وتنتقد كثيرًا من الأفكار والأطروحات التى تطرح على المستوى العالمى،

فالنص الذى يقرره الكاتب يبدو نصًّا معاندًا للعولمة، وداعيًا إلى عولمة تسود فيها روح الدين والإنسانية. ويؤكد على ذلك خطابه حيث يقول: « المسيحية أبدًا ما كانت دينًا سلبيًّا، يعزلنا عن حركة الحياة وتيارات المجتمع.. بل هى قوة ديناميكية قادرة على التفاعل الخلاق والعطاء الإيجابى ». ويقول أيضًا: « لاشك أن العولمة أصبحت واقعًا مُعاشًا، ولابد من أن ندرس أبعادها، لكى نتفاعل معها بعقل مفتوح، ووعى سليم، نأخذ ما فيها من إيجابيات، ونترك ما يشوبها من سلبيات، بإرشاد روح الله، والإنجيل المقدس، وفكر الآباء القديسين ».

٣- الخطاب المسيحى بلغة السياسة:

تم قراءة ٣٨ نصًّا من نصوص يوسف سيدهم فى الفترة من ٢٠٠١-٢٠٠٣، ويوسف سيدهم هو رئيس تحرير صحيفة وطنى التى تصدر أسبوعيًّا - كل يوم أحد - وهى الصحيفة التى تصدرها مؤسسة وطنى للطباعة والنشر، وهى صحيفة تعبر عن الأقباط، وتبرز مشكلاتهم وإن لم تصرح بذلك؛ إذ تذيل عنوانها ببيت الشعر القائل:

وطنى لو شغلت بالخلد عنه ... نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

ويشير ذلك - إذا أُخذ على محمل المباشرة التى لا تبغى تأويلاً مبالغًا فيه - إلى أنها جريدة للوطن بأسره؛ أقباطه ومسلميه، ومع ذلك فإن القارئ لنصوص الجريدة وأخبارها وتحقيقاتها يجد اهتمامًا كبيرًا بمشكلات الأقباط وهمومهم.

وعند هذه النقطة تظهر النواة الرئيسية التى يتبلور حولها الخطاب، وهى قضايا الأقباط ومشكلاتهم وهمومهم، وحقيقة أن الخطاب يقفز خارج هذه الدائرة الضيقة، ويتحدث عن قضايا عامة أو يتفاعل مع الأحداث العالمية، ولكنه يعود دائمًا إلى الدائرة الأصلية التى لا يغض الطرف عنها بحال من الأحوال؛ بل كثيرًا ما يفتح الخطاب ملفات لموضوعات بعينها تخص هذه الدائرة، ويحاول تتبعها عبر سلسلة من المقالات تطول أو تقصر. ويدل ذلك على أن النصوص هنا لها هدف واضح، ولا يرتبط هذا الهدف بالوعظ والإرشاد أو إعلاء الجوانب الروحية والإنسانية، كما هو الحال فى خطاب البابا أو خطاب الأنبا موسى، وإنما يرتبط بوضع قضايا الأقباط فى بؤرة الضوء، وتحويل الخطاب القبطى إلى خطاب سياسى؛ ولذلك فإننا ننظر إلى نصوص يوسف سيدهم على أنها نصوص « **سياسية فكرية** »، ويضفى عليها هذه الصفة كونها لا تصدر من رجل دينى، وإنما تصدر من رجل علمانى يمارس عملاً مهنيًّا، كما أنها

لا تركن كثيرًا إلى التفسيرات الدينية أو إلى النصوص المقدسة، بقدر ما تهتم ببلورة قضايا سياسية واجتماعية وثقافية تتصل بالأقباط فى مصر، وبذلك فإنها تخرج بالخطاب القبطى إلى دوائر سياسية أوسع، وتضيف إليه الوظيفة الممنوعة عنه داخل الكنيسة. ويتوقع المرء أن يصاحب هذا الخروج من الدائرة الروحية إلى دائرة السياسة، خروج إلى لغة مغايرة، لغة يرافقها النقد اللاذع أو الامتعاض المفرط، أو « زلف » اللسان الذى تتاح له حرية التعبير والرأى.

وإذا ما اقتربنا من النصوص فى ضوء هذا المنظور نجد أن مشاكل وقضايا الأقباط حظيت بعشرين نصًّا من النصوص التى تم تحليلها بنسبة ٥٢٪ من مجموع النصوص، وحظيت المشكلات المحلية الخاصة بالمجتمع المصرى بشكل عام بثلاثة عشر موضوعًا بنسبة ٣٤٪ تقريبًا، وحظيت الموضوعات العالمية بخمسة موضوعات بنسبة ١٣٪ تقريبًا. وتشير هذه النسبة إلى تأكيد الفكرة التى بدأنا بها هذا التحليل لنصوص يوسف سيدهم؛ وهى أن جل نصوصه تدور حول مشكلات وهموم الأقباط فى مصر، وعندما يخرج إلى دائرة المجتمع ككل تقل هذه الموضوعات، وتصبح شحيحة إذا ما دخلنا إلى الدائرة العالمية. فهل نحن هنا بصدد خطاب منغلق على ذاته؟ أم بصدد خطاب يتمركز حول ذاته أو حول جماعته الإثنية محاولاً تفحصها، وينظر إلى العالم والمجتمع من خلالها؟ أم بصدد خطاب مقاوم يحاول أن يُحدث ثقوبًا فى جدر مغلقة، ويفتح ملفات لقضايا مسكوت عنها؟

دعنا نقترب أكثر من النصوص لنكتشف كنهها ونسبر أغوارها وبنيتها العميقة...

أ- الدائرة الأم: قضايا وهموم الأقباط: تحتل قضايا ومشكلات الأقباط الدائرة الرئيسية فى نصوص يوسف سيدهم. وبقراءة النصوص يمكن استخلاص خمسة موضوعات رئيسية تدور حولها النصوص التى كتبت حول مشكلات الأقباط أو « هموم الأقباط » كما يحلو للكاتب أن يسميها.

بناء الكنائس: تحاول النصوص أن تبرز المصاعب التى يواجهها الأقباط فى بناء الكنائس، وتتحدث فى هذا الصدد عن « الخط الهمايونى » الذى صدر عام ١٨٥٦م، والذى قصد منه كفالة حقوق المسيحيين فى الولايات التابعة للباب العالى العثمانى؛ ويؤكد النص عند تعرضه لهذا الموضوع على أن هذا الخط « لم يكن فى الأصل « خطًا همايونيًّا بغيضًا » ولكن روح تطبيقه فيما بعد هى التى حولته كذلك.. ولعل الرغبة الجامحة التى راودت بعض المسئولين فى

عرقلة أى نية للتيسير على المسيحيين فى شأن بناء كنائسهم، هى التى أفرزت ما نوهت عنه المذكرة عن القرار المعروف باسم « قرار العزبى باشا ».

وفى ضوء هذا المنظور، يحاول النص أن يبرز كيف حدث هذا التحول فى تطبيق « الخط الهمايونى » وتحويله إلى « خط بغيض »، حيث تحاول المقالات المختلفة سرد قصص بناء الكنائس، وما يحدث فيها، فهو يحكى قضية كنيسة قرية « منقطين » والقرى المجاورة لها حيث أعيتهم « الحيل لمدة ثلاثة عشر عامًا (١٩٧٧م-١٩٩٠م) فى طلب ترخيص كنيسة دون جدوى اضطروا إلى إقامة مبنى عادى، وقاموا بإعداده وتجهيزه للصلاة فيه، ولدى مباشرتهم طقوس الصلاة جاءت الأوامر من الجهة الأمنية لمطرانية سمالوط بسرعة إغلاق المبنى؛ لأن الاستمرار فى مباشرة الصلاة فيه دون ترخيص يعد تحديًا لسلطة الدولة ».

كما يحكى قصة كنيسة قرية بنى واللمس بمحافظة المنيا قائلاً « كنيسة صغيرة فى قرية هادئة تم بناؤها بموجب تصاريح رسمية، وجرى ترميمها مؤخرًا بموجب تصاريح رسمية أيضًا، يبتهج شعبها بانتهاء أعمال الترميم ويحتشد مع كاهنها وبتشريف أسقف الأيبارشية لتدشينها فى صلوات أول قداس عقب التجديدات، وما إن بدأ الأسقف فى الصلوات حتى فوجئ الجميع باقتحام الغوغاء المكان وبالحجارة ترشقه من الخارج، وبسيل من التكسير والإتلاف والحرق مغلف بالسباب والصراخ ناشرين الرعب والهلع فى أرجاء المكان.. وكأن تدمير الكنيسة لم يشف غليلهم؛ فراحوا يقتحمون المنازل المجاورة يعبثون فيها وفى محتوياتها حرقًا وتدميرًا، ثم يستكملون مسلسل الشر بتفريغ البقية الباقية من شهيتهم للإرهاب فى حرق السيارات الموجودة خارج الكنيسة ».

ومع سرد هذه القصص وإبرازها، وتوضيح مدى الظلم الذى يقع على الأقباط من جرائها ومن تكرارها، يؤكد النص سلبية الحكومة، وعدم إقدامهم على إجراءات حاسمة، محذرًا فى كل الأحوال من مغبة ذلك وآثاره وعواقبه. فعند حديثه عن قرار هدم مبنى فى كنيسة المطرانية بحى شبرا من قبل المسئولين يعلق قائلاً: « إننا لم نسمع عن أى تحقيق يتم مع المتسببين فى قرار الهدم أو الذين سكتوا على تنفيذه.. فالمألوف فى مثل هذه الأمور - بالنسبة للكنائس وما يتصل بها - أن يتم التصحيح فقط دون حساب أحد، أو أن يتم الربت على كتف المسئول المخطئ بحنان لعدم تكرار ذلك... أما مدلولات ذلك كله فهى ما يخلفه من مفاهيم خطيرة

تترسخ لدى الرأى العام ناشرة فكرًا متعصبًا مغلوطًا، مؤاة لا جرم ولا مؤاخذة على من يعرقل أو يحول دون إتمام بناء كنيسة، أو أى مبنى ملحق لها »

بناء مقابر للمسيحيين: وتسرد النصوص قصصًا لمشكلات بناء مقابر المسيحيين، مستنكرة لتطبيق نفس قواعد « الخط الهمايونى » عليها مثل بناء الكنائس. وتتناول إحدى المقالات هذا الموضوع، فتسرد قصةً طلب فيها أهالى إحدى المناطق من المجلس المحلى بناء مدافن للمسيحيين على أرض خصصوها لهذا الغرض « وانتهت إجراءات فحص الأوراق إلى أن الكتاب الدورى رقم ٤ لسنة ١٩٩٨م الصادر من وزارة الداخلية، يفيد بأن إقامة مدافن خاصة للطوائف غير الإسلامية تعد من الأعمال التى تخضع لأحكام القانون المنظم لدور العبادة لغير المسلمين وهو الخط الهمايونى الصادر فى ١٨٥٦م، وبناء عليه تتخذ نفس الإجراءات اللازمة لإنشاء الكنائس، لذا فإن إقامة هذه المدافن تستلزم استصدار قرار جمهورى. ويقول المواطنون المتضررون من بقاء هذا الوضع المعلق أن له مردودين سلبيين: **الأول** ما يعكسه فى نفوس جيرانهم المسلمين من انتصار الحساسيات المفتعلة لمجرد مضايقة الأقباط، **والثانى** ما يخلفه فى نفوس الأقباط من مشاعر متأججة ومرارة تتجدد كلما توفى أحد ذويهم واضطرارهم اللجوء إلى أقرب منطقة مدافن على بعد ثلاثة كيلو مترات منهم ».

واللافت للنظر فى هذا النص: أنه يتحدث باسم المواطنين المتضررين من هذا الوضع، محاولاً أن يلفت الانتباه إلى أن استمرار هذا الوضع يخلق عداوة بين المسلمين والأقباط. ويبدو أن النص يمزج بين رأى المواطنين ورأيه الخاص، بحيث يحول الآراء التى يبرزها النص إلى آراء عامة وليست آراء خاصة، وهنا ينصهر العام بالخاص، ويصبح الخطاب الكنسى ذو الطابع السياسى خطابًا مفوضًا. فعندما يميل الخطاب إلى الحديث باسم مجموع الشعب القبطى، فإنه يحصل على صك تفويض للحديث باسم الأقباط، ومن ثم يكتسب مزيدًا من المشروعية.

التحيز ضد الأقباط(*): ويحتل موضوع التحيز ضد الأقباط مساحة من الخطاب؛ حيث تتفاعل النصوص مع الأحداث التى يتعرض لها الأقباط، أو الشكاوى التى يتلقاها المحرر من

(*) يلاحظ أن ما يوصف عادةً بأنه تحيز ضد المسيحيين هو عبارة عن ممارسات سلبية يعانى منها المصريون (مسلمون ومسيحيون) فى مواقع مختلفه، وليس هناك ما يدل دلالة قاطعة على سببها هو الدين: المسيحى بالنسبة للمسيحيين، والإسلامى بالنسبة للمسلم. (المحرر)

أقباط تعرضوا لصور من الظلم أو التحيز. ويبدو النص هنا وكأنه نص دفاعى ذو طابع سياسى، يحاول أن يبرز المشكلات المتصلة بالتحيز ضد الأقباط فى حقول الحياة المختلفة، فى مكان العمل أو فى التعليم، أو حتى فى المواطنة. وفيما يلى نماذج على الطريقة التى تعرض بها النصوص لهذه الصور من التحيز:

- **التجاوز فى الترقيات**: كما تعبر عنه مشكلة المهندس الزراعى الذى بدأت مشكلته عام ١٩٩٥م « حين خلت وظيفة مدير الإدارة التى يعمل بها، وكان هو وقتها معينا على الدرجة الأولى ويتمتع بأحقية مطلقة بين زملائه لشغل وظيفة مدير الإدارة لأقدميته ولامتياز جميع التقارير عنه، لكن مديرية الزراعة كان لها رأى آخر، وأصدرت قرارًا بتكليف المهندس مصطفى محمد عبد الفتاح لوظيفة مدير الإدارة بدلاً من المهندس محروس عطية روفائيل »
- **التجاوز فى التعيين فى الوظائف**: كما عبر عنه الحوار الذى نشب بين المحرر وبين قسم جراحة الأعصاب فى طب الزقازيق، حيث اتهم المحرر القسم بتجاوز تعيين أحد الأقباط فى درجة مدرس مساعد بالقسم، متحدثًا عما أسماه « مسلسل ذبح الشباب القبطى ». وفى تعقيبه على رد القسم الذى اتهمه « بالتعصب الكريه والمغالطات فى حق كليات الطب عمومًا »، أكد على أهمية « فتح الملف الأزلى الذى يزخر بالمآسى »، ودعا القراء والضحايا أن يكتبوا إليه عن تجاربهم فى هذا الخصوص.
- **عدم العدالة فى الفرص الإعلامية**: وخاصة فيما ينشر عن الذين يغيرون دياناتهم، وجاء هذا الحديث ضمن سلسلة مقالات بعنوان « الأمور المسكوت عنها »، وفيه عبَّر عن عتاب ناقد للتلفزيون المصرى وجريدة الأهرام، حيث يبث الأول برنامجًا بعنوان « جوهر الحياة » يقدم فيه المرتدين عن المسيحية، وتسمح الثانية بأن ينشر فى بريد قرائها ثناء على هذا البرنامج، ويحكى قصة سيدة جاءته تحكى له قصة اعتناقها للمسيحية بعد قراءتها للإنجيل، وينهى المقال بأنه يطلب من وزير الإعلام ورئيس تحرير جريدة الأهرام أن ينشرا قصة هذه السيدة بنفس الطريقة التى تعرض بها قصص المرتدين عن المسيحية.

ب- دائرة الوطن: النقد والاستنكار: قد يسأل المحلل لهذه النصوص ماذا عسى أن تكون

openkan.com

رؤية الكاتب لنسيج الوطن إذا كان خطابه يتمركز بقوة حول حقل هموم الجماعة الدينية التى ينتمى إليها؟ وقد تكون إجابة هذا السؤال سهلة إذا تأمل القارئ هذا النص « إن ملف هموم الأقباط جزء من ملف الهموم المجتمعية المصرية، ويجب أن يعمل المصريون جميعًا على فتح الملف الأكبر على المائدة المصرية، ويجلسوا جميعًا على هذه المائدة، ليس كأقباط ومسلمين، ولكن كمصريين فاعلين منتشرين فى كافة المؤسسات السياسية والعامة، تجمعهم برامجها وخططها وتطلعاتها ولا يلتفتون للهوية الدينية لأى منهم ». هذا نص حداثى، يتجاوز فيه الكاتب حدود الأفق الضيق للجماعة الدينية، ويتدفق بعقل مفتوح إلى أفق الجماعة الاندماجية التى لا تتخذ من انتماءات الملة والأقلية حدودًا ضيقة للحركة.

ومع هذا فإن نصوصًا كثيرة تؤكد على أن هذا الفيض الوطنى غير متحقق، وأن ثمة إشكالات فى سُدى ولِحمة الحياة الاجتماعية كما تكشف عنها مجليات التفاعل اليومى: فثمة إشارات إلى صور عدم المساواة فى التعامل بناء على الانتماء الدينى، وثمة دعوة صريحة إلى العمل على تجاوزه، وثمة استفهام عن الوقت الذى يمكن أن نستغرقه لتحقيق هذا التجاوز « ولست أدرى كم من الوقت سنحتاج للتخلص منها، ومحو وصمة العار التى تلصقها على مجتمعنا الذى يتغنى بالمحبة والمساواة والسماحة ». وثمة إجراءات يجب أن تتبع لتحقيق ذلك « فالأمر يتطلب تعميق مفهوم المواطنة والتنشئة السياسية، كما يتطلب تحويل عنصرى الأمة إلى ممارسة يومية..فلابد من ترسيخ مفهوم العيش معًا فى هذا الوطن فى شفافية وعدم إخفاء الخلافات، ولا ينبغى التغنى بوحدة النسيج دون التأكيد على سلوك القنوات السليمة للتفاعل الداخلى.. لذلك ودون شك ينبغى فتح ملف « هموم الأقباط » دون خوف أو تردد ».

من الواضح هنا: أن الخطاب يتحول إلى خطاب نقدى استنكارى. ولا تُوجه سهام النقد هنا إلى ما يعتور نسيج الأمة من تفكك فحسب، بل يتجه إلى ميادين متفرقة منها:

- ما طرأ على شخصية الشعب المصرى من تغير، أدى إلى تقلص ما عرف عنه من تسامح ومحبة « يجتهد الخبراء والمحللون فى تفسير الكثير من سلوكيات المواطن المصرى الذى تغيرت طبيعته جدًا عبر نصف القرن الماضى، ويقف الجميع حيارى يرصدون تراجع سمات الطيبة والهدوء والوداعة من الشخصية المصرية، ليحل محلها العصبية والفوضى والانفلات. ولا يخفى على أحد ذلك التغيير الذى يتأكد كلما تركنا الريف واتجهنا إلى

الحضر، ونجده أكثر وضوحًا فى المدن الكبيرة عنه فى المدن الصغيرة. وأخيرًا يفرض نفسه فى أبشع صوره فى نموذج المواطن القاهرى؛ أى المواطن الذى يعيش ويتحرك ويعمل فى عاصمة الأربعة عشر مليونًا.. وإذا بحثنا فى واقع اهتزاز شعور الانتماء لدى كثير من المواطنين المصريين؛ سوف نكتشف حقيقة مؤسفة لعلها السبب الأساسى وراء ذلك الواقع، وهى غياب عنصر المشاركة الفعلية لدى المواطن فى تسيير أمور بلده، فقنوات الاتصال مقطوعة بينه وبين المؤسسات التشريعية، حيث المشهد يقتصر على حصانة وعجرفة المسئولين إزاء أى مساءلة».

- وتصب النصوص جمّ نقدها على فوضى السيارات فى مدينة القاهرة، حيث تتحدث أحد النصوص عن ما تسميه «القنابل الموقوتة»، ويقصد بها «حالات لا حصر لها من السيارات الخاصة والأجرة الحكومية، علاوة على السيارات التى تحمل لوحات تابعة للشرطة أو الجيش، بالإضافة إلى الحافلات وسيارات النقل على مختلف أشكالها وأحجامها، فالسِّمة التى أصبحت غالبة على شارعنا المصرى - باستثناء نسبة صغيرة من سيارات الملاكى حديثة الإنتاج - هى تدهور الصلاحية الفنية لتلك القنابل السيارة بشكل واضح، يجعل منها تهديدًا حقيقيًّا لحياة المواطنين سواء راكبوها أو جيرانهم على الطريق ركابا كانوا أو مترجلين».

- وتتسع موضوعات الحديث عن المشكلات الداخلية للحديث عن قضايا متفرقة مثل النقد الموجه إلى السياسات التعميرية غير السياحية -مثل تعمير الساحل الشمالى- وتعثر القطاع الخاص فى مشروعات الإسكان، وأوجه النقص فى تطوير مدينة الإسكندرية التى لم تستطع المحافظة فيها تبنى خطة لتوفير منطقة جبانات جديدة خارج الكردون العمرانى لمدينة الإسكندرية، والاستغلال الذى أبداه التجار فى أسعار بيع أحزمة الأمان للسيارات، وغير ذلك من الموضوعات.

- ولم يسلم حتى القضاء من هذا النقد، حيث تشير أحد النصوص إلى تخلى بعض حراس العدالة والقانون عن الحيدة والنزاهة وعفة الحوار، مؤكدًا على ذلك بقوله: «يكاد يكون مألوفًا من أشخاص بعينهم يستمرون يشغلون مواقعهم؛ إما لأن الأجهزة الرقابية غافلة عنهم؛ أو لأنهم يحتمون بأولى الأمر». وليس القضاء فحسب، بل المحكمة الدستورية

العليا التى كتب عنها يقول: «لعل المراقب المنصف للساحة التشريعية المصرية خلال الأعوام الماضية لن يفوته رصد حالات الارتباك والاضطراب التى أحدثتها الأحكام الصادرة عن المحكمة الدستورية العليا بعدم دستورية قوانين، وذلك انعكس على مجالات مختلفة -منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها- مما كان له مردود من الحيرة والشك فى أوساط الرأى العام، بخلاف ما تسبب فيه من ضياع قدر -أتصور أنه ضخم- من ساعات العمل التى أنفقت فى تطبيق القوانين التى حكم بعدم دستوريتها، أو فى توفيق أوضاع مؤسسات أو شركات أو جمعيات ثم تبين عدم جدواها».

جـ- الدائرة الأخيرة: دائرة الملاذ: عند هذه الدائرة تضيق العبارة، ويطل المديح برأسه بدلالة رمزية على الإعجاب والتعاطف. ففى مقابل البكاء على أحزان الأقباط وهمومهم فى الدائرة الأولى، والحسرة على الوطن فى النقد اللاذع الذى يتدفق فى الدائرة الثانية، يبدو الانشغال بالقضايا العالمية قليلاً وباهتًا، ولكنه يبدو -على شُحه- وكأنه يرمز إلى مأوى للخلاص. ففى مقابل النقد اللاذع لواقع الحياة والناس فى مصر، يطل علينا إعجاب مفرط بالغرب: ديموقراطية، وعادات، وأسلوب حياة.

- فها هو النص يمجد خطاب الرئيس جورج بوش، ويلوم الشعوب العربية على النظر إليه بوصفه «وثيقة اتهام»، حيث يؤكد النص على أن «خطاب الرئيس الأمريكى جورج بوش فى ٧ نوفمبر الجارى (٢٠٠٣م)، أمام المجلس الوطنى لتنمية الديمقراطية بمناسبة مرور عشرين عامًا على تأسيس «الصندوق القومى للديموقراطية» أحدث أصداء مهمة للغاية، ولعله ينال ما يستحقه من اهتمام حكومات وشعوب منطقتنا، بدلاً من تركيزها على التعامل معه وكأنه «وثيقة اتهام» فردود الفعل الرسمية والإعلامية عندنا لذلك الخطاب لا تزال تنحصر فى رفض التدخل الأمريكى فى شئون دول المنطقة، ورفض فرض الديموقراطية من الخارج على شعوبها، علاوة على محاولات طريفة لتغيير مضمون الخطاب، وتحوير بعض عباراته لدفع الاتهام عن دول بعينها أو التهرب من مواجهة المسئولية السياسية الملقاة على عاتق دول أخرى».

- ولا يظهر الإعجاب بالغرب بالدفاع الواضح عن أجندته السياسية؛ بل يظهر فى

الإعجاب بعاداته، حيث نجد أمامنا نصًّا يتحدث عن مراسم العزاء فى جنازة الملكة الأم فى انجلترا، وتؤكد إحدى عبارات النص على أن المقام ليس تأبين هذه الشخصية «المحبوبة»، وإنما هو شيء آخر يتبين من هذا النص «لست هنا فى معرض تأبين هذه الشخصية المحبوبة إلى قلب الشعب البريطانى وكثير من شعوب العالم التى عرفتها عن قرب، ولكن ما أطرحه اليوم هو خاطر طالما راودنى كلما تابعت مراسم تشييع جثمان شخصية عامة فى الخارج؛ لأجد نفسى مدفوعًا لعقد مقارنة مؤلمة بين ما أشهده، وبين ما نعهده فى بلادنا وفى منطقتنا.. إن الفارق الأساسى الواجب التسجيل لا يكمن فى العادات أو الطقوس أو الصلوات، ولكنه يجسد بقوة فى نقيضين «الصمت والصراخ».

وفى مقابل هذا الإعجاب بالغرب؛ فإن النصوص تتجه -خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر- إلى محاولة تأكيد فكرة إعادة النظر فى أحوالنا، وفى علاقتنا بالغرب، وأن نواجه الإرهاب بشكل فعال. وقد أطلق الكاتب على حدث الحادى عشر من سبتمبر «يوم الثلاثاء الحزين»، ويصفه بأنه «كارثة بكل ما احتوته من خسائر مادية وبشرية؛ فإذا أضفنا إليها باقى فصول ومشاهد ذلك اليوم الأسود الحزين من هجوم مباغت على وزارة الدفاع الأمريكية -فى سيناريو طبق الأصل لهجمة انتحارية لطائرة مدنية أيضًا- فسوف نتفهم ضرورات ما تم اتخاذه من قرارات وصفت بأنها غير مسبوقة فى التاريخ الأمريكى، مثل إيقاف حركة الطيران المدنية برمته، وإغلاق جميع المطارات الأمريكية، وإغلاق حدود أمريكا الجنوبية مع المكسيك ثم الشمالية مع كندا، بالإضافة إلى حمى إخلاء جميع المبانى الرسمية التى اجتاحت المدن الأمريكية الكبرى».

ويؤكد الكاتب على أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر قد خلقت واقعًا جديدًا، وأن الأحداث التى تفجرت بعدها مازالت فى عنفوانها، وأن «ذلك كله يحتِّم علينا أن نُمعن النظر فى أنفسنا لنحدد بصدق أين موقعنا وسط كل هذه الأحداث، ونحاول استقراء ما يحمله المستقبل لنا، وقد ينطوى ذلك على مخاطرة السباحة ضد التيار، ولكن إدراك أن رسالة المنابر السياسية والإعلامية هى تبصير الرأى العام بالحقيقة حتى وإن خالفت توقعاته أو تناقضت مع ما يريد أن يسمع، يجعل مخاطرة السباحة ضد التيار مخاطرة حكيمة وليست خطيئة».

وبينما تتعاطف النصوص مع الغرب، وتطالب الدول العربية بمراجعة النفس؛ فإنها لا

تستنكف عن أن تطالب أمريكا بمراجعة سياساتها تجاه الدول التى لا تلتزم بالحريات السياسية والاجتماعية، مؤيدًا فى ذلك ما أكده بوش من أن «السياسة الأمريكية التى امتدت نحو ستين عامًا -بعد الحرب العالمية الثانية- فى تأييد أنظمة حكم لا تلتزم بالحريات السياسية والديموقراطية قد فشلت، ولم يعد يجدى إبداء التفهم واختلاق الأعذار لتلك الأنظمة إزاء تعويقها الإصلاح السياسى ومقاومتها للديموقراطية؛ لأن الضحية من جراء ذلك لم تعد شعوبها فقط؛ ولكن انحسار السلام والاستقرار والطمأنينة عن العالم الحر أيضًا».

٤- آليات الخطاب المسيحى:

ثمة اختلاف ظاهر بين الآليات التى يستخدمها الخطاب الكنسى، والآليات التى يستخدمها الخطاب القبطى السياسى خارج الكنيسة؛ ولذلك فسوف نشير فى حديثنا عن كل آلية من آليات الخطاب إلى المجال الذى تظهر فيه على نحو واضح.

أ- إشاعة روح التفاؤل: هذه آلية تظهر على نحو واضح فى خطاب البابا، فالخطاب فى معظمه يعكس روح التفاؤل «هذا التفاؤل يأتى من الإيمان والرجاء: الإيمان بأن الله صانع الخيرات، والرجاء فى أنه سوف يعمل عملاً». وهو فى سعيه نحو بث هذه الروح يستخدم آليات توعية مثل:

- سرد القصص والحكايات حول الرسول والقديسين والشخصيات المسيحية التى كانت متفائلة ومؤمنة بقضاء الله؛ فتحملت الصعاب من أجل الله ومن أجل المبادئ الروحية فيقول: «لخلاص السامرية والسامريين وقت، وللقضاء على الشيوعية والإلحاد وقت، ولقبول الأمم وقت، ولا نيأس مع أحد». ويتحدث عن القديس بولس الرسول فيقول: «أصابته ضربة شديدة - عبارة عن شوكة فى الجسد - فتضرع إلى الله ثلاث مرات أن يرفعها عنه؛ ولكن الله سمح باستبقائها وقال له تكفيك نعمتى»، ثم ينتقل إلى حياة أيوب الصديق فى تجربته وما آل إليه أمره «فقد ضاع منه كل شىء: لقد فقد كل بنيه، وكل أملاكه، وفقد صحته وهيبته أمام أصحابه، وحتى أمام خدمه..! ومع ذلك كان الله يُعد له خلاصًا، وعوضه ضعف ما كان له، وكانت آخرته خير من أولاه».
- الاستفهام المصحوب بتقديم التفسيرات والبراهين والحجج التى تؤكد على التفاؤل، فهو فى العادة يطرح سؤالاً؛ ثم يأتى كل النص للإجابة عنه، فقد يحاول أن يؤكد على وجود

اللّٰه مع الإنسان فى جميع الأوقات؛ فهو لا ينسى أبناءه فيقول: « إلى متى يا رب تنسانى؟ »، ثم يحاول تحديد مسئوليات الفرد تجاه نفسه وتجاه الآخرين فيقول: « ما هى مسئوليتك »، ويتناول أحد المبادئ العقائدية، وهى التجسد والميلاد فيقول: « كيف أعد اللّٰه قصة التجسد والميلاد ».

ب- آلية التضمين والتشويق: يرتكز الخطاب من خلال عرض نصوصه على آلية مهمة ركزت عليها نصوص البابا -خاصة- وهى الاعتماد على التضمين سواء بالنصوص الدينية أو بأقوال الشعراء أو بالأمثال الشعبية وبالأقوال المأثورة.

- **الرجوع إلى النصوص الدينية**: والتى جاءت باعتبارها عناوين رئيسية للمقالات، فمن بين ٥٦ مقالاً تأتى الاستعانة بالنصوص فى مقدمة المقالة فى ١٧ مقالاً من مقالاته مثل:

- « إذا قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئًا عليك، اترك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك » (مت ٥: ٢٣، ٢٤).

- « اسألوا تُعطوا، اطلبوا تَجدوا، اقرعوا يُفتح لكم، إن كل من يَسأل يأخذ، ومن يَطلب يَجِدْ، ومن يقرع يفتح له » (مت ٧: ٧، ٨).

- « أحب خاصته الذين فى العالم أحبهم حتى المنتهى » (يو ١٣: ١).

- « وأكون أنا فيهم » (يو ١٧: ٢٦).

وهكذا نجد أن النصوص الدينية جاءت على طول الخطاب، إما كعناوين للمقالات أو داخل المقالة نفسها، فلا تخلو واحدة من النصوص، إلا وجاءت فيها هذه الاستعانة. ولم يكتف البابا بعرض النصوص الدينية؛ بل استعان أيضًا بعنصر روحى آخر وهو « الشعر».

- الرجوع إلى أقوال الشعراء: حيث جاءت الاستعانة بأقوال الشعراء لتوضيح فكرة أو تأكيدها أو البرهنة عليها، فهو حين أراد أن يؤكد على أن الإنسان الميت هو الميت روحيًّا وليس جسديًّا يقول عنه:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

وحاول أن يؤكد على استفادة الأفراد من النصيحة من خلال قول الشاعر:

لقد أسمعت إذْ ناديت حيًّا ... ولكن لا حياة لمن تنادى

وعندما يوضح فوائد التعلم من التجارب يرجع إلى قول الشاعر:

جزى اللّٰه الشدائد كل خير ... عرفت بها عدوى من صديقي

وعن ضرورة تذكر الإنسان لظلمه للآخرين يلجأ إلى قول الشاعر:

وما من يد إلا يد اللّٰه فوقها ... ولا ظالم إلا سيُبلى بأظلم»

ولم يكتف النص بتضمين النصوص الدينية والشعرية، بل لجأ أيضًا إلى الاستعانة بالأمثلة الشعبية، والقصص التراثية فيحكى عن قصة سيدنا إبراهيم أبى الآباء والأنبياء، وعن سيدنا لوط عليه السلام وغيرهم من الأنبياء.

كما استشهد فى الضيقة (الشدة) بالزانية فى قصة أبا مقار« التى أخطأت مع أحد الشبان، وحملت منه سفاحًا، واتفقا معًا على أن تلصق التهمة بالقديس مقاربوس ». كما تحدث عن عذراء النشيد ليوضح « نحن لا نسير فى الروحيات بطريقة أنصاف الحقائق، ولا نسير فى فهم تعليم الكتاب بطريقة الآية الواحدة ».

جـ- النصح والإرشاد: ويميل الخطاب البابوى خاصة نحو استخدام استراتيجية النصح والإرشاد، عن طريق تقديم أوامر بشكل سريع فى ثنايا النص دون أن تكون مقصودة مثل قوله « اركضوا لكى تناولوا، وهذه درجة أعلى »، أو قوله « إن التوقف فى الحياة الروحية يجلب الفتور. فكن دائم الحركة ». وقد يميل الخطاب إلى استعطاف متلقيه بوصفهم بالأخوة « الحياة الروحية يا إخوتى لها حركة... سواء فى هذا العالم أو العالم الآخر». وتسيطر على الخطاب البابوى فكرة « الطبيب الروحى » التى يستخدمها البابا فى خطابه، وهذه مهمة رجل الدين فى تعامله مع المخطئين الذين يحتاجون إلى « قيامة جديدة »، فالشخص منهم بمثابة الإنسان الميت الذى يحتاج روحيًّا « إلى من يقيمه. (فهو) يحتاج إلى علاج وإلى طبيب روحى ».

د- التنشئة الكنسية: لاشك أن خطاب البابا يتجه إلى تنشئة الأقباط على مثل بعينها، ولكن آلية التنشئة تظهر بوضوح أكبر فى خطاب أسقف الشباب، وهو خطاب يتجه إلى شريحة عمرية فى طور التكوين وهى شريحة الشباب. ولذلك نجد أن الخطاب يتجه إلى بلورة

القضايا التى تهم الشباب، أو يتجه إلى مشكلات الشباب على نحو خاص. وفى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم لماذا احتلت قضيتا الاغتراب والانتماء مكانًا محوريًّا فى النصوص، وكيف ربطت النصوص بين الاغتراب والتدين من خلال الحديث عن الاغتراب عن الله ضمن صور الاغتراب المختلفة، ولاشك أن التقابل بين الاغتراب والانتماء، ووضع الموضوعين تجاه بعضهما البعض يعكس هذا السعى نحو التوجيه والمذهبة. فالانتماء عكس الاغتراب، وإذا كان الاغتراب أمرًا غير مرغوب فيه؛ فإن الانتماء هو المقابل الذى ينقل الفرد من حالة الابتعاد عن الله إلى حالة القرب من الله، ومن حالة عدم المسئولية إلى حالة المسئولية. فالانتماء يفتح قلب الإنسان لله والوطن، ويشعره بالمسئولية الحقة. ونستطيع أيضًا فى ضوء هذه الآلية أن نفهم لماذا اتجه خطاب أسقف الشباب نحو القضايا العالمية المرتبطة بالعولمة؛ حيث تحاول النصوص أن تقدم رأى الكنيسة فى هذه القضايا، وأن تزيد من وعى الشباب بها، ولاشك أن ثمة انتقائية ظاهرة فى الموضوعات التى يتم تناولها، فهى موضوعات تهم الشباب من ناحية، وتكشف عن القضايا التى يتحرك نحوها الخطاب الدينى، مثل الانفلات الجنسى، والثراء السريع، والتطرف، واهتزاز القيم، والبطالة، وثقافة الاستهلاك، وغيرها من القضايا التى ترتبط بعولمة الحياة المعاصرة. كما أن الخطاب يميل إلى تعريف الشباب ببعض القضايا ذات الطابع العالمى عندما يحدثهم عن الخصخصة وسيطرة رأس المال على وسائل الإعلام، وسيطرة رجال الأعمال على السياسة، واتفاقية الجات.

ويستطيع القارئ للخطاب الكنسى سواء خطاب البابا أو الأنبا موسى، يستطيع أن يستخلص القيم الأساسية التى يود الخطاب أن يغرسها فى نفوس متلقيه، ومنها:

- الوعى بمتغيرات العصر.
- الوعى بالآخر وضرورة الحوار معه.
- الشعور بالمسئولية.
- النظرة الكلية للكون التى لا تفصل العمل الدينى عن العمل الدنيوى.
- الوعى بالمشكلات العالمية.
- الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى.

- التوازن فى الإيمان وتوزيع الولاء.

- التنوع والاختلاف.

هـ- الشكوى والامتعاض: تظهر هذه الآلية فى الخطاب القبطى عندما نخرج من العالم الكنسى إلى عالم السياسة، ولذلك فقد ظهرت بوضوح فى نصوص يوسف سيدهم، الذى سخر جل نصوصه لقضايا ومشكلات القبطى يبرزها ويعبر عنها ويشكو من عدم الالتفات إليها والسكوت عنها، وإذا خرج النص عن هذه الدائرة فإنه يتحول من الشكوى إلى النقد والامتعاض.

- **الشكوى**: وتتعدد صور وتعبيرات الشكوى فى الخطاب القبطى السياسى، فهى تأخذ أحيانًا صورة سرد النصوص والحكايات، وأحيانًا أخرى صورة الاستنكار والسؤال؛ كأن تؤكد النصوص فى موضع ما هذا السؤال: وهل يرضى إخواننا المسلمون هذا الأمر؟! وأحيانًا ثالثة باستخدام عبارات كبيرة كأن يتحدث عن « ملف الأقباط » أو « المسكوت عنه » أو « لنفحص أنفسنا » وغير ذلك من العبارات، وأحيانًا رابعة باستخدام أسلوب العتاب – خاصة – العتاب على المسئولين أو على الصحف أو على أجهزة الدولة. ويبدو الخطاب بهذا الشكل وكأنه خطاب مفوض من قبل الأقباط للحديث عن مشكلاتهم وإبرازها.

- وإذا ما انتقلت النصوص من عالم وهموم الأقباط إلى عالم الحياة الاجتماعية، فإنها تتحول إلى نصوص ممتعضة لا تجد فى الحياة شيئًا جميلاً، ولا تترك شيئًا دون أن توجه إليه بعض السهام. فالشخصية المصرية تغيرت وتخلت عن طيبتها ووداعتها وهدوئها، والحياة الاجتماعية اليومية تحولت إلى صخب أو إلى « قنابل موقوتة »، وخطط التنمية غير مكتملة؛ لأنها تترك دائمًا شيئًا قابلاً للنقد، والاقتصاد فى حاجة إلى مراجعة، والقضاء تتسرب إلى بعض دوائره صور من التحيز وعدم العدالة، وحتى الأحكام القضائية قد يصيبها قدر من الارتباك والاضطراب.

و- معيارية الغرب: مع أن النصوص الصادرة من داخل الكنيسة قد تنقد أفكارًا غربية على اعتبار أنها غريبة أو متعارضة مع الدين، كما ظهر فى بعض نصوص الأنبا موسى عندما يعرض بالنقد للماركسية والإلحادية وغيرها من الأفكار الغربية، أو عندما يتعامل مع قضايا

خلافية، مثل قضية أطفال الأنابيب أو قضية الاستنساخ، نقول: أنه على الرغم من ذلك؛ فإن نصوص الخطاب القبطى تُبدى إعجابًا شديدًا بالغرب عندما تخرج عن دائرة الكنيسة وتتحول إلى عالم السياسة، ويبدو الغرب أحيانًا وكأنه النموذج المعيارى الذى يجب أن يحتذى، أو كأن ثمة توحدًا مع هموم الغرب ومشكلاته، فيتحول الخطاب هنا إلى خطاب غربى أكثر من الغرب، على ما نقول « ملكى أكثر من الملك »، يحاول أن يدافع عن أفكاره وأجندته بشكل مباشر أو غير مباشر.

خامسًا: نظرة عامة على الخطاب

١- الخطاب الإسلامى:

ونخلص من عرضنا لخريطة الخطاب الدينى الإسلامى على المستويات الأربعة: الأزهرى، والمُعوْلَم، والناقد، والدعوى الجديد ومن عرضنا لآليات الخطاب. إلى عدد من النتائج العامة نعرضها فيما يلى:

أ- إن النظرة الأولى للخطاب الدينى الإسلامى ترى: أن ثمة تعددية وتباينًا وتنوعًا فى وجهات النظر، التى ربما ترجع فى جزء منها إلى اختلاف المنطلقات الفكرية التى تغلف هذا الخطاب؛ فمنها الخطاب الذى ينطلق من الفكر الأزهرى الخالص، ومنها الخطاب الذى ينطلق من مدارس واتجاهات أخرى اكتسبها صاحبها من خلال دراسته الجامعية أو اطلاعه الشخصى. وقد يرجع هذا التعدد والاختلاف -أيضًا- إلى ميل البشر جميعًا إلى الاختلاف، وهو أمر طبيعى وعام وأبَدِى وسيظل إلى يوم القيامة. ويرى الشيخ يوسف القرضاوى: أن الخلافات التى أسبابها فكرية لاختلاف وجهة النظر وزاوية الرؤية وتقدير النتائج، يعد خلافًا محمودًا وفطريًّا ومقبولاً[٢٢]. أما غير ذلك: فهو عقوبة قدرية ينزلها الله بمن انحرف عن الصراط المستقيم[٢٣] إعمالاً لقول رسول الله (ﷺ) « لا تهلك أمتى حتى يكون بينهم التمايل والتمايز»[٢٤]. وعلى أية حال، فالخلافات بين المسلمين قائمة، وهى خلافات فى طريقة العرض والتناول أكثر منها تعددًا وتباينًا فى جوهر النص، فجميعها مرجعيتها القرآن والسنة، وإن اختلفت طرق الاستشهاد.

ب- إذا كانت النظرة الأولى تعكس وجود تنوع وتباين فى الخطاب الدينى الإسلامى؛

فإن النظرة المتأملة والمتأنية لقراءة النصوص الدينية الإسلامية ستجد أنها محكومة إحكامًا بآليات جامدة لا يخرج عنها النص، وإن كان كل خطاب له آلياته الخاصة التى تميزه عن غيره، هذه الآليات المحركة والداعمة للنص إما أن تكون آلية النقد، أو النصح والإرشاد، أو الاستشهاد بالنصوص الدينية، أو التخويف والترهيب... إلخ، بحيث لا نجد نصًّا واحدًا من النصوص التى عرضنا لها؛ إلا وكان مستخدمًا لواحدة أو أكثر من هذه الآليات. ولا تعد هذه مزية من وجهة نظرنا، بل إنها قولبة للفكر ووضعه فى أنماط جامدة لا يستطيع صاحبها الخروج عنها. ونحن فى حاجة فى هذا الزمان لآليات فكرية أكثر مرونة وتحررًا وانفتاحًا على العالم وعلى الخبرة.

جـ- يكاد يعكس الخطاب فى كل مستوياته حضورًا للآخر الغربى، إما من خلال نقده؛ حيث إنه السبب الحقيقى فيما وصل إليه الشباب فى هذه الأيام، أو من خلال كراهيته؛ فهو الذى فرق شمل العرب واحتل أراضيهم، أو من خلال النظرة إليهم باعتبارهم أكثر تفوقًا وتقدمًا، وحث المسلمين على اللحاق بركبهم، وفى كل الأحوال فالغرب حاضر وموجود فى وعى الكُتاب المسلمين سواء أرادوا هذا أم لا.

د- إذا كان الآخر حاضرًا فى الخطاب الدينى فهناك حضور أكثر للذات. هذه الذات المتأملة لأحوال المسلمين والعالم، وهذه الذات الناصحة، والعارفة ببواطن الأمور وما يجهله العامة وتختص به الذات. فتأتى الذات هنا فى النص واضحة وبارزة لتُشكل الخطاب تشكيلاً. وربما كان حضور الذات فى النص واحدًا من العوامل الرئيسية للتنوع والتعدد والاختلاف الذى أشرنا إليه. فذواتهم هى التى تطل على النص وتصوغه صياغة تتفق معها وتختلف فى العادة مع الآخرين.

هـ- لم تمثل أحداث الحادى عشر من سبتمبر تغيرًا فى الخطاب الدينى الإسلامى، بل كانت أحد موضوعاته؛ نظرًا إلى تأثير هذا الحدث على نظرة العالم للمسلمين وما يترتب على هذه النظرة من نتائج وآثار، مازلنا نشعر بوطأتها حتى الوقت الراهن. وربما جاء تعرض الخطاب الدينى لهذا الموضوع من خلال حضور الغرب فى النص الإسلامى.

و- هناك العديد من الموضوعات المسكوت عنها فى الخطاب الإسلامى، منها على سبيل المثال: قضايا الفساد بأشكالها المختلفة، وقضايا الاستبداد والقهر السياسى والاجتماعى... وغيرها الكثير من القضايا؛ وربما يرجع ذلك إلى أن مثل هذه القضايا قد تمس السلطة من قريب

أو من بعيد، أو أن ثمة تعايشًا بين نظم الخطاب والحياة الاجتماعية التى يعيش بداخلها منتجو الخطاب.

٢- الخطاب المسيحى:

أ- تتنوع الموضوعات التى يعرض لها الخطاب المسيحى؛ فمن موضوعات دينية خالصة، إلى مناقشة موضوعات وقضايا الساعة فى ضوء الاهتمام بالقضايا الداخلية، وخاصة قضايا الاغتراب والانحراف والانتماء، إلى مناقشة القضايا الخاصة بالأقباط وبالمجتمع المصرى. ويكشف تناول الموضوعات المختلفة عن مسار محدد للخطاب ينبنى على رؤية للكون تندرج مما هو مسيحى إلى ما هو أكبر من ذلك، ومما هو خاص إلى ما هو عام. ويبدو الخطاب هنا وكأنه خطاب محدد الخطى لا يترك لنفسه الدخول فى آفاق تبعده عن غايته المحددة، فعندما يكون داخل الكنيسة يهتم بأمور الروح ويعمل على بث طاقات روحية من خلال تحليلات أو تأويلات نصية، ويتأمل العالم والحياة عبر النص، وعبر رؤية محددة لكل أمور الدنيا. وعندما يخرج الخطاب الكنسى عن هذه الروحانية إلى خطاب موجه؛ فإنه يفسح مجالاً للدخول إلى دائرة العالم الواسعة، ولكن تبقى عينه على النشء القبطى منشغلاً بقضايا يمكن أن تؤثر على هذا النشء. ويعمل الخطاب هنا على توجيه النشء نحو غاية محددة: الإيمان كما يتجسد فى خلق توازن نسقى فى منظومة العالم (النفس - المجتمع - الله - الإنسانية). وعندما يتنوع الخطاب للدخول إلى عالم السياسة، نجد أن لهذا النوع من الخطاب رجاله الذين لا ينتمون إلى الكنيسة، هم رجال علمانيون يعملون خارج النص الكنسى؛ ولكنهم يلتزمون بنفس رؤية العالم؛ إذ يضع الخطاب القبطى السياسى مشكلات الجماعة الدينية فى مقدمة الحديث والاهتمامات.

ب- وقد يتفرع عن هذه النتيجة نتيجة أخرى تتعلق بطبيعة الأركيولوچية المعرفية التى يتأسس عليها هذا الخطاب. ويبدو أن هذه الأركيولوچية تقوم على رؤية للذات ورؤية للآخر، بحيث تتدرج المعرفة من الذات إلى الآخر عبر سلسلة متصلة تنتهى عند الله. ولكن هذه السلسلة ليست متصلة الحلقات فى كل الأحوال:

- فعندما نكون داخل النص الكنسى؛ فإنها تكون متصلة الحلقات منسجمة إلى أبعد حد، حيث يصور العالم بشكل مثالى على أنه امتداد للذات عبر المجتمع والإنسانية والله.
- ولكن هذه السلسلة تنكسر عندما نخرج خارج أسوار الكنيسة لتبدو الحلقات وكأنها غير

متشابكة، حيث تصور العلاقة بالآخر (وخاصة الآخر الداخلي) على أن بها بعض مشكلات تنتج عن صور من الظلم أو الابتعاد أو التجاوز أو التحيز التى تتعرض لها «الأنا».

جـ- يظهر الخطاب القبطى نوعًا من الأبوية، وتأتى هذه الأبوية واضحة عند تحليل الخطاب الكنسى (خطاب البابا – وخطاب أسقف الشباب). ولهذه الأبوية ما يبررها حيث إنها تأتى من خلال الوضع الكهنوتى لأصحابها باعتبارهم من جماعة المؤمنين الذين اختارتهم الكنيسة ورسمتهم للتحدث عنها بموافقة الشعب القبطى كله. وتتجلى الأبوية داخل الخطاب الكنسى فى عدد من المظاهر:

- صيغة النصح والإرشاد التى تبدو ظاهرة فى ثنايا النصوص، والتى تدفع المتلقين إلى نوع معين من السلوك المفضل.
- صيغة الأمر التى تظهر بين الحين والآخر فى خطاب البابا.
- عدم الاتكاء على الأخطاء أو السلبيات.
- الرفق فى الحديث والدعوة إلى التأمل والمعرفة.

د- وعندما يخرج النص عن دائرة الكنيسة يتحول من الأبوية إلى الوصاية، حيث يظهر النص وكأنه يحرس قضايا الأقباط ومشكلاتهم ويدافع عنها، بحكم سيطرته على منبر يمكن أن يذيع منه أفكاره وخاصة المنبر الصحفى. ويتفرع عن هذه النتيجة العامة نتيجتان فرعيتان:

(أ) أن النخبة السياسية القبطية، وكذا النخبة الفكرية، تتوحد مع الثقافة القبطية، ويتحول هذا التوجه إلى تصورات للنخبة على أنها راعية لهذه الثقافة مدافعة عنها. ويتفق ذلك مع تصورات وسلوك النخب السياسية والفكرية فى العالم الثالث، التى يحدث لديها هذا التوحد مع ثقافة الوطن، فتظن أنها الوحيدة القادرة على إنقاذه والدفاع عن مصالحه.

(ب) أن الوصاية الفكرية والسياسية هنا هى امتداد للروح الأبوية والرعوية التى أشرنا إليها؛ حيث تتحول الروح الأبوية التى يعبر عنها خطاب الكنيسة المباشر إلى «روح وحياة» عندما تندمج مع الإشكاليات المهنية والفكرية والسياسية.

الملاحق

ثبت بالمصادر التى تم الاعتماد
عليها فى تحليل الخطاب الدينى فى مصر

الملحق رقم (١)
المقالات التى تم تحليلها من مجلة الأزهر

(١) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « فى رحاب العيد »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، شوال ١٤٢٠هـ، يناير ٢٠٠٠م، ج١٠، السنة ٧٢.

(٢) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « نفحات إلهية فى عرفات »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ذو الحجة ١٤٢٠هـ، مارس ٢٠٠٠م، ج١٢، السنة ٧٢ .

(٣) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « ذكر الله للمحبين نور، وللمشتاقين سرور»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، صفر ١٤٢١هـ، مايو ٢٠٠٠م، ج٢، السنة ٧٣.

(٤) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « قيمة الوقت عند المؤمن »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ربيع الآخر ١٤٢١هـ، يوليو ٢٠٠٠م، ج٤، السنة ٧٣.

(٥) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « باب التوبة مفتوح مادام فى الجسد روح »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الآخر ١٤٢١هـ، سبتمبر ٢٠٠٠م، ج٦ السنة ٧٣.

(٦) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « شعبان شهر الرحمة والمغفرة »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، شعبان ١٤٢١هـ، نوفمبر ٢٠٠٠م، ج٢، السنة ٧٣.

(٧) عبد المعز عبد الحميد الجزار، « فى رحاب الحج »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، شوال ١٤٢١هـ، يناير ٢٠٠١م، ج١٠، السنة ٧٣.

(٨) محمد رجب البيومى، رسالة مجلة الأزهر بأقلام أساتذتها الكبار، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ذو القعدة ١٤٢١هـ، فبراير ٢٠٠١م، ج١١، السنة ٧٣.

(٩) محمد رجب البيومى، « الحج مَجْمَع علمى »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ذو الحجة ١٤٢١هـ، مارس ٢٠٠١م، ج١٢، السنة ٧٣.

obeikan.com

(١٠) محمد رجب البيومى، «المثقفون والأدب الهابط» مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، المحرم ١٤٢٢هـ، أبريل ٢٠٠١م، ج١، السنة ٧٤.

(١١) محمد رجب البيومى، «الدين مرتكز الْخُلُق الحميد» مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، صفر ١٤٢٢هـ، مايو ٢٠٠١م، ج٢، السنة ٧٤.

(١٢) محمد رجب البيومى، «فى ذكرى المولد النبوى (تحليل أدبى لبعض مواقف النبى الكريم ﷺ)، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ربيع الأول ١٤٢٢هـ، يونيه ٢٠٠١م، ج٣، السنة ٧٤.

(١٣) محمد رجب البيومى، «العدل ظاهرة كونية، قبل أن يكون فضيلة خُلُقية»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ، يوليو ٢٠٠١م، ج٤، السنة ٧٤.

(١٤) محمد رجب البيومى، «لغو عن ميراث المرأة»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، أغسطس ٢٠٠١م، ج٥، السنة ٧٤.

(١٥) محمد رجب البيومى، «إنسانية الغرب فى الميزان»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، سبتمبر ٢٠٠١م، ج٦، السنة ٧٤.

(١٦) محمد رجب البيومى، «ثقافة الداعية المعاصر»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رجب ١٤٢٢هـ، أكتوبر ٢٠٠١م، ج٧، السنة ٧٤.

(١٧) محمد رجب البيومى، «لابد للعلم من خُلُقٍ عاصم» مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، شعبان ١٤٢٢هـ، نوفمبر ٢٠٠١م، ج٨، السنة ٧٤.

(١٨) محمد رجب البيومى، «عيد الفطر فى موكب التاريخ»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، شوال ١٤٢٢هـ، يناير ٢٠٠٢م، ج١٠، السنة ٧٤.

(١٩) محمد رجب البيومى، «الحج.. قراءة ميدانية لسيرة الرسول ﷺ»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ذو الحجة ١٤٢٢هـ، مارس ٢٠٠٢م، ج١٢، السنة ٧٤.

(٢٠) محمد رجب البيومى، «قدِّموا النص القرآنى»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، صفر ١٤٢٣هـ، مايو ٢٠٠٢م، ج٢، السنة ٧٥.

(٢١) محمد رجب البيومى، «النص القرآنى هو الفيصل»، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٢هـ، يوليو ٢٠٠٢م، ج٤، السنة ٧٥.

(٢٢) محمد رجب البيومى، « مصر عرفت التوحيد من قبل إخناتون »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الآخر ١٤٢٣هـ، أغسطس/ سبتمبر ٢٠٠٢م، ج٦، السنة ٧٥.

(٢٣) محمد رجب البيومى، « الصوم فى مرآة الغزالى »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رمضان ١٤٢٣هـ، نوفمبر ٢٠٠٢م، ج٩، السنة ٧٥.

(٢٤) محمد رجب البيومى، « الحج ارتقاء خُلُقِى، وطهارة نفسية »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ذو القعدة ١٤٢٣هـ، يناير ٢٠٠٣م، ج١١، السنة ٧٥.

(٢٥) محمد رجب البيومى، « بعد خمسة وسبعين عامًا »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، المحرم ١٤٢٤هـ، مارس ٢٠٠٣م، ج١، السنة ٧٦.

(٢٦) محمد رجب البيومى، « فى ذكرى المولد النبوى أمام غار حراء » مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ربيع الأول ١٤٢٤هـ، مايو ٢٠٠٣م، ج٣، السنة ٧٦.

(٢٧) محمد رجب البيومى، « أحاديث المجالس بين الجد والثرثرة » مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، يوليو ٢٠٠٣م، ج٥، السنة ٧٦.

(٢٨) محمد رجب البيومى، « يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رجب ١٤٢٤هـ، سبتمبر ٢٠٠٣م، ج٧، السنة ٧٦.

(٢٩) محمد رجب البيومى، « كيف يستقبلون رمضان » مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رمضان ١٤٢٤هـ، نوفمبر ٢٠٠٣م، ج٩، السنة ٧٦.

(٣٠) محمد رجب البيومى، « الطريق إلى مكة » مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، المحرم ١٤٢٥هـ، مارس ٢٠٠٤م، ج١، السنة ٧٦.

(٣١) محمد رجب البيومى، « فى ذكرى المولد النبوى.. الأسلوب القرآنى غير الأسلوب النبوى »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ربيع الأول ١٤٢٥هـ، مايو ٢٠٠٤م، ج٣، السنة ٧٦.

(٣٢) محمد رجب البيومى، « انحدار المستوى العلمى فى الجامعات المصرية »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، جمادى الأولى ١٤٢٥هـ، يوليو ٢٠٠٤م، ج٨، السنة ٧٧.

(٣٣) محمد رجب البيومى، « من أخلاق الإسلام الصراحة دون مواراة »، مجلة الأزهر، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، رجب ١٤٢٥هـ، سبتمبر ٢٠٠٤م، ج٧، السنة ٧٧.

الملحق رقم (٢)

المقالات التى تم تحليلها لفهمى هويدى من جريدة الأهرام

(١) فهمى هويدى، «قرن تغريب الأمة»!!، جريدة الأهرام، القاهرة، ٤ يناير ٢٠٠٠م، ٢٧ رمضان ١٤٢٠هـ، ع٤١٣٠١، السنة ١٢٤.

(٢) فهمى هويدى، «من إيران إلى من يهمه الأمر»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٩ فبراير ٢٠٠٠م، ٢٤ ذو القعدة ١٤٢٠هـ، ع٤١٣٥٧، السنة ١٢٤.

(٣) فهمى هويدى، «اعتذار لسنا طرفًا فيه»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢١ مارس ٢٠٠٠م، ١٥ ذى الحجة ١٤٢٠هـ، ع٤١٣٧٨، السنة ١٢٤.

(٤) فهمى هويدى، «حيرة باكستان، وطريقها المسدود»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ أبريل ٢٠٠٠م، ١٣ محرم ١٤٢١هـ، ع٤١٤٠٦، السنة ١٢٤.

(٥) فهمى هويدى، «الاستنارة المظلمة»!، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٣ مايو ٢٠٠٠م، ١٩ صفر ١٤٢١هـ، ع٤١٤٤١، السنة ١٢٤.

(٦) فهمى هويدى، «مسلمو روسيا: مواطنون وغرباء!»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ يونيو ٢٠٠٠م، ١٧ ربيع الأول ١٤٢١هـ، ع٤١٤٦٩، السنة ١٢٤.

(٧) فهمى هويدى، «موسم بيع القضية»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ يوليو ٢٠٠٠ م، ١٦ ربيع الآخر ١٤٢١هـ، ع٤١٤٩٧، السنة ١٢٤.

(٨) فهمى هويدى، «حديث عن المكسيك»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ أغسطس ٢٠٠٠م، ١٥ جمادى الأولى ١٤٢١هـ، ع٤١٥٢٥، السنة ١٢٤.

(٩) فهمى هويدى، «دفاع عن بعض الكبرياء»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ سبتمبر ٢٠٠٠م، ٢١ جمادى الأخرى ١٤٢١هـ، ع٤١٥٦٠، السنة ١٢٤.

(١٠) فهمى هويدى، «سقوط أساطير الصراع»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ أكتوبر ٢٠٠٠م، ١٩ رجب ١٤٢١هـ، ع٤١٥٨٨، السنة ١٢٤.

(١١) فهمى هويدى، «هل نعلن موت السياسة؟»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢١ نوفمبر ٢٠٠٠م، ٢٥ شعبان ١٤٢١هـ، ع٤١٦٢٣، السنة ١٢٥.

(١٢) فهمى هويدى، «لنرفع رايات الغضب فوق أعيادنا»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ ديسمبر ٢٠٠٠م، ٢٣ رمضان ١٤٢١هـ، ع٤١٦٥١، السنة ١٢٥.

(١٣) فهمى هويدى، «لا يجتمع وطنان فى قلب واحد»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ يناير ٢٠٠١م، ٢١ شوال ١٤٢١هـ، ع٤١٦٧٩، السنة ١٢٥.

(١٤) فهمى هويدى، «فتاوى أوروبية ليست للتصدير»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ فبراير ٢٠٠١م، ٢٦ ذو القعدة ١٤٢١هـ، ع٤١٧١٤، السنة ١٢٥.

(١٥) فهمى هويدى، «عبرة الرحلة إلى قندهار»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ مارس ٢٠٠١م، ٢٥ ذى الحجة ١٤٢١هـ، ع٤١٧٤٢، السنة ١٢٥.

(١٦) فهمى هويدى، دفاع عن الذاكرة والانتفاضة، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ أبريل ٢٠٠١م، ٢٣ محرم ١٤٢٢هـ، ع٤١٧٧٠، السنة ١٢٥.

(١٧) فهمى هويدى، «كراهية إسرائيل معيار للوطنية»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ مايو ٢٠٠١م، ٢١ صفر ١٤٢٢هـ، ع٤١٧٩٨، السنة ١٢٥.

(١٨) فهمى هويدى، «مأزق عرفات أم شارون؟»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ يونيو ٢٠٠١م، ٢٧ ربيع الأول ١٤٢٢هـ، ع٤١٨٣٣، السنة ١٢٥.

(١٩) فهمى هويدى، «من سجل الفتور والغياب»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ يوليو ٢٠٠١م، ٢٦ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ، ع٤١٨٦١، السنة ١٢٥.

(٢٠) فهمى هويدى، «السيناريو الأسوأ فلسطينيًّا»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢١ أغسطس ٢٠٠١م، ٢ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، ع٤١٨٩٦، السنة ١٢٦.

(٢١) فهمى هويدى، «حين يصبح الخيار الركوع أو الموت»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٤ سبتمبر ٢٠٠١م، ١٦ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، ع٤١٩١٠، السنة ١٢٦.

(٢٢) فهمى هويدى، «فى لزوم الاستنكار»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، ٢٣ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، ع٤١٩١٧، السنة ١٢٦.

(٢٣) فهمى هويدى، «مشاهد مسكونة بالعبث»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ سبتمبر ٢٠٠١م، ١ رجب ١٤٢٢هـ، ع٤١٩٢٤، السنة ١٢٦.

(٢٤) فهمى هويدى، «الأمريكيُّون دفعوا ثمن انحيازهم مرتين»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٥ سبتمبر ٢٠٠١م، ٨ رجب ١٤٢٢هـ، ع٤١٩٣١، السنة ١٢٦.

(٢٥) فهمى هويدى، «خطاب جبر الخواطر»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ أكتوبر ٢٠٠١م، ٢٩ رجب ١٤٢٢هـ، ع٤١٩٥٢، السنة ١٢٦.

(٢٦) فهمى هويدى، «شبح الفوضى يهدد أفغانستان»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ نوفمبر ٢٠٠١م، ٥ رمضان ١٤٢٢هـ، ع٤١٩٨٧، السنة ١٢٦.

(٢٧) فهمى هويدى، «إنهم يريدونه إسلامًا معدَّلاً»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ ديسمبر ٢٠٠١م، ٣ شوال ١٤٢٢هـ، ع٤٢٠١٥، السنة ١٢٦.

(٢٨) فهمى هويدى، «المأزق الحضارى فى أفغانستان»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ يناير ٢٠٠٢م، ١ ذو القعدة ١٤٢٢هـ، ع٤٢٠٤٣، السنة ١٢٦.

(٢٩) فهمى هويدى، «مجددًا: إلى متى نظل بلا ألسنة؟!»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ فبراير ٢٠٠٢م، ٧ ذى الحجة ١٤٢٢هـ، ع٤٢٠٧٨، السنة ١٢٦.

(٣٠) فهمى هويدى، «لنحذر من محاولات التخدير»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ مارس ٢٠٠٢م، ٥ محرم ١٤٢٣هـ، ع٤٢١٠٦، السنة ١٢٦.

(٣١) فهمى هويدى، «العمليات الاستشهادية»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ أبريل ٢٠٠٢م، ٣ صفر ١٤٢٣هـ، ع٤٢١٣٤، السنة ١٢٦.

(٣٢) فهمى هويدى، «الاحتلال أعلى درجات العنف»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢١ مايو ٢٠٠٢م، ٩ ربيع الأول ١٤٢٣هـ، ع٤٢١٦٩، السنة ١٢٦.

(٣٣) فهمى هويدى، «فضيحة للإعلام الأمريكى»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٥ يونيو ٢٠٠٢م، ١٤ ربيع الآخر ١٤٢٣هـ، ع٤٢٢٠٤، السنة ١٢٦.

(٣٤) فهمى هويدى، «مخطط استئصال الوجود الفلسطينى»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ يوليو ٢٠٠٢م، ٦ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ، ع٤٢٢٢٥، السنة ١٢٦.

(٣٥) فهمى هويدى، «انقلاب فى مفهوم القضية»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ أغسطس ٢٠٠٢م، ١١ جمادى الآخر ١٤٢٣هـ، ع٤٢٢٦٠، السنة ١٢٦.

(٣٦) فهمى هويدى، «عن استراتيجية التعذيب والتذويب»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ سبتمبر ٢٠٠٢م، ١٠ رجب ١٤٢٣هـ، ع٤٢٢٨٨، السنة ١٢٦.

(٣٧) فهمى هويدى، «النموذج الأفغانى المرشح للتعميم»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ أكتوبر ٢٠٠٢م، ٩ شعبان ١٤٢٣هـ، ع٤٢٣١٦، السنة ١٢٦.

(٣٨) فهمى هويدى، «الغزو الذى بدأ»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ نوفمبر ٢٠٠٢م، ١٤ رمضان ١٤٢٣هـ، ع٤٢٣٥١، السنة ١٢٦.

(٣٩) فهمى هويدى، «العلمانية غير الذكية»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٢م، ١٣ شوال ١٤٢٣هـ، ع٤٢٣٧٩، السنة ١٢٦.

(٤٠) فهمى هويدى، «تغيير المقررات أم السياسات»؟، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٤ يناير ٢٠٠٣م، ١١ ذى القعدة ١٤٢٣هـ، ع٤٢٤٠٧، السنة ١٢٦.

(٤١) فهمى هويدى، «مفارقات المشهد، وأسئلته المدبَّبة!»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ فبراير ٢٠٠٣م، ١٧ ذى الحجة ١٤٢٣هـ، ع٤٢٤٤٢، السنة ١٢٦.

(٤٢) فهمى هويدى، «مأزق إيران (٢)»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ مارس ٢٠٠٣م، ١٥ محرم ١٤٢٤هـ، ع٤٢٤٧١، السنة ١٢٧.

(٤٣) فهمى هويدى، «مخططات ما بعد السقوط»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ أبريل ٢٠٠٣م، ١٣ صفر ١٤٢٤هـ، ع٤٢٤٩٨، السنة ١٢٧.

(٤٤) فهمى هويدى، «القراءة الإسرائيلية لما جرى»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢٠ مايو ٢٠٠٣م، ١٩ ربيع الأول ١٤٢٤هـ، ع٤٢٥٣٣، السنة ١٢٧.

(٤٥) فهمى هويدى، «صَهْيَنَةُ الكلامِ!»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٧ يونيو ٢٠٠٣م، ١٧ ربيع الثانى ١٤٢٤هـ، ع٤٢٥٦١، س١٢٧.

(٤٦) فهمى هويدى، «قهرُ ثقافىٌّ باسم الاندماج»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٥ يوليو ٢٠٠٣م، ١٥ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، ع٤٢٥٨٩، السنة ١٢٧.

(٤٧) فهمى هويدى، «يسألونك عن الجدار»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩ أغسطس ٢٠٠٣م، ٢١ جمادى الآخر ١٤٢٤هـ، ع٤٢٦٢٤، السنة ١٢٧.

(٤٨) فهمى هويدى، «أفغانستان بديلاً عن العراق.. مؤقتًا»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ سبتمبر ٢٠٠٣م، ١٩ رجب ١٤٢٤هـ، ع٤٢٦٥٢، السنة ١٢٧.

(٤٩) فهمى هويدى، «فى الاختراق وسنينه!»، جريدة الأهرام، القاهرة، ٢١ أكتوبر ٢٠٠٣م، ٢٥ شعبان ١٤٢٤هـ، ع٤٢٦٨٧، السنة ١٢٧.

(٥٠) فهمى هويدى، «تجلِّيات الانكسار والتراجع»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٨ نوفمبر ٢٠٠٣م، ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ، ع٤٢٧١٥، السنة ١٢٧.

(٥١) فهمى هويدى، «العراك فى العراق (٣).. الأكاذيب والأساطير»، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٦ ديسمبر ٢٠٠٣م، ٢٢ شوال ١٤٢٤هـ، ع٤٢٧٤٣، السنة ١٢٧.

openkan.com

الملحق رقم (٣)

حلقات عمرو خالد من خلال الإنترنت

ـ برنامج «حتى يغيروا ما بأنفسهم» (٢٠٠٣م)، الحلقات هى:

(١) حُسْنُ الخُلُقِ.

(٢) الدين النصيحة.

(٣) حَلَقَةٌ خَـاصَّةٌ عَنْ الشَّهِيد طَارِق.

(٤) كَيْفَ نَثْبُتْ.

(٥) الثبات على الحق.

(٦) الفخر بالشهادة.

(٧) قيمة الوقت.

(٨) التوبة.

(٩) عِزَّةُ المسلمينَ.

(١٠) الإحسانَ.

(١١) الأُخُوَّةُ و سَلامَةُ الصَّدْرِ.

(١٢) الجدِّيةُ.

(١٣) الإيجابيَّةُ.

(١٤) التضرُّع.

ـ برنامج «صناع الحياة» (٢٠٠٤)، الحلقات هى:

(١) ثمار صُنَّاع الحياة «١».

(٢) ثمار صُنَّاع الحياة «٢».

(٣) مجال التكنولوچية.

(٤) الثقافة والفنون والإعلام.. وصناعة الحياة.

(٥) نقاط هامة فى مسيرة صُنَّاع الحياة.

(٦) حُلْمى التكنولوچية والصناعة.

obeikan.com

(٧) رفع الظلم عن المرأة.

(٨) أهمية التصويت على الأحلام.

(٩) حُلْمى التعليم وعلاقات البلاد.

(١٠) حُلْمى الزراعة والبحث العلمى.

(١١) احْلَم لبلدك «١».

(١٢) احْلَم لبلدك «٢».

(١٣) الإرادةُ.

(١٤) مقدمة المرحلة الثانية.

(١٥) حفل ختام المرحلة الأولى.

(١٦) استخدام العقل.

(١٧) أهمية الوقت.

(١٨) حدد هدفك فى الحياة.

(١٩) المحافظة على مواردنا «١».

(٢٠) المحافظة على مواردنا «٢».

(٢١) لا للمخدرات.

(٢٢) لا للقات والخمور.

(٢٣) محاربة التدخين.

(٢٤) الجدية.

(٢٥) الإتقان «١».

(٢٦) الإتقان «٢».

(٢٧) تحديات الإيجابية.

(٢٨) الإيجابية.

(٢٩) مقدمة مشروع صُنَّاع الحياة «١».

(٣٠) مقدمة مشروع صناع الحياة «٢».

(٣١) مقدمة مشروع صناع الحياة «٣».

obeikan.com

الملحق رقم (٤)

مقالات البابا شنوده الثالث من مجلة الكرازة المرقسية

(١) البابا شنوده الثالث، « إذا قدمت قربانك، وهناك تذكرت »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٧ يناير ٢٠٠٠م، العددان ١ ، ٢.

(٢) البابا شنوده الثالث، « اسألوا تُعطوْا اطلُبوا تَجدوا »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢١ يناير ٢٠٠٠م، العددان ٥ ، ٦.

(٣) البابا شنوده الثالث، « سراج الجسد هو العين »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢٥ فبراير ٢٠٠٠م، العددان ٩ ، ١٠.

(٤) البابا شنوده الثالث، « من ثِمارهم تعرفونهم »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢١ أبريل ٢٠٠٠م، العددان ١١ ، ١٢.

(٥) البابا شنوده الثالث، « إقامة الأحباء الموتى »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ١٢ مايو ٢٠٠٠م، العددان ١٧ ، ١٨.

(٦) البابا شنوده الثالث، « أحب خاصَّته الذين فى العالم.. أحبهم حتى المنتهى »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢ يونيو ٢٠٠٠م، العددان ١٩ ، ٢٠.

(٧) البابا شنوده الثالث، « التكامل فى حياة الفضيلة »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٣٠ يونيو ٢٠٠٠م، العددان ٢٣ ، ٢٤.

(٨) البابا شنوده الثالث، « وأكون أنا فيهم »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢٨ يوليو ٢٠٠٠م، العددان ٢٧ ، ٢٨.

(٩) البابا شنوده الثالث، « ما هى مسئوليتك »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ١٥ سبتمبر ٢٠٠٠م، العددان ٣١ ، ٣٢.

(١٠) البابا شنوده الثالث، « شبه الشر.. امتنعوا عن كل شبه شر»، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ١٠ أكتوبر ٢٠٠٠م، العددان ٣٥ ، ٣٦.

(١١) البابا شنوده الثالث، « أخطاء الكلام »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ١٠ نوفمبر ٢٠٠٠م، العددان ٣٩ ، ٤٠.

(١٢) البابا شنوده الثالث، « إبراهيم أبو الآباء والأنبياء »، **مجلة الكرازة**، السنة الثامنة والعشرون، الجمعة ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٠م، العددان ٤٥ ، ٤٦.

(١٣) البابا شنوده الثالث، « إبراهيم أبو الآباء والأنبياء »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٥ يناير ٢٠٠١م، العددان ١ ، ٢.

openkan.com

(١٤) البابا شنوده الثالث، « إبراهيم ولوط (الفرق بينهما) »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٩ فبراير ٢٠٠١م، العددان ٥ ، ٦.

(١٥) البابا شنوده الثالث، « العهدين الله والناس »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٩ مارس ٢٠٠١م، العددان ٩ ، ١٠.

(١٦) البابا شنوده الثالث، « اللهم التفت إلى معونتى »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٦ أبريل ٢٠٠١م، العددان ١٣ ، ١٤.

(١٧) البابا شنوده الثالث، « قوة الخدمة »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٢٥ مايو ٢٠٠١م، العددان ١٧ ، ١٨.

(١٨) البابا شنوده الثالث، « القلق أسبابه وعلاجه »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٢٩ يونيو ٢٠٠١م، العددان ٢١ ، ٢٢.

(١٩) البابا شنوده الثالث، « صيادوا الناس »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٢٠ يوليو ٢٠٠١م، العددان ٢٣ ، ٢٤.

(٢٠) البابا شنوده الثالث، « أمثلة من شباب ناجح »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٣ أغسطس ٢٠٠١م، العددان ٢٥ ، ٢٦.

(٢١) البابا شنوده الثالث، « أهمية العمل ولزومه: الله يصل »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ١٧ أغسطس ٢٠٠١م، العددان ٢٧ ، ٢٨.

(٢٢) البابا شنوده الثالث، « تكنيك نعمتى »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ١٢ أكتوبر ٢٠٠١م، العددان ٣٣ ، ٣٤.

(٢٣) البابا شنوده الثالث، « مبادئ فى الخدمة »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٩ نوفمبر ٢٠٠١م، العددان ٣٧ ، ٣٨.

(٢٤) البابا شنوده الثالث، « الطمع »، **مجلة الكرازة**، السنة التاسعة والعشرون، الجمعة ٧ ديسمبر ٢٠٠١م، العددان ٤١ ، ٤٢.

(٢٥) البابا شنوده الثالث، « كيف أعد الله قصة التجسد والميلاد؟ »، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٤ يناير ٢٠٠٢م، العددان ١ ، ٢.

(٢٦) البابا شنوده الثالث، « شخصيات فى قصة الميلاد »، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١ فبراير ٢٠٠٢م، العددان ٥ ، ٦.

(٢٧) البابا شنوده الثالث، « تفسكك »، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١ مارس ٢٠٠٢م، العددان ٩ ، ١٠.

(٢٨) البابا شنوده الثالث، «شركة الروح القدُس والنعمة»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١٢ أبريل ٢٠٠٢م، العددان ١٥ ، ١٦.

(٢٩) البابا شنوده الثالث، «السيد المسيح فى إعداد تلاميذه لتجربة صَلبة»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١٠ مايو ٢٠٠٢م، العددان ١٩ ، ٢٠.

(٣٠) البابا شنوده الثالث، «أقع فى يد اللّٰه ولا أقع فى يد إنسان»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٢١ يونيه ٢٠٠٢م، العددان ٢٥ ، ٢٦.

(٣١) البابا شنوده الثالث، «الخطيَّة الثابتة المولودة من خطيَّة سابقة»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٥ يوليو ٢٠٠٢م، العددان ٢٧ ، ٢٨.

(٣٢) البابا شنوده الثالث، «الفراغ وأنواعه»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٢ أغسطس ٢٠٠٢م، العددان ٣١ ، ٣٢.

(٣٣) البابا شنوده الثالث، «البر الذاتى وتبرير الذات»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١٦ أغسطس ٢٠٠٢م، العددان ٣٣ ، ٣٤.

(٣٤) البابا شنوده الثالث، «السنوات الأخيرة لداود الملك»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ١١ أكتوبر ٢٠٠٢م، العددان ٣٧ ، ٣٨.

(٣٥) البابا شنوده الثالث، «التجارب والخبرات الرُّوحيَّة»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٨ نوفمبر ٢٠٠٢م، العددان ٤١ ، ٤٢.

(٣٦) البابا شنوده الثالث، «شجعوا صغار النفوس»، **مجلة الكرازة**، السنة الثلاثون، الجمعة ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٢م، العددان ٤٣ ، ٤٤.

(٣٧) البابا شنوده الثالث، «الكمال والممكن»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ١ أغسطس ٢٠٠٣م، العددان ٢٣ ، ٢٤.

(٣٨) البابا شنوده الثالث، «محاسبة اُلنـَّفس»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ١٥ أغسطس ٢٠٠٣م، العددان ٢٥ ، ٢٦.

(٣٩) البابا شنوده الثالث، «نظرة تـُفاؤل»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ١٢ سبتمبر ٢٠٠٣م، العددان ٢٧ ، ٢٨.

(٤٠) البابا شنوده الثالث، «الاستحقاقُ»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٣م، العددان ٢٩ ، ٣٠.

(٤١) البابا شنوده الثالث، «إرشدنا إلى العمل بوصاياك»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ١٠ أكتوبر ٢٠٠٣م، العددان ٣١ ، ٣٢.

obeikan.com

(٤٢) البابا شنوده الثالث، «الفتور الروحىّ»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ٧ نوفمبر ٢٠٠٣م، العددان ٣٥ ، ٣٦.

(٤٣) البابا شنوده الثالث، «الحركة»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ٢١ نوفمبر ٢٠٠٣م، العددان ٣٧ ، ٣٨.

(٤٤) البابا شنوده الثالث، «من الأعواز»، **مجلة الكرازة**، السنة الحادية والثلاثون، الجمعة ٥ ديسمبر ٢٠٠٣م، العددان ٣٩ ، ٤٠.

(٤٥) البابا شنوده الثالث، «اللّه هو البادئ»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ١٦ يناير ٢٠٠٤م، العددان ١ ، ٢.

(٤٦) البابا شنوده الثالث، «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٣٠ يناير ٢٠٠٤م، العددان ٣ ، ٤.

(٤٧) البابا شنوده الثالث، «إلى متى يا رب تنسانى؟»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٥ مارس ٢٠٠٤م، العددان ٧ ، ٨.

(٤٨) البابا شنوده الثالث، «تأملات فى قصة السامرية»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ١٩ مارس ٢٠٠٤م، العددان ٩ ، ١٠.

(٤٩) البابا شنوده الثالث، «الإنسان الميت روحيًّا»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٧ مايو ٢٠٠٤م، العددان ١٥ ، ١٦.

(٥٠) البابا شنوده الثالث، «الرب يحفظك.. الرب يحفظ دخولك وخروجك»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٢١ مايو ٢٠٠٤م، العددان ١٧ ، ١٨.

(٥١) البابا شنوده الثالث، «فتح ذهنهم ليفهموا ويستنيروا»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٢٣ يوليو ٢٠٠٤م، العددان ٢٣ ، ٢٤.

(٥٢) البابا شنوده الثالث، «صلاة التحليل»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٨ أكتوبر ٢٠٠٤م، العددان ٢٩ ، ٣٠.

(٥٣) البابا شنوده الثالث، «تأمل فى: الأعداء الخفيين والظاهرين»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٤م، العددان ٣١ ، ٣٢.

(٥٤) البابا شنوده الثالث، «اكنزوا لكم كنوزًا فى السماء»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ١٧ ديسمبر ٢٠٠٤م، العددان ٣٩ ، ٤٠.

(٥٥) البابا شنوده الثالث، «ربنا موجود»، **مجلة الكرازة**، السنة الثانية والثلاثون، الجمعة ٣١ ديسمبر ٢٠٠٤م، العددان ٤١ ، ٤٢.

obeikan.com

الملحق رقم (٥)

المقالات التى تم تحليلها ليوسف سيدهم من جريدة وطنى

(١) يوسف سيدهم، « من دفتر أحوال الانتخابات (٥) »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠م، ٢٣ شعبان ١٤٢١هـ، ع٢٠٣٠، السنة ٤٢.

(٢) يوسف سيدهم، « وطنى تسترد شرعيتها »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠م، ٢١ رمضان ١٤٢١هـ، ع٢٠٣٤، السنة ٤٢.

(٣) يوسف سيدهم، « إحياء الساحل الشمالى.. حلم مازال ممكنًا (٣) »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠م، ٢٦ جمادى الآخر ١٤٢١هـ، ع٢٠٢٢، السنة ٤٢.

(٤) يوسف سيدهم، « من دفتر أحوال الانتخابات (٣) » « برلمان الشباب يستهل أعماله »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٥ أكتوبر ٢٠٠٠م، ١٧ رجب ١٤٢١هـ، ع٢٠٢٥، السنة ٤٢.

(٥) يوسف سيدهم، « خفافيش الظلام لا تحجب شعاعًا مضيئًا »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٢١ يناير ٢٠٠١م، ٢٦ شوال ١٤٢١هـ، إصدار أول (ع٢٠٣٩، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٥، السنة ١).

(٦) يوسف سيدهم، « وطنى » تصدر « ملحق المهجر»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٨ فبراير ٢٠٠١م، ذى القعدة ١٤٢١هـ، إصدار أول (ع٢٠٤٣، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٩، السنة ١).

(٧) يوسف سيدهم، المواطنة بين مناخ « المنع » و« المنح »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٨ مارس ٢٠٠٢م، ٢٣ ذى الحجة ١٤٢١هـ، إصدار أول (ع٢٠٤٧، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع١٣، السنة ١).

(٨) يوسف سيدهم، « القيامة.. المصالحة.. التغيير»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٥ أبريل ٢٠٠١م، ٢١ المحرم ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٥١، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع١٧، السنة ١).

(٩) يوسف سيدهم، « نحو إيقاظ الضمير الوطنى (٣) »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٣ مايو ٢٠٠١م، ١٩ صفر ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٥٥، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٢١، السنة ١).

(١٠) يوسف سيدهم، «فى جرجا - أين يَدفن الأقباط موتاهم؟!!»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٧ يونيو ٢٠٠١م، ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٦٠، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٢٦، السنة ١).

(١١) يوسف سيدهم، المؤازرة الوطنية المصرية تدمغ «فتح الملف القبطى»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٥ يوليو ٢٠٠١م، ٢٤ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٦٤، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٣٠، السنة ١).

(١٢) يوسف سيدهم، «نحو حتمية فتح الملف القبطى (٥)». «الفرز فى الوظائف.. وفى تنفيذ أحكام القضاء!!»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٩ أغسطس ٢٠٠١م، ٢٩ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٦٩، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٣٥، السنة ١).

(١٣) يوسف سيدهم، «نحو حتمية فتح الملف القبطى (٧). رد من قسم جراحة المخ والأعصاب بطب الزقازيق»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٢ سبتمبر ٢٠٠١م، ١٤ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧١، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٣٧، السنة ١).

(١٤) يوسف سيدهم، «نحو حتمية فتح الملف القبطى (٨). أخرجوا هذه الكنيسة من ثلاجة التجميد»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٩ سبتمبر ٢٠٠١م، ٢١ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧٢، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٣٨، السنة ١).

(١٥) يوسف سيدهم، «إرهاب الثلاثاء الحزين»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م، ٢٨ جمادى الآخر ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧٣، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٣٩، السنة ١).

(١٦) يوسف سيدهم، «ازدواج الجنسية».. حق أم إثم؟!!»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٢٣ سبتمبر ٢٠٠١م، ٦ رجب ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧٤، س٤٣)، إصدار ثان، (ع٤٠، السنة ١).

(١٧) يوسف سيدهم، «فحص دستورية القوانين.. بعد التطبيق أم قبل التطبيق؟»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٣٠ سبتمبر ٢٠٠١م، ١٣ رجب ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧٥، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٤١، السنة ١).

(١٨) يوسف سيدهم، «لماذا تظاهر الطلبة المصريين؟»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٤ أكتوبر ٢٠٠١م، ٢٧ رجب ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٧٧، س٤٣)، إصدار ثان، (ع٤٣، السنة ١).

(١٩) يوسف سيدهم، « فلنفحص أنفسنا.. القانون لا يأتى أولاً فى منفلوط »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٨ نوفمبر ٢٠٠١م، ٣رمضان ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٨٢، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٤٨، السنة ١).

(٢٠) يوسف سيدهم، « فلنفحص أنفسنا.. ثلاثة يسبحون ضد التيار»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ ديسمبر ٢٠٠١م، ١ شوال ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٨٦، السنة ٤٣)، إصدار ثان، (ع٥٢، السنة ١).

(٢١) يوسف سيدهم، « بيان الحكومة بين الواقع والتمنى!! »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٣ يناير ٢٠٠٢م، ٢٩ شوال ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٩٠، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٥٦، السنة ٢).

(٢٢) يوسف سيدهم، « قرية « بنى واللمس » سيناريو متكرر لمسلسل بغيض!! »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٧ فبراير ٢٠٠٢م، ٥ ذى الحجة ١٤٢٢هـ، إصدار أول (ع٢٠٩٥، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٦١، السنة ٢).

(٢٣) يوسف سيدهم، « ما أبلغ صوت الصمت »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٤ أبريل ٢٠٠٢م، ١ صفر ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٠٣، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٦٩، السنة ٢).

(٢٤) يوسف سيدهم، « المقاطعة بأسلوب « الدب الذى قتل صاحبه »!!، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٩ مايو ٢٠٠٢م، ٧ ربيع الأول ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٠٨، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٧٤، السنة ٢).

(٢٥) يوسف سيدهم، « بين يوليو ١٩٥٢ ويونيه ١٩٦٧، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ يونيه ٢٠٠٢م، ٥ ربيع الثانى ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١١٢، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٧٨، السنة ٢).

(٢٦) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٢).. مدافن جديدة خارج الإسكندرية... ولكن!!، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٤ يوليه ٢٠٠٢م، ٤ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١١٦، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٨٢، السنة ٢).

(٢٧) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٧).. الديموقراطية تكفل المشاركة وتداول السلطة، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٨ أغسطس ٢٠٠٢م، ٩ جمادى الآخر ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٢١، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٨٧، السنة ٢).

(٢٨) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (١٢).. « قنابل موقوتة » تمرح فى الشارع المصرى، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٢م، ١٥ رجب ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٢٦، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٩٢، السنة ٢).

(٢٩) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (١٥).. الشارع المصرى وثقافة « الأمان »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٣ أكتوبر ٢٠٠٢م، ٧ شعبان ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٢٩، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع٩٥، السنة ٢).

(٣٠) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (٢٠).. هل تحترم الحكومة قراراتها وتلتزم بها؟!!، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٧ نوفمبر ٢٠٠٢م، ١٢ رمضان ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٣٤، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع١٠٠، السنة ٢).

(٣١) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (٢٤).. « الدين لله... والوطن للجميع »!!، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٥ ديسمبر ٢٠٠٢م، ١١ شوال ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٣٨، السنة ٤٤)، إصدار ثان، (ع١٠٤، السنة ٢).

(٣٢) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٢٧).. من يثور لكرامة القضاء ويدافع عن قدسيته؟ »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٩ يناير ٢٠٠٣م، ذو القعدة ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٤٣، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٠٩، السنة ٢).

(٣٣) يوسف سيدهم، « شبابنا... الأمل فى مستقبل أفضل »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ فبراير ٢٠٠٣م، ١٥ ذو الحجة ١٤٢٣هـ، إصدار أول (ع٢١٤٧، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١١٣، السنة ٢).

(٣٤) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٣٣).. إغلاق ملف الكشح يفتح ملف المساءلة »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ مارس ٢٠٠٣م، ١٣ محرم ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٥١، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١١٧، السنة ٢).

(٣٥) يوسف سيدهم، « مصلحة الضرائب تهدر فتوى مجلس الدولة!! »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٣ أبريل ٢٠٠٣م، ١٠ صفر ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٥٥، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٢١، السنة ٢).

(٣٦) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٣٩).. أبعاد الشخصية المصرية بين الماضى والحاضر»، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٨ مايو ٢٠٠٣م، ربيع الأول ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٦٠، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٢٦، السنة ٢).

(٣٧) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٤٣).. مصر لكل المصريين »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٥ يونيه ٢٠٠٣م، ١٥ ربيع الثانى ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٦٤، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٣٠، السنة ٢).

(٣٨) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (٤٧).. الانتماء للوطن... من مقاعد المتفرجين!! »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٣ يوليو ٢٠٠٣م، ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٦٨، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٣٤، السنة ٢).

(٣٩) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (٥١).. « المواطنة »... وقضية « شركاء الوطن »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٧ أغسطس ٢٠٠٣م، ١٩ جمادى الثانى ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٧٣، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٣٩، السنة ٢).

(٤٠) يوسف سيدهم، « رسالة تبرىء ساحة أستاذ جليل »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٤ سبتمبر ٢٠٠٣م، ١٧ رجب ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٧٧، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٤٣، السنة ٢).

(٤١) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف الأمور المسكوت عنها » (٥٧).. من يستطيع الوقوف فى وجه جبروت الأمن؟ (٢) »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٩ أكتوبر ٢٠٠٣م، ٢٣ شعبان ١٤٢٤هـ، إصدار أول (ع٢١٨٢، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٤٨، السنة ٢).

(٤٢) يوسف سيدهم، « قراءة فى ملف « الأمور المسكوت عنها » (٦١).. الديموقراطية... حديث الأمس واليوم والغد »، جريدة وطنى، القاهرة، شركة الجرائد المصورة المصرية، ١٦ نوفمبر ٢٠٠٣م، ٢٢ رمضان ١٤٢٤ هـ، إصدار أول (ع٢١٨٦، السنة ٤٥)، إصدار ثان، (ع١٥٢، السنة ٢).

الهوامش

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة: الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص٢٥.

(2) Websters-online-dictionary.org

(٣) انظر التعريف الذى أورده جابر عصفور فى ترجمته لكتاب أديث كيرزويل، عصر البنيوية، بغداد، آفاق، ١٩٨٥م، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٤) أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية، الطبعة الأولى، دبى: دار القراءة للجميع، ١٩٩٢م، ص ٢٠-٢٢.

(5) Brend Frohmann, "The Power of Images: A Discourse Analysis of Cognitive Viewpoint, "Journal of Documentation", Vol. 48, No. 4, 1992, PP. 365-386.

(٦) انظر حول التفكيك فى قراءة النصوص:

(7) J. Culler, On Deconstruction: Theory and Criticism after Structuralism, London, 1981.

(٨) انظر حول تحليل الخطاب النقدى:

(9) Puth Wodak (ed.), Language Power and Ideology: Studies in Political Discourse, London: Benjamins Publishing Company, 1989.

(10) Norman Fairclough, Critical Discourse Analysis, Harlow: Longman Group, 1995.

(11) A. Jaworksi, and N. Coupland (eds.), The Discourse Reader, New York: Routledge, 2002.

(١٢) أحمد زايد، الهرمينوطيقا، وإشكاليات التأويل، والفهم فى العلوم الاجتماعية، مجلة إضافات، العدد الخامس، يوليو ٢٠٠٤م، ص ٥-٣٧.

(١٣) محمود إسماعيل، مفارقات فى الخطاب الدينى المعاصر "مفارقات العلمانية"، مجلة الموقف العربى، ع ٨، ديسمبر ١٩٨٦م.

(١٤) نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الدينى، (القاهرة: مكتبة مدبولى، ط٤، ٢٠٠٣).

(١٥) أحمد زايد، معضلة الحداثة والتداخل الخطابى، فى: أحمد زايد، تناقضات الحداثة فى مصر، (القاهرة: دار عين، ٢٠٠٥م).

(١٦) سعيد عبد المسيح، دور الخطاب الدينى فى تشكيل الذات الاجتماعية، مؤتمر الذات والمجتمع، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الاجتماع، ١٩٩٧م.

(١٧) ديل، إيكلمان، الهوية الوطنية والخطاب الدينى فى عمان، فى: المثقف والمناضل فى الإسلام المعاصر، ترجمة سالم الحجار، (بيروت: دار الساقى، ١٩٩٤م).

(١٨) نبيل عبد الفتاح، سياسات الأديان.. الصراعات وضرورات الإصلاح، (القاهرة: دار ميريت، ٢٠٠٣م).

(١٩) يوسف رامز، إصلاح المؤسسة، والخطاب الدينى فى مصر، أحوال مصرية، السنة السابعة، العدد ٢٧، شتاء ٢٠٠٥م، ص ٤٩-٥٤.

openkan.com

(٢٠) محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الدينى فى ضوء الواقع المعاصر، (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م).
(٢١) نبيل لوقا بباوى، مشاكل الأقباط فى مصر وحلولها، (القاهرة: مطابع الأهرام، بدون سنة نشر).
(٢٢) الأنبا موسى، الشباب بين الاغتراب والانتماء، (القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، ١٩٩٤م، (سلسلة الإيمان – الثقافة – المجتمع)، ع١).
(٢٣) الأنبا موسى، قضايا طبية معاصرة، (القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، ١٩٩٧م، ع٥).
(٢٤) الأنبا موسى، تحديات القرن الجديد، (ط١، القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، ٢٠٠٠م، ع٦).
(٢٥) الأنبا موسى وآخرون، حوار الحضارات وضرورة التفاعل، (ط١، القاهرة: مكتبة أسقفية الشباب، ٢٠٠٢م).
(٢٦) بهجت سمعان، أنا والآخر، ط١، سلسلة دراسات روحية نفسية، (القاهرة: مكتبة المحبة، ٢٠٠٤م).
(٢٧) يوسف القرضاوى، الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع، والتفرق المذموم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠م، ص١٣.
(٢٨) يوسف القرضاوى، المرجع السابق، ص ٣٠-٣٣.
(٢٩) عمر عودة الخطيب، نظرة إسلامية فى مشكلة التمييز العنصرى، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م، ص١٥١).

obeikan.com

* تعقيب (١)

الشيخ جمال قطب

بسم الله الرحمن الرحيم، وبعد، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً.. إنك إن شئت جعلت الصعب سهلاً، والحقيقة أنَّ بينى وبين الدكتور أحمد زايد محبة وتقدير، وأعلن -قبل أن أتكلم فيما كلفت به- أنى قرأت له ما يفوق ذلك بكثير، وأنى من عشاق منهجه التأويلى فى كثير من المجالات. لكن الحقيقة زال خوفى عندما سمعت بوجود باحثين مساعدين للأساتذة أصحاب البحوث الرئيسية، وتقديرى أو تأويلى أنه ربما لم يتسع الوقت فاكتفى الدكتور زايد بالمرور على ما كتبه المساعدون، وهذا ليس اتهامًا للدكتور أحمد زايد، وأيًّا كانت النتائج التى وصل إليها البحث، فأنا لا أنازع أى نتيجة؛ لأن الباحث من حقِّه أن يرى ما يرى، ويستخرج ما يستخرج، لكننى أتكلم فى الوقت المخصص لى فى المنهج البحثى، وليس بين القارئ والباحث غير البحث، وإذا ما كان عنوان البحث خريطة للخطاب الدينى فى مصر، فكلمة خريطة بالنسبة لكل الناس هى مصطلح لا يجدى معه التأويل أو استخدامه بعيدًا عما يفهم منه، ويعنى هذا المصطلح مسحًا لكل نقط ومساحات وأماكن ومؤسسات صدور الخطاب، سواء أخذ منها عينة أم لم تؤخذ، والخريطة يجب أن تكون بمقياس رسم، بين ما على الورق، وما على الواقع.

وحينما أنظر إلى الورقة: أجد أن المؤسسات اختزلت فى ثلاث، وبالطبع مؤسسات إنتاج الخطاب الدينى فى مصر أكثر من ثلاث مؤسسات، وسريعًا أشار البحث إلى الأزهر والأوقاف ودار الإفتاء والمساجد المستقلة.. وبالطبع قبل أن نعالج الشرائح التى اختارها البحث، نذكر أن الخريطة لم تشر من قريب أو من بعيد إلى مؤسسات المجتمع المدنى المتخصصة -فى القرنين الفائتين- فى الخطاب الدينى، وهى: الجمعية الشرعية ومعها ٥٠٠٠ مسجد، وجماعة أنصار السُّنة ومعها ٢٠٠٠ مسجد، ولكل منهما ثلاث دوريات تصدر بصفة منتظمة أسبوعية وشهرية وموسمية، وجماعة الدعوة، وهى أشهر من أن ينكرها أحد وتتحرك فى أكثر من ٢٥٠ ألف قرية حسب الرصد الأمنى، وتحمل نمطًا وتلتزم بأسلوب، وكذلك جمعية الشبان المسلمين بفروعها، وجمعيات أهلية كثيرة لا داعى لذكرها.. أما المؤسسات الرسمية: فهى أحد الخطابات المؤثرة التى كانت لها صوت فى تجديد المبايعة، ومنها المجلس الأعلى للطرق الصوفية، وهو مؤسسة

رسمية ضخمة يتبعها ٨ مليون مقيد فى الدفاتر، ولهم مجلة شهرية بعنوان التصوف، وله منتدى تصل فروعه فى مصر طبقًا للحصر الرسمى إلى أكثر من ٢٥ ألف ندوة أسبوعية وحلقة ذكر يتكلم بها الداعى ويسمعه فيها المريدون، وهذا خطاب دينى، كذلك إدارة التوجيه المعنوى بالقوات المسلحة، وقد يكون جديدًا على مسامع البعض معرفة أن الجيش موظف به ٢٨٠ واعظًا -منهم من له رتبة عسكرية، ومنهم من ليس له- لكن وظيفتهم هى الوعظ، ويصدرون مجلة شهرية اسمها المجاهد يقرأها جنود وضباط مصر وتوزع عليهم، وقد تكون بخصم مقابلها من المرتب ولها مسابقات، كذلك شعبة التعليم الدينى بالمجالس القومية المتخصصة، والتى لها أكثر من تقرير سنوى يصدر. وهذه بعض المؤسسات التى غفل البحث عن حصرها كخريطة، لكن أن ينتهى الأمر إلى الأزهر، وينتهى الأزهر إلى مجرد مجلة، وتنتهى المجلة إلى مقالة افتتاحية، فأنا أظن أنه ابتسار للموضوع، واختزال كما لوكان انتقاء.

النقطة الثانية: حول المؤسسة الوحيدة التى عرضت وهى الأزهر، فقد تفضل البحث وذكر أن الأزهر له ثلاث مؤسسات: المجلس الأعلى للأزهر؛ -وهذه مؤسسة إدارية مثل شئون العاملين- ومجمع البحوث الإسلامية، والجامعة. واختار البحث عينته من مجلة الأزهر كما لو كانت هى الصوت الوحيد، أو الخطاب الدينى الوحيد الذى يصدر فانتقت منه المقالة الافتتاحية. أما مجمع البحوث الإسلامية: فهو مؤسسة تحل محل كبار العلماء، وهى مؤسسة موجودة منذ عام ١٩٦١م وحتى اليوم، ولها مؤتمر سنوى باعتراف العالم الإسلامى كله أيًّا كان رضاؤنا أو تقييمنا له، وهو مجمع الاجتهاد العالمى الذى يصدر كل عام فى مؤتمره عن آخر فتواه وله مطبوعاته السنوية التى تكاد تكون بحوثًا أو دراسات محكمة، وهذا خطاب دينى عالمى؛ لأن المجمع ثُلثُا أعضائه من مصر، والثلث الأخير من خارج مصر، ولهم اجتهاداتهم وبحوثهم، ولهم أعمال مشهورة وموجودة.

ما نَسِيَهُ البحث أيضًا، هو أن المجمع لديه شىء غير موجود فى الخطاب الدينى فى مصر كلها، أى أن له سمة خاصة به.. أسعدُ بالانتماء إليها، ولعل الدكتور أحمد كذلك يفاجأ بذلك؛ حيث يتبع مجمع البحوث جهاز اسمه جهاز الدعوة والإرشاد، وله سمةٌ خاصة فى أن الأزهر لا يتبع الحكم المحلى، وبالتالى لا يملك المحافظ أو وزير الأوقاف ولا رئيس الجمهورية أن ينقل واعظًا من مكانه، ولا يصنع له خطة عكس أئمة الأوقاف، فإمام الأوقاف يمكن أن يُنْقَلْ ويتم

منعه، إنما وعَّاظ الأزهر لا يمكن نقلهم إلا بقرار من شيخ الأزهر، وعدد الوعاظ يصل إلى ٢٦٠٠ واعظ، والواعظ يقدم ستة دروس أسبوعيًّا خلاف خطبة الجمعة. كذلك الأمانة العامة للتأليف والترجمة والنشر وهى صاحبة الإشكالية التى نعانى منها جميعًا، وهى أظهر من أن تنكر، وهذا كذلك يعتبر خطاب دينى يجيز أو يمنع الكتب لتأخذ النيابة قرارها فى هذا الأمر. يضاف إلى ذلك مدينة البعوث الإسلامية، والتى تحتوى مائة جنسية تدرس الخطاب الدينى، ومجلة الأزهر وهى التى اختارها البحث، وهناك أيضًا جريدة صوت الأزهر الأسبوعية، ولجنة الفتوى؛ التى شرفتُ بالعمل فيها لمدة ثلاث سنوات، والتى لها خطاب دينى أنا أعتبره لونًا من ألوان إدارة الأزمات؛ لأنه يوميًّا يتم تلقى أكثر من ٤٠٠ استفسار، إما كتابى أو شفوى أو تليفونى. وهذه كلها خطابات دينية لابد أن يرصدها البحث.

أما جامعة الأزهر فلم ينلها إلا ذكر اسمها مع أنها صانعة خطاب.

ومصر بها سفارة للكرسى الرسولى -دولة الكنيسة- وفيها سفير، وفيها بطريرك كاثوليكى اسمه اسطافانوس، ولولا أن عمره ثمانون عامًا لكان تم ترشيحه فى الانتخابات الفائتة، وهو أيضًا له خطاب وله منتديات، وله ١٣ مجلة شهرية أبرزها أجنحة النسور، وأنا مشترك فيها، وتأتى إلىَّ باستمرار، وهذا ليس سرًّا والسؤال هو: ألا تعتبر هذه الكنيسة مؤسسة لا تمت للأرثوذكسية ولا إلى البابا شنودة بصلة؟ وعندما زحف هذا المد منذ قرن، تم عمل ما يقال عنه الخط الهمايونى، لماذا؟ لأن الإرادة السياسية رأت أن الكنيسة الأم فى مأزق، حيث يتم عمل كنائس رغم أنفها يقال فيها ما لا يتفق معها، وبالتالى تم تنظيم الأمر، وعلى نفس النسق تجد الإنجيليين، وكنت أود لو أن الدكتور أحمد أضاف ذلك إلى خريطة البحث ثم ينتهى إلى ما ينتهى إليه، فلا حرج على أى نتيجة يصل إليها باحث أمين مؤتمن كأستاذنا الدكتور أحمد زايد.

* تعقيب (٢)

الدكتور محمد السيد سعيد

عدد من الملاحظات على بحث د. أحمد زايد أوجزها فيما يلى:

الملاحظة الأولى: تتعلق ببعض الجوانب المنهجية، حيث أتفقُ مع الشيخ جمال قطب فى أن تعبير خريطة الخطاب الدينى فى مصر غير موفق، فالخريطة هى معنى دال على إحداثيات، فى حين انصرف كل جهد الباحث إلى مضمون الخطاب، والحقيقة أن هذا العنوان حتى لو اقتصر فقط على تعبير الخطاب الدينى، فهو محيط واسع جدًّا -كما أشار الشيخ جمال- إلى درجة أنه يصعب حتى على المؤسسات العملاقة أن تحيط به، وهو أيضًا ليس خطابًا واحدًا كما أشار الدكتور زايد؛ وإنما هو - لو تصورناه نهرًا- نهر تتجمع فيه غدائر كثيرة جدًّا وقنوات عديدة إلى الدرجة التى يصعب فيها حصرها فى بنية واحدة، ومع ذلك كله فلقد استمتعت استمتاعًا كبيرًا بهذه الدراسة، وظنى أنها تعكس طموحًا علميًّا كبيرًا. والبحث يجب أن يتم التعامل معه باعتباره نقطة إشارية على طريق طويل لحقل الخطابات الدينية فى مصر، ولذا أفضل التواضع فى الهدف، وأن يشار إلى قيود الاستنتاجات التى وردت فى البحث، وخاصة أن الدكتور أحمد زايد - مع علمه الغزير - لم يتمكن بحكم الوقت، وبحكم عوامل كثيرة عملية من أن يفى بوعده فى الورقة؛ فقد وعد فى الورقة بأن يدلنا على الأسس المعرفية، فى حين انصرف البحث أساسًا إلى قراءة فيها نوع من الالتقاط الاختيارى لما يسمى فى مجال دراسة الخطاب (الأفكار والمقولات والبيانات والآراء والتوكيدات)، فهو فى الحقيقة صرف جهده كله إلى مضمون العمل، دون أن يتطرق إلى ما وعد به من تركيز على الجوانب المعرفية.

وفيما يتعلق بالاستنتاجات التى قدمها الدكتور أحمد زايد، فهى أيضًا غير منتظمة الشكل؛ حيث كان ينبغى أن يحدد الأبعاد التى تمثل «النول» الذى ننسج عليه أفكارنا أو استنتاجاتنا. ولقد كان ينبغى أن نشد النول أولاً، كى نحدد الآلة التى سوف نستعملها فى دراسة مضمون النصوص التى تعرَّضنا لها، وسوف أبدأ بتعريف بسيط

لهذا «النول»، ففى أى خطاب يجب أن نتساءل: ما هو الأمر المميز فى هذا الخطاب؟ وهذا أمر قد نسى الدكتور زايد أن يشير إليه، فالخطاب ليس مجرد نص، وإنما هو نص دال على حركة؛ أى أنه نص يخدم حركة ويخدم فعلاً تاريخيًّا ما، ومن ثم فإن جوهر الخطاب يمكن بحثه من خلال خمسة أبعاد أساسيه منها: من أنا؟ ولمن أتكلم باعتبار الذات الفاعلة؟ إن تعريف الذات الفاعلة أمر جوهرى فى الخطاب، فالماركسيون يتحدثون عن طليعة الطبقة العاملة باعتبارها الفاعل، فى حين نجد المحافظين يتحدثون عن المؤسسات، والليبراليين يتحدثون عن الفرد الفلسفى وليس الشخص الطبيعى، وإنما الشخص الذى يملك حق الاختيار... وهكذا، إنما فى الخطاب الدينى -أو فى واحد من ضمن الخطابات الدينية- لابد أن نحدد الفعل وأن نلتقط الفاعل، وظنى أن الفاعل فى هذه الدراسة هو مسلم عام أو مسلم غير محدد الملامح، وكان ينبغى أن تحدد ملامحه (مسلم عربى، مسلم شيعى، مسلم سنىٍّ، مسلم مصرى، أو مسلم من طبقة بعينها أو فئة بعينها أو مستوى معين)؛ لأن التقاط ما يقصده صاحب الخطاب يتسنَّى من خلال معرفة من «الأنا»؛ لأن المهم فى «الأنا» أنه فاعل فى التاريخ.

الملاحظة الثانية: تتعلق بتعريف الموضوع، فالموضوع هو مجال متوتر بين الأنا والآخر، وعلينا فى أى بحث أن نحدد مجموعة الفاعلين المشتبكين حول موضوع ما، أى أن هناك عددًا محددًا من الفاعلين يمسكون على موضوع معين وهناك منازعة فيما بينهم، ومن ثم فالنزاع هو موضوع ثالث. والسؤال هو: ما هو جوهر المنازعة والقيم المتنازع عليها؟ وهذا أمر بالغ الأهمية فى الخطاب، فالبعض من الشيوخ -مثلاً- يقول إن الوطن هو جزء من الدين، والبعض الآخر يقول العكس فيرى أن الوطن له قيمة مستقلة عن الدين، وعلى ذلك فالقيم المتنازع عليها أمر بالغ الأهمية.

إن التحدث عن خطاب يقتضى تحديد شدة المنازعة لطبيعة العلاقة، فكل خطاب يتسم بقدر كبير من المحاجاة التى إما أن تكون شديدة التوتر والخصومة المطلقة مع الآخر، أو تجمع بين الذات والآخر وتنشئ على نحو ما مفتاحًا لحل العلاقة ولحل المنازعة. ومن المؤكد أن لكل خطاب وعظًا ونصيحة، والنصيحة ليست موضع الاهتمام فى هذا الصدد، فالخطاب ليس حول التصرفات اليومية، أو حول سلامة المظهر، أو ما

شابه ذلك، لكن موضع الاهتمام هو تحديد وإدراك أن هناك فاعلاً وأن هناك فعلاً يوصى به، وهذا الفعل لابد أن يكون تاريخيًّا، ولا يقصد بالفعل التاريخى تسلسل الأحداث، ولكن تلك الانعطافات الكبيرة التى ينصح بها لتصحيح أو لتحقيق الذات الفاعلة.

وتعد نماذج نقد الخطابات الأخرى جزءًا من المنازعة، حينما يكون الخطاب محتقنا ومتوترًا توترًا كبيرًا؛ فهو ينشغل بمنازعة الآخر ونقده يومًا بيوم. ويمكن فى هذا الصدد التمييز بين الخطاب الراديكالى وهو منازع شديد لا يكاد يوجد إلا فى إطار نفى الخطابات الأخرى، والخطاب الليبرالى وهو يتسم بقدر من التسامح والقبول، والخطاب المحافظ وهو يمزج بين الأمرين كما أنه خطاب دفاعى، أى أنه غالبًا ما يرد على ادعاءات من جانب آخر.. وهكذا. وكنت أفضل هذه البنية للخطاب لكى نتعرف على ما يقال بصورة مقارنة ما بين خطاب وآخر، ونضبط منهجيًّا ما نقوله، لكن كل هذا يتعلق بمضمون ما يقال. والسؤال هو: كيف يمكن اكتشاف مضمون ما يقال؟

إن ما قام به الأستاذ الدكتور أحمد زايد -مع أهميته- يتسم بالافتقار إلى «بوصلة»؛ أى الانضباط العلمى فى كيفية التقاط الفكرة، وبالتالى فما قام به الدكتور زايد هو ما قامت به المدارس الأكاديمية تاريخيًّا، وهو جهد رائع وضخم بذاته ولكنه فهم تأملى لما يقال، على الرغم من وجود منهجيات جديدة معقدة أكثر انضباطًا من الناحية العلمية، ربما يكون أفضلها على الإطلاق منهاجية تحليل طريق الإثبات. وتحليل طريق الإثبات هو الأسلوب الأكثر تقدمًا فى تحليل مناهج الخطاب؛ لأنه يربطنا مباشرة بالقضايا المنهجية؛ إذ يهتم بالمحددات أو الموجهات، وهناك فارق بين المحددات والمضمون، وكان يجب ألا تقع الورقة فيما يقع فيه كثرة من الناطقين بالخطاب الدينى؛ حيث إنها «غير تاريخية» أو غير محددة بتاريخ، وكان لابد من تعيين المحددات التى تم على أساسها اختيار العينة؛ الزمان، المكان، من هؤلاء؟ إلى من ينتمون؟ وإلى أى جيل؟ وأى منطق؟ لكن الشىء الأكثر أهمية فى نقد الخطاب الدينى أو الخطابات المستندة إلى مرجعية دينية هى الجوانب الميتافيزيقية، وأعتقد أنها هى المشكلة الكبرى فى معظم الخطابات الدينية، وأعتقد أننا لو أمسكنا بمدخل للتعامل مع

هذه القضية لأحدثنا وثبة منهجية عملاقة فيما يتعلق بمستوى الخطاب الدينى المصرى، وأقول أولاً إن الخطاب الدينى فيما أراه فى عمومياته - ودون ادعاء بصحة ما أقول - لابد أن يدرس أولاً من ناحية الأفكار أو الموجهات أو المرجعية الكبرى، والتى فيما يبدو لى مؤسسة على فهم نقى وخالص ومطلق للمرجع؛ فالمرجع فى الأغلب هو بالطبع النصوص المقدسة، وداخل النصوص المقدسة هناك فى الخطاب الإسلامى ما يسمى بالإسرائيليات؛ أى أن هناك اختراقًا يستدعى فكرة التنقية، وفى إطار فكرة التنقية يجب البحث عن هذا الكيان النقى الصرف الخالص الذى يصلح كمرجع وهو الحقيقة المطلقة، وغالبًا ما يقع التوحد بين الباحث عن الحقيقة، وبين الحقيقة التى يتحدث عنها، فهو ينطق باسم الله ولا يتواضع ويقول رؤيتى هى كذا وكذا، وإنما يقول: إن هذا هورأى الإسلام.. وإن هذا هو رأى الله. وهذا المحدد غاية فى الأهمية؛ لأنه يسبب مشكلة، ولقد سبَّب تاريخيًّا مشكلة فى الفقه.

كذلك فى إطار المرجعيات، نجد كذلك التحيز للفقه وللمنطق، فالفقه هو أبو المنطق، والمنطق له مكانة كبيرة جدًّا فى الفقه الإسلامى، لكن الفلسفة « منقسمة » وهناك معركة تاريخية لا نزال نشعر بصخبها حتى الآن؛ لأن أغلب الأفكار التى تخرج من منطلق دينى تُقصى الفلسفة -والتصوف أيضًا- وتقتصر على المرجعية الكبرى وهى الفقه.

الملاحظة الثالثة: تتعلق بأنطولوچية(*) الخطاب كما فى فكرة الجنة المفقودة. وهذه الجنة المفقودة هى إلى حد كبير فكرة ذات أصول يهودية باعتبار أن هناك شيئًا صريحًا اسمه أرض الميعاد، أما فى الخطاب الإسلامى.. هناك دائمًا حديث عن عصر ذهبى كان فيه كل شىء على ما يرام وصافيًا وإذا بنا فجأة نفقده، ولكن هذا الفقدان لا

(*) «الأنطولوچية هى مبحث فى الأمور العامة، والأمور العامة: هى ما لا يختص بقسم من أقسام الموجود التى هى: الواجب والجوهر والعرض، بل تقال على الموجود من حيث هو كذلك فتعم جميع الموجودات، فهى قسم من أقسام ما بعد الطبيعة، وفى الفلسفة المعاصرة موضوع الأنطولوچية الأشياء بالذات فى مقابل الميتافيزيقا النقدية، وفحواها أن الفكر حاصل بذاته على شرائط المعرفة، وأن الأشياء تدور حوله لكى تصير موضوع إدراك وعلم ولا يدور هو حولها"، أنظر يوسف كرم وآخرون، المعجم الفلسفى، القاهرة، د. ن، ١٩٦٦.

يحدد بتاريخ أو حدث أو واقعة بعينها، وبالتالى هناك شوق للاستعادة؛ لاستعادة هذه الجنة المفقودة ولاستعادة لحظة المجد.

ومن الأفكار الأنطولوچية المهمة أيضًا فى الخطاب الدينى، نجد فكرة العلاقة ما بين المرجع والمفسر، وهناك توتر « مذهل » فى هذه القضية، ولو شئنا تلخيص القضية برمتها سنجدها هنا، ولكن مع ذلك يبدوالطابع المحافظ فى أغلب الخطابات الدينية أسيرًا للفكرة التى ألح عليها الشيخ الشعراوى؛ وهى أن صانع الآلة يعرف سرها فى حين أن الآلة لا تعرف سر نفسها، أى أنها هى لا تستطيع أن تقول شيئًا بذاتها أو تنشئ قاعدة بذاتها؛ لأنها هى ذاتها لا تعرف سرها إنما يعرفها خالقها، وبالتالى؛ فإن موقع الإنسان من الله هو موقع الآلة من الإنسان؛ أى أنها بحاجة إلى الإصلاح وفقط يصلحها من أنشأها، فالآلة لا تقول شيئًا ولا يجب أن تقول شيئًا، وهذا افتراض جوهرى فى الخطاب؛ ولذلك فإن فكرة المعرفة فى الخطاب، أو فكرة القالب الأساسى للخطاب الدينى هو رأى الشرع.

ومن ناحية المنطق: فإن المتحدث بالخطاب الدينى يستخدم منطق الاستنباط - فقط- الذى لا يتقدم إلا نادرًا لكى يحدث أثرًا، أى أنه يستخدم جانبًا من جوانب المنطق وليس جميعها، أى أن هناك مرجعًا هائلاً كبيرًا يمتلك إجابة عن كل شىء فى الحياة مهما تغير الزمان والمكان، وكل المطلوب هو إنزال النص المسلم به على حدث معين لأعرف رأى الشرع أو الدين أو الإسلام وليس رأى الشخص فى هذه القضية، وذلك أيضًا من المشاكل الكبيرة.

obeikan.com

٦- تجديد الخطاب الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم

د. فوزى خليل

مقدمة:

لامرية فى أن العالم الذى نعيش فيه اليوم يشهد كثيرًا من المتغيرات المتسارعة فى شتى الاتجاهات؛ من أهمها تلك الثورة التكنولوچية فى وسائل الاتصال الفضائى والإلكترونى، التى أزالت المسافات والحواجز بكافة أشكالها بين شعوب الأرض، وحضاراته، ومذاهبه وأفكاره، وصار التدفق الإعلامى والمعلوماتى، بما يحمله من مذاهب وتيارات فكرية، هو السمة المميزة لعالم اليوم. وصار الفرد فى كل مكان على هذه البسيطة يتعرض لتيارات ومذاهب هائلة من كل حدب وصوب. وأصبحت الخصوصيات الفكرية، والمذهبية، والحضارية مهددة بالاختراق والذوبان، ما لم تملك قوة التماسك، والقدرة على التصدى والثبات فى مواجهة التيارات الفكرية والمذاهب الوافدة.

ويقع الإسلام والمسلمون فى قلب هذا اليم المتلاطم الأمواج، حيث يتعرض الإسلام لحملات تشويه « مسعورة » فى وسائل الإعلام الغربية صباح مساء، فى الوقت الذى يعانى فيه من قصور فهم أبنائه لمفاهيمه المستقيمة وحقائقه الصحيحة، حتى بات هذا القصور هو الوقود الذى يغذى حملات الإساءة للإسلام، هذا فضلاً عن الفجوة فى الواقع بين حال المسلمين وسلوكهم فى الحياة من جانب، ومراد الإسلام ومطلوب خطاب الله من المكلفين من جانب آخر.

وعلى هذا؛ فإن الأزمة التى يواجهها المسلمون -فى خصوص إسلامهم- تتثمثل فى مدى وعيهم بالواقع الذى يحيط بهم من حولهم فى العالم، وإدراكهم الصحيح للواقع الذى هم عليه، من خلال العلوم المختلفة لهذا الواقع، ومن جانب آخر، فى مدى فهمهم المستقيم لحقائق هذا الدين، ثم مدى امتثالهم لهذه الحقائق فى حياتهم العامة والخاصة، ومن هذا المنطلق يكون قيامهم بمهمة البلاغ المبين لحقائق هذا الدين إلى الناس أجمعين.

وهنا تبدو أهمية مراجعة الخطاب الإسلامى فى الدعوة والإعلام، بشكل عام، حتى يرتفع المسلمون بخطابهم إلى مستوى التحديات التى تواجه هذا الخطاب، وحتى يكونوا على مستوى عصرهم ومطلوب إسلامهم.

فى هذا السياق تأتى أهمية البحث فى تجديد الخطاب فى شبكة القرآن الكريم، وخاصة إذا أدركنا حجم التأثير المتوقع من هذا الخطاب، الذى يدل عليه مدى الانتشار الذى يلقاه بين جمهور المتلقين، فقد أثبتت إحدى الدراسات التى أجريت على عينة من شباب الجامعات بهدف الوقوف على دور شبكة القرآن الكريم فى التثقيف الدينى للشباب الجامعى، أثبتت أن هذه الشبكة تحتل المرتبة الثانية بين مصادر التثقيف الإسلامى، بعد الكتب الدينية، فى حين تحتل خطبة الجمعة المرتبة الثالثة بين تلك المصادر، وتليها فى المرتبة الرابعة البرامج الدينية بالتليفزيون، وفى حين وردت الصحف والمجلات فى الترتيب الخامس بين مصادر التثقيف الإسلامى لشباب الجامعات(١).

وهناك دراسة ميدانية أخرى استهدفت قياس حجم الاستماع إلى الإذاعة بصفة عامة ولبرامج ومواد شبكة القرآن الكريم بصفة خاصة، انتهت إلى أن نسبة من يستمعون لمواد هذه الشبكة من بين عينة مستمعى الإذاعة بصفة عامة بلغت ٨٤,٦ ٪ (٢).

وهذا مؤشر على أهمية الوقوف أمام الخطاب الصادر من شبكة القرآن الكريم لبحث مؤشرات التجديد فى مضمونه وشكله، ومدى فاعليته فى التعبير عن المشاكل والظواهر التى توجد فى واقع المستمعين، وقدرته على المساهمة فى تقديم الحلول الإسلامية لهذه المشاكل، ثم مدى قدرته على تحقيق الإفهام المبين لمفاهيم وحقائق هذا الدين، وخلق الوعى بمرامى وأهداف الخطاب الإسلامى من قبل المسلمين المخاطبين بخطاب التكليف الإلهى، ومدى قدرة هذا الخطاب الإسلامى الصادر من شبكة القرآن الكريم على تمثيل المصالح الشرعية التى قصد الإسلام إلى تحقيقها فى حياة الناس وواقعهم المعيش.

وهذا يتطلب بناء مفاهيميًّا لمفهوم الخطاب عمومًا، والمقصود بالخطاب الدينى خصوصًا، ثم ماذا يعنى مفهوم التجديد فى الخطاب الدينى، الذى يعتبر علمًا على فاعلية هذا الخطاب.

ويشار إلى أن الخطاب الصادر من شبكة القرآن الكريم، هو فى الأساس خطاب دينى، ومن ثم كانت صياغة عنوان البحث «التجديد فى الخطاب الإذاعى لشبكة القرآن الكريم» باعتبار أن هذه الشبكة لا تحتوى على خطابات أخرى، كما فى شبكة صوت العرب أو شبكة البرنامج العام، على سبيل المثال، حيث تحتوى الرسالة الإعلامية للشبكتين الأخيرتين، على أنواع أخرى من الخطاب، جنبًا إلى جنب، مع الخطاب الدينى، حيث نجد فى كل منهما خطابًا سياسيًّا، وخطابًا ثقافيًّا، وخطابًا فنيا..إلخ، الأمر الذى يقتضى التمييز فى نوعيته،

بتحديد مجال الخطاب فى حالة بحث أى من هذه الأنواع -بخلاف ما عليه الحال فى شبكة القرآن الكريم- التى تعد معلمًا وعلمًا على الخطاب الصادر منها فى كونه خطابًا دينيًّا.

الضوابط المنهجية: من الصعوبات التى يواجهها مثل هذا البحث عدم انتمائه إلى حقل علمى مستقل، ووقوعه فى منطقة التخوم بين علم الاتصال من الناحية الآلية، وبين العلوم الإسلامية من ناحية المضمون والغاية والمفاهيم التى يطرحها البحث، وهذا يفرض منهجية معينة فى بناء المفاهيم والمصادر التى يرجع إليها البحث فى هذا الصدد، وبالطبع؛ فإن هذا التنازع الحقلى للبحث يستصحبه صعوبة تتعلق بالاختيار المنهجى لإجراء البحث، ومن ثم فإن البحث يختط مجموعة من الضوابط المنهجية، التى ترتكز على عدد من المفاهيم أو المقولات المنبثقة من المنهج البنائى-الوظيفى، وخاصة مقولتى البناء والوظيفة.

البناء: يتمثل فى الهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم الذى يصنع الخطاب الإذاعى، ويصدر هذا الخطاب متأثرًا فى فاعليته سلبًا أو إيجابًا بمتغيرات تلك البنية، بدء من التقسيمات الإدارية الفرعية لهذا البناء وتأثيرها على صنع الخطاب الإذاعى، ثم العناصر البشرية القائمة على إنتاج هذا الخطاب ومدى كفاءتها فى هذا الإنتاج، ثم الآليات المتعلقة بضبط عملية إنتاج الخطاب فى مراحلها المتعددة.

الوظيفة: وهى الأنشطة التى يناط بها تحقيق أهداف الخطاب المقصودة لذاتها، ومن ثم فإن الخطاب الإذاعى يتأثر بطبيعة هذه الوظائف، وطريقة أدائها، والأهداف المقصودة لذاتها التى تمثل معيارًا للإنجاز، ولقدرة الخطاب على تحقيق الفاعلية فى التناول الإعلامى لمطالب وقضايا الواقع.

مدخلات البناء: وتتمثل فى المستهدف المطلوب تحقيقه من الخطاب الإذاعى، وله مستويان: المستوى المعيارى النظرى الذى يهدف البحث إلى إرسائه، والمستوى الميدانى فى الواقع المتمثل فى القضايا الواقعية المطروحة، والتى يجب على الخطاب الإذاعى أن يعالجها فى ضوء المستوى المعيارى، فى شكل برامج إذاعية.

مخرجات البناء: وتتمثل فى الرسالة الإعلامية لشبكة القرآن الكريم بعنصريها: القرآن المرتل والمجود، والبرامج المختلفة التى تكشف عن الخطاب الإذاعى وتعبر عنه، ويكمن فى محتواها خصائص الخطاب من ناحية التجديد ومداه.

فى ضوء هذه الضوابط أو المقولات المنهجية، يحاول البحث أن يصل إلى إجابات عن التساؤلات المطروحة سابقًا، فى إطار أربعة مباحث: يعنى أولها بوضع إطار المفاهيم التى يرتكز عليها البحث، ويحدد المصطلحات المستخدمة فيه، حيث يبين مفهوم الخطاب بشكل عام، والمقصود بالخطاب الدينى بشكل خاص، ثم مفهوم التجديد فى الخطاب الدينى. **المبحث الثانى** يعالج أهداف شبكة القرآن الكريم التى يعمل على تحقيقها الخطاب الإذاعى، ومدى قدرة هذه الأهداف على التعبير عن التطور الذى حدث فى مضمون الرسالة الإعلامية لشبكة القرآن الكريم فى الواقع، ثم إطار الأهداف المنشودة من خطاب هذه الشبكة فى ضوء الفكر الإسلامى الذى يشكل مضمون هذا الخطاب. **المبحث الثالث** يحاول النظر إلى برامج شبكة القرآن الكريم من زوايا مختلفة لاكتشاف مؤشرات التجديد فى الخطاب الإذاعى لهذه البرامج. ويعنى **المبحث الرابع** ببحث البنية الإذاعية لشبكة القرآن الكريم وأثرها فى تجديد الخطاب الإذاعى.

أولاً: تجديد الخطاب الدينى: إطار المفاهيم وتحديد المصطلحات:

إن دراسة قضية «تجديد الخطاب» فى مضمون الرسالة الإعلامية لشبكة القرآن الكريم، تقتضى -ابتداء- الإجابة عن عدة تساؤلات، مقصدها تحديد المصطلحات، وبناء إطار المفاهيم التى ينطلق منها البحث، وهى: ما معنى الخطاب؟ وما المقصود بالخطاب الدينى المراد تجديده؟ وما أنواعه؟ وما الصدأ الذى يعلوه ويراد جلاؤه؟ وما مفهوم التجديد لهذا الخطاب؟ وما أبعاده؟

معنى الخطاب الدينى وعلاقته بالرسالة الإعلامية لشبكة القرآن الكريم

الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام. وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا: كالمه وحادثه، ووجه إليه كلامًا، ويقال: خاطبه فى الأمر: حدثه بشأنه. والخطبة اسم للكلام الذى يتكلم به الخطيب(٣). والخطاب ليس مجرد الكلام الذى يفهم المستمع منه شيئًا، بل هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه، فالخطاب -إذن- كلام مركب تركيبًا يحصل من نظمه وسياقه معنى مفيد(٤).

يتضح من هذا أن الخطاب شقان: مبنى ومعنى؛ فأما المبنى: فهو الألفاظ والتراكيب التى

منها يتكون السياق أو النظم، إنه لغة الخطاب. أما المعنى: فهو عبارة عن المدركات، والقضايا، والمسائل، والآراء، والمفاهيم التى يحملها مبنى الخطاب أو لغته؛ إذ اللغة أوعية الفكر، وأقنية التواصل الإنسانى. هذا هو معنى الخطاب بشكل عام، حيث تتعدد أنواعه بحسب مجالاته، فنجد الخطاب السياسى، والخطاب الأدبى، والخطاب الثقافى... إلخ من الأنواع المتباينة للخطاب.

وحين يوصف الخطاب بكونه خطابًا دينيًّا، فهو وصف بحسب المجال، ويقصد به الخطاب الصادر من علماء الدين؛ فقهاء ودعاة ومفتين، إلى جماهير المسلمين أو غير المسلمين، ويتعلق بعلوم الوحى ومعارفه فى معالجتها لأحوال الناس وواقعهم المعيش، وفق الرؤية الإسلامية الكلية للكون والحياة، وموقع الإنسان فى هذا الوجود، ووظيفته وغايته. وبهذا فإن الخطاب الدينى يتكون من مكونين رئيسين، هما فى حقيقة الأمر مصدران لهذا الخطاب:

المكون الأول: علوم الوحى ومعارفه، وتتعلق بعالم النظر المجرد، المستقى من تدبر مجموع نصوص الوحى: قرآن وسنَّة، وهى المصادر الأصلية لهذه العلوم وتلك المعارف بالإضافة إلى ناتج المصادر الفرعية الأخرى للشريعة الإسلامية، وهذا المكون من مكونى الخطاب الدينى يشتمل على مفردات عديدة منها[٥]:

١- المبادئ العامة: تشتمل نصوص القرآن ومثلها نصوص السُّنة على كثير مما يمكن أن يطلق عليها «المبادئ العامة»، والمبدأ يكاد يكون قاعدة أو مقصدًا ينبغى أن يحقق فى الواقع مثل قوله (تعالى): ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[سورة الأنعام: آيه ١٦٤]، فهذا مبدأ عام يصلح فى الاجتماع البشرى، وفى التربية، وفى أنواع من العلاقات فى مجال السياسة أو الاقتصاد والقانون، ومثله «ولكم فى القصاص حياة».

٢- الأحكام الفقهية: وهى وصف الأفعال الصادرة من المكلفين، من ناحية طلب الشارع لفعلها أو تركها أو التخيير بين الفعل والترك، وهى خمسة أوصاف: الواجب، والمحرم، والمندوب، والمكروه، والمباح[٦]، وهذا موضوع علم الفقه. ومثل الحكم الفقهى فى القرآن: «أقم الصلاة».. «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة..»، وهنا ينبغى التمييز بين الأحكام الفقهية بهذا المعنى، والمبادئ العامة، حيث إن المبدأ وإن حمل حكمًا خفيًا بمنع الظلم -كما سبق- إلا أن المبدأ ليس حكمًا.

٣- السنن والنواميس: المقصود بها، باعتبارها من نسيج ومفردات الخطاب الدينى، ما

بينه الله للإنسانية من طرق واتجاهات الأمم السابقة، التى جعلها الله قوانين ثابتة فى البشر والوجود كله دون أن تتغير هذه القوانين أو تتبدل: كما قال (تعالى): ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ ﴾[٧]، والواقع أن السنن الإلهية فى كتاب الله يمكن أن تقسم إلى سُنن كونية تتعلق بالكون، وسُنن نفسية تتعلق بالنفس البشرية، وسُنن اجتماعية تتعلق بالاجتماع البشرى، وسنن تاريخية تتعلق بحركة الزمان.. إلخ، ومن أمثلة تلك السنن والنواميس التى وردت فى القرآن فى قوله (تعالى): ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴾[٨]، وقوله: ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾[٩]، وقوله (تعالى): ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾[١٠].

ويهدف القرآن الكريم من إيراد هذه السنن والنواميس، والتأكيد على ثباتها ودىمومتها إلى أن يحولها إلى دافع حركى يفرض على الجماعة المؤمنة أن تتجاوز مواقع الخطأ التى قادت الجماعات البشرية السابقة إلى الدمار، وأن تحسن التعامل مع قوى الكون، والطبيعة مستمدة التعاليم والقيم من حركة التاريخ نفسه[١١].

٤- **مقاصد الشريعة الإسلامية:** فالشريعة الإسلامية المعصومة ليست تكاليفها موضوعة - حيثما اتفق - لمجرد إدخال الناس تحت سلطة الدين، بل وضعت لتحقيق مقاصد الشارع فى قيام مصالحهم فى الدين والدنيا معًا، وروعى فى كل حكم منها إما حفظ شىء من الضروريات الخمسة (الدين والنفس والعقل والنسل والمال) التى هى أسس العمران المرعية فى كل ملة، والتى لولاها لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة فى الآخرة، وإما حفظ شىء من الحاجيات كأنواع المعاملات، التى لولا ورودها على الضروريات لوقع الناس فى الضيق والحرج؛ وإما حفظ شىء من التحسينيات، التى ترجع إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات... ولا يخلو باب من أبواب الفقه؛ عبادات ومعاملات وجنايات وغيرها من رعاية هذه المصالح وتحقيق هذه المقاصد، التى لم توضع الأحكام إلا لتحقيقها[١٢].

هذه المقاصد أمور كلية، ومكونات أساسية فى معارف الوحى وعلومه، ويدور حولها الخطاب الدينى، وهى مظلة لهذه العلوم، كما تعد بمثابة النظام العام -ليس فقط عند المسلمين بل للعالمين-، والخروج عليها يقوض النظام العام والآداب العامة، ولذلك يحكم على من يستهين بهذه الكليات؛ بأنه خارج عن الإسلام الذى جاء به النبى ﷺ، لأنه رأى بهواه وشهوته وعوائده

وتقاليده، أن حفظ النفس مثلاً ليس من الضروريات فيستهين بها ويعتدى عليها بالإيذاء المادى أو المعنوى، أو أن يستحل أموال الآخرين وأملاكهم بغير حق، وأن حفظ هذه الأموال والأملاك ليس من الضروريات، ومن ثم فإن مثل هذا يكون قد خرج عن الجادة، وليس مكونات عقله وثقافته وخطابه كمثل عقل المسلمين وثقافتهم وخطابهم(١٣).

٥- **القواعد الفقهية:** هى تلك القضايا الكلية التى تندرج تحتها مجموعة من الأحكام الشرعية المتشابهة تشابها يجعلها مندرجة تحت تلك القضايا الكلية، وعرفها بعضهم: بأنها الحكم الأغلبى يتعرف منه حكم الجزئيات الفقهية مباشرة.

وهذه القواعد على أنواع: منها قواعد هى ذاتها نصوص من القرآن والسُّنة أو مستمدة منها مباشرة، مثل: «المشقة تجلب التيسير» مستمدة من قوله (تعالى): ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾(١٤)، ومثل: «إنما الأعمال بالنيات» حديث شريف، وهناك قواعد فقهية لم تستنبط من القرآن والسُّنة، بل استنبطت من استقراء الأحكام الفرعية صعودًا بها إلى القاعدة الفقهية العامة التى تحكمها(١٥).

والقواعد الفقهية مؤشر إلى نوع من الفكر المستقيم والانضباط الذى يتصف به الفكر الإسلامى فى أسسه، كما أن هذه القواعد فى طبيعتها كليات مجردة تجاوزت فى تجردها الزمان والمكان والأشخاص والأحوال.

٦- **القيم الأخلاقية:** وهى تكون النسق الأخلاقى للشخصية المسلمة الذى يهدف الإسلام إلى ترسيخه فى المجتمع، هذا النسق للقيم الأخلاقية مقصد رئيس من مقاصد بعث رسول الله ﷺ، قال (تعالى): ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(١٦)، فتزكية الأنفس وتطهيرها بالإيمان، وتعليم المؤمنين القرآن والحكمة -أى السنة- من المهام الجليلة للرسول ﷺ، وما يتم ذلك إلا بتعليمهم القيم الأخلاقية، وتربية نفوسهم عليها، وهذا ما بينه قول رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١٧).

وقد نبه الراغب الأصفهانى إلى الفرق بين أحكام الشريعة التى تتعلق بالأوامر والنواهى فى «إفعل ولا تفعل» وهى الأحكام التكليفية التى يهتم بها الفقهاء، وبين مكارم الشريعة التى يهتم بها الحكماء، أما مكارم الشريعة، فمبدؤها : طهارة النفس بالتعلم، واستعمال العفة

والصبر والعدالة، ونهايتها: التخصص بالحكمة والجود والحلم والإحسان، فبالتعلم يتوصل إلى الحكمة، وباستعمال العفة: يتوصل إلى الجود، وباستعمال الصبر: تدرك الشجاعة والحلم، وباستعمال العدالة، تصحح الأفعال، ومن حصل له ذلك: فقد تذرع المكرمة المعنية بقوله (تعالى): ﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[١٨]، وصلح لخلافة الله (تعالى)، وصار من الربانيين والشهداء والصادقين[١٩].

٧- **حقائق إيمانية ومعارف إنسانية:** من المفردات التى يدور حولها الخطاب الدينى، وتكوِّن نسيجه وخلاياه، ولحمته وسداه، الحقائق الإيمانية التى تتعلق بعالم الغيب، وهو العالم غير المنظور لنا، والذى لا تدركه حواسنا مما لا يعرف إلا بالوحى، وهذه الحقائق تتعلق بالله وصفاته، وأفعاله، والملائكة، والجن، والعرش، والكرسى، واللوح، والقلم، والروح، والحياة البرزخية، والحشر، والصراط، وتفاصيل أشراط الساعة وآخر الزمان، والجنة والنار، وأوصاف كل منهما.. إلخ.

ومن المعارف الإنسانية التى تدخل فى مكونات الخطاب الدينى أخبار عن وقائع ماضية عن بدء الخلق وعن الرسل والأنبياء، مما لا يدخل فى دائرة التاريخ العادى وأدواته، ولا يعرف إلا عن طريق الوحى، وهناك معارف إنسانية يزخر بها القرآن الكريم والسُّنة المطهرة، مما سبقت الإشارة إليه من السنن الاجتماعية والنواميس الكونية، والعبر المستفادة من قصص وأحوال الأمم السابقة، وكذلك ما يتعلق بأصول الحكم وقواعد السياسة الإسلامية مما اشتهر بالسياسة الشرعية، وأصول المعاملات الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية.

هذه بعض المفردات التى تدخل فى نسيج الخطاب الدينى، وتُسْتَقَى من نصوص القرآن والسُّنة، والمصادر الفرعية الأخرى للشريعة الإسلامية.

المكون الثانى للخطاب الدينى: الواقع بعوالمه المتباينة، والعلاقات البينية لهذه العوالم، فالعرى وثيقة بين الواقع المعيش وبين الخطاب الدينى، وإذا انفك الأخير عن الأول أو غاب عنه، فقد الخطاب هدفه ومقصوده، وصار لغوًا لا جدوى منه، ولا فائدة من ورائه، وإن شئت فقل إذا انفلت الواقع عن الخطاب الدينى، أو غُيِّب عنه بفعل فاعل، فقد الواقع شرعيته، وحينئذ أُفقدت النصوص الحكمة من تنزيلها؛ لأنها ما نزلت إلا لمصلحة العباد بضبط واقعهم حسب مقصود الشارع.

المقصود بالواقع، إجمالاً، هو الحال الذى عليه الناس بكل ما فيه من خير وشر، ونفع وضر، وإيجابيات وسلبيات، هذا الواقع هو محل الدعوة الإسلامية، وموضوع خطابها، وإصلاح هذا الواقع ومصلحته مقصد هذا الخطاب، ولن يتم تحقيق تقويم هذا الواقع وإصلاحه، وتثقيفه بشرع الله، إلا باندماج صاحب الخطاب (أو صانعه) فى المجتمع، والانخراط فيه، ودراسة المشاكل والظواهر الاجتماعية التى توجد فى المجتمع، ومعرفة أسبابها، وتحليل مظاهرها، والوقوف على أبعادها. وهذا لون من الوعى والفهم يسمى «فقه الواقع» الذى ينبغى أن يدخل فى اعتبار صاحب الخطاب الدينى أو صانعه، وهو يخاطب جمهوره ومتلقى خطابه، حتى يؤتى خطابه الثمرة المرجوة، والمقصودة من ورائه، وهو إصلاح شأن المخاطَبين، وتغيير واقعهم وفق رؤية الشارع، ومقاصده فيهم.

وما ينبغى التأكيد عليه، هنا، أن المقصود بالواقع، هو الواقع الاجتماعى بأوسع معانيه، وهو ما يوازى عالم نصوص الوحى بموضوعاته الشاملة لنواحى الحياة الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية، والنفسية، والتربوية؛ بل والعلمية، وبصياغة أخرى: فإن أبعاد وعناصر الواقع الذى يدخل فى نسيج ومكونات الخطاب الدينى، تشمل عالم الزمان، وعالم المكان، وعالم الأشياء، وعالم الأشخاص، وعالم الأحداث والظواهر، وعالم الأفكار التى تموج فى الواقع من مذاهب وفلسفات وآراء، وعالم النظم والمؤسسات ووظائفها وغاياتها. وهذا يفتح الباب واسعًا للاستفادة من معطيات العلوم الإنسانية والعلمية، من مناهج وآليات بحثية، وأدوات تحليلية، وأطر فكرية ومعرفية بوصفها سبيلاً إلى إدراك الواقع الاجتماعى بمعناه الواسع، والوعى بأبعاده المتباينة التى يتغياها الشارع بخطابه، كما يستهدفها حملة الشريعة من فقهاء ودعاة بخطابهم[٢٠].

لقد ذهب الإمام الشاطبى، من قبل، إلى تقرير أهمية الواقع فى المنظومة المعرفية للشريعة الإسلامية، وفى خطاب حملتها إلى المتلقين عنهم، حيث قال: «إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد فى الآجل والعاجل»، ومعلوم أن ميدان المصالح فى العاجل هو الواقع المعيش بعوالمه المتباينة، كما يرى أن «تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها فى الخلق.. وحفظ مقاصد الشريعة فى الخلق التى هى مصالحهم لا يكون إلا بأمرين: **الأول**: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها (أى فى الواقع) وذلك «عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود. **والثانى**: ما

يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم »، أى حفظها من مصادر التهديد من عالم الأفكار المضادة، والمذاهب الهدامة فى الواقع، سواء فى ذلك المخاطر الواقعة فعلاً أو المتوقعة.. ولقد أشار إلى أن « من مقاصد الشارع فى وضع الشريعة أنها وضعت للتكليف بمقتضاها »[٢١]، وهذا يقتضى المعرفة العميقة بواقع الناس، وأحوالهم، وقدراتهم، وطاقاتهم على القيام بالتكاليف الشرعية.

وبهذا يتبين أن فقه الواقع وثقافته وقضاياه يشكل لحمة الخطاب الدينى وسداه، جنبًا إلى جنب، مع فقه نصوص الوحى الذى يشكل علوم الوحى ومعارفه بمفرداتها السابقة، حيث يتوجه الخطاب إلى الواقع مستهدفًا إصلاح ما فسد من أبعاده، وتقويم ما اعْوجَّ من عوده، ومد مظلة الشريعة إلى ما جد من فروعه.

وإذا كان ما سبق هو مفهوم وجوهر الخطاب الدينى بمكوناته ومفرداته؛ فإن هذا الخطاب يشكل مضمون الرسالة الإعلامية لبرامج شبكة القرآن الكريم؛ إذ تعد البرامج أحد عناصر مضمون الرسالة الإعلامية ككل، وتصل نسبتها إلى ٣٢ ٪ من عدد ساعات الإرسال، أما النسبة المتبقية وتصل إلى ٦٨ ٪ فتتوزع على التلاوات القرآنية المجودة والمرتلة[٢٢].

ولا شك أن البحث يركز فى تحليله تجديد الخطاب الدينى على ما تتضمنه البرامج من مواد إذاعية، هى فى جوهرها خطاب دينى مكون من المفردات السابقة، توجهه شبكة القرآن الكريم لجماهير مستمعيها من خلال نخبة من المتحدثين من أساتذة جامعة الأزهر الشريف، وأقسام الدراسات الإسلامية فى الجامعات الأخرى، كل فى مجال تخصصه العلمى، وذلك فى أشكال وقوالب إذاعية متباينة.

أنواع الخطاب الدينى وتياراته الفكرية:

الناظر إلى ساحة الدعوة والفكر الإسلامى يجد للخطاب الدينى أنواعًا أو ألوانًا متعددة تنتمى فى خصائصها إلى أحد التيارات المعاصرة للفكر الإسلامى المتعددة هى الأخرى، فما هذه التيارات وما ألوان الخطاب الدينى التى تنتمى إليها؟

باستعراض واقع الفكر الإسلامى المعاصر، يمكن للمرء أن يميز بين تيارات ثلاثة تختلف فى خصائصها من جهة موقفها من التجديد، هذه التيارات تتلخص فى الآتى:

١- تيار الجمود والتقليد: يميل هذا التيار الفكرى إلى المحافظة الشديدة، ويخاف على الإسلام أشد الخوف من أن تضيع معالمه، وتهتز ثوابته بسبب نزوع فريق من علماء المسلمين وفقهائهم إلى التجديد، وإدخالهم على ثقافة المسلمين وشريعتهم أمورًا لم يكن يعرفها أهل القرن الأول للإسلام، ولذلك يصف البعض هذا التيار بتيار الجمود على الموجود والتقليد لتراثنا الفكرى، ومن أهم خصائص[٢٣] هذا التيار:

أ- الوقوف الحرفى عند ظواهر نصوص القرآن والسُّنـَّة، واعتبار ذلك من علامات الاتـِّباع المحمود الذى يقابل الابتداع المذموم، والتوقف عن البحث فى المقاصد العامة للتشريع والمصالح الكلية التى من أجلها نزلت الشرائع، وأولويات هذه المصالح وفقًا للقواعد الفقهية المستنبطة فى هذا الميدان، وارتباط ذلك بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال.

ب- استبعاد النظر العقلى فى حكم وأسرار وعلل الأحكام التى جاءت بها نصوص القرآن والسُّنـَّة مع إهمال فقه الواقع المتغير، الذى يتطلب -فى الفروع- أحكامًا جديدة، تواكب المتغيرات وتستجيب للمصالح الشرعية المعتبرة التى تفرزها هذه المتغيرات[٢٤]. ولذلك يغلب على هذا التيار إساءة الظن بكل مذهب أو رأى أو اجتهاد يدعو إلى استخدام العقل والتعويل عليه فى استنباط الأحكام الفقهية، وتقرير الأمور الدينية.. واعتبار هذا تهديدًا لقدسية الشريعة، ومدخلاً لتحكيم الهوى.

جـ- المبالغة فى رفض كل فكرة وافدة، والحذر الشديد من الأخذ بشىء مما عليه أتباع الحضارات الأخرى، والانحصار بذلك فى الانكفاء على الماضى، اعتقادًا بأن غير المسلمين متآمرون أبدًا على الإسلام والمسلمين.

وبالطبع؛ فإن من شأن هذه الخصائص أن تؤدى إلى انكماش التفاعل الحضارى الإسلامى، وتراجع شأن المسلمين، وتلزم المؤمنين بما لم يلزمهم به الله، وتملأ حياة المسلمين عسرًا وحرجًا وحيرة، وهى أمور تنافى ثوابت كبرى من ثوابت المنهج الإسلامى السليم الذى تشهد له نصوص قطعية فى كتاب الله وسُنـَّة رسوله.

٢- تيار التغريب والحداثة الغربية: وينطلق هذا التيار من المرجعية الفلسفية للحضارة الغربية، معتمدا مناهج النظر الوضعية - العلمانية، وأحيانـًا المادية التى تعاملت بها تلك الحضارة مع الدين وعوالمه؛ علومه ومعارفه، فنظرت إلى الدين ومواريثه باعتبارها فكرًا غير

علمى، عبر عن مرحلة من مراحل تطور « العقل الإنسانى » التى تمثلت فى مرحلة طفولة هذا العقل، التى تلتها ونسختها « رحلة الميتافيزيقا، التى تلتها هى الأخرى ونسختها المرحلة الوضعية، التى جعلت الكون المادى والواقع الدنيوى فقط، وليس الغيب، هو مصدر المعرفة الحقة، والعلم الحقيقى، كما جعلت العقل والتجربة وحدهما، دون النقل والوجدان، الطرق المعتمدة والمأمونة لتحصيل هذه المعرفة. فكانت القطيعة المعرفية مع الموروث الدينى، تلك التى تميزت بها ثقافة الحداثة الغربية والحداثة الثقافية، عندما عزلت علمانيتها السماء عن الأرض بدعوى أن العالم مكتف بذاته، وأن الإنسان مكتف بذاته، وأن تدبير هذه الحياة الدنيا إنما يتم بالأسباب المادية، والملكات الإنسانية المودعة فى ظواهرها وعوالمها، دون ما حاجة إلى مدبر مفارق ومتعال من وراء الطبيعة.. ذلك هو تيار التغريب والحداثة الغربية، الذى نظر أهله إلى الغرب -فقط- فقلدوه، وجمدوا على مقولات ثقافته وفلسفاته، كما نظر أهل الجمود التراثى فقط إلى الماضى، فقلدوا مقولات سلف عصر تراجعنا الحضارى، وجمدوا عند ظواهر نصوصها[٢٥].

٣- تيار الإحياء والتجديد: ويرى أصحاب هذا التيار -على خلاف تيار الجمود والتقليد- أن للعقل دورًا بارزًا إلى جانب دور النصوص.. إيمانا بأن النصوص خصوصًا فى أمور التشريع والنظام السياسى والاجتماعى نصوص متناهية، وأن الحوادث والنوازل وما يعرض للناس من حاجات أمور غير متناهية، وأن كمال الشريعة وخلودها لا يمكن أن يتحققا إلا بأمر « وراء ما فهمه الفريق الأول (تيار الجمود) من النصوص ومن الشريعة، وهؤلاء يطلق عليهم « المجددون ».

ويرى أصحاب تيار الإحياء والتجديد، أن الإحياء يكون لأصول الإسلام وثوابته بإعادتها إلى المنابع الجوهرية والنقية لهذا الدين الحنيف، والنظر فيها بعقل معاصر يفقه أحكامها، كما يفقه الواقع الذى يعيش فيه، عاقدا القرآن بين فقه الواقع وفقه الأحكام، ليصل إلى التجديد فى الفروع، مبدعًا الأحكام الفقهية الجديدة التى تستجيب للمصالح الشرعية المعتبرة التى طرحتها وتطرحها مستجدات الواقع الجديد والمعيش.

ففى هذا التيار - الإحياء والتجديد - تتوازن الثوابت، الدائمة الثبات، الضامنة دوام إسلامية النسق الفكرى على امتداد الزمان والمكان، مع التجديد فى الفروع التى تطرحها متغيرات الواقع ومستجداته، الأمر الذى ينفى القطيعة؛ قطيعة للجديد والتجديد، مع الثوابت

والثبات. كما ينفى الجمود والتقليد، الذى يحدث فراغًا فكريًّا، سرعان ما تملؤه التيارات الفكرية الحداثية الغربية، التى مثلت -منذ نشأتها فى عصر النهضة الأوروبية- قطيعة معرفية مع الموروث الدينى على وجه الخصوص(٢٦).

هذه أبرز التيارات السائدة فى واقعنا الفكرى التى تمثل ينابيع يصدر عنها عدد من الخطابات الدينية، وليس خطابًا دينيًّا واحدًا، كل منها له سماته المحددة التى تجعل منه خطابًا مناسبًا لواقع الأمة الإسلامية، ونهضتها من كبوتها، أو غير مناسب لتلك النهضة، ويؤدى إلى مزيد من الاضطراب الفكرى، والتردى الحضارى. هذه الخطابات الدينية تتمثل فى الألوان أو الأنواع الآتية:

(١) **خطاب الوسطية الإسلامية**: قد يعبر عن الوسطية أحيانًا بـ« التوازن » أو الاعتدال، وتعنى التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، فلا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، ولا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله، ويحيف عليه. مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الروحية والمادية، الفردية والجماعية، والواقعية والمثالية، والثبات والتغير، والتقليد والتجديد(٢٧).

وخطاب الوسطية الإسلامية خطاب وسط بين غُلَّوين: غُلو الجمود على الموجود والتقليد لتراثنا الفكرى، والالتزام الحرفى بظاهر النصوص، دون إعمال النظر العقلى فى فحواها وحكمها وأسرارها ومقاصدها الكلية، وغُلو التغريب والتقليد للنموذج الغربى، ونبذ معطيات النموذج المعرفى الإسلامى. فأصبح هذا الخطاب لديه عقلانية مؤمنة متميزة عن الجمود عند ظواهر النصوص، وعن العقلانية الوضعية اللادينية الغربية التى تـُؤَوِّل الدين فتجعله دينـًا طبيعيًّا، وإفرازًا بشريًّا، لا علاقة له بالدين الإلهى الذى جاء به نبأ السماء العظيم.

هذا الخطاب الوسطى يتميز، فى مصادر المعرفة، باعتماد كل من الوحى، وهو كتاب الله المسطور، والكون وهو كتاب الله المنظور، المحتوى على سنن الله فى الأنفس والآفاق. كما يعتمد فى سبل المعرفة وآلياتها وطرائقها على كل من العقل والنقل والتجربة والوجدان، لتصبح الثقافة الإسلامية، والخطاب الدينى الإسلامى مزيجًا من ثمرات هذه المصادر والآليات والروافد جميعًا.

خطاب الوسطية والاعتدال يمثله فى الفكر الإسلامى الحديث والمعاصر مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامى، وفى مؤسسات العلم الأزهر الشريف والجامعات الإسلامية التى احتضنت وتحتضن كل تراث الأمة، دون تعصب لمذهب أو فرقة، والتى تستلهم فى التراث ما هو صالح للإجابة عن علامات استفهام الواقع المعيش(٢٨).

وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى أن الخطاب الإسلامى لبرامج شبكة القرآن الكريم ينتمى إلى هذه اللون من ألوان الخطاب الدينى لاعتبارين مهمين:

أولهما: اسم الخدمة الإذاعية وشعارها أو نداؤها الذى يعلن به المذيعون عن هوية موجات إرسالها، خلال ساعات البث على مدار الساعة، هو «إذاعة القرآن الكريم من القاهرة». ومن خصائص القرآن كونه (كتابًا عربيًّا غير ذى عوج)(٢٩)، وهو كتاب الإسلام الذى هو دين الوسط والاعتدال يقول (تعالى) على لسان نبيه محمد ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٣٠)، والصراط المستقيم لا اعْوِجاجَ فيه ولا انحراف(٣١)، وقوله: ﴿ دِينًا قِيَمًا ﴾ أى قائمًا ثابتًا؛ ولأنه دين الوسط، فهو دين الفطرة الإنسانية، قال (تعالى): ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾(٣٢)، وفى آية أخرى: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾(٣٢)؛ أى التمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين القيم المستقيم، وذلك دين القيِّمة أى: الملة القائمة العادلة المستقيمة المعتدلة(٣٤). والاستقامة، والعدل، والاعتدال من معانى الوسطية(٣٥).

تلك هى الرؤية الكامنة وراء نداء الخدمة الإذاعية وهو «إذاعة القرآن الكريم من القاهرة» والفلسفة التى نستشعرها جميعا -نحن العاملون- فيها، وأن كونها إذاعة للقرآن الكريم يعنى الانحياز لما انحاز له القرآن من معان، بمعنى الاهتمام بما اهتم به القرآن، وتقديم ما قدمه، وتأخير ما أخره، وهذا يعنى الموقف المعتدل والخطاب الوسط، لا يمينًا ولا يسارًا، لا إفراطًا ولا تفريطًا، لا شرقية ولا غربية، ولكن مذهبية إسلامية وسطية، معتدلة، مستقيمة.

ثانيهما: ما يؤكد وسطية الخطاب الإسلامى فى المادة البرامجية لإذاعة القرآن الكريم: هو أن العمل الإذاعى درج على الالتزام بما وجه إليه وزير الإعلام السابق -حرصًا على فكر

وخطاب الوسطية الإسلامية- ألا يستضاف ولا يستكتب أحد لبرامج الإذاعة، إلا أن يكون أحد أعضاء هيئة التدريس من جامعة الأزهر، وكلية دار العلوم، وأقسام الدراسات الإسلامية فى الكليات الأخرى من المتخصصين فى الدراسات الإسلامية، ليس هذا فقط؛ بل أن يكون من درجة أستاذ. وإذا كان الأمر على هذا النحو؛ فإن الخطاب الإسلامى فى الرسالة الإعلامية لبرامج إذاعة القرآن الكريم هو محصلة للخطاب العلمى الذى يمثله هؤلاء الأساتذة المستقدمون من جامعة الأزهر، والجامعات المصرية الأخرى التى عرف انحيازها أو بالأحرى تبنيها لخطاب الاعتدال والوسطية الإسلامية.

وعلى هذا؛ فإن الدور الحقيقى لشبكة القرآن الكريم يتجلَّى فى انتقاء واختيار ذوى فكر وخطاب الوسطية والاعتدال، من بين أصحاب الفكر والخطابات الدينية الأخرى، ومن مساهمة الفريق الأول بمادتهم العلمية، وآرائهم الفقهية فى المادة البرامجية، يتشكل الخطاب الإذاعى، ويصاغ متخذًا صبغة الوسطية والاعتدال، ومن ثم فلا تصنع شبكة القرآن الكريم خطابا بذاتها، فتلك مهمة تحتاج إلى ملكة الاجتهاد، والنظر فى نصوص الوحى، وتراث الأمة وحضارتها، وواقعها، مع امتلاك مناهج وآليات هذا النظر، وهى مهمة صفوة العلماء فى مراكز البحوث والدراسات الإسلامية ومجامعها الفقهية وجامعاتها.

(٢) **الخطاب الصوفى**: وهو خطاب يركز أكثر على خطرات الوجدان، وعلم القلوب، والإلهامات والفيوضات التى تثمرها المجاهدات الروحية، وهو خطاب له أهله العارفون بمقاماته وأحواله[٣٦]. ويوجد على هذا الخطاب مآخذ تتعلق بإشاعة بعض البدع والخرافات التى ليس لها أصل، وخاصة بين العوام، ولكن فى مقابل ذلك؛ فإن لهذا الخطاب، وخاصة ما يسمى «الخطاب الصوفى السنِّى» أى الملتزم بما ورد من صحيح السُنَّة، له إيجابيات كثيرة وخاصة فى مجال السلوك الإنسانى، وتزكية النفس، وتطهير القلب وسائر ما يتعلق بالتربية الإيمانية للنفس الإنسانية[٣٧].

(٣) **الخطاب النصوصى**: وهذا الخطاب يتسم بخصائص التيار الفكرى الذى ينتمى إليه، والتى سبق بيانها، ومن أهمها استغراقه الكامل فى ظواهر نصوص الوحى، وعدم الميل إلى استعمال العقل فى فحوى النصوص وأسرارها وعللها، فضلاً عن المبالغة فى التمسك بآراء علماء القرون الأولى من تاريخ الإسلام، امتثالا منهم لما ورد بحديث النبى ﷺ «خير القرون

قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». وقد سبقت الإشارة إلى بعض مثالبه، وآثاره السلبية على الفكر الإسلامى والعقل المسلم[٣٨].

(٤) **خطاب التعامل مع الواقع بالرفض والعنف**: وهو خطاب يمثّل فصيلاً من فصائل فقه وفكر نصوصية الجمود والتقليد، الذى استفزه بؤس الواقع الذى يعيشه المسلمون تحت هيمنة الغرب واستبداد النظم والحكومات.. فرفض هذا الفصيل طريق الإصلاح، واختار طريق العنف، وأدار ظهره لسنة التدرج فى الإصلاح، وتعجل القفز على السلطة والدولة، بدلاً من مشاق طريق التربية والتوعية وتهيئة المجتمعات الإسلامية، بإعادة صياغة إنسانها صياغة إسلامية تستكمل إسلامية سجايا وشمائل هذا الإنسان.

ولقد انفلت فصيل هذا الخطاب من حاكمية العقل الإسلامى، فأصبح ينهش الذات الإسلامية، ويزعزع استقرار المجتمعات الإسلامية، ويهز هيبة النظم والدول الوطنية، فيخدم بذلك مخططات الأعداء، فسلطوا كل الأضواء لتصوير الإسلام وأهله ورسوله ﷺ وقرآنه على أنه دين العنف والسيف والذبح لكل المخالفين، وعندما خضع هذا الفصيل لحكمة العقلانية الإسلامية، ووجه قوته فقط إلى الأعداء، مثّل بهذا أنبل ظواهر العصر فى الفداء والاستشهاد فى تحرير أرض الإسلام ومقدساته من الصهيونية والاستعمار[٣٩].

(٥) **خطاب علمنة الإسلام، والتأويل العبثى للدين**: هذا الخطاب ينطلق من تيار التغريب والتقليد للنموذج الغربى، ويتمثل هذا الخطاب فى كل الكتابات العلمانية التى كتبها الحداثيون المتغربون عن الخطاب الدينى الإسلامى، وهى تراوح فى طرحها لهذه القضية بين الحد الأعلى الذى يريد نسخ الإسلام، بدعوى «تاريخية نصوص القرآن»، أو تأويلها تأويلاً عبثيًّا يفرغها من خصائص الدين، على النحو الذى يحوِّل الدين عن إلهيته فيجعله دينًا وضعيًّا وإنسانيًّا، باعتباره إفرازًا من إفرازات العقل البشرى، وليس وحيًا إلهيًّا معجزًا.

أما الحد الأدنى لهذا الطرح للخطاب الدينى الإسلامى الذى يقنع بما دون العلمانية، التى تُخرج الإسلام عن طبيعته الشاملة لكل ميادين الحياة، ليقف بالإسلام وخطابه عند الشعائر والعبادات والقلوب، وينحسر داخل المساجد وينحصر، تاركًا ميدان الحياة ومعاملات الناس لقيصر عملاً بالمبدأ المسيحى «دع ما لقصير لقيصر وما لله لله»، وبذلك يتحول الإسلام إلى إسلام حداثى.. ليبرالى.. علمانى[٤٠].

تلك أبرز أنواع الخطابات الإسلامية فى فكرنا المعاصر والحديث، وتبين أن خطاب الوسطية والاعتدال هو الخطاب الغالب، والشائع فى ساحات العلم والفكر فى العالم الإسلامى، وهو خطاب التجديد للإسلام دينًا، والإصلاح للواقع بالإسلام. وانتهينا إلى أن هذا الخطاب الوسطى هو الذى تتبناه إذاعة القرآن الكريم فى مضمون برامجها أو رسالتها الإعلامية التى تبث عبر موجاتها.

مفهوم التجديد ودلالاته (أبعاده):

بعد تحديد مفهوم الخطاب الدينى وأنواعه يبقى الوقوف على المقصود بالتجديد، ودلالاته المتباينة، على أساس أن التجديد هو الأرضية التى ينطلق منها الخطاب، والصبغة التى يصطبغ بها وجودًا وعدمًا، والروح السارية فى نسيجه وخلاياه، وبدونها لا يؤتى الخطاب ثماره المرجوة، ولا يبلغ مقصوده الذى يسعى إلى تحقيقه.

وابتداء يميز البحث بين مصطلحين يشيع تداولهما فى مجال تحديث الفكر الإسلامى هما؛ الإحياء والتجديد، كل منهما له دلالته الخاصة المعبرة فى هذا المجال، وله أصوله فى القرآن والسُّنة.

فأما عن الإحياء فقد ورد فى قوله (تعالى): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[٤١]. فقوله (لما يحييكم) فيها معان نقلها ابن كثير؛ منها لما يصلحكم ومنها قول مجاهد: (لما يحييكم) أى للحق، وقال قتادة: (لما يحييكم) قال: هو هذا القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة[٤٢]. ويستنتج من هذه الأقوال: أن الإحياء يعنى العودة إلى القرآن وهو الحق، والتزام معانيه أمرًا ونهيًا، وهذا معنى له مغزاه فى دلالات التجديد وأبعاده.

أما التجديد وإن لم يرد فى القرآن بهذا اللفظ «تجديد» إلا أنه ورد بلفظ «جديد» بمعنى البعث والإحياء والإعادة،مثل قوله (تعالى): ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾[٤٣]، أما فى السنة المطهرة فقد ورد لفظ «يجدد» ومنه «التجديد» بالدلالة المقصودة فى البحث، فى قوله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[٤٤] أى بإحياء ما اندثر من معالم الدين، وانطمس من أحكام الشريعة، وما ذهب من السنن، وخفى من العلوم الظاهرة والباطنة[٤٥].

والجديد فى اللغة: معناه ضد القديم. والجديد ما لا عهد لك به، يقال: جد الشىء جدة، أى: حدث بعد أن لم يكن، فهو جديد. والتجديد فى مجال الفكر والعلوم إعمال العقل فى المعلوم للوصول إلى المجهول(٤٦).

مما سبق يمكن التمييز فى الدلالة بين مصطلحى الإحياء والتجديد حين يستعملان فى مجالات الفكر الإسلامى؛ إذ إن الإحياء يفيد العودة إلى الأصل، والرجوع إلى الحق وهو القرآن، وهذا فيه الإحياء والحياة.. أما التجديد فيفيد معنى الوصول إلى المجهول الذى لا سابق له ولا عهد، وهو الجديد، وذلك من خلال إعمال العقل فى المعلوم.

والتجديد عام وشامل فى كل الدين، وليس فى ناحية منه دون ناحية، وذلك بحسب الحديث النبوى السابق « .. من يجدد لها دينها ». وعلماء الأمة الإسلامية -سلفهم وخلفهم - متفقون على أن الدين له أصول ثوابت محكمات، هى قضايا العقائد والعبادات والأخلاق، وله فروع هى فقه المعاملات بين البشر أفرادًا وجماعات، من هنا يميز البحث فى ميدان تجديد الفكر الإسلامى بين مصطلح ومفهوم كل من الإحياء والتجديد؛ إذ إن مفهوم الإحياء بمعناه السابق أوثق اتصالاً، وأشد ارتباطًا بأصول الدين وثوابته المحكمات، أما التجديد - بمعنى إعمال العقل فى المعلوم للوصول إلى الجديد المجهول فهو معنى أوثق بفقه المعاملات والتعامل بين الناس أفرادا وجماعات.

وعلى هذا فإن الإحياء إنما يكون لأصول الدين وثوابته، بالعودة إلى المنابع الجوهرية والنقية لهذا الدين الحنيف، والتجديد يكون بالنظر بعقل معاصر لفقه الفروع وأحكامها ولفقه الواقع المتطور بمتغيراته، وعقد القرآن والمزاوجة بينهما، وفقًا لفقه تنزيل الأحكام على الأحداث والوقائع.

إذن، فتجديد الدين فى مجال الأصول وهى العقائد والعبادات والأخلاق، وفى الثوابت المحكمات عمومًا، يعنى تجليتها إذا علاها غبار الابتداع، فطمس معالمها بالزيادة عليها بما ليس منها، أو بانتقاص ما هو من جوهرها ومبناها، أو بتحريف معناها، أو تأويلها تأويلاً فاسدًا، كالشبهات التى تثار من وقت لآخر، وغير ذلك مما يحجب فعالية هذه الأصول، ويطمس حقائقها، وهنا تحتاج الأصول إلى التجديد الذى ينفى عنها ركام البدع والخرافات، لتعود إلى جوهرها الحقيقى، وإلى منابعها النقية الصافية، فهو بهذا المعنى إحياء لأصول الإسلام، وبعث لها من جديد إلى واقع الناس وحياتهم(٤٧).

وهنا نتنبه إلى: أن التجديد فى الأصول إحياء للاتِّباع، ونفى للابتداع: فهو إحياء لمراد الوحى -قرآن وسُنَّة- بعد اندثاره، وليس إحداثًا لأصول جديدة أو ابتداعًا لسنن حديثة، ومن ثم: فهو رعاية للثوابت والمحكمات من الدين، وليس انقطاعًا عنها أو استبعادًا لبعضها، أو تغييرًا لحقائقها الثابتة لتلائم أهواء الناس وشهواتهم، ولكنه تغيير للمفاهيم الخاطئة والمترسبة فى أفهام الناس عن الدين، ورسم للصورة الصحيحة والفهم المستقيم، وإن شئت فقل: تجديد لفهم الناس للمعانى الحقيقة لأصول الدين، ثم تعديل لأوضاعهم وسلوكهم وفقًا لمقتضى الدين؛ إذ «الإيمان ما وَقَرَ فى القلب» - أى من مفاهيم وعقائد صحيحة - «وصدَّقه العمل» أى السلوك والحركة الاجتماعية وفقًا لما وقر فى القلب، ما يعنى التوظيف الاجتماعى لمقتضى مفهوم الإيمان والعقائد والعبادات(٤٨).

أما تجديد الدين فى مجال الفقه أو أحكام فروع الدين التى تتصل بالمعاملات بين الناس أفرادًا وجماعات، فيعنى النظر بعقل معاصر فى علم نصوص الوحى وعالمها (فقه النصوص) من جانب، وعوالم الواقع من جانب آخر (فقه الواقع) لينتهى هذا النظر - عبر آلية الاجتهاد بمناهجه وأدواته - إلى الأمرين الآتيين أو إلى أحدهما:

١- استنباط أحكام جديدة من النصوص لمواجهة نوازل ووقائع مستجدة فى الواقع لم يسبق لها أحكام فى الفقه، ومثلها أحكام استئجار الأرحام، وزراعة الأعضاء وما ينتج عن الاختراعات العلمية فى البر والبحر والجو من أوضاع تحتاج إلى تناولها بالأحكام الشرعية عبر النظر المدرك لفقه الواقع، الواعى بمتغيراته من جانب، وفقه التعامل مع النصوص ومعالجتها والبصر بفحواها ومقاصدها من ناحية أخرى. وأى خطأ أو خلل فى الناحيتين يؤدى إلى خطأ أو خلل فى عملية الاجتهاد، إما باستنباط خاطئ للحكم نتيجة النظر الخاطئ فى النصوص، أو الخطأ فى تنزيل حكم صحيح على واقع غير واقعه نتيجة عدم فهم الواقع فهما صحيحًا، فيقع الناس فى العسر والحرج، أو أن يكذب الله ورسوله، ومعظم البلاء فى الأمة الإسلامية من الخطأ فى أحد هذين الجانبين أو فيهما معًا.

٢-إحلال أحكام جديدة محل أحكام قديمة، نظرًا إلى تبدُّل محال الأحكام القديمة، وتغير المصالح، وتبدل العادات والأعراف، كما فعل الإمام الشافعى حين قدم من العراق إلى مصر، فوضع فقها جديدًا يناسب البيئة والواقع المصرى، خلافًا لما كتبه فى العراق حسب بيئة

وأوضاع أهل العراق[٤٩]. فمن المقرر عند فقهاء الشريعة أن الأحكام تدور مع المصالح المشروعة وجودًا وعدمًا، وأن الفتوى تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد[٥٠].

مما سبق يتبين أن التجديد فى فروع الدين، أو فى مجال فقه المعاملات بين الناس أفرادًا وجماعات: هو فى جوهره مد أو بسط لفروع الدين إلى الميادين الجديدة فى الحياة، والوقائع المستحدثة عبر الاجتهاد بإبداع أحكام جديدة وإنشائها إنشاء جديدًا، أو الانتقاء والترجيح من بين آراء وأحكام سابقة فى التراث الفقهى أكثر مطابقة وموافقة للوقائع، وتحقيقًا للمصالح، وبدوام هذه العملية تبقى الشريعة صالحة لكل زمان ولكل مكان، وبدونها تبقى هذه الوقائع عارية عن مظلة الدين، ويفضى هذا إلى انفلات الواقع المتطور من حاكمية الشريعة، ومن ثم يبدو أن التجديد ضرورة عملية، وسنة دائمة.

هذه رؤية البحث لمفهوم إحياء الدين وتجديده، وهو مفهوم يسبق تجديد الخطاب الدينى، ويمثل المنطلق الذى يصدر عنه الخطاب، والأرضية التى يقوم عليها؛ فإذا كان الفكر جديدًا والدين حيًّا متجددًا.. صدر الخطاب المعبر عنه جديدًا وحيًا وحيويًّا؛ لأن الخطاب فى النهاية هو أداة الفكر فى التعبير، والقوالب والتراكيب التى تحمل معانيه ودلالاته ومفاهيمه.

وما لم يوجد جهد علمى مبذول من أهله لإحياء أصول الدين وتجديد فروعه، فلا يمكن الحديث عن تجديد للخطاب، وهذه المهمة فى موقع الطليعة والمقدمة من العمل الدعوى فى ميادينه المتباينة، وهذا واجب مؤسسات العلم الإسلامى من جامعات ومجامع فقهية، ومراكز للبحوث والدراسات؛ ذلك أن تجديد الدين والفكر صناعة ثقيلة تحتاج إلى صفوة من المتخصصين والفقهاء، ذوى وعى وبصر بفقه النصوص وفقه الواقع، كما تحتاج إلى إمكانات مالية تُحشد لدعم هذه الجهود العلمية، وإلى استراتيجية لتنسيق هذه الجهود، حتى يمكن أن تؤتى ثمارها المرجوة.

وتلك مهمة تفوق قدرة وطاقات مسئولى وحاملى الخطاب الدينى من الدعاة ورجال الإعلام الإسلامى المقروء والمسموع والمرئى، وإن بقيت مسئوليتهم قائمة فى الدعوة إلى اتجاهات التجديد وتكريسها فى العقل الجمعى، وإبراز موضوعاته، ومجالاته، ومحاصرة سلبيات التيارات الأخرى فى الفكر الإسلامى بالحكمة والموعظة الحسنة، فمهمة هؤلاء فى خطابهم تتحدد أساسًا فى استمالة المتلقين، وتنويرهم بقضايا الفكر والعمل الإسلامى، حتى

يعيش المسلم الحقيقة الدينية عقيدة وفكرًا وسلوكًا، ويسعى إلى تجسيدها فى تعامله مع الناس، فى وقائع الحياة التى يحياها، حتى يبرهن على أنه جدير بوظيفة الاستخلاف التى كرمه الله بها.

ثانيًا: نحو إطار جديد لأهداف شبكة القرآن الكريم:

(تأصيل غاية الخطاب الإذاعى الإسلامى):

إن لكل بنية أو مؤسسة اجتماعية هدفًا أو عدة أهداف تعمل على تحقيقها من خلال عدة وظائف، والفرق بين هدف الشىء ووظيفته، هو أن الهدف يتمثل فى الغاية النهائية المقصودة، أما الوظيفة فهى مجموعة الأنشطة التى تحقق الهدف أو الغاية النهائية، بمعنى آخر. فإن الهدف ما يقصد لذاته، أما الوظيفة تقصد لغيرها، ومن ثم تكون وسيلة لتحقيق الهدف من خلال نشاط معين أو عدة أنشطة[٥١].

وهنا لابد من التمييز فى دراسة وسائل الإعلام بين أهداف كل وسيلة والوظائف التى تقوم بها من أجل تحقيق تلك الأهداف، وهنا لابد أن ندرك أن أجهزة الإعلام فى العالم كله تنطلق من إطار فكرى معين يمثل مذهبية لتلك الأجهزة، تحدد المبادئ الضابطة لمسار العمل، والمصالح التى تتغياها وتخدمها العملية الإعلامية فى المجتمع المستهدف، وتمثل محورًا تدور حولها وظائفها أو أنشطتها المتغايرة.

والسؤال الذى يطرح للبحث فى هذا المقام هو: ما الهدف الموضوع لشبكة القرآن الكريم، وما مدى كفايته فى التعبير عن غاية الخطاب الإذاعى الإسلامى فى برامج الشبكة؟

تكشف الخطط الإعلامية العامة لاتحاد الإذاعة والتليفزيون عن هدف شبكة القرآن الكريم فى صياغة مقتضبة مثل: «تهدف شبكة القرآن الكريم كأول إذاعة متخصصة فى الإعلام الدينى فى العالم العربى والإسلامى إلى المحافظة على كتاب الله -عزوجل- وتقديمه مرتلاً برواياته الصحيحة، إلى جانب علوم القرآن التى تساعد على تيسير فهمه، وتقديم صحيح السُّنة النبوية المشرفة، وسيرة الرسول الكريم العطرة وكذلك علوم السُّنة»[٥٢]. وفى صياغة أخرى أكثر تفصيلاً.. «تهدف شبكة القرآن الكريم كأول إذاعة متخصصة فى الإعلام الدينى فى العالم العربى والإسلامى، إلى نشر وتعميق المفاهيم الدينية الصحيحة، والقيم الأخلاقية، وتقديم خدمة

إعلامية حضارية متميزة، دعامتها الأساسية القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة، مع تأكيد المبادئ والقيم الإسلامية لبناء الفرد والمجتمع، وحمايته من الأفكار الهدامة، وتقديم وسطية الإسلام مع الاهتمام بالقضايا القومية الكبرى، وقضايا البيئة، ومشكلة الأمية، وإبراز دعوة الإسلام إلى القراءة والعلم وقضايا الشباب »(٥٣).

ويتأمل هذا الهدف فى صياغته ومجال العمل الذى حدده، فى الخطط الإعلامية المتباينة، تبدو فيه الحيرة فى القضايا التى يعرضها بين التضييق والتوسيع، ولا تكمن فيه مواصفات الهدف، بل الغالب عليه أنه أقرب إلى دليل عمل مرحلى -وليس دائمًا- تبرز فيه أولويات العمل الإعلامى فى تلك المرحلة، ولكن الهدف ينبغى أن يحدد، بمعنى المصلحة والغاية التى تطلب لذاتها، وتتمحور حوله مجموعة الأنشطة أو الوظائف التى تقوم بها شبكة القرآن الكريم تحقيقًا لهذا الهدف وتلك الغاية.

ومن ثم يلاحظ على الصياغة السابقة لهدف شبكة القرآن الكريم ما يأتى:

١- لا يتصف الهدف الموضوع للشبكة، فى صياغته السابقة، بصفة الثبات والاستمرارية التى تكفل محور ارتكاز للخطاب الإذاعى فى معالجته لأولويات قضايا العمل الإعلامى، التى تعد فروعًا وجزئيات فى الواقع الميدانى منبثقة عن أصل ثابت هو الهدف، ومن ثم تختلف الفروع والجزئيات أو القضايا من مرحلة إلى أخرى، ومن خطة إعلامية إلى خطة إعلامية أخرى، مع ثبات الأصل أو الهدف الدائم الذى يضبط مسار العمل الإعلامى، ويضمن تناغمه، ويحدد أولوياته فى كل مرحلة (واجب الوقت)، ويشكل فى الوقت نفسه هوية الخطاب الإذاعى وقبلته؛ وبهذا فإن الهدف يشبه فى وظيفته المحور بالنسبة لبندول الساعة.

٢- الهدف السابق فى صياغته ونطاقه، لا يعبر عن الطموحات التى تتطلبها الخطط الإعلامية العامة لاتحاد الإذاعة والتليفزيون -فى السنوات الأخيرة- من البرامج الدينية فى الإعلام المرئى والمسموع، وهو ما تسميه المدخلات المستهدفة من البرامج الدينية التى تمثل الرسالة الإعلامية بشبكة القرآن الكريم المكون الرئيس لتلك البرامج، حيث ترى هذه الخطط، وبحق، أن الدين الإسلامى مفهوم شامل للحياة، فالبرامج الدينية « ... يجب أن يكون مفهومها واضحًا فى ظل حقيقة الإسلام نفسه، فالدين الإسلامى ليس مجموعة شعائر تؤدى داخل المسجد أو فى بعض المناسبات، بل هو حضارة، وثقافة، وصياغة للحياة تحقق للمسلم حاجته

المادية والروحية، وتسلحه بموقف من الحياة يعتمد على الصلة بالله والخضوع له، وتعمير الحياة بالأساليب التى تتوافق مع نهج الشريعة الإسلامية، وللإسلام أيضًا موقفه من الكون، ومن سائر أنشطة الإنسان العقلية والبدنية. ومن هنا؛ فإن البرامج الدينية فى أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية ينبغى أن تعبر عن هذه الحقائق بوضوح حتى تكون معبرة تعبيرًا صحيحًا عن جوهر الإسلام فى وسطيته واعتداله »[٥٤]. وتؤكد الخطة الإعلامية لعام ٢٠٠١/٢..٢م على عدد لا ينحصر[٥٥] من القضايا الفكرية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية، وقضايا العمل الوطنى التى ينبغى أن تأخذها فى الاعتبار أجهزة الإعلام المرئى والمسموع، فى تعبير واضح عن شمول الإسلام لميادين الحياة، الأمر الذى يبدو معه قصور صياغة هدف شبكة القرآن الكريم وآفاقه.

٣-إن صياغة هدف شبكة القرآن الكريم على النحو السالف، من حيث نطاقه، قد تجاوزه التوسع والشمول فى نطاق برامج الشبكة نتيجة تطوير العمل الإعلامى بالشبكة، إعمالاً لتوجيهات وقرارات القيادات الإعلامية، واللجان الدينية فى المستويات القيادية المتغايرة، حيث يصل عدد هذه البرامج إلى ثمانين برنامجًا إذاعيًّا[٥٦]، بخلاف تلاوات القرآن المرتل والمجود موزعة على محاور متعددة. هذه البرامج بموضوعاتها ومحاورها تعكس المفهوم الشامل للإسلام باعتباره عقيدة وشريعة، وعبادات وأخلاقًا ومعاملات، وسلوكًا بين الناس، وثقافة وحضارة، وتاريخًا[٥٧].

بناء على الملاحظات السابقة ينبغى البحث عن إطار جديد لهدف شبكة القرآن الكريم تتحقق فيه مواصفات الهدف من حيث الاستمرارية والثبات، والمركزية الموضوعية للعمل والنشاط، والمعيارية للمضمون والإنجاز، والمصداقية فى تحديد الأولويات فى القضايا والمشكلات فى الواقع، ويمثل فى الوقت نفسه مدخلاً لتجديد الخطاب الإذاعى للشبكة من وجهة نظر البحث.

المقاصد العامة للشريعة الإسلامية هدف شبكة القرآن الكريم: إطار جديد ومدخل للتجديد:

سبقت الإشارة إلى ارتباط وسائل الإعلام بإطار فكرى معين، أو فلسفة معينة، تحدد لتلك الوسائل غايتها والمصالح التى يعمل مضمونها على خدمتها، وفى هذا السياق؛ فإن شبكة القرآن الكريم ترتبط فى خطابها الإذاعى ومضمون رسالتها الإعلامية بالدين الإسلامى. ومن

ثم؛ فإن المصالح التى يعمل على خدمتها هذا الخطاب ويتغيَّاها فى مضمونه، هى المصالح التى تقصد إليها الشريعة الإسلامية، وتهدف إلى تحقيقها فى مجتمع المكلفين بخطابها. فما منظومة المصالح التى يقصدها الإسلام، وتعد هدفًا وغاية للخطاب الإذاعى ومضمون الرسالة الإعلامية لشبكة القرآن الكريم؟؟

يرى الإمام أبو حامد الغزالى أن: « .. المصلحة عبارة فى الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة، ولسنا نعنى به ذلك -والكلام للغزالى- فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق فى تحصيل مقاصدهم»، وهنا يعادل الغزالى بين المصلحة - التى هى جلب نفع ودفع ضر - ومقاصد الخلق، بمعنى أن المنفعة والمضرة فى هذه الحالة ترجع إلى تقدير الخلق واعتبارهم وتجاربهم وعاداتهم، وهو ما يؤدى إلى التهارج والتقاتل الذى يعرف فى علم السياسة بصراع المصالح؛ ذلك لأن المصلحة تتحدد، فى هذه الحالة، وفق أهواء النفوس وشهواتها العادية، ولذلك يقول الغزالى « .. ولسنا نعنى به ذلك.. ولكنا نعنى بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم»، وقد يضيف بعضهم العرض والنسب[٥٨]، « .. فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول.. فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة »[٥٩].

إن المقاصد العامة للشريعة الإسلامية تمثل منظومة من المصالح الضرورية التى تمتد بمظلتها لتظلل الحياة فى جميع جوانبها، وهى ضرورية؛ لأن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة عليها، وقيام هذا الوجود الدنيوى مبنى عليها، حتى إذا انخرمت لم يبق للدنيا وجود، يعنى ما هو خاص بالمكلفين والتكليف، وكذلك الأمور الأخروية لا قيام لها إلا بذلك[٦٠]. فالأمة بمجموعها وآحادها فى ضرورة إلى تحصيلها، بحيث لا يستقيم النظام باختلالها، فإذا انحزمت تؤول حالة الأمة إلى فساد واضمحلال، فلا تكون على الحالة التى أرادها الشارع منها.. وقد يفضى ذلك إلى الاضمحلال الآجل بتفانى بعضها ببعض، أو بتسلط الأعداء عليها[٦١].

ولذلك؛ فإن حفظ هذه الأصول الكلية للمصالح معناه حفظها بالنسبة لآحاد الأمة وعمومها، بمعنى أن حفظها أمر واجب على المستويين الفردى والجماعى؛ ذلك أن هذه الضروريات تنقسم إلى ضروريات عينية وإلى ضروريات كفائية.

فأما كونها عينية فعلى كل مكلف أن يحفظها فى نفسه، فكل فرد مأمور بحفظ دينه

اعتقادًا وعملاً، وبحفظ نسله قيامًا بضروريات حياته، وبحفظ عقله حفظًا لمورد الخطاب من ربه إليه، وبحفظ نفسه التفاتًا إلى بقاء عوضه فى عمارة هذه الدار، ورعيًا له عن وضعه فى مضيعة اختلاط الأنساب، وبحفظ ماله استعانة على إقامة تلك الأوجه الأربعة. وأما كونها كفائية: فمن حيث كانت منوطة بالغير (الجماعة ممثَّلة فى النظام السياسى بمؤسساته ومنها أجهزة الإعلام) أن يقوم بها على العموم، بمعنى حفظها فى جميع المكلفين لتستقيم الأحوال العامة التى لا تقوم الأحوال الخاصة إلا بها، وهذا المستوى لاحق بالمستوى السابق (الفردى) فى كونه ضروريًا؛ إذ لا يقوم العينى إلا بالكفائى، أما الكفائى فهو قيام بمصالح عامة لجميع الخلق[٦٢].

هذه الأصول الضرورية للمصالح تمثل محاور غائية، وأهدافًا كلية، تدور حولها وظائف شبكة القرآن الكريم، بشكل خاص، والإعلام الإسلامى بشكل عام فى العمل على حفظ هذه المصالح ورعايتها. فحفظ المصالح التى قصد الشارع إقامتها فى الخلق هو المحدد لدور وفاعلية العملية الإعلامية بشبكة القرآن الكريم.

وحفظ أصول المصالح الضرورية ورعايتها مفهوم تطرق إليه علماء الشريعة الإسلامية، وفقهاء المصلحة منهم على وجه الخصوص، وهذا الحفظ يتحقق بأمرين: **أحدهما**- « ما يقيم أركانها، ويثبِّت قواعدها (أى فى الواقع) وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود »، وهذا المعنى -فى مفهوم الحفظ- يتعلق بجلب النفع الخاص بأصول المصالح ومقوماتها.[*] **ثانيهما**- « ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم »[٦٣]، وهذا يقابل فى مفهوم المصلحة دفع الضرر والفساد الذى يقع على أصول المصالح الضرورية.

كما يرى الإمام الغزالى أن كل مقصود شرعى « .. ينقسم إلى تحصيل وإبقاء، وقد يعبر عن التحصيل بجلب المنفعة، وقد يعبر عن الإبقاء بدفع المضرة، وهذا يعنى أن ما قصد بقاؤه فانقطاعه مضرة، وابقاؤه دفع للمضرة، فرعاية المقاصد عبارة حاوية للإبقاء ودفع القواطع، والتحصيل على سبيل الابتداء[٦٤].

(*) ثمة رأى معاصر يذهب إلى أن جوهر المقصود بمفهوم الحفظ: هو تنمية وتطوير الكليات الخمس، وليس فقط المحافظة عليها من جهتى الوجود والعدم. وهذا الرأى يفتح آفاقًا أوسع لفهم المقاصد العامة للشريعة وتفعيلها فى الواقع (المحرر).

وهنا يمكن عرض أصول هذه المصالح الضرورية بما يظهر مدى حدود الدور الإعلامى لشبكة القرآن الكريم بإزاء هذه المصالح وآفاق خطابها الإذاعى:

١- حفظ الدين: هناك محاور يدور عليها حفظ الدين باعتباره إحدى المصالح الضرورية ومقصدًا من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، وهذه المحاور تتحدد فى الآتى:

أ- حفظ الوحى: ويقصد به هنا (الموحى به) وهو القرآن الكريم وسُنَّة الرسول ﷺ باعتبارهما الكيان المعنوى المحتوى للدين. وحفظ القرآن الكريم من جانب الوجود والتحصيل، بالنسبة للعمل الإعلامى المسموع، يتمثَّل فيما تقوم به الإذاعة من تسجيلات للمصاحف المرتَّلة والمجوَّدة، تحت رقابة لجان متخصصة فى شئون القرآن والأصوات، وإذاعته على مدار اليوم، برواياته المتباينة والصحيحة، ويدخل فى هذا الجانب إعداد وتقديم البرامج التى تخدم نصَّ القرآن من برامج التفسير بمذاهبه ومداخله المتباينة، وبما يساعد على فهمه من المستمعين.

ما يحدث مع نص القرآن يحدث مع نصوص السنة المطهرة من حفظها من ناحية الوجود، وتحصيل بقائها بإذاعة نصوص الأحاديث النبوية الصحيحة، فهى المصدر الثانى المعصوم للدين، وهى التفسير العملى للقرآن الكريم، فقد كانت حياة النبى ﷺ وأقواله هى القرآن مُطَبّقًا ومُجَسّدًا فى شكل حركة حياة، ومن ثم فإن فهم السنة النبوية، وكيفية اتخاذها، مع القرآن، مصدرًا للمعرفة والثقافة والحضارة الإسلامية.. من أهم القضايا التى تدخل فى مجال الخطاب الإذاعى الإسلامى. هذا عن تحصيل مصلحة حفظ الدين من خلال حفظ الوحى من ناحية ما يقيم الأركان ويثبِّت القواعد فى الواقع.

أما حفظ الوحى من جهة العدم، فيتمثَّل فى برامج تعليم التلاوة وأحكام التجويد والقراءات، حتى يبقى النص يُتلى تلاوة صحيحة، وفقًا لما أنزله الله، وفى حمايته من الخطأ واللحون فى التلاوة سواء عن قصد -كما يحدث من أعداء الدين- أو عن غير قصد، والتنبيه على التأويلات الفاسدة والتفسيرات الخاطئة. وكذلك الأمر بالنسبة للسنة؛ فيتمثل فى إبراز جهود علماء السنة فى غربلة الأحاديث النبوية وتخريجها، والتنبيه إلى غير الصحيح منها والموضوعات فيها.

ب- **أصول الدين وفروعه:** وأصول الدين تتمثل فى قضايا الاعتقاد، وفروعه هى الأحكام الفقهية العملية الخاصة بالعلاقة بين الناس وخالقهم -العبادات- والعلاقة بين الناس وبعضهم، فى جميع مجالات الحياة، أفرادًا وجماعات.

وحفظ أصول الدين وفروعه من ناحية الوجود والتحصيل، حاصل فى ثلاثة معان كلية: هى الإسلام، والإيمان، والإحسان، فأصلها فى الكتاب وبيانها فى السنة. وتقوم أركان الدين، وتثبت دعائمه عن طريق الإعلام بأصوله وفروعه بالترغيب والترهيب، ويدخل فى ذلك الدعوة إلى إقامة شعائره وعباداته.

أما حفظ أصول الدين وفروعه من جهة العدم فببيان الأحكام التى شرعت لدرء الفساد الواقع أو المتوقع على الدين، ومثالها أحكام البدع والملل والمذاهب الباطلة المخالفة للكتاب والسُّنة، وإجماع سلف الأمة، وبردِّ الشبهات التى ترد على العقائد أو الأحكام، وسائر ما أسماه ابن تيمية « بالغش والتدليس فى الديانات »(٦٥).

٢- **حفظ العقل:** العقل هو: جوهر الفطرة الإنسانية ومناط التكليف والمسئولية، وهو سبب التقدم الإنسانى والحضارى، ومن ثم شرع طلب العلم والنظر والتفكر والتدبر، والدعوة إلى ذلك حتى يثمر العقل فكرًا مستقيمًا، وعلومًا نافعة، ومعارف صالحة تُمكِّن الأمة من تحقيق مفهوم الاستخلاف فى الأرض وعمارة الكون والحياة. أما حفظ عقول الأمة من ناحية ما يدرأ عنها الخلل الواقع أو المتوقع؛ فيكون ببيان موقف الإسلام من صور الغلو والانحراف الفكرى والعقائدى، وتحصين العقول من كل ما يشلّ طاقاتها الفكرية المتجددة، وغير المحدودة، ويمنع كل سبب يفسد حركة العقل، ويمنع التضليل الفكرى(٦٦).

وهناك جانب آخر يتعلق بحفظ عقول الأمة من جانب العدم، وهو ما يمكن تسميته بـ« الحفظ المادى للعقل » باعتباره كيانًا عضويًّا فى جسم الإنسان، ويتمثل هذا الجانب فى الدعوة إلى حفظ « عقول الناس من أن يدخل عليها خلل، فدخول الخَلَل على عقل الفرد يؤدى إلى فساد جزئى، ودخوله على عقول الجماعات وعموم الأمة أعظم، ولذلك يجب أن يتغيَّا الخطاب الإذاعى التوعية بمخاطر السكر وتغييب العقول على الفرد والجماعة، وآثارها فى تفشى العلل والآفات الاجتماعية الأخرى والتوعية بالمواد المغيِّبة للعقول قديمها وحديثها(٦٧).

٣- **حفظ النفس والنسل والعرض والنسب:** هذه الأصول الأربعة للمصالح -أو المقاصد-

غايتها جميعًا حفظ الإنسان فى ذاته وكرامته، فى جوانبه المادية والمعنوية، رجلاً كان أو امرأة، طفلاً كان أو شابًّا أو شيخًا، وهو الأمر الذى يؤدى إلى تحقيق الأمن والطمأنينة، وثقة الإنسان فى نفسه وفى مجتمعه، وهى ثمرات لازمة لاستقرار الحياة الاجتماعية والسياسية التى فى ظلها يمكن للإنسان -فردًا ومجتمعًا- أن يحقق أمانة التكليف والاستخلاف التى خلق من أجلها(٦٨).

وهذه مساحة لا تنحصر موضوعاتها الاجتماعية(٦٩)، التى يدورعليها العمل الإعلامى الإسلامى والخطاب الإذاعى، جامعًا بين التوعية بفقه نصوص الوحى ومعارفه وأحكامه، وما يموج فى الواقع من مشكلات اجتماعية تتعلق بالإنسان فردًا ومجتمعًا، وأسرة، ووليدًا بل وجنينًا، وبأوضاع المرأة وحقوقها وواجباتها، وطبيعة العلاقة بين الجنسين فى الإسلام، ورؤية الإسلام الكلية للإنسان وموقعه فى الوجود، وعلاقته بالكون والحياة.

٤- حفظ المال: إن ثروة الأمة وأموالها من بين المصالح التى قصدت الشريعة إلى حفظها تحصيلاً وإبقاء؛ فى آحاد الأمة وعمومها؛ أى ثروة الأفراد والجماعة. ومفهوم المال الذى يعنى الثروة بمفهومها الاقتصادى يتضمن ثلاثة عناصر يسميها ابن عاشور أصول التكسب وهى:

أ - الأرض: وهى ما يصل إليه عمل الإنسان فى الكرة الأرضية بما فيها من بحار وأودية ومعادن ومنابع مياه، وسطحها الترابى موضع الزراعة والعمران البشرى.

ب- العمل: وهو وسيلة استخراج معظم منافع الأرض.

جـ- رأس المال: وهو الأصول النقدية، وتعد من مصادر الثروة؛ لأنها مال مدخر لإنفاقه فى المجالات الاستثمارية المختلفة(٧٠).

وهنا يتحدد مدخل الخطاب الإذاعى الإسلامى وموضوعه، فى الدعوة إلى مقاومة الإسلام للبطالة، وحثه على العمل والإنتاج، وكيف قيم ذلك، وربطه بكرامة الإنسان وشأنه عند الله، وبذلك خلق الأرضية المشتركة الصالحة لدفع الإنتاج وتنمية الثروة، وجعل الإسلام العمل عبادة يثاب عليها المرء، وأصبح العامل -فى سبيل قُوتهٍ- أفضل عند الله من المتعبِّد الذى لا يعمل، وصار الخمول أو الترفع عن العمل نقصًا فى إنسانية الإنسان وسببًا فى تحقيره.

وكما قاوم الإسلام البطالة، وحثَّ على العمل والإنتاج، فقد قاوم فكرة تعطيل الثروات الطبيعية وحجبها عن مجال الانتفاع والاستثمار، واعتبر هذا لونًا من الجحود، وكفرانًا

بالنعمة التى أنعم الله بها على عباده[٧١]. كذلك: رفض الإسلام بشدة تجميد الأموال واكتنازها، وحبسها عن الإنتاج لئلا تأكلها الزكاة المفروضة عليها كل عام، وبهذا تندفع الأموال إلى حقول النشاط الاقتصادى، وتمارس دورًا إيجابيًّا فى الحياة الاقتصادية[٧٢].

كما شرع الإسلام القواعد والأحكام التى تهدف إلى دفع الضرر والخطر، أو الفساد الواقع أو المتوقع على أموال الأمة، سواء تمثَّلت فى تصرفات مالية، أم فى حدود شرعها الشارع للضرب على أيدى العابثين والمفسدين لأموال الأمة، مثل تحريم الاحتكار، وعدم التبذير فى الموارد، وصرف الأموال بغير حق فى ترف أو سفه، وتحريم كافة الأنشطة الاقتصادية الضارة بثروة الأمة، مثل تحريم الربا والمقامرة، والتجارة فى سلع محرمة كالخمر والخنزير، أو الكسب دون عمل، كالتربح بالوظيفة، وغيره من الأنشطة التى تدخل فى باب أكل أموال الناس بالباطل[٧٣].

٥- حفظ نظام الأمة: سواء فى ذلك النظام السياسى أو النظام العام فى المجتمع[٧٤]، فنظام الأمة ضرورة للدين، كما أن الدين ضرورة للنظام، فالتلازم قائم بين الدين والسلطان، فأما لزوم النظام للدين كونه ضروريًّا لحفظ الدين ونفاذ أحكامه فى الخلق، ولهذا كانت ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين إلا بها...؛ لأن المقصود الواجب بالولايات إصلاح دين الخلق الذى متى فاتهم خسروا خسرانا مبينا، ولم ينفعهم ما نِعموا به فى الدينا[٧٥].

وأما لزوم الدين للسلطان فلسياسة الدنيا به؛ إذ جوهر التعريف الوظيفى أو الغائى للنظام السياسى عند فقهاء المسلمين هو « حراسة الدين، وسياسة الدنيا به »[٧٦]، أى بالدين.

وكما أن نظام الأمة ضرورة للدين؛ فهو أيضًا ضرورة اجتماعية وسياسية؛ ذلك أن طبيعة الإنسان وفطرته التى جُبِلَ عليها، أنه كائن مدنى واجتماعى، ولما كان لهذا الفرد مصالحه الخاصة ونزواته وغرائزه، فإنها ستلقى التعارض والمعاندة والمناقضة من الآخرين لمنافاتها لغرائزهم ونزواتهم ومصالحهم الخاصة، لذلك؛ فإن صلاح الهيئة الاجتماعية يستوجب وجود الحكام الذين يحفظون التوازن بين الفرد والمجموع، ويوفقون بين صوالحهما؛ لأن صلاح الفرد ينتفى بانتفاء صلاح الجماعة، كما أن صلاح الجماعة لا يمكن أن يزدهر ويزهو؛ إلا مع صلاح كل فرد من أفرادها[٧٧].

وهذه مساحة من اهتمامات الخطاب الإذاعى الإسلامى موضوعاتها لا تنحصر، وتتعلق بالتوعية بحقوق وواجبات الأفراد إزاء النظام السياسى، ومسئوليات وواجبات الحكام والولاة إزاء المجتمع، وطاعة النظام وحدودها فى المعروف، والرقابة انطلاقًا من مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومناصحة الحكام فيما يعرض لهم من قضايا ومشكلات الأمة، ومدى التزام الممارسة السياسية بالقيم الإسلامية، وعملية صنع القرارات، ومدى التزامها بمبدأ الشورى، ومتابعة شرعية إسناد السلطة وشروط الصلاحية ابتداء واستدامة، إلى غيرها من قضايا النظام والسياسة الشرعية، وبما يحقق فاعلية النظام فى تدبير مصالح المجتمع، أفرادًا وجماعات، وفقًا لروح الشريعة، ونزولاً على أصولها الكلية، محققة أغراضها الاجتماعية، وبما يجعل الأمة أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد(٧٨).

هذه أصول المصالح التى قصدت الشريعة الإسلامية إلى حفظها، وقد توصَّل إليها علماء الشريعة وفقهاؤها باستقراء نصوص الشريعة التى تفوق الحصر، وتَواترتْ جميعها وتَضافرتْ على هذه المعانى الكلية «المبثوثة فى أبواب الشريعة وأدلتها، غير مختصة بمحل دون محل ولا بباب دون باب، ولا بقاعدة دون قاعدة»، أى عامة عموم معنى؛ ومن ثم فهى «كليات تقضى على كل جزئى تحتها... وليس فوقها كلى تنتهى إليه؛ بل هى أصول الشريعة، وقد تمت... وهى الكافية فى مصالح الخلق عمومًا وخصوصًا(٧٩)، لأن الله (تعالى) قال:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾(٨٠)؛ ولأن الله (تعالى) قال: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾(٨١).

وقد ذهب البحث إلى اعتبار أصول المصالح أهدافًا للعمل الإعلامى والخطاب الإذاعى بشبكة القرآن الكريم، لما لهذه الأصول من خصائص تجعلها تجمع بين التجريد النظرى والتطبيق العملى فى ميدان الواقع المعيش، بمعنى قدرة أصول المصالح التى سبقت، على تحديد قضايا العمل الإعلامى، أو ما يسمى «أجندة العمل الإذاعى» فى أى مرحلة من المراحل، فكيف يتم ذلك ؟!

إن أصول المصالح التى قصدت الشريعة إلى حفظها تجمع بين الثبات والتجريد، والتغير والتطبيق، فباعتبارها أصولاً كلية، نجدها على هذا المستوى تتسم بالثبات والتجريد؛ لأنها تمثل الشريعة فى خلودها، وإطلاقاتها الزمانية والمكانية، إنها بهذا المعنى أصولاً لا ترتبط بزمان معين ولا بمكان معين، ولا بواقعة بعينها، ومن هنا فهى عامة عموم الزمان والمكان، كما هى عامة عموم معنى -كما سلف- وهذا مستوى التجريد والثبات.

أما مستوى التطبيق الميدانى، فهو حين تتقيد هذه المصالح وتلك المقاصد بقيود الزمان المعين، والمكان المعين، والوقائع المحددة، فتغدو القضايا الواقعية حينئذ تعبيرًا عن المطالب والحاجات اليومية للأفراد والجماعات، وتدور فى فلك أصول المصالح وكلياتها، بمعنى أنها تكون فروعًا لها فى الواقع التطبيقى، منبثقة عنها وترد إليها، ويجرى الحكم عليها قبولاً أو رفضًا، تحليلاً أو تحريمًا، وفقًا لتلك الأصول، وفى هذا المستوى يجرى التغير فى القضايا موضوع الخطاب الإذاعى بحسب الزمان والمكان والأحوال والأشخاص.

وهنا نستطيع أن نحدد قضايا الخطاب الإذاعى واهتماماته، بل وأولوياته وفقًا لقواعد الأولويات التى تضعها الشريعة، ومن ثم تصير منظومة الأهداف ناظمة للأفكار، محددة للموضوعات، معبرة فى كل ذلك عن شمول الإسلام لنواحى الحياة، وعن ظله الممدود على جوانبها المتباينة باعتباره عقيدة وشريعة وحضارة.

مستويات المصلحة الشرعية مداخل تجديد الخطاب الإذاعى الإسلامى:

ومن اللافت للنظر أن علماء الشريعة، وفقهاء المصلحة منهم على وجه الخصوص، تحدثوا عن مستويات للمصالح من جهة مجموع من يتعلق بهم النفع أو الضرر، وهذا الجانب ذو أهمية بالغة فيما نحن بصدده من تأصيل لقضايا تجديد الخطاب الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم؛ إذ أن كل مستوى من مستويات المصلحة يمثل مدخلاً لتجديد الخطاب الإذاعى فى جانب من جوانب التجديد.

يقول الإمام الغزالى: « تنقسم المصلحة قسمة أخرى... فمنها ما يتعلق بمصلحة عامة فى حق الخلق كافة، ومنها ما يتعلق بمصلحة الأغلب، ومنها ما يتعلق بمصلحة شخص معين »[٨٢]، وبالنظر فى هذا التقسيم يمكن الانتهاء إلى المستويات الآتية فى المصلحة الشرعية:

١- المستوى العالى للمصلحة والخطاب الإذاعى: وهنا نجد أن مقصد الشريعة هو صلاح العالم، ولا يتم صلاح العالم إلا بصلاح المهيمن عليه، وهو نوع الإنسان، ففى إصلاح حال الإنسان ودفع فساده صلاح العالم، ولذلك عالج الإسلام صلاح الإنسان بصلاح أفراده، الذين هم أجزاء نوعه، وبصلاح مجموعه، وهو النوع كله[٨٣]، وهذا ما عبر عنه الغزالى « بمصلحة الخلق كافة ».

والمصلحة على المستوى العالى أو الإنسانى ثمرة لحكمة الشريعة وتكاليفها التى ترجع إلى

حفظ مقاصدها فى الخلق، بمطالبتها كل أحد أن يحفظها فى نفسه، وأن يحفظها فى غيره، وهذا يفضى إلى غاية مصلحية عليا هى مقصد المقاصد السابقة، ألا وهى عمارة الأرض بحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة(٨٤)، وفى ذلك يقول (تعالى): ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(٨٥)؛ أى طلب منكم عمارتها بتحصيل منافع موجوداتها واستبقاء هذه المنافع، وهذا يتحقق عن طريق حفظ ورعاية أصول المصالح وأمهاتها السالفة على مستوى الإنسانية. وتجد المصلحة على هذا المستوى أساسها فى قوله (تعالى): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾(٨٦)، ومقتضى التعارف التعاون الإنسانى والتواصل الحضارى بين الشعوب كل الشعوب، والقبائل كل القبائل، والدول كل الدول.

بهذا تَسْمُو المصلحة الإنسانية العليا على الحدود الإقليمية، والقبلية، والشعوبية، لتتعلق بمطلق عموم الإنسانية من غير تخصيص بإقليم معين، أو دولة معينة، أو أمة معينة.

على هذا المستوى من مستويات المصلحة، نجد مدخلاً لمستوى من مستويات الخطاب الإذاعى الإسلامى فى إطار خطاب الوسطية والاعتدال الذى تأخذ به شبكة القرآن الكريم فى مضمون رسالتها البرامجية، ألا وهو الخطاب العالمى أو الخطاب الإنسانى الذى يسمو على الإقليمية أو القومية أو الشعوبية، أو حتى على مستوى الأمة الإسلامية ليخاطب الإنسان مطلق الإنسان؛ حيث يخدم هذا الخطاب المصلحة على المستوى الإنسانى المجرد، فيرقى هذا الخطاب ليحلق فى آفاق الأخوة فى الإنسانية، حيث البشر كلهم لآدم، وآدم من تراب.

إن الحكمة الكامنة وراء الخطاب الإذاعى الإسلامى العالمى: أن الإسلام رسالة عالمية موجهة إلى الناس كافة، وليست للعرب وحدهم، ولا للمسلمين وحدهم، ولكنها تخاطب الناس جميعًا من منطلق الوحدة الإنسانية، فالناس أبوهم واحد، وإلههم واحد، وفطرة التكوين البشرى واحدة، يقول (تعالى): ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٨٧)، ويقول فى موضع آخر: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٨٨)، فالإسلام جاء للناس كلهم، ولشئون الحياة كلها(٨٩).

بناء على هذا؛ فإن عالمية الرسالة تقتضى أن يتضمن إطار الخطاب الإذاعى الإسلامى - فى أحد مساراته أو فروعه وشعبه- مستوى الخطاب العالمى الذى لا يتوجه لدولة بعينها أو

لشعب معين، أو لأمة معينة، وإنما للمجتمع العالمى من غير تخصيص. وهذا يتطلب القدرة على فهم العالمِ بعقائده، وثقافاته، وتاريخه، وحاضره، ومشكلاته وتطلعاته، وفهم الكيفيات والآليات التى يتم من خلالها تشكيل الرأى العام العالمى، وشروط تغييره، والتأثير عليه، كأمور لابد منها لتحديد المداخل الحقيقية للخطاب.

كما لابد لنا - فى هذا المستوى من مستويات الخطاب- من التمكن من لغات الخطاب العالمية (الإنجليزية والفرنسية مثلاً) لنكون فى مستوى التكليف فى قوله (تعالى): ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾[٩٠]، فاللغات الأجنبية هى المفتاح الأول للانفتاح على العالم، وهى وسيلة الفهم لأحوال المخاطب[٩١]، ووسيلة البيان للدين وإفهامهم أحكامه وقيمه ومعانيه.

الجدير بالذكر فى هذا الصدد: أن شبكة القرآن الكريم لديها صلاحية إعداد وتقديم معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية للجاليات الإسلامية عن طريق برنامج يومى مدته ساعة[٩٢]، وهى صلاحية لم يتم توظيفها حتى الآن.

إن الحاجة إلى خطاب إذاعى إسلامى عالمى تزداد إلحاحًا فى هذه الآونة التى تشهد متغيرين مهمين: **أولهما**: ما نعايشه من ثورة عالمية فى عالم الاتصال، لا سيما الإعلام الفضائى وشبكات الإنترنت، وأثرها فى تحطيم الحواجز والحدود الحمائية للثقافات. **ثانيهما**: ما تموج به هذه الوسائل الإعلامية الدولية من حملات شرسة على الإسلام والقرآن، ورسول الإسلام محمد ﷺ، وشبهات متهافتة، وتشويه مقصود للعرب والمسلمين؛ وذلك إمَّا للجهل بحقيقة الإسلام، أو التنمر والتآمر والاستهداف للعالم الإسلامى.

إن الأزمة الإعلامية التى يعيشها المسلمون اليوم، تكمن فى عدم قدرتهم على الارتفاع بخطابهم ودعوتهم إلى مستوى إسلامهم، وعصرهم، وعالميتهم، وبدلا من أن يكونوا قادرين على قراءة الأزمات التى تمر بعالمهم، والعالم من حولهم، -قراءة إسلامية صحيحة- من خلال إعلام راشد، وبدلا من أن يكونوا قادرين على توظيف الأحداث لمصلحة الإسلام، ومصلحة الإنسان، نرى الأحداث توظفهم، فيخوض أعداؤهم المعركة بإعلامهم، وتصفَّى الحسابات بدمائهم، وهم يقاتلون بالنيابة عن الآخرين، ويعجزون عن الوقوف على ثوابت صلبة، وعن تأصيل الرؤية الإسلامية البديلة، بعد أن سقطت الرؤى ذات النزعات القومية والعرقية، والعلمانية،

والطائفية، والحزبية، التى اختبأ وراءها أعداء الإسلام، ولم تجن الأمة منها إلا الصاب والعلقم[٩٣].

٢- المصلحة على مستوى عموم الأمة وعموم الخطاب الإذاعى: إذا كان الأصل فى الشريعة الإسلامية أنها شريعة عالمية لا مكانية؛ إلا أنه لما كان الناس جميعا لا يؤمنون بها، ولا يمكن فرضها عليهم فرضًا، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٰمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[٩٤]، فقد قضت ظروف الإمكان، ألا تطبَّق الشريعة إلا على البلاد التى يسود فيها سلطان المسلمين دون غيرها من البلاد، ولهذا يقال: إن الشريعة الإسلامية فى أساسها شريعة عالمية، -إذا نظرنا إليها من الوجهة العلمية والنظرية- ولكنها فى تطبيقها شريعة إقليمية، -إذا نظرنا إليها من الوجهة العملية والواقعية- هذه الإقليمية هى ما أطلق عليه الفقهاء « دار الإسلام »[٩٥]، أو البلاد الإسلامية، وتكييفها عند علماء أصول الفقه مجموع المكلفين بخطاب الوحى، بحفظ دين الأمة، وحماية عقول أبنائها وفكرها من الانحراف، والحفاظ على حياة الإنسان ماديًّا ومعنويًّا، وصيانة الأعراض والحرمات من الانتهاك المؤدى إلى اختلاط النسل، وصيانة الأموال عن الإتلاف أو الضياع فى أغراض غير مشروعة، والعمل على تنميتها واستثمارها.

هؤلاء المكلفون هم الجماعة الذين يوجه إليهم النداء فى القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ باعتبار أن هؤلاء المخاطبين من المؤمنين، مجتمع سياسى منظم له شخصية اعتبارية، تؤهله للالتزام بالواجبات والمسئوليات واكتساب الحقوق، هذا المجتمع هو مجتمع الأمة الإسلامية ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[٩٦].

فى هذا المستوى يتمايز فرع آخر أو شعبة أخرى من الخطاب -فى إطار خطاب الوسطية والاعتدال- هو الخطاب العام، حين يسمو الخطاب الإذاعى الإسلامى فوق الحدود الدولية فى العالم الإسلامى بين دوله، وشعوبه، فيرقى فوق الشعوبية، والقبائلية، والإقليمية ليحلق فى آفاق الأخوة الإسلامية، كما يحلق خطاب العالمية فى آفاق الأخوة فى الإنسانية؛ إذ يقول (تعالى): ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٩٧]، هذا الخطاب يتوجه إلى المجتمع الإسلامى، بالمفهوم السابق، فى الدول التى يسود فيها الإسلام، كما يَّتجه إلى الأقلِّيات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية والجاليات المسلمة فى كل مكان.

وعلى هذا؛ فإن هذا الخطاب الإذاعى الإسلامى العام ينطلق من أرضية حفظ ورعاية أصول المصالح التى قصدت الشريعة إلى حفظها فى آحاد المسلمين ومجموعهم، وذلك بالدعوة إلى حفظ دين الأمة، وإذاعة مفاهيمه الصحيحة، ودفع ما يثور حوله من شبهات، وحماية عقول أبناء الأمة الإسلامية من الانحراف الفكرى، والتضليل المذهبى، والحفاظ على حياة الإنسان المسلم ماديًّا ومعنويًّا، والدعوة إلى العفة وصيانة الأعراض من الانتهاك المؤدى إلى اختلاط الأنساب، وصيانة ثروة الأمة من الإهدار فى غير الأغراض المشروعة، والعمل على تنميتها واستثمارها.

هذه هى الحدود المصلحية العامة الضابطة لميدان الخطاب الإذاعى الإسلامى العام، الذى يعد فى أخص خصائصه، خطاب الوحدة والتأليف بين المسلمين على قلب رجل واحد، ويحارب كل مظاهر الفرقة وأسبابها التى تشق صفوفهم، وتريق دماءهم الحرام، وتبدد طاقاتهم وإمكاناتهم فى ساحات الهدم والدمار، بدلا من توجيهها إلى ميادين البناء والعمران، بمعنى آخر: فإن هذه الشعبة من شعب الخطاب الإذاعى تنشغل بمشكلات الأمة، وتبصيرها بأبعاد أزمتها وبأهداف أعدائها نحوها، ومحاولة تكوين رأى عام مؤثر وفاعل، إزاء ما يحاك ضد الأمة الإسلامية وضد الإسلام، بحيث يشكل حائط صد لرياح الفتن والمؤامرات. وفى هذا الإطار ينبغى الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية، وتقريب الآراء الفقهية، والتركيز على المتفق عليه، وهو أكثر بكثير من المختلف فيه.

من جانب آخر؛ فإن من مهام هذا الخطاب: مد جسور التواصل بين المسلمين فى أنحاء العالم الإسلامى، وبينهم وبين الأقليات والجاليات الإسلامية فى الدول غير الإسلامية، وتزكية التعاون فى مختلف الميادين الاقتصادية والسياسية، والإنسانية، وإحياء روح التكافل والتضامن بين المسلمين؛ باعتباره من القيم الإسلامية الأصيلة.

وهنا نشير إلى الدور المهم الذى تؤديه فى هذا الخصوص كل من منظمة المؤتمر الإسلامى، وجامعة الدول العربية، من خلال الأجهزة التابعة لكل منهما، وخاصة مؤتمرات وزراء الأوقاف والشئون الإسلامية، ومنظمة الإذاعات الإسلامية، واتحاد الإذاعات العربية؛ حيث يمكن أن تؤدى دورًا مهما فى تنسيق الجهود الإعلامية، وتوفير المعلومات والبيانات حول المشكلات والقضايا التى يعنى بها الخطاب الإذاعى الإسلامى فى شبكة القرآن الكريم من القاهرة،

وغيرها من الإذاعات المماثلة، وتيسير تبادل الخبرات، والمواد الإذاعية فيما بينها، بما يدعم عموميَّة الخطاب، ويرسِّخ الخطاب الإذاعى الإسلامى العام فى شبكة القرآن الكريم والإذاعات الإسلامية المماثلة فى الدول العربية والإسلامية.

٣- المصلحة على مستوى جزء من الأمة وخطاب الإقليمية: المقصود بالمصلحة التى يتبنَّاها الخطاب الإذاعى الإسلامى -فى هذا المستوى- هى ما كان نفعها أو ضررها عائدا على جماعة عظيمة من الأمة، أو قطر من أقطارها، حيث يعترف الإسلام بالشعوب، والقبائل، واختلاف الألسنة والألوان، ما يعنى الإقرار بالتعددية فى الأعراق والثقافات والشعوب، كما فى قوله (تعالى): ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾[٩٨]، وقوله (تعالى): ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [سورة الحجرات: آية ١٣]، وهذا التنوع والتعدد والاختلاف قانون دائم، وسنة لله فى خلقه ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[٩٩].

ولا ريب أن اختلاف الناس شعوبًا وقبائل، يتضمن اختلافهم فى العادات والأعراف، وأن اختلافهم فى الألسنة أو اللغات، يحمل تنوعًا فى الثقافات التى تعبر عنها تلك اللغات، وأن اختلافهم فى الألوان، يدل على اختلافهم فى الأقاليم والعوامل المناخية، وما يستتبعه ذلك من اختلاف فى الطبائع وطرائق العيش، وكيفيات الأفعال وردود الأفعال، إلى آخره مما هو مؤذن باختلاف وتنوع البيئات التى يعيش فيها الناس، من حيث اختلاف الثروات، والمقدرات، والمعارف، واختلاف الأحوال، على طول العالم الإسلامى وعرضه.

ولا يمكن أن يعترف الإسلام بالتنوع فى المجتمع الإنسانى على هذا النحو، دون أن يعترف باختلاف الواقع والأحوال من بيئة إلى أخرى، ومن إقليم إلى آخر، وما يحمله ذلك من تنوع واختلاف فى المشكلات والقضايا المثارة من بيئة إلى أخرى؛ ولذلك أقرَّ الفقهاء: بأن الفتوى تتغير بحسب الأحوال والمكان والزمان والأشخاص.

وهنا يكمن المدخل للشعبة الأخيرة من شعب الخطاب الإذاعى الإسلامى، الذى يُتضمن فى إطار خطاب الوسطية والاعتدال، الذى تتبناه شبكة القرآن الكريم فى خطاب برامجها، ألا وهو الخطاب الإقليمى، وهو الخطاب الذى يعنَى بالقضايا والمشكلات التى تثار على المستوى

الإقليمى أو المحلى، فيعنـَى ببحث هذه المشكلات واختيار الآراء والحلول الإسلامية الراجحة، مراعيًا فى ذلك الأحوال والعادات والأعراف السائدة على المستوى المحلى أو الإقليمى، وما يسود من مذاهب فقهية.

ولا يغيب عن هذا الخطاب، وهو يستغرق فى المشاكل المحلية، ويعرض الحلول والبدائل أن يقوم بدور التكامل مع الخطاب العام فى الحض على الوحدة والتأليف بين المسلمين فى أنحاء العالم الإسلامى، وجمعهم على أصول الإسلام، وأن الاختلاف فى المشاكل والقضايا هو اختلاف تنوع فى الفروع الفقهية، فى إطار الوحدة الجامعة، إطار أصول الإسلام، وبالتالى عليه أن ينبذ التعصب المذهبى البغيض الذى يفرق ولا يجمع، وأن يبرز غَناء الفقه الإسلامى وثراءه بالآراء الفقهية، التى تناسب كل بيئة وكل حال، وأن جميع المذاهب ترد من حياض النبوة وينابيعها الصافية، وأن اختلاف المذاهب اختلاف تنوُّع ورحمة، وليس اختلاف تعصُّب وشقاق وفرقة.

ذلك إطار جديد لأهداف شبكة القرآن الكريم يَنْبثقُ عنه شعب ثلاث لخطاب إذاعى إسلامى، يتضمنها جميعًا إطار جامع لخطاب الوسطية والاعتدال، وكل مستوى من مستويات الخطاب، أو كل شعبة من شعبه السابقة، تستعمل فى سياقها البرامجى، بحسب الفكرة التى يدور حولها كل برنامج، وبحسب المتلقى المستهدف بالفكرة، كما يؤخذ فى الاعتبار ما إذا كانت الفكرة تعالج قضايا على المستوى العالمى والإنسانى، أم تعالج قضايا على مستوى الأمة الإسلامية، أم هى فكرة برامجية تدور حول مشاكل وقضايا إقليمية أو محلية، وبهذا يمكن الجمع بين هذه الشعب الثلاث فى إطار من وحدة الهدف، وضمان التمايز فيما بينها فى إطار من التناغم والتناسق.

ثالثـًا: برامج شبكة القرآن الكريم وموقعها من تجديد:

الخطاب الإذاعى:

ونعنى فى هذا الصدد بالنظر إلى برامج شبكة القرآن الكريم من زوايا مختلفة، لاكتشاف مدى تحقق التجديد فى الخطاب الإذاعى لهذه البرامج، ووصولاً إلى تقديم بعض المقترحات التطويرية فى هذا الخطاب.

بادئ ذى بدء: فإن المادة الإذاعية لشبكة القرآن الكريم، تتكون من حيث المحتوى من

عنصرين رئيسيين: **أولهما**- فقرات المصحف المرتل وفقرات القرآن المجود، على مدار ساعات البث البالغ عددها أربعًا وعشرين ساعة، بنسبة تصل إلى حوالى ٦٨ ٪ من مجموع ساعات الإرسال، **ثانيهما**- مجموع البرامج التى تبث بين فقرات المصحف المرتل والقرآن المجود على مدار الأربع والعشرين ساعة، وتبلغ نسبتها حوالى ٣٢ ٪ من مجموع ساعات الإرسال(١٠٠).

وإذا كان البحث فى هذا المقام يتعلق -أساسًا- بالمواد البرامجية؛ لأنها موضع الخطاب الإذاعى محل البحث؛ فإنه من الضرورى أن يوضع محتوى الرسالة بعنصريه -القرآن والبرامج- فى الاعتبار لما لإذاعة القرآن المرتل والمجود من وظيفة مهمة فى خدمة أحد الأهداف الرئيسة فى الإطار المقترح لأهداف الشبكة، وهو خدمة مقصد حفظ الدين من ناحية العدم أو من ناحية الإبقاء، بمعنى تحقيق المحافظة على النص الموحى به من أن يلحقه تحريف أو تغيير، بإذاعته نصًّا صحيحًا كما أنزل على النبى ﷺ بإجماع الأمة -سلفها وخلفها- عليه. وهذا الهدف فى حقيقته تحقيق لباقى الأهداف الأخرى فى الإطار المقترح لأهداف الشبكة؛ لأن القرآن هو الوعاء المحتوى لدين الأمة بمقاصده الكلية والجزئية، وهذه أولى إيجابيات هذا الإطار من منظومة المصالح، التى تعمل على تحقيقها إذاعة القرآن الكريم، وهى أنه يجمع الرسالة الإعلامية للشبكة بعنصريها الرئيسين تحت مظلة واحدة شاملة لجميع المصالح فى الحياة الإسلامية.

وقبل الْمُضِيِّ فى البحث يجب الوقوف -فى هذا المقام- أمام دعوة تظهر من حين إلى آخر، على صفحات بعض الجرائد، وأحيانًا بعض المجلات التى تدعو إلى اقتصار الرسالة الإعلامية لشبكة القرآن الكريم على إذاعة القرآن الكريم فقط دون البرامج، معتبرة أن البرامج نوع من لغو الكلام الذى يأتى على حساب استمتاع المستمعين بتلاوة القرآن الكريم. هذه الدعوة -أو إن شئت فقل- مثل هذه الحملة ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها فيه هوى علمانى المذهب، وفهم حداثى غربى للدين، ولدوره المنحسر فى المحراب، بعيدًا عن المجتمع، ومن هذا المنطلق يكون النظر إلى الغاية من القرآن، التى تقتصر، عند هؤلاء، على الاستمتاع بالاستماع إلى تلاوته، وعلى أقصى تقدير، تقتصر على التبرك بهذا الاستماع وكفى، ومن ثم يرى هؤلاء أن البرامج لغو وثرثرة لا فائدة من ورائها(١٠١).

ولا يتسع المقام لتفاصيل الرد على هذه الدعوى، التى ليس لها أساس علمى أو إعلامى، ولكن ما يعنينا هنا عدة أمور يشار إليها بإيجاز:

١- منذ إنشاء هذه المحطة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٦٤م لإذاعة القرآن المرتل فقط، مرت رسالتها الإعلامية بمراحل من التطور، من إدخال القرآن المجود، إلى إدخال بعض برامج التفسير بنسبة مقررة مقدارها ٥ ٪، حتى حدثت طفرة فى نسبة البرامج لتصل إلى ٣ ٪ فى سنة ١٩٧٧م بقرارات من الجهات الإعلامية المعنية، وظلت نسبة البرامج تراوح هذه النسبة منذ ذلك التاريخ، حتى صدور قرار وزير الإعلام بمد ساعات الإرسال إلى أربع وعشرين ساعة فى ٤ مايو سنة ١٩٩٤م(١٠٢).

وهذا التطور فى الرسالة الإعلامية لشبكة القرآن الكريم، جاء تعبيرًا عن اقتناع راسخ، ووعى نضيج، لدى القيادات الإعلامية التى قررته، بأن «الدين الإسلامى ليس مجموعة شعائر تؤدَّى داخل المسجد أو فى بعض المناسبات؛ بل هو حضارة، وثقافة، وصياغة للحياة تحقق للمسلم حاجاته المادية والروحية وتسلِّحه بموقف من الحياة يعتمد على الصلة بالله والخضوع له، وتعمير الحياة بالأساليب التى تتوافق مع نهج الشريعة الإسلامية، ومن هنا فإن البرامج الدينية فى أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية ينبغى أن تعبر عن هذه الحقائق بوضوح، حتى تكون معبرة تعبيرًا صحيحًا عن جوهر الإسلام فى وسطيته واعتداله وريادته»(١٠٣).

واكب هذا التطور فى الرسالة الإعلامية لشبكة القرآن الكريم، تطور آخر فى الهيكل الإدارى، كى يمكنها مواجهة أعباء الدور المستهدف من التوسع فى مضمون رسالتها على هذا النحو، فتطورت من مجرد مراقبة تابعة للمستشار الثقافى بالإذاعة المصرية، لينتهى بها المطاف إلى شبكة مستقلة، تتكون من إدارات عامة أربع: **الأولى**- الإدارة العامة لبرامج علوم القرآن، **الثانية**- الإدارة العامة لبرامج السيرة والسُّنة، **الثالثة** - الإدارة العامة لبرامج الأسرة والمجتمع، **الرابعة**- الإدارة العامة للتنفيذ(١٠٤).

من هنا فإن هذه الدعوى قد تجاوزها التطور فى مضمون الرسالة الإعلامية والمستهدف منها فى الخطط الإعلامية المتعاقبة لاتحاد الإذاعة والتليفزيون، كما تجاوزها التطور الإدارى لهيكل الشبكة كى تتمكن من النهوض بدورها فى تحقيق المستهدف من رسالتها.

٢- أجريت إحدى الدراسات العلمية على شبكة القرآن الكريم، باستخدام أسلوب عينة من الشباب الجامعى وعينة من الخبراء، واستطلعت آراء العينتين فى اقتصار إذاعة القرآن الكريم على تقديم القرآن فقط، دون غيره من المواد الإذاعية الأخرى، فكانت النتيجة أن ٩٢,٥٪

من الشباب رفض هذا الرأى، وكان من أسباب الرفض، أنهم وإن كانوا يعطون القرآن الكريم مرتبة أولى فى التفضيل والاستماع، بين المواد الإذاعية المقدمة من إذاعة القرآن الكريم؛ إلا أن القرآن يحتاج إلى شرح وتفسير، ولذلك فإن البرامج لها دور فى تبسيط القرآن وشرحه. ووصلت نسبة من رفضوا هذا الرأى من عينة الخبراء ٨٥,٤٪ وأبدوا نفس السبب. ومن بين ما انتهت إليه هذه الدراسة أن إذاعة القرآن الكريم تمثل المصدر الثانى للتثقيف الإسلامى للشباب الجامعى بعد الكتب الإسلامية[١٠٥]. وهذا يؤكد أن هذه الحملة الإعلامية التى تشن من حين إلى آخر مطالبة باقتصار إذاعة القرآن على بث القرآن فقط دون البرامج، لا تمثل تعبيرًا عن رأى عام، ولا تتجاوز أسماء من يصنعون هذه الحملات، أو بالأحرى، من يصطنعونها.

٣- إن دعوى اقتصار شبكة القرآن الكريم على بث القرآن فقط، دعوى تخالف صريح نص القرآن نفسه، وذلكم حيث يقول (تعالى) لرسوله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[١٠٦]، فبيان الذكر من الرسول ﷺ لصحابته وظيفة من وظائف النبوة، فيها دليل على حاجة الذكر - وهو القرآن- إلى بيان حتى يمكن أن تُفهم معانيه وأوامره ونواهيه، وذلك تمكينًا لامتثال ما جاء به من تكليف؛ ولذلك فإن صحابة رسول الله كانوا يسألون الرسول ﷺ عما خفى عليهم أو غمض أو اشتبه على فهمهم من معانى القرآن فيجيبهم إلى ذلك، رغم نزول القرآن بلغتهم، ورغم ما كانوا عليه من فصاحة وبلاغة.

كذلك؛ فإن الأمة الإسلامية خرجت من بين دفتىْ هذا الكتاب، ليس بالاستماع إلى تلاوته فقط -كما يريد بعض من الخلف- بل بفهمه والوقوف على أوامره ونواهيه، ثم الامتثال لتلك الأوامر والنواهى، ومن هنا فقد انداحت علوم الشريعة وتشعبت معارفها من بين دفتى القرآن الكريم، سبيلاً إلى فهمه وتدارسه، ثم امتثاله وتجسيده فى الواقع حركة وحياة. ولذلك أَصَّلَ الإمام الشاطبى نوعين من المقاصد الشرعية لإنزال القرآن الكريم، **أولهما**: «قصد الشارع فى وضع الشريعة للإفهام» أى أن الله (تعالى) يريد من الخلق أن يفهموا الشريعة على حقيقتها، وأنزلها قابلة لهذا الإفهام، ومن يقوم به أهل الذكر من الأمة، ومن ثم أنزل القرآن (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)[١٠٧]، **ثانيهما**: قصد الشارع وضع الشريعة للتكليف بمقتضاها، ثم قصده امتثال أحكامها بدخول المكلف تحت هذه الأحكام[١٠٨].

وعلى هذا النظر الشرعى تتأسس التطورات فى مضمون رسالة إذاعة القرآن الكريم لتشمل

البرامج المتباينة، جنبًا إلى جنب، مع القرآن المرتل والمجود خدمة لمنظومة المصالح والمقاصد الشرعية السابقة؛ ومن ثم فإن الدعوى موضع الإشارة لا تقوم -بالإضافة إلى ما سبق- على نظر شرعى، بل تجافى هذا النظر وتخالفه.

أفكار البرامج ومؤشرات تجديد الخطاب الإذاعى:

سبقت الإشارة إلى أن خطاب الوسطية والاعتدال، الذى تتبناه شبكة القرآن الكريم خطاب إذاعى يعبر عن رسالتها الإعلامية الكامنة فى مضمون برامجها، يتكون فى نسيجه وخلاياه من مكونين: **أولهما**- عالم نصوص الوحى بمفرداته السابقة، وركيزته علوم الوحى ومعارفه، **ثانيهما**- عالم الواقع بمتغيراته الخمسة: الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال، والأحداث أو الظواهر.

وعلى ضوء هذين المتغيِّرين للخطاب، ننظر إلى خريطة برامج شبكة القرآن (دورة أبريل - يونية ٢٠٠٥م)، لنرى مدى اقتراب هذه البرامج فى أفكارها، من متغيِّرى أو مكوِّنى الخطاب الإذاعى، ومن ثم مدى تحقق مؤشرات التجديد فى أفكار هذه البرامج.

والجدول رقم (١) فيه بيان بأسماء هذه البرامج، والشكل الإذاعى لكل منها، وفكرة كل برنامج أو هدفه، ثم مدة كل برنامج، ودوريته الإذاعية، والبحث يتركز هنا بشكل أساسى على أفكار البرامج، ومدى تعبيرها عن متغيرى الخطاب الإذاعى الإسلامى، وأين تكمن مؤشرات التجديد فى هذه الأفكار، حسب المفهوم الذى قدمته الدراسة للتجديد فى إطارها المفاهيمى.

وبالتأمل فى الجدول رقم (١) يمكن الانتهاء إلى الملاحظات الآتية:

١- جدول (١-أ) يحتوى على برامج تخدم نصوص الوحى (القرآن الكريم والسُّنة المطهرة) من جوانب متعددة، وهى مجموعة البرامج التى تدور حول علوم الوحى ومعارفه؛ حيث نجد الشرائح الآتية من البرامج:

أ- برامج تخدم نصوص القرآن الكريم من ناحية تعليم كيفية التلاوة، وبيان أحكام التجويد والنطق الصحيح، وهى البرامج الأربعة الأولى (جدول ١-أ).

ب- برامج تفسير المعانى، وبيان ما فى الآيات من أحكام، وعددها ثلاثة عشر برنامجًا من

رقم ٥-١٧ جدول (١-أ)، باستثناء الثلاثة البرامج الأخيرة؛ لأن جوهرها تلاوات قرآنية من محافل جماهيرية، من ١٨-٢٠ فى الجدول نفسه.

جـ- برامج تخدم نصوص الأحاديث النبوية الشريفة والسيرة العطرة، باعتبارها المصدر الرئيسى الثانى للإسلام، بعد مصدره الأول وهو القرآن الكريم، وتبلغ سبعة عشر برنامجًا، من رقم ٢١-٣٧ جدول (١-أ).

وبذلك يبلغ عدد الأفكار البرامجية التى تهدف إلى خدمة عالم نصوص الوحى سبعة وثلاثين برنامجًا، تصل نسبتها إلى ما يقارب ٥ ٪ من مجموع البرامج خلال الدورة الحالية (أبريل - يونيه ٢٠٠٥م)، منها عشرون برنامجًا لخدمة نصوص القرآن الكريم، وسبعة عشر برنامجًا لخدمة نصوص السُّنة والسيرة، وهو ما يوضح شبه التوازن فى توزيع البرامج على مصدرى الوحى قرآنًا وسُّنة.

٢- (جدول ١-ب) برامج تخدم قضايا ووقائع فى الواقع المعيش باعتباره المكون الثانى من مكوِّنى خطاب الوسطية والتجديد، الذى تتبناه برامج شبكة القرآن الكريم، وارتباط هذا الخطاب بمشكلات الواقع مؤشر على التجديد فى هذا الخطاب، الذى تنعكس فيه هموم المستمع، ويحمل البدائل والحلول لما يواجه المستمع من مشكلات فى محيطه الاجتماعى. وبتأمل جدول (١-ب) ننتهى إلى الآتى:

أ- تنوع المجالات التى تتناولها أفكار هذه البرامج، بين أحكام فقهية للوقائع مثل: بريد الإسلام، فقه المرأة، وموسوعة الفقه الإسلامى من رقم ١-٣، وبرامج تتناول أثر العقائد فى سلوك الفرد والجماعة، مثل الإيمان والحياة، وعقيدة وعمل ٤-٥، وبرامج تعالج العلاقات الإنسانية فى جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مثل برامج: الدين المعاملة، حقوق الإنسان فى الإسلام، الأسرة والمجتمع، الأمر الذى يكشف عن مدى اتساع المساحة الواقعية التى تغطيها برامج الشبكة فى ضوء المفاهيم الإسلامية، وهو أهم مؤشر من مؤشرات التجديد فى الخطاب الإذاعى فى برامج شبكة القرآن الكريم. والجدير بالذكر أن البحث وإن كان يعتمد على خريطة أبريل - مايو ٢٠٠٥م، إلا أن جلَّ هذه البرامج مستمرة من سنوات سابقة.

ب- إفراد خريطة البرامج لعدد من الأفكار البرامجية التى تتناول مشكلات الشرائح

الاجتماعية المتنوعة مثل برامج: فقه المرأة، طلائع الإيمان، براعم الإيمان، مجلة الشباب، مع الشباب، والعناية بهذه الشرائح الاجتماعية، وتحليل ما تواجهه من مشكلات فى ضوء المفاهيم الإسلامية. وطرح الفقه المتعلق بهذه الشرائح، لهو مظهر مهم من مظاهر التجديد فى الخطاب، بل وفى الفكر المطروح الذى يحمله الخطاب.

جـ- من المؤشرات المهمة على تجديد الخطاب الإذاعى، والفكر الذى يعبر عنه هذا الخطاب، ما اتجهت إليه خريطة البرامج فى الشبكة منذ سنوات، من إفرادها لبرنامج (وبشِّر الصابرين) الذى يهتم بمشكلات ذوى الاحتياجات الخاصة مع الاهتمام خصوصًا بالنواحى المعنوية والملكات النفسية الإيمانية لهذه الشريحة.

د- تهتم خريطة الشبكة بشكل عام بإبراز القدوة الطيبة فى تراثنا الحضارى والفكرى، وأثرها على الفرد والمجتمع، فخصصت برامج عديدة لتقديم نموذج الإنسان المسلم، ومقومات الشخصية الإسلامية، لتوضع أمام المستمع لتحقيق فكرة الاتباع والاقتداء الحسن بهذه النماذج، وهنا نجد برامج مثل: القاموس الإسلامى، رحلة فى طلب العلم، مع الصحابة، فى مكتبة عالم، نوابغ الفكر الإسلامى، عباد الرحمن.

هـ- من مؤشرات التجديد الذى يشغل اهتمام القائمين على صياغة الخطاب الإذاعى بشبكة القرآن الكريم، وضع برنامج يعنى بقضايا البيئة وحمايتها من التلوث، والتأصيل الإسلامى لهذه القضايا، وهو برنامج «الإنسان والبيئة»، وذلك بالإضافة إلى اهتمام العديد من البرامج الأخرى بمناقشة جوانب هذا الموضوع المهم على الصعيدين الوطنى والدولى، لما له من آثار ضارة على الإنسان وسائر الكائنات الحية، والعناصر الأخرى للبيئة، بالإضافة إلى التغطية الإعلامية للندوات والمؤتمرات التى تُعقد بخصوص هذا الموضوع.

و- بالنظر الإجمالى فى الجدول رقم (١) نلاحظ أن البرامج التى تهدف إلى خدمة قضايا الواقع المعيش يبلغ عددها سبعة وثلاثين برنامجًا، بنسبة تصل إلى حوالى ٥ ٪ من عدد البرامج، وهو أمر يُظهر المدى الواسع للاهتمام الذى توليه أفكار البرامج، وخطابها الإذاعى بالواقع المعيش وقضاياه، ويكشف، فى الوقت نفسه، عن مؤشر إضافى من مؤشرات التجديد، ألا وهو الربط أو عقد القرآن فى الفكر والخطاب الإذاعى بين معطيات نصوص الوحى ومتغيرات الواقع، فى نوع من التوازن الكمِّى والكيْفى للبرامج.

جدول (١)

بيان بأفكار برامج شبكة القرآن الكريم، وأهداف هذه البرامج وأشكالها

(دورة أبريل – يونيه ٢٠٠٥م)

(جدول١-أ) أفكار برامج تدور فى فلك نصوص القرآن الكريم، والسنة المطهرة

إسم البرنامج	الشكل الإذاعى والهدف	المدة	دورية الإذاعة
١- المصحف المعلم	الترديد والتكرار وراء المقرئ المعلم بهدف الحفظ.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٢- الرحمن علم القرآن	سؤال وجواب مع أستاذ فى علم التجويد لاستخلاص أحكام التجويد فى التلاوة المقدمة.	١٠ ق	مرتان أسبوعيًّا
٣- رحلة مع القرآن	سؤال وجواب لبيان كيفية نطق الحروف وإخراجها من مخرجها الصحيح، وبيان أوصاف كل حرف.	١٠ ق	مرتان أسبوعيًّا
٤- تقدمة التلاوة	حديث مباشر لشرح رواية من روايات القراءة أو شرح أحكام إحدى القراءات للتلاوات المقدمة.	٥ق	يوميًّا
٥- أوامر الرحمن فى آيات القرآن	حوار لبيان ما يستفاد من الأوامر والنواهى الإلهية فى الآيات.	٥ق	يوميًّا
٦- حديث الشيخ الشعراوى	حديث مباشر - تفسير معاني.	٥ق	يوميًّا
٧- حديث الشيخ الشعراوى	حديث مباشر - تفسير معانى.	٤٥ق	مرتان أسبوعيًّا
٨- مع القرآن الكريم	حديث مباشر تفسير د. محمد السيد طنطاوى -شيخ الأزهر- لآيات القرآن حسب ترتيب المصحف.	١٠ ق	يوميًّا
٩- التفسير الموضوعى لكتاب الله	حوار حول موضوع معين تناولته آيات القرآن.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
١٠- تقدمة التلاوة	حديث مباشر -تفسير المعانى- من كبار العلماء لما يتبعه من تلاوة.	١٠ ق	ثلاث حلقات يوميًّا
١١- كلمات الرحمن	حوار حول معانى الآيات.	١٠ ق	يوميًّا
١٢- كلمة فى آية	حوار حول دلالات كلمة ذات معنى محورى فى سياق آية.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
١٣- لغة القرآن	حديث حوارى يعالج جوانب البيان واللغة وأثر ذلك فى معانى الآيات.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا

إسم البرنامج	الشكل الإذاعى والهدف	المدة	دورية الإذاعة
١٤- الاستفهام فى القرآن	حديث حوارى يعالج أساليب الاستفهام فى آيات القرآن، وأثرها فى المعانى.	١٠ ق	مرة واحدة أسبوعيًّا
١٥- لسان عربى مبين	حديث حوارى يتعرض للدلالات وبنية الكلمات والمعاجم العربية والمدارس اللغوية.	٥ق	يوميًّا
١٦- باحث ورسالة	عرض لمناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه التى غالبًا ما تكون فى التفسير وعلوم القرآن والسُّنة المطهرة، والفكر الإسلامى.	٣٠ ق	أسبوعيًّا
١٧- معالم الحضارة الإسلامية	حديث حوارى يناقش جوانب العطاء الإنسانى للحضارة الإسلامية، وكيف تفاعلت مع الحضارات الأخرى إنجازًا للحضارة الإنسانية حتى يستعيد المسلم ثقته بحضارته وتاريخه.		أسبوعيًّا
١٨- هذا هو الإسلام	حديث حوارى يناقش الخصائص العامة التى تميز بها دين الإسلام بين الأديان السماوية.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
١٩- من التسجيلات النادرة	سجلت من محافل جماهيرية، هدفها حفظ ورعاية نص القرآن الكريم، جنبًا إلى جنب مع فقرات المصحف المرتل، وفقرات القرآن المجود المذاعة على مدار الساعة.	٤٥ق	أسبوعيًّا
٢٠- أمسية دينية	سجلت من محافل جماهيرية، هدفها حفظ ورعاية نص القرآن الكريم، جنبًا إلى جنب مع فقرات المصحف المرتل، وفقرات القرآن المجود المذاعة على مدار الساعة.	٤٥ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٢١- من تسجيلاتنا الخارجية	سجلت من محافل جماهيرية، هدفها حفظ ورعاية نص القرآن الكريم، جنبًا إلى جنب مع فقرات المصحف المرتل، وفقرات القرآن المجود المذاعة على مدار الساعة.	٤٥ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٢٢- فى ظلال الهدى النبوى	حديث مباشر - شرح معانى الأحاديث.	١٠ ق	يوميًّا
٢٣- قصة فى حديث	حوار يناقش قصة من قصص السُّنة وما ورد بها من معان.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٢٤- قطوف من السيرة	حديث مباشر حول أحداث السيرة ومواقفها.	٥ق	يوميًّا
٢٥- علوم السُّنة	حديث حوارى حول قواعد ومعايير التعامل مع الأحاديث وتداولها من حيث الصحة	١٠ ق	مرتان أسبوعيًّا

إسم البرنامج	الشكل الإذاعى والهدف	المدة	دورية الإذاعة
	وعدمها، والرواة ودرجاتهم، والتعريف بكتب السُّنة وأئمة الحديث.		
٢٦- بلاغة الرسول	حديث حوارى يدور حول الجوانب اللغوية والبيانية فى الأحاديث النبوية.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٢٧- الأمثال فى القرآن والسُّنة	حديث حوارى حول المثل فى القرآن وفى السنة ودلالته المستفادة، وظلاله الاجتماعية.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٢٨- قبس من نور النبوة	حديث مباشر يوضح معانى الأحاديث النبوية الصحيحة، وإبراز ما يستفاد منها من دروس وآداب اجتماعية.	١٠ ق	أربع مرات أسبوعيًّا
٢٩-الاستفهام فى السنة	حوار حول الأسلوب الإنشائى فى السنة وطريقة السؤال والجواب، وأثرها فى المعانى.	١٠ ق	مرتان أسبوعيًّا
٣٠- السيرة النبوية فى القرآن	حديث حوارى يدور حول أحداث السيرة كما نقلتها آيات القرآن الكريم.	١٠ ق	مرتان أسبوعيًّا
٣١- من دعاء الرسول	حديث مباشر يعرض اختيارات من دعاء الرسول مع شرحها لبيان معناها وأثرها فى تزكية النفس الإنسانية، ودوام التجائها إلى الله فى الشدة والرخاء.	١٠ ق	مرتان أسبوعيًّا
٣٢- من المكتبة الإسلامية	حديث مباشر يعرض لمحتويات كتاب من الكتب الحديثة التى تدور حول القرآن أو السنة.	١٠ ق	مرتان أسبوعيًّا
٣٣- قطوف من حدائق الإيمان	حديث مباشر فى فقرات منوعة.. هدفها خدمة معانى القرآن والسنة، والتراث الفكرى للأمة.	١٠ ق	يوميًّا
٣٤- المستغفرون بالأسحار	حديث مباشر هدفه ترقيق القلوب واستشعارها بالتقصير فى جنب الله، ودوام التوبة والاستغفار والإنابة إلى الله.	٥ق	٤ مرات أسبوعيًّا
٣٥- فى رحاب السنة	حديث مباشر يتناول الجوانب الاجتماعية فى سيرة رسول الله (ﷺ)، وسنته العطرة.	٥ق	يوميًّا
٣٦- مع الأحاديث القدسية	حوار يدور حول بيان معانى الأحاديث القدسية عن رب العزة -تبارك وتعالى- وما فيها من آداب.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٣٧- من دوحة الدعاء	حديث حوارى حول دعاء من أدعية القرآن والسنة والصالحين من سلف الأمة.	٥ق	يوميًّا

(جدول ١- ب)

برامج تخدم الواقع بمتغيراته

إسم البرنامج	الشكل الإذاعى والهدف	المدة	دورية الإذاعة
١- بريد الإسلام	سؤال وجواب حول أحكام مشكلات فى واقع المستمعين وحلولها، وقد يتطرق إلى أحكام العبادات، وهى حل لمشكلة فى العبادات يواجهها المستمع.	١٠ ق	ثلاث مرات يوميًّا
٢-فقه المرأة	سؤال وجواب حول الأحكام الفقهية التى تخص المرأة فى العبادات والأحوال الشخصية، وجوانب الحياة الأخرى.	١٠ ق	أسبوعيًّا
٣- أركان الإسلام	حديث حوارى يدور حول تيسير أحكام العبادات، وما يمكن أن تحدثه من آثار إيجابية على الفرد المسلم.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٤- الإيمان والحياة	حوار يتناول التوظيف الاجتماعى لقضايا العقيدة وأركان الإيمان.	١٠ ق	ثلاث مرات يوميًّا
٥- عقيدة وعمل	حديث حوارى حول شرح العقيدة الإسلامية وتيسير فهمها وفقًا لكتاب اللّٰه وسنة رسوله بعيدًا عن الأخلاط الفلسفية والكلامية، وبيان أثرها فى سلوك المسلم عملاً وحركة.	١٠ ق	يوميًّا
٦- الدين المعاملة	حديث حوارى ينافس كيفية التعامل بين الناس من منظور الإسلام فى النواحى الأسرية والاجتماعية عمومًا، وكذلك التعاملات الاقتصادية والتجارية والمالية، وكل ما له علاقة بين طرف وآخر (الفرد والجماعة، الإنسان والحيوان).	١٠ ق	يوميًّا
٧-حقوق الإنسان فى الإسلام	حديث حوارى يناقش الحقوق والواجبات التى شرعها اللّٰه للمحافظة على كرامة الإنسان وبنائه المعنوى.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٨- الأسرة والمجتمع	يتناول أوضاع العلاقات داخل أفراد الأسرة: بين الزوجين، وبينهما وبين الأولاد، بما يؤدى إلى التماسك الأسرى.	١٥ق	يوميًّا
٩-منهج القرآن فى بناء المجتمع	حوار حول بناء نموذج المجتمع الإسلامى من خلال بناء الإنسان المسلم كما يضعه القرآن الكريم.	٥ق	يوميًّا

إسم البرنامج	الشكل الإذاعى والهدف	المدة	دورية الإذاعة
١٠- أدب الحوار فى الإسلام	حديث حوارى يعرض للحوارات التى وردت فى كتاب الله أو السنة المطهرة، لإبراز مبادئ الحوار وكيفياته فى التواصل بين الأفراد.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
١١- القرآن وقضايا العصر	حديث حوارى يعرض للقضايا الاجتماعية الإيجابية لتعميقها، والقضايا السلبية لاقتلاعها وذلك فى ضوء القرآن والسنة.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
١٢- كتابات إسلامية	حديث مباشر - عرض للمقالات الإسلامية بالصحف والمجلات.	٥ق	مرتان يوميًّا
١٣- دعوة للحوار	ندوة أو مائدة مستديرة تناقش قضية من القضايا المثارة على الساحة الفكرية والإسلامية وتحليل أبعادها وجوانبها المتباينة على ضوء من هدى الإسلام.	٤٥ق	شهريًّا
١٤- مواقف إسلامية	حوار يعرض موقف أو حدث فى فترة من فترات التاريخ الإسلامى على المستوى الفردى بين الأمراء، أو بينهم وبين الرعية، أو بين العلماء، ثم يناقش جوانب هذا الموقف وما يمكن استخلاصه.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
١٥- فى رحاب الدعوة الإسلامية	حديث مباشر يتناول مشاكل الدعوة وآلياتها ومناهجها.	١٠ ق	أسبوعيًّا
١٦- ندوة الأسبوع	ندوة حول دائرة مستديرة تناقش موضوعات الساعة فى الساحة الإسلامية من وجهات متغايرة.	٣٠ ق	أسبوعيًّا
١٧- براعم الإيمان	يتناول مشكلات الطفولة والتربية الموجهة توجيهًا إسلاميًّا من خلال عدة أشكال: سؤال وجواب، المسابقة، الحديث المباشر والأقصوصة.	٥ق	يوميًّا
١٨- طلائع الإيمان	العناية بمشاكل هذه المرحلة العمرية - ما بعد الطفولة وقبل الشباب، من خلال الحديث المباشر، والسؤال والجواب والمسابقة.	١٠ ق	مرة أسبوعيًّا
١٩- مجلة الشباب	مجلة تتناول من خلال أبوابها أو فقراتها قضايا الشباب ومشكلاتهم، ودورهم فى الأسرة والمجتمع، وتقديم الأسوة من خلال شباب الإسلام فى عصوره الزاهية.	٣٠ ق	أسبوعيًّا

إسم البرنامج	الشكل الإذاعى والهدف	المدة	دورية الإذاعة
٢٠-مع الشباب	مسابقة أسبوعية فى مواقع الشباب لتنشيط الثقافة الإسلامية والعامة للشباب وحفزهم على القراءة وتنمية ثقافتهم.	٣٠ ق	أسبوعيًّا
٢١- مجلة وبشر الصابرين	مجلة تدور فقراتها المتباينة حول ذوى الاحتياجات الخاصة، ومدهم بالأمل وما يقوى عزائمهم، ويدفعهم إلى معالجة الحياة بقوة وإيمان.	١٠ ق	مرة أسبوعيًّا
٢٢- لهم البشرى	حديث حوارى يبين الجوانب المشرقة التى تبعث الأمل، وترغب فى العمل من خلال معانى التبشير فى القرآن والسنة.	١٠ ق	مرتان أسبوعيًّا
٢٣- القاموس الإسلامى	حديث مباشر يقدم نبذة عن حياة المفكرين والفقهاء والمفسرين والمحدثين وثقافتهم وإسهاماتهم الفكرية.	٥ق	يوميًّا
٢٤- رحلة فى طلب العلم	حديث مباشر لطريقة علماء الأمة فى تحصيل العلوم وتضحياتهم، ومثابرتهم على ذلك من خلال نماذج لعلماء رحلوا فى طلب العلم.	٥ق	مرة أسبوعيًّا
٢٥- مع الصحابة	حديث حوارى يتناول حياة الصحابة ومواقفهم والدروس التى تستفاد من حياتهم وفهمهم للإسلام لإبراز الأسوة.	١٠ ق	مرتان أسبوعيًّا
٢٦- فى مكتبة عالم	حديث حوارى مع العلماء والمثقفين الإسلاميين المعاصرين حول خبراتهم العلمية، ورؤاهم لقضايا العصر من خلال كتاباتهم وقراءاتهم.	٣٠ ق	أسبوعيًّا
٢٧- نوابغ الفكر الإسلامى	حديث حوارى يتناول تقديم الأسوة من خلال نماذج لقمم الفكر الإسلامى فى مراحله المختلفة،وإسهاماتهم فى بناء الحضارة الإنسانية.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٢٨- عباد الرحمن	حديث حوار يقدم نموذج الشخصية الإسلامية، وخصائصها فى القرآن.	١٠ ق	مرة واحدة أسبوعيًّا
٢٩- آل البيت	حوار حول شخصيات ذوى القربى لرسول الله (ﷺ) بهدف تقديم القدوة.	١٠ ق	أسبوعيًّا
٣٠- الإنسان والبيئة	حوار يتناول المشاكل البيئية، والاحتفاظ بها نظيفة من منظور إسلامى.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا

إسم البرنامج	الشكل الإذاعى والهدف	المدة	دورية الإذاعة
٣١- الإسلام وقضايا العلم الحديث	حديث حوارى يتناول ما تثيره الأبحاث العلمية الحديثة والمنجزات العلمية، وموقف الإسلام من هذه القضايا من ذوى الخبرة العلمية والمعرفة الإسلامية.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٣٢-دنيا ودين	حوار مع أحد العلميين وأحد علماء الدين حول حقيقة علمية لها جانب دينى، أو معلومات دينية لها خلفية علمية.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا
٣٣- البرامج التعليمية الأزهرية	حديث مباشر حول مقررات الشهادتين الثانوية والإعدادية الأزهرية، وتبسيطها حتى يفيد منها المستمع العادى على أساس أنها جزء من صلب رسالة إذاعة القرآن.	١٠ ق	مرة أسبوعيًّا
٣٤- حديث الصباح	حديث مباشر لكبار العلماء وقدمائهم حول موضوعات وقيم اجتماعية.	٥ق	أسبوعيًّا
٣٥-من التراث الإسلامى	حديث حوارى حول أثر إسلامى، أو حدث تاريخى أو تعريف بعلماء السلف، أو أحد كتب التراث.	٥ق	يوميًّا
٣٦- حول العالم الإسلامى	نشرة أخبار حول أحداث لها طبيعة دينية أو أخبار المؤسسات الإسلامية والمجامع الفقهية.	٥ق	مرتان يوميًّا
٣٧- موسوعة الفقه الإسلامي	سؤال وجواب يعرض أحكام الوقائع والمعاملات على أبواب الفقه مع تيسيرها فى أسلوب هادف وجذّاب.	١٠ ق	يوميًّا
٣٨- الابتلاء فى حياة الأنبياء	حديث حوارى يتناول روح الصبر والمثابرة والتحدى فى حياة الأنبياء تحقيقا للأهداف.	١٠ ق	ثلاث مرات أسبوعيًّا

وينبغى التنويه فى هذا المقام إلى أن التقسيم الذى نحن بصدده للبرامج؛ إلى برامج خاصة بالنصوص، وبرامج خاصة بالواقع، ليس تقسيمًا قاطعًا مانعًا من اختلاط المتغيرين فى كل تقسيم، ولكنه تقسيم بحسب الغالب على طبيعة اهتمامات كل فكرة برامجية بالدرجة الأولى.

كذلك: فإن النظر فى البرامج وأهدافها بناء على خريطة أبريل – يونيه ٢٠٠٥م، لا يعنى انقطاعًا فى الفكر والخطاب الإذاعى عما سبق من خرائط برامجية، بل إن الاستمرار والتواصل فى الفكر والخطاب، قائم مع ما سبق من خرائط برامجية لسنوات سابقة؛ حيث جرى العرف الإذاعى على أن تشتمل كل خريطة إذاعية لدورة برامجية معينة، على نوعين من أفكار البرامج: أولها: الأفكار المستمرة وتمثل الجزء الغالب، ثم البرامج الجديدة فى كل دورة جديدة إن وجدت.

موضوعات البرامج ومؤشرات تجديد الخطاب الإذاعى:

يأتى البحث إلى استعراض عينة من موضوعات بعض البرامج التى أذيعت خلال عام ٢٠٠٤/٢٠٠٥م، لنرى دلالتها على مؤشرات التجديد فى الخطاب الإذاعى. وبمراجعة الجدول رقم (٢-أ) حيث نجد عينة من البرامج التى تدور فى فلك نصوص الوحى: قرآن وسنَّة وسيرة، مع نماذج من موضوعات كل برنامج، كما وردت فى سجلات مقدِّمى البرامج للموضوعات التى أذيعت خلال عام ٢٠٠٤/٢٠٠٥م، ومن خلال النظر فى هذا الجدول نلاحظ الآتى:

١- هناك موضوعات لغوية تبين ما يَكْمن فى النص من ظواهر لغوية وبيانية، كما فى موضوعات برامج: لسان عربى مبين، لغة القرآن، أما برنامج علوم القرآن فيعرض لظروف تنزيل نصوص القرآن زمانًا ومكانًا، وهكذا فى سائر البرامج التى يدور خطابها حول نصوص القرآن الكريم. وعلى هذا المنوال تجرى موضوعات برامج الأحاديث النبوية، كما فى برنامج قبس من نور النبوة، وبرنامج السيرة النبوية فى القرآن الكريم، ومثل هذه البرامج تهدف بموضوعاتها إلى تبسيط دلالات النصوص لأذهان المستمعين وأفهامهم، وبما ييسر لهم فهم ما ترشد إليه هذه النصوص من آداب وأحكام وتوجيهات، وهو مؤشر من مؤشرات التجديد فى الخطاب الإذاعى.

٢- تتضح أبعاد التجديد فى الفكر والخطاب الإسلامى جلية فى موضوعات البرامج التى تخدم قضايا فى الواقع المعيش، حيث نجد فى الجدول (٢-ب) موضوعات يعيشها المستمع، وتعبر عما يعانيه ويواجهه فى الحياة، ومنها موضوعات تتعلق بموقف المرأة فى الإسلام، من حيث حقوقها وواجباتها، ودورها فى المنزل، ودورها فى المشاركة السياسية، كما فى برامج: ندوة الأسبوع، حقوق الإنسان فى الإسلام، الأسرة والمجتمع، الإيمان والحياة. وقضية الحفاظ على المال، وكيفية تنميته، تمت معالجتها فى أكثر من برنامج، كما فى موضوعات برامج: الأسرة والمجتمع، ومع الشباب. وموضوعات التربية والتنشئة فى الأوجه المختلفة نجدها فى برامج: الأسرة والمجتمع، الدين المعاملة، برنامج مع الشباب. وقضايا الأمن والأمان، الوقت وأهميته، عولجت فى أكثر من برنامج، كما فى برنامج دعوة للحوار، والإسلام وقضايا العصر، هذا فضلاً عن قضية الحفاظ على البيئة من التلوث التى وضع لها برنامج خاص؛ إلا أنها طرحت فى برامج أخرى كما فى برامج: دعوة للحوار، وبرنامج عباد الرحمن. وقد تعرض

برنامج فقه المرأة إلى أحكام موضوعات مستحدثة، مثل أحكام التلقيح الصناعى، أحكام حضانة المولود، وبعض المشكلات الزوجية والبدائل الإسلامية لحلها..إلخ من تفاصيل الموضوعات التى تشير إلى ارتباط البرامج بمشكلات اجتماعية وأحداث واقعية فى حياة المستمعين، الأمر الذى يعنى أن الخطاب الإذاعى فى برامج شبكة القرآن الكريم يعكس همَّ المستمع ومعاناته الواقعية، وهو ملمح من ملامح مفهوم التجديد فى الخطاب الدينى عمومًا والخطاب الإذاعى الإسلامى خصوصًا.

٣- ومما تجدر الإشارة إليه أن أحد برامج العقيدة وهو برنامج «الإيمان والحياة»، قد التفت إلى موضوع «التجديد» (جدول ٢-ب) وموقف الإسلام من التجديد، وكيف كان الإسلام ذاته تجديدًا وإحياء للحياة العربية، وكيف بدأ الإبداع الإسلامى فى العلوم الكونية. وهذا يعنى أن التجديد فى الفكر أمر حاضر فى أذهان وأولويات القائمين على صناعة البرامج والخطاب الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم.

كما أن البرنامج نفسه قد أولى عناية للتفعيل الاجتماعى للعبادات، والآثار الاجتماعية التى تحدثها العبادات على الفرد المسلم، ومن ثم على المجتمع الإسلامى.

يلاحظ أيضًا أن برنامج «عقيدة وعمل» قد قرن فى عنوانه بين العقيدة من جانب والعمل بموجب هذه العقيدة من جانب آخر، على أساس أن قضايا الإيمان باللّٰه وبأسمائه وصفاته وأفعاله، وباليوم الآخر،والقدر، خيره وشره، ليست من نوع القضايا النظرية أو الميتافيزيقية المجردة عن الواقع الاجتماعى، بل إنها -وإن كانت قضايا غيبية- إلا أن لها آثارًا اجتماعية على الفرد والمجتمع؛ إذ الإيمان فى المنظور الإسلامى يقترن بالعمل، فالإيمان: «ما وقر فى القلب وصدقه العمل»، وكما سلف فإن الاهتمام بالآثار والثمرات الاجتماعية للعقائد والعبادات من المؤشرات الدالة على تجديد الفكر الإسلامى والخطاب الإذاعى المعبر عنه.

جـدول ٢ - أ

عينة عشوائية من موضوعات بعض البرامج

التى أذيعت خلال ٢٠٠٤/٢٠٠٥م

م	إسم البرنامج	موضوعات أذيعت خلال ٢٠٠٤/٢٠٠٥م مختارة بطريقة عشوائية من سجلات مقدمى البرامج
١	السيرة النبوية فى القرآن الكريم	القرآن الكريم مصدر السيرة الأول- بشرية الرسول فى القرآن- ميثاق الله على الأنبياء بنبوة محمد - حديث القرآن عن التأسىِّ برسول الله، موقف الأمة من التأسىِّ برسول الله -جهر النبى (ﷺ) بالدعوة (فاصدع بما تؤمر)- موقف القرآن من المستهزئين
٢	لسان عربى مبين	مدارس المعجمات العربية - عرض كتب إعراب القرآن- أهمية إعراب القرآن فى فهم معناه -أثر النحو فى كتب التفسير - الجانب النحوى فى تفسير الطبرى- تغير المعنى تبعًا لتغير الحركة الشكلية لحروف الكلمة- فكرة المعجم التاريخى للغة العربية.
٣	لغة القرآن	الدلالات اللغوية فى القرآن الكريم: دليل اللفظ المفرد، دلالة الصيغة -دلالة الفعل ودلالة الإسم- دلالة اسم الفاعل واسم المفعول -دلالة التركيب ودلالة السياق- صور الإعجاز اللغوى والبيانى فى الآيات -أنواع الوقف فى القرآن الكريم، وما يمكن أن تضيفه الوقوف إلى المعنى إيجابًا أو سلبًا- الإعجاز اللغوى والبيانى فى آيات سورة الروم قوله (تعالى): ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ ﴾ آية (٣٠)
٤	علوم القرآن	تعريف القرآن، أسماؤه وصفاته - الوحى: لغة واصطلاحًا، أنواع الوحى وهيئاته- كيفية نزول القرآن على النبى - الحكمة من نزوله منجمًا- أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن - جمع القرآن وتدوينه- شبهات حول جمع القرآن - علوم القرآن نشأة وتدوينًا - أنواع التأليف فى علوم القرآن - المكى والمدنى: خصائصه وضوابطه - علم أسباب النزول وأهميته وأنواعه - الناسخ والمنسوخ - المحكم والمتشابه - على التفسير: معناه وموضوعه.
٥	قبس من نور النبوة	شرح حديث: «ليس الغنى عن كثرة العرض..» عن عزة المسلم وكرامته- حديث: «قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا..» - واجب الرجال تجاه زوجاتهم وواجب الزوجات تجاه الأزواج - حديث: «لن تدع شيئًا اتقاء الله؛ إلا آتاك الله خيرًا منه» - حديث: «من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له» - ضوابط الحرية فى حديث السفينة: «مثل القائم على حدود الله» ومثل الواقع فيها..» - نعمة الأمن، حديث: «من بات آمنا فى سربه معافًى فى بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا».
٦	باحث ورسالة	ماجستير حول موضوع «البرامج الدينية فى القنوات الفضائية» - ماجستير حول موضوع: «الجمال والإبداع فى الكون ودلالاته الإيمانية» - ماجستير حول: «موقف الشيخ محمد الغزالى من قضية التخلف الحضارى للسلمين «الأسباب والحلول» - ماجستير حول موضوع: «الأنعام بين القرآن الكريم والعلم الحديث ودلالتها الإيمانية» - دكتوراه حول: «الأحكام الشرعية المستنبطة من قاعدة سد الذرائع فى فقه المرأة وتأثيره على بناء المجتمع».

جـدول ٢-ب
عينة عشوائية من موضوعات بعض البرامج

م	اسم البرنامج	موضوعات أذيعت خلال ٢٠٠٤/٢٠٠٥م مختارة بطريقة عشوائية من سجلات مقدمى البرامج
١	حقوق الإنسان فى الإسلام	حقوق الإنسان فى الإسلام واجبات وضرورات- مفهوم «الإنسان» فى الرؤية الإسلامية- مفهوم الحرية وحرية العقيدة فى الإسلام- سياسة الإسلام فى تحرير الأرقاء- حق الإنسان فى الشورى- مكانة الشورى فى السنة البنوية- تطبيقات الرسول للشورى- الشورى ودولة الخلافة الراشد- حقوق المرأة فى الإسلام- المشاركة السياسية للمرأة فى ضوء مشاركتها فى تأسيس الدولة فى المدينة عند بيعة الأنصار- شبهات مثارة حول موقف المرأة فى الإسلام -مفهوم قوامة الرجل للمرأة فى القرآن والسُّنَّة- تطبيقات حقوق الإنسان الاقتصادية.
٢	طلائع الإيمان	(*) تقييم حفظ بعض الطلائع للقرآن عن طريق أحد علماء القراءات- التعرف على شخصية الطبرى والفائدة من دراسة هذه الشخصيات ومؤلفاتها وبعض المواقف فى حياتها- استعراض بعض الكتب للطلائع ومنها: الإنسان الكامل سيدنا محمد(ﷺ) للشيخ الشعراوى- كتاب محمد رسول الله (ﷺ) والذين معه لمؤلفه عبد الحميد جودة السحار- سلسلة: علموا أولادكم سنة النبى (ﷺ)- معاملة اليتيم من خلال القرآن والسنة- حقوق الجار من خلال الاقتداء بالرسول (ﷺ) وإحياء لسنته- المحافظة على المرافق العامة - تغطية أسبوع الطفل والإعلام والمجتمع بمعهد الدراسات العليا للطفولة- نصائح تربوية للاستعداد للامتحانات، وأثناء تأدية الامتحان.
٣	ندوة الأسبوع	منهج الإسلام فى مواجهة الأزمات والحالات الطارئة، والقواعد التى وضعها الإسلام لضبط السلوك العام لأفراد المجتمع - عناية الإسلام بحقوق الإنسان وصيانة حرماته، وكيف ساوت الشريعة بين البشر على اختلاف أجناسهم- الهجرة النبوية المشرفة من مكة إلى المدينة، والدروس المستفادة منها فى بناء الدولة - نظرة الإسلام إلى المرأة، وكيف ارتقى بها، وجعلها فى مرتبة عالية من الاحترام والتكريم مع بيان الحقوق التى كفلها الإسلام للمرأة.
٤	معالم الحضارة الإسلامية	استعراض نماذج من الحضارة الإسلامية بالأندلس فى المجالات الطبية والعلمية والتعليمية- فلسفة التاريخ والحضارة والنواميس التى تقوم عليها- سنن انهيار الحضارة- المنجزات العلمية للحضارة الإسلامية فى عالم النبات والحشرات والحيوان- المنجزات العلمية فى التراث الحضارى الإسلامى وأثرها فى العلوم الحديثة- أثر الوقف الإسلامى فى تمويل البحث العلمى فى تاريخ الحضارة الإسلامية- الرحلة فى طلب العلم (البعثات العلمية) الداخلية والخارجية فى التخصصات العلمية فى تاريخ الحضارة الإسلامية- الإسهام العلمى والحضارى الإسلامى فى مجال الاقتصاد.

(*) استعراض فقرات بعض الحلقات المذاعة، وليس استعراضًا كاملاً للحلقات بحسب مقدمة البرنامج.

م	اسم البرنامج	موضوعات أذيعت خلال ٢٠٠٤/٢٠٠٥م مختارة بطريقة عشوائية من سجلات مقدمي البرامج
٥	فى مكتبة عالم	استعراض المشروع الفكرى للعلامة الشيخ بديع الزمان سعيد النورسى مع شارحه ومعربه المفكر إحسان قاسم الصالحى - استعراض مكتبة العلامه د. حسين مجيب المصرى أستاذ الدراسات الشرقية وخاصة ترجمته للقرآن إلى عدة لغات - استعراض المشروع الفكرى للداعية الأستاذ الدكتور حسان حتحوت والتعرف على أولويات الدعوة فى الغرب. مناقشة أحد خبراء الكومبيوتر فى مشروع «جوامع الكلم» الذى يجمع ١٠٠٠ مرجع إسلامى و٣٤١ مخطوطة حديثية والرد على الشبهات المثارة ضد الإسلام - استعراض عدد من المشروعات الحاسوبية لشجرة العلوم الإسلامية - مناقشة صاحب مشروع «المعجم التكنولوچى المعرب» فى الترجمة وتوحيد المصطلحات فى العلوم الفنية والتكنولوچية.
٦	الأسرة والمجتمع	أهمية تعليم الفتيات ودور المرأة المتعلمة فى نطاق الأسرة - الرضاعة الطبيعية وأهميتها بالنسبة لصحة الأم والطفل - توتر العلاقات الزوجية: أسبابه ووسائل علاجه (ندوة) - مقاومة إدمان المخدرات واجب الفرد والمجتمع - دعوة الإسلام للقضاء على الأمية - أضرار التدخين - المال العام أمانة - التربية السياسية وواجب المشاركة فى الانتخابات - أولاد الشوارع: أسباب المشكلة، وكيفية التغلب عليها - الصديق الصالح ضرورة لأبنائنا - سبل إنجاب طفل صحيح نفسيًّا وبدنيًّا وخلقيًّا - الاستئذان فى البيوت، وحكمته فى حياتنا الأسرية - الحياء سمة المسلم، فلماذا غاب عن حياة شبابنا - التسرع فى طلب الطلاق وعواقبه - أهمية اللعب فى حياة الطفل - تكريم الإسلام للبنات - أهمية تعليم القرآن للصغار - معاونة الزوجة فى تحمل أعباء البيت والأبناء - أهمية التعاون بين المدرسة والبيت - حماية الإسلام للبيئة.
٧	رحلة فى طلب العلم	رحلات الإمام بن جرير الطبرى فى طلب العلم - سفريات الإمام الشافعى لطلب العلم - رحلات الإمام تاج الدين السبكى - رحلات أبى بكر السجستانى - رحلات ابن رشد - رحلات أبى حامد الغزالى، رحلات البدر العينى.
٨	برنامج مع الشباب	قضية الانتماء وأثرها لدى الشباب - من أين يستقى الشباب ثقافتهم؟ - الشباب والحوار - الجانب العاطفى فى الإسلام - مفهوم الجمال فى الإسلام - قضية الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة - العبادات وأثرها فى تهذيب الشباب - التحديات التى تواجه الشباب فى هذا العصر - الشباب والتنمية - المخدرات والتدخين - العلم وقضية محو الأمية - الوقت والشباب - بر الوالدين - الآثار التربوية فى الحج.
٩	الإسلام وقضايا العصر	من لم يشكر الناس لم يشكر الله - بالصبر والتراحم تهون الأزمات - الفرار من التبعة وإلقاء اللوم على الآخرين - السخرية من الناس سلوك مرفوض - قضية الفراغ وآثارها السلبية - ترويج الإشاعات وآثاره السلبية - أين الخلل فى سلوكنا العصرى - أين الخلل فى حياتنا الزوجية - الترويح عن النفس الإنسانية - اختيار الصديق وآثاره السلبية - بطنة الغنى انتقام لجوع الفقير - حرفة التسول ظاهرة سلبية - سلبيات يفرزها الشعور بالحرمان - شبابنا بين الحرية والفوضى - الفردية آفة العصر - المؤمن لا يعرف اليأس - الإسلام وقضية الحس الجمالى - إيجابيات الغيرة وسلبياتها.

م	اسم البرنامج	موضوعات أذيعت خلال ٢٠٠٤/٢٠٠٥م مختارة بطريقة عشوائية من سجلات مقدمى البرامج
١٠	الإيمان والحياة	موقف الإسلام من التجديد - الإسلام كان تجديدًا وإحياء للحياة- كيف بدأ الإبدع الإسلامى فى العلوم- التعريف بالسنن والنواميس الإلهية- تطبيق سنة التكامل بين الرجل والمرأة، بين الغنى والفقير- تطبيق سنة التعارف فى حوار الأديان وحوار الحضارات والثقافات - العلم فى رؤية الإسلام عبادة- الوجه الحضارى للإسلام من خلال الومضة الأولى للوحى فى غار حراء «اقرأ» -إبطال فكرة الفصل بين الإيمان والعلم: «الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل- مفهوم البدعة فى الدين والفرق بينها وبين البدعة بمعنى الإبداع فى العلوم الكونية والحياة الاجتماعية والاقتصادية- الوظائف الاجتماعية للعبادات فى الإسلام.
١١	منهج القرآن فى بناء المجتمع	أهمية بناء القوة الإيجابية للنفس البشرية- أهمية المحافظة على الصحة والوقاية من الأمراض- اهتمام الإسلام بالرياضة- أثر الأمل فى حياة الفرد والمجتمع- أهمية الاكتفاء الذاتى فى الإسلام- أهمية التنافس فى عمل الخيرات- اليأس والقنوط وأثرهما فى الحياة- أهمية تآلف القلوب فى الشدائد- سوء الظن على المجتمع- أهمية الثبات على الدين- النهى عن اتهام الأبرياء-دعوة الإسلام إلى الإنفاق فى سبيل الله- حث الإسلام على إطعام الطعام- عمارة الأرض أحد المبادئ الأخلاقية فى الإسلام- المحافظة على السكينة العامة- صحبة الأخيار- أهمية العمل الصالح فى استقامة الفرد- صدق الفرد المسلم فى القول والشهادة- الطاعة فى حياة الفرد المسلم - توقير الفرد المسلم للعلماء- تعلق الفرد المسلم نفسيًّا بالمساجد وعمارتها تعبدًا وبناءً- الفرد المسلم يمشى فى قضاء حوائج الناس ومصالحهم- كفالة الفرد اليتامى فى المجتمع ومد يد المساعدة لكل يتيم- التزام العدل الإلهى فى توزيع المواريث وأثر ذلك فى نزع الشقاق والخصام.
١٢	عباد الرحمن	مفهوم البيئة فى القرآن والسُّنة- مظاهر عناية الإسلام بالبيئة- منهج الإسلام فى حماية البيئة- التوازن البيئى- التنمية البيئية الشاملة- ضآلة كوكب الأرض بالنسبة للعالم- بداية التلوث لكوكب الأرض- العلاقة بين البيئة والإنسان- تلوث الهواء وأنواعه- أهمية نهر النيل- حث الإسلام على غرس الأشجار- عناية الإسلام بالمحميات- الحث على الرفق بالحيوان- قيم الإسلام فى إحياء الأرض الموات- الماء فى القرآن.
١٣	الإنسان والبيئة(*)	مفهوم البيئة فى القرآن والسُّنة- مظاهر عناية الإسلام بالبيئة- منهج الإسلام فى حماية البيئة- التوازن البيئى- التنمية البيئية الشاملة- ضآلة كوكب الأرض بالنسبة للعالم- بداية التلوث لكوكب الأرض- العلاقة بين البيئة والإنسان- تلوث الهواء وأنواعه- أهمية نهر النيل- حث الإسلام على غرس الأشجار- عناية الإسلام بالمحميات- الحث على الرفق بالحيوان- قيم الإسلام فى إحياء الأرض الموات- الماء فى القرآن.

(*) هذا البرنامج من البرامج الجديدة التى بدأت فى دورة إبريل – يونيه ٢٠٠٥م.

م	اسم البرنامج	موضوعات أذيعت خلال ٢٠٠٤/٢٠٠٥م مختارة بطريقة عشوائية من سجلات مقدمى البرامج
١٤	الدين المعاملة	دور السياسة المالية الإسلامية فى تحقيق التنمية الاقتصادية - تحقيق التنمية الاجتماعية وتوفير الخدمات العامة يتأسس على قاعدة ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب - دور التكافل الاجتماعى فى تحقيق التنمية - وسائل تحقيق التكافل: الكفارات، والنذور، والأضاحى، الضيافة، العارية، الهدية، والهبة - المجاملة بين الناس - معاملة الأبناء لآبائهم ولكبار السن - الغيرة بين الرفض والقبول - المغالاة فى تكاليف الزواج - الاهتمام بالمظاهر بين الرفض والقبول. الخلع طلاق رجعى أم بائن - الفحص الطبى قبل الزواج - الأمراض المبيحة لفسخ العقد - سلطة المرأة فى ولاية النكاح - حسن التعامل بطيب العشرة - التعامل فى البيع والشراء - دور العبادات فى الارتقاء بالمعاملات.
١٥	دعوة للحوار	حقوق الأسير فى الشريعة والقانون - دور منظمات الإغاثة فى مساعدة ضحايا الحرب - محكمة الأسرة وتشريعات حمايتها - مكانة القدس وفلسطين - نظرة الإسلام للأمن والأمان والحفاظ على النفس الإنسانية - حماية البيئة من منظور إسلامى.
١٦	موسوعة الفقه الإسلامى	أحكام الطهارة - أقسام المياه من حيث الطهارة - أحكام الوضوء: أركانه ونواقضه - أحكام الصلاة: الفرائض والنوافل.
١٧	فقه المرأة	منهج حل المشكلات الزوجية - صورة الوفاء للزوج - أحكام الطلاق - دور الأم فى تربية الأولاد - أحكام فى التلقيح الصناعى - من صور الاحتفاء بالمولود: العقيقة وحكم الاختتان - تكريم الأمهات - من أساليب التفريق بين الزوجين فى الفسخ والتقاضى - حق المرأة فى حضانة المولود - التسوية بين الأولاد - الوصية للأولاد - بر الوالدين - التحية بين الجنسين - الهجر بين الزوجين - الأحكام الخاصة بزوجات النبى - معرفة مستقبل الزواج - الحجاب فى الإسلام.
١٨	هذا هو الإسلام	الإسلام دين الأمن والأمان - الإسلام دين السماحة - الإسلام دين الجماعة والوحدة - الإسلام دين الاعتدال - الإسلام دين الدعوة بالأسوة قبل الكلمة - الإسلام والتسامح مع الآخر - الإسلام دين الشورى - الإسلام دين العقل - الإسلام دين العمل - الإسلام والحفاظ على المرافق العامة - الإسلام دين للرجل والمرأة.

ومن زاوية أخرى من زوايا النظر إلى الخطاب الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم، وبما يظهر إلى أى مدى يأخذ هذا الخطاب بتلابيب التجديد والتحديث، مما يجعل المستمع يجد ذاته ومكانته فى هذا الخطاب، حين يجده خطابًا معبرًا عن مشاكله واضعًا البدائل والحلول لتلك المشاكل، سواء تعلَّقت بما غمض واشتبه على المستمعين من أحكام فى العبادات، أو مفاهيم وأفكار فى العقيدة وأركان الإيمان، أو فى العلاقات الزوجية والأسرية عمومًا، أو فيما تقابله شرائح المستمعين على تنوعها من مشكلات تخص كل شريحة على حدة. هذه الجوانب تبرزها

الخطط الإعلامية المتوالية لاتحاد الإذاعة والتليفزيون، فيما تقدمه من إنجازات سنوية ومرحلية، وفيما يلى محاولة لاستعراض الخطاب الإذاعى فى برامج شبكة القرآن الكريم كما تعرضه خطة٢٠٠٤/٢٠٠٥م، وآخر تقرير إنجاز لشبكة القرآن الكريم، وهو أمر يلقى مزيدا من الضوء على مؤشرات التجديد فى الخطاب الإذاعى بحسب تقسيم تقارير الإنجاز لبرامج الشبكة.

اتَّجهت الخطة الإعلامية العامة للاتحاد لسنة٢٠٠٤/٢٠٠٥م إلى تقسيم برامج شبكة القرآن الكريم إلى عدة مجالات، كما سارت تقارير إنجازات المستهدَف من الشبكة على وفق هذا التقسيم:

١- برامج المجال الدينى.

٢- برامج المجال الثقافى.

٣- برامج مجال التنمية الاجتماعية، ويتفرع إلى:

أ- برامج تنمية الشرائح الاجتماعية.

ب- مشكلات وقضايا اجتماعية وقومية.

٤- المجال التعليمى والعلمى[١٠٩].

ومن الملاحظ أن هذا التقسيم والتصنيف للبرامج يخالف ما جاء فى الخطط السابقة حتى خطة ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤م، التى تصنف البرامج إلى:

(١) القرآن الكريم مرتَّلاً ومجوَّدًا.

(٢) المجال التعليمى والعلمى.

(٣) برامج الثقافة، والفكر الإسلامى.

(٤) برامج الفقه.

(٥) برامج القضايا، والمشكلات الاجتماعية.

(٦) علوم القرآن.

(٧) المؤتمرات والندوات.

(٨) المناسبات[١١٠].

هذا التقسيم وإن صلح لتصنيف البرامج فى سائر الشبكات الأخرى، فلا يصلح لتصنيف برامج شبكة القرآن الكريم؛ ذلك أن جميع برامجها فى طبيعتها الأساسية برامج دينية، وليس فيها برامج دينية وأخرى ثقافية... إلخ، كما فى الشبكات الأخرى، هذا فضلاً عن أن الدينى ثقافى، والثقافى دينى فى الرؤية الإسلامية؛ إذ الثقافة الإسلامية، تقوم على قواعد التصور

الإسلامى بمعنى أن مصدرها أو إطارها المرجعى، القرآن والسُّنَّة، وهى كل ما يدخل فى تكوين تصور المسلم عن الحياة، والكون، والإنسان، وغاية وجوده، وحقيقة وظيفته فى هذه الحياة، ونوع ارتباطاته بالوجود من حوله،وبخالق هذا الوجود، كما يتضمن مفهوم الثقافة الإسلامية ما يتعلق بالمبادئ والشرائع والأنظمة والأوضاع التى تنظم حياة المجتمع أفراداً وجماعات، وتتعلق بالأخلاق، والآداب والتقاليد، والعادات،والقيم والموازين التى تسود مجتمعه، وتؤلف ملامح هذا المجتمع(١١١).

ومن ثم؛ فإن تقسيم برامج شبكة القرآن الكريم إلى برامج دينية وأخرى ثقافية تقسيم غير دقيق، وتحتاج تلك البرامج إلى تقسيم آخر يتفق مع طبيعة هذه البرامج من ناحية، وطبيعة التقسيم التنظيمى الهيكلى للشبكة، الذى يقوم على أساس موضوعى من ناحية أخرى.

ومن هذا المنطلق يقدم البحث فى الجدول رقم (٣) تَبْويبًا مقترحًا لبرامج الشبكة يبلغ ستة عشر بابًا. واللافت للانتباه فى هذا التبويب أن هناك توازنًا إلى حد كبير بين مجالات البرامج جميعها، فيما عدا برامج العقيدة وأركان الإيمان؛ إذ يلاحظ أن هذا المجال اقتصر على ثلاثة برامج فقط، مع أنه من المجالات الرئيسة فى العلوم الشرعية، وهو يسمى أصول الدين، وهناك من العلماء من سماه بالفقه الأكبر، وهو مجال القضايا الغيبية أو الاعتقادية التى لها أثر كبير فى حياة المسلمين، ورؤيتهم للكون والحياة ونشأة الإنسان ومصيره ومآله، ورؤية المسلم لموقع الإنسان فى الوجود، ومفهومه عن الله وصفاته، وموقفه من النبوات والكتب السابقة، ومراحل ما بعد الحياة الدنيا.. إلخ، من القضايا التى ينبغى أن يفهمها المسلم فهمًا صحيحًا واضحًا، وأن يعى الدور الاجتماعى لهذه القضايا، وهى ثمرات الإيمان بها اجتماعيًّا، الأمر الذى يتطلب مزيدًا من العناية بوضع عدد من الأفكار البرامجية الجديدة فى هذا المجال.

ومن الجدير بالذكر فى هذا الصدد أن برامج الفقه؛ وخاصة فى أبواب العبادات تلقى اهتمامًا من قبل برامج الشبكة، حيث خصصت ثلاث حلقات × ١٠ق يوميًّا من برنامج بريد الإسلام، منها حوالى ٥٠ ٪ من وقتها تخصص لأسئلة العبادات، و ٥٠ ٪ للمعاملات بين الناس وبعضهم، وبرنامج « أركان الإسلام » (١٠ ق × ثلاث مرات أسبوعيًّا) لشرح العبادات على أبواب الفقه، وبرنامج موسوعة الفقه الإسلامى (١٠ ق يوميًّا).

وهنا نلاحظ تعدد البرامج التى تتعرض لموضوع العبادات، واهتمام شبكة القرآن بهذا الموضوع لاعتبارات منها:

١- سيل الرسائل اليومية التى تتدفق على الشبكة، حاملة أسئلة فى العبادات، بالإضافة إلى المكالمات الهاتفية، وما نصادفه -نحن العاملون بالشبكة- فى المحيط الاجتماعى لكل منا، الأمر الذى يدل على مدى حاجة المستمعين إلى المعرفة بأحكام العبادات.

٢- قد لا نعدم من يُهوِّن من شأن العبادات، ويرى -توهُّمًا- أن المعاملات والاهتمام بها أولى من الاهتمام بالعبادات، وهذا مذهب لا يستقيم فى موازين الشريعة، التى وإن عظَّمت من شأن المعاملات بين الناس، وأن الدين المعاملة؛ إلا أنها لا تقلل من شان العبادات وفضلها، والآثار فى هذا كثيرة وليس موضوعها هنا. وهذا يفسر لنا اهتمام إذاعة القرآن الكريم بالجانبين معًا: العبادات التى تضمن فى برامج الفقه، ومعها المعاملات بين الناس. كما أفردت مجموعة كبيرة تتناول المشاكل والعلاقات الاجتماعية فى منظور الإسلام (راجع جدول ٣).

مما يشير إليه النظر فى (جدول ٣) تعدد البرامج التى تهتم بأوضاع الشرائح الاجتماعية ومشكلاتهم وقضايا اهتمامهم، وهى شرائح الطفولة والشباب والمرأة وذوى الاحتياجات الخاصة. والخطاب الإذاعى لهذه الشرائح ملمح رئيسى من ملامح تجديد الخطاب الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم.

كما يشير الجدول إلى البرامج التى تعنى بإبراز «الأسوة الحسنة» فى تراثنا، سواء من خلال عرض نماذج القمم التى يزخر بها تراثنا الفكرى والحضارى، أو من خلال عرض «النموذج المثال» للإنسان الذى وردت صفاته ومقومات شخصيته فى القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، والذى يعد اللبنة الأساسية التى يتشكل منها المجتمع الإسلامى. وهذا مؤشر من مؤشرات التجديد فى الخطاب الإذاعى الذى يهدف إلى إصلاح المجتمع بالإسلام.

يشير الجدول (٣) بأبوابه الستة عشر وما تشمل من برامج، إلى ثراء خريطة الشبكة بالبرامج التى تهدف إلى تحقيق مقصد «الإفهام» المستقيم أو الصحيح لنصوص الوحى: قرآن وسنة، فى توازن مع البرامج التى تهدف إلى تحقيق مقصد «الامتثال» الأمين فى الواقع والحركة الاجتماعية لمراد هذه النصوص من حكمة وأحكام.

الجدول رقم (٣) يشير أيضًا إلى البرامج التى تسجل من محافل جماهيرية (بنود٢، ١٤، ١٥)، ويشار هنا إلى الآراء التى توجه، أحيانًا لشبكة القرآن الكريم بضرورة الاحتكاك المباشر بالجماهير وخاصة الشباب منهم، ومعرفة احْتياجاتِهِمْ فى الواقع، وهذا هو الأسلوب الأمثل للتثقيف[١١٢].

واقع الحال أن آخر تقارير الإنجاز للمستهدف من شبكة القرآن الكريم[١١٣]، يُظهر أن الشبكة - فى مجال من مجالات نشاطها الإذاعى- تهتم بتغطية المؤتمرات والندوات العامة الإسلامية والشبابية، الدولية منها والمحلية، ومنها:

١- المخيم الثقافى الإسلامى العالمى العاشر ببورسعيد.

٢- الدورة السادسة والستون لدعاة العالم الإسلامى بمدينة البعوث الإسلامية.

٣- المؤتمر الدولى لأخلاقيات الإعلام العلمى بجامعة القاهرة فى ٢٠٠٤/٩/٨م.

٤- مؤتمر الوقف ودوره فى الحياة الاجتماعية فى البلدان الإسلامية والذى عقد فى تركيا.

٥- المنتدى الاقتصادى لمناقشة الحلول المقترحة للأزمة الاقتصادية بمركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر.

٦- ندوة الهوية العربية فى عصر المعلومات التى عقدت بالمجلس الأعلى للثقافة فى ٢٠٠٤/٧/١١م.

٧- ندوة رسالة الإسلام والواقع المعاصر ضمن فعاليات معسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية.

٨- إلقاء الضوء على برنامج مؤتمر الشباب على ضفتى المتوسط الذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة فلورنسا.

بالإضافة إلى هذا النشاط الإعلامى من وسط الجماهير، نوجه النظر إلى بعض البرامج التى سبقت الإشارة إليها، وتسجل من محافل جماهيرية وتعبر عن الاحتكاك المباشر « لميكروفون شبكة القرآن الكريم » بجماهير مستمعيها ومنها:

١- الأمسيات الدينية التى تسجل من مساجد الجمهورية.

٢- الإذاعات الخارجية على الهواء فى المناسبات الإسلامية.

٣- مسابقات حفظ القرآن الكريم الدولية والمحلية.

٤- مسابقة مع الشباب[١١٤].

هذا النشاط الإعلامى الجماهيرى: مؤشر من مؤشرات التجديد فى العمل الإعلامى بشبكة القرآن الكريم.

جدول ٣

تصنيفات موضوعية للبرامج

م	مجالات البرامج	أسماء البرامج
١	القرآن الكريم	تقديم القرآن الكريم مرتلاً ومجوداً
٢	القرآن وتلاوات من محافل جماهيرية	أمسية دينية من التسجيلات النادرة - من تراث شبكة القرآن الكريم
٣	برامج التفسير	حديث الشيخ الشعراوى - التفسير الموضوعى لكتاب اللّه - لغة القرآن- مع القرآن الكريم - أوامر الرحمن فى آيات القرآن - الأمثال فى القرآن والسنة- تقدمة التلاوة - كلمة فى آية - علوم القرآن - لسان عربى مبين - الاستفهام فى القرآن -
٤	برامج التجويد وكيفيات التلاوة	المصحف المعلم - الرحمن علم القرآن - رحلة مع القرآن الكريم
٥	برامج السيرة والسنة	فى ظلال الهدى النبوى - قبس من نور النبوة - قصة فى حديث - مع الأحاديث القدسية - بلاغة الرسول - علوم السنة - قطوف من السيرة - الاستفهام فى السنة - السيرة النبوية فى القرآن الكريم - بلاغة الرسول.
٦	برامج الذكر والدعاء والحكمة	المستغفرون بالأسحار - من دعاء الرسول - من دوحة الدعاء قطوف من حدائق الايمان - حديث الصباح .
٧	البرامج العلمية والتعليمية والفكرية	باحث ورسالة من المكتبة الاسلامية - فى مكتبة عالم - معالم الحضارة الإسلامية - البرامج التعليمية الأزهرية - من التراث الإسلامى - دنيا ودين - الإسلام والعلم الحديث - حقوق الإنسان فى الاسلام - الإنسان والبيئة.
٨	برامج الأحكام الفقهية فى العبادات والمعاملات	بريد الإسلام - موسوعة الفقه الإسلامى - فقه المرأة - الدين المعاملة -أركان الاسلام.
٩	العقيدة وأركان الايمان	الايمان والحياة - عقيدة وعمل - لهم البشرى.
١٠	برامج القضايا والمشكلات الاجتماعية	برامج الأحكام الفقهية السابقة منهج القرآن فى بناء المجتمع - القرآن وقضايا العصر - الأسرة والمجتمع - أدب الحوار فى الإسلام - عباد الرحمن - دعوة للحوار - مواقف إسلامية - هذا هو الإسلام - فى رحاب الدعوة الإسلامية - ندوة الاسبوع.
١١	برامج السير والشخصيات (الأسوة والقدوة)	نوابغ الفكر الإسلامى رحلة فى طلب العلم - مع الصحابة - آل البيت.
١٢	برامج الشرائح الاجتماعية	براعم الإيمان - فقه المرأة - مع الشباب - مجلة الشباب - طلائع الإيمان.

م	مجالات البرامج	أسماء البرامج
١٣	برامج لذوى الاحتياجات الخاصة	مجلة - وبشر الصابرين - الابتلاء فى حياة الأنبياء.
١٤	الإذاعات الخارجية على الهواء فى المناسبات الإسلامية	إذاعة شعائر صلاة الفجر، الجمعة والأعياد - الاحتفال بغرة كل شهر هجرى - بداية العام الهجرى - ذكرى مولد الرسول - ذكرى الإسراء والمعراج - صلاتى العشاء والتراويح والتهجد - موسم الحج - تحويل القبلة - فتح مكة - غزوة بدر - نقل صلاتى الظهر والعصر وخطبة عرفات من مسجد نمرة بعرفات، ونقل نفرة الحجيج.
١٥	التغطية الإعلامية للمؤتمرات والندوات والمسابقات	تغطية المؤتمرات والندوات الدينية والثقافية التى تقام فى مصر والعالم العربى والإسلامى استكمالاً لرسالة الشبكة - وتغطية المسابقات المحلية والدولية للقرآن الكريم التى تقام فى مصر والعالم العربى والإسلامى، التى تقام سنويًّا ومنها: المسابقة الدولية للقرآن الكريم بوزارة الأوقاف -مسابقة ماليزيا- مسابقة مكة المكرمة - مسابقة دبى - مسابقة الأردن - المسابقات المحلية التى تقام فى مختلف المحافظات.
١٦	إجراء مسابقات إسلامية فى المناسبات على مدار العام الهجرى ذات جوائز حج وعمرة	مسابقة مع كتاب الله فى رمضان - مسابقة مع حجاج بيت الله الحرام - مسابقة مولد الهدى.

أفكار البرامج والإطار الجديد لأهداف شبكة القرآن الكريم

هنا يحاول البحث: النظر إلى البرامج من زاوية منظومة الأهداف التى تخدمها تلك البرامج، ولقد سبق بيان الإطار الجديد لأهداف شبكة القرآن الكريم، ورأينا أن هذا الإطار من المصالح التى تخدمها رسالة شبكة القرآن الكريم يتسم بالشمول الذى يجعله يحتوى بين جنباته وتحت مظلته كافة نواحى الحياة، وكيف يترقى فى خدمة المجتمع البشرى من المستوى المحلى والإقليمى، إلى مستوى الأخوة فى الدين التى ترتفع عن مستوى الحدود الدولية والجنسية والشعوبية والقبلية، إلى أن ترقى لتحلق فى سماء الأخوة الإنسانية، على مستوى الأرض كل الأرض، والإنسان كل الإنسان.

وهنا يحاول البحث النظر فى كيفية تفعيل رسالة شبكة القرآن الكريم بعنصريها: القرآن المرتل والمجود من ناحية، وأفكار البرامج من ناحية أخرى، فى خدمة الإطار السابق للأهداف.

والجدول رقم (٤) يوزع فى العمود الأفقى منظومة المصالح التى تخدمها الرسالة الإعلامية لشبكة القرآن الكريم، والتى تتوزع عناصرها فى العمود الرأسى، ويرمز تحت كل مصلحة بالرمز (١) مقابل البرنامج الذى يخدم هذه المصلحة خدمة مباشرة، والرمز (-) مقابل البرنامج الذى لا يخدم هذه المصلحة بشكل مباشر.

وقبل التعليق على محتويات الجدول رقم (٤) يميل البحث نحو إيضاح -ما سبقت الإشارة إليه- من أن منظومة أصول المصالح التى تخدمها إعلاميًّا وإذاعيًّا برامج شبكة القرآن الكريم ذات مستويين: مستوى التجريد والديمومة الذى تعبر عنه أصول المصالح، ومستوى التطبيق والتغير المرحلى فى الواقع العملى، حيث توجد فى كل مرحلة من المراحل قضايا ووقائع مستجدة، تكون موضوعات للتناول والعمل الإعلامى أو الإذاعى، وهى تعتبر فروعًا فى الواقع لأصول المصالح المجردة، ومن ثم تختلف هذه الفروع أو القضايا الواقعية باختلاف الزمان من مرحلة إلى أخرى، وباختلاف المكان من بيئة معينة، وإقليم معين، إلى بيئة أخرى وإقليم آخر.

وتتضح هذه الفكرة إذا طابقنا بين موضوعات حلقات البرامج الواردة فى الجدول رقم (٢)، حيث تمثل هذه الموضوعات محل التناول الإذاعى، الفروع أو التطبيقات المرحلية لمنظومة أصول المصالح، وبين الجدول رقم (٤) فى العمود الأفقى، حيث منظومة أصول المصالح، فتكون بذلك موضوعات الحلقات فى كل برنامج عبارة عن مفردات تطبيقية تنضوى تحت أصل واحد أو أكثر، من أصول المصالح، بحيث تكون البرامج بأهدافها -كما سبق بيانه- وبموضوعات حلقاتها، والخطاب الإذاعى فى مجمله، يدور فى فلك هذه الأصول، باعتبارها غاية له، وهو يتناول الفروع والموضوعات الواقعية بالمعالجة الإذاعية والتناول الإعلامى.

ففى الجدول (٢- أ) نجد على سبيل المثال، برنامج رقم (٣) «لغة القرآن»، وهو من البرامج التى تخدم نصوص القرآن من حيث الظواهر اللغوية والبيانية، ومن ثم نجد المفردات أو الموضوعات التى أذيعت فى حلقات البرنامج: الدلالات اللغوية فى القرآن الكريم: دلالة اللفظ المفرد، دلالة الصيغة، دلالة الفعل، دلالة الإسم، دلالة إسم الفاعل واسم المفعول، دلالة التركيب، دلالة السياق، صور الإعجاز اللغوى والبيانى فى الآيات، أنواع الوقف فى القرآن الكريم، وما يمكن أن تضيفه الوقوف إلى المعنى إيجابًا أو سلبًا.

إن تأمل هذه الموضوعات يظهر أنها جميعًا تهدف إلى تحقيق مقصد الإفهام المستقيم غير المعوج لمعانى آيات القرآن الكريم، حتى تفهم وفقًا لمراد الله من تنزيلها، وهذه خدمة إذاعية لنص القرآن، تدخل تحت أصل حفظ الدين من جهة حفظ نص الوحى المنزل من التحريف أو التأويل الفاسد لمعناه.

وبالتالى؛ فإن هذا البرنامج، والبرامج المماثلة له، فى خدمة آيات القرآن من نواحٍ متباينة، بدورانها على آيات القرآن الكريم وفقًا لترتيب المصحف، وهى تحقق بذلك خدمة إذاعية لجميع أصول المصالح التى تحتويها نصوص القرآن، كما هو واضح فى برامج الجدول رقم (٤- أ) العمود الرأسى.

أما بالنسبة لبرامج خدمة نصوص السنة النبوية المطهرة، نجد منها برنامج «قبس من نور النبوة» جدول (٢- أ) رقم (٥) حيث تناول عدة أحاديث منها حديث: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس». إذاعة شرح هذا الحديث الشريف يمثل خدمة إذاعية لمقصد حفظ الدين من هذه الجهة، ثم يقدم خدمة إعلامية أو إذاعية لمقصد حفظ النفس فى الجانب المعنوى المتعلق بعزة المسلم وكرامته التى تكمن فى غنى نفسه وعفتها، كما يقدم هذه الحلقة من البرنامج خدمة إذاعية لمقصد حفظ المال حيث تصحح مفهوم الغنى فى الرؤية الإسلامية، ومن ثم تكون الحلقة قد دارت أيضًا على حفظ العقل من التدليس المفاهيمى.

وهكذا فى كل حديث شريف تتعرض له حلقات هذا البرنامج، أو البرامج الأخرى المماثلة التى تقدم خدمة إذاعية لنصوص السنة المطهرة، فهى تدور -ابتداء- على مقصد حفظ الدين من جهة حفظ نص الوحى، ثم تدور على مصلحة أو مقصد حفظ العقول من التدليس فى الفهم أو التأويل الزائغ لمعانيها، وهذه البرامج ونظائرها بتناولها الإعلامى لنصوص الأحاديث النبوية التى تعد المصدر الثانى للشريعة الإسلامية؛ فإنها وبالضرورة، تدور فى خدمتها الإذاعية على كل أركان منظومة أصول المصالح.

كما تبدو فكرة التجريد فى أصول المصالح، والتطبيق فى فروعها الواقعية، بصورة أكثر وضوحًا فى البرامج التى تتناول قضايا الواقع المعيش، ونضرب مثالين للإيضاح فقط، أولهما- برنامج الدين المعاملة، جدول (٢-ب) رقم (١٤) تناول فى إحدى حلقاته موضوع: «دور السياسة المالية الإسلامية فى تحقيق التنمية الاقتصادية»، وهذا الموضوع يقدم خدمة إذاعية

لأكثر من أصل من أصول منظومة المصالح، فهو -ابتداء- يخدم إعلاميًّا مقصد حفظ مال الأمة وثروتها، بدعوته إلى الاستثمار وتحقيق التنمية، وهو من خلال هذه الدعوة الإعلامية يكون قد حقق خدمة إذاعية لمقصد حفظ الأنفس والنسل (الذرية) فى الجوانب المادية بالدعوة إلى تحقيق مستوى كريم للعيش، وفى ذلك دعوة إعلامية لتحقيق حفظ الجانب المعنوى للنفس الإنسانية رجلاً كان أم امرأة، طفلاً كان أم شابًا أم شيخًا.

وكل ذلك فيه بيان لرؤية الإسلام وأحكامه فى المال والاقتصاد، ومن ثم فهى خدمة إذاعية لمقصد حفظ الدين، ببيان أحكام الفروع الفقهية فى المال.

المثال الثانى ذو الدلالة المهمة فيما نحن بصدده، وفيما سبق من أفكار تخص التجديد فى الفروع الفقهية فى ضوء أصول الإسلام، ما قدمه برنامج: فقه المرأة، جدول (٢-ب) رقم (١٧) فى إحدى حلقاته « أحكام فى التلقيح الصناعى »، فلاشك أن التلقيح الصناعى من المستجدات التى طرحها التقدم العلمى والتكنولوچى فى الإخصاب، ومن ثم فإنه يقتضى اجتهادًا وتجديدًا فقهيًّا فى الأحكام التى تتناول جوانب هذا الموضوع، بحيث يتحقق مقصد حفظ النسب من الاختلاط والضياع.

والتعرض الإذاعى لهذا الموضوع يحقق خدمة إذاعية لمصلحة ومقصد حفظ النسب، الذى يحقق فيما بعد ميلاد الإنسان، الحفظ المادى والمعنوى للنسل (الذرية والطفولة) والنفس، لمعلومية النسب، وتحقيق الاحتضان الأسرى للأبناء، والتماسك العائلى، وفيه خدمة لحفظ الأعراض، بالحرص على التخصيب فى ضوء العلاقات الشرعية بين الزوجين.

إذن فإن « التلقيح الصناعى » نموذج على الفروع أو القضايا المرحلية المستجدة فى إطار الزمان المعين أو المرحلة المعينة، والمكان المعين، ومن ثم فهو أحد تطبيقات أصول حفظ النسب والنفس والنسل.

وهكذا يمكن النظر إلى جميع الموضوعات التى تناولتها حلقات البرامج وردها إلى أصول المصالح التى تدور فى خدمتها إذاعيًّا، وكذلك جميع الموضوعات التى تطرأ فى الواقع، وتحتاج إلى أن يتناولها الخطاب الإذاعى الإسلامى، ترجع فى جوهرها إلى أصل أو أكثر، من أصول المصالح التى قصدت الشريعة الإسلامية إلى تحقيقها فى واقع الناس المعيش.

الجدول رقم (٤) يجيب عن سؤالين: ما المصالح التى يخدمها إعلاميًّا كل برنامج على حدة، من البرامج التى فى العمود الرأسى؟! ثم ما البرامج التى تخدم إعلاميًّا كل مصلحة على حدة من بين منظومة المصالح التى فى العمود الأفقى؟! وبتأمل هذا الجدول يتبين مدى قدرة المنظومة التى اعتبرت إطارًا لأهداف الشبكة على احتواء جميع البرامج، وكيف توزعت جميع البرامج على المصالح التى تدور فى فلكها، وتخدم فى دائرتها، وبذلك؛ فإن هذه المنظومة أداة مهمة من أدوات تفسير وتقييم كل فكرة برامجية، وبيان مدى أهميتها واتساع مساحتها لتخدم عددًا قل أو كثر من المصالح.

وقد قسم هذا الجدول إلى قسمين: أحدهما للبرامج التى تدور فى فلك النصوص (جدول ٤-أ)، وثانيهما للبرامج التى تدور حول قضايا الواقع المعيش ووقائعه (٤-ب).

وبتأمل الجدول (٤-أ) تتبين الملاحظات الآتية ذات الصلة بتجديد الخطاب الإذاعى الإسلامى:

١- اشتمل الجدول (٤-أ) على فقرات المصحف المرتَّل، وتلاوات القرآن المجوَّد على مدار الإرسال اليومى، واعتبار كل منهما محل برنامج من البرامج التى تحقق جميع المصالح التى تشملها منظومة المصالح؛ ذلك أن إذاعة القرآن المرتل والتلاوات المجودة، فيها حفظ للذكر، كما أنزل من رب العالمين، وفى حفظ نص القرآن، حفظ لجميع المصالح – وليس فقط حفظ للدين- التى تعتبر مقاصد كلية عامة لهذه النصوص، ومن هنا؛ فإن إذاعة آيات الذكر مرتلة ومجودة تدور على جميع المصالح كما هو مبين فى الجدول (٤-أ).

٢- والنظر الأفقى فى الجدول (٤-أ) يكشف عن أن جميع البرامج التى تتناول « عالم نصوص الوحى » إنما تدور على خدمة جميع منظومة المصالح، ما عدا خمسة برامج فإنها لا تدور، بحكم تخصصها، على بعض المصالح مثل: برنامج « لسان عربى مبين » فإنه بحكم اهتماماته بقضايا الدلالات اللغوية، والتعريف بكتب اللغة والمعاجم وأعلامها؛ فإنه يصعب اعتباره برنامجا يحقق خدمة إذاعية لحفظ النفس والنسل والعرض والنسب، أو لحفظ اقتصاد الأمة وثرواتها، أو حتى تحقيق حفظ نظام الأمة، فى حين نجده يحقق خدمة إذاعية مباشرة لمصلحة حفظ الدين، وبالتالى حفظ العقول والطاقات المفكرة فى الأمة، ومثله: باقى البرامج التى لا تدور على بعض المصالح بحكم طبيعة كل فكرة ونطاقها.

٣- أما النظر الرأسى للجدول (٤-أ) يظهر أن جميع البرامج المتعلقة بالنصوص، بالإضافة إلى القرآن المرتـَّل والمجوَّد، تعمل على خدمة حفظ الدين (٣٨ برنامجًا)، ومادامت تقدم خدمة إذاعية لحفظ الدين؛ فإنها بالتالى تقدم خدمة إعلامية لحفظ العقول من أى انحراف فكرى أو فساد مادى (٣٨ برنامجًا) أما حفظ النفس والنسل والنسب والعرض فنجد برنامجين لا يدوران على هذه المصالح بحكم نطاق اهتمامهما، هما برنامج «لسان عربى مبين»، «وبرنامج علوم السنة» الذى يتولى مناقشة معايير الحكم على متن الأحاديث وسندها، ومن ثم فليس له تعلق مباشر بهذه المصالح.

أما حفظ ثروة الأمة ونظامها فلا تتعلق بها برامج: «من دوحة الدعاء»، «والمستغفرون بالأسحار»، بالإضافة إلى «لسان عربى مبين» و«علوم السنة».

وبالنظر إلى جدول (٤- ب) حيث البرامج التى تخدم قضايا الواقع وأحداثه، يمكن استخلاص ما يأتى:

١- النظر الأفقى يُظهر أن أغلب البرامج تعمل على حفظ جميع المصالح فيما عدا بعض البرامج ذات الطبيعة غير المرتبطة بالواقع مباشرة مثل: برنامج «من التراث الإسلامى» الذى وإن تعلق بحفظ الدين والعقول، فليس له تعلق مباشر بمصالح حفظ النفس والنسل والنسب والعرض وكذا مصلحتى اقتصاد الأمة ومواردها، ونظامها. وبرنامج «الإنسان والبيئة»، وإن تعلق مباشرة بمصالح حماية العقول والأنفس والنسل، وكذلك ثروة الأمة ومواردها، فليس له علاقة مباشرة بمصلحة حفظ الدين أو نظام الأمة، وهكذا فى البرامج الأخرى.

٢- أما النظر الرأسى يكشف عن أن الأغلبية الساحقة من البرامج (٣٤ برنامجًا) من مجموعة (٣٦ برنامجًا) تدور على مصلحة حفظ دين الأمة، فيما عدا برنامج «نشرة أخبار العالم الإسلامى» وبرنامج «الإنسان والبيئة» فليس لهما تعلق مباشر بمصلحة حفظ الدين، وإن تعلقا بمصلحة حفظ العقول، التى تدور عليها جميع البرامج (٣٦ برنامجًا) فى الجدول المذكور (٤-ب)، وهو ما نلاحظه أيضًا على مصلحة حفظ النفوس والنسل وكذلك النسب والعرض؛ فإن جميع البرامج تعمل على تقديم خدمة إعلامية لهذه المصالح (٣٦ برنامجًا).

أما البرامج التى تدور على مصلحة حفظ مال الأمة واقتصادها، فقد انخفض عددها عما سبقها من مصالح؛ حيث وصل عدد البرامج (٣١ برنامجًا) من مجموع (٣٦ برنامجًا) لوجود

خمسة برامج ليس لها تعلق مباشر بالموضوعات ذات الطابع الاقتصادى مثل برامج: « براعم الإيمان »، « نشرة أخبار المجتمع الإسلامى »، « من التراث الإسلامى »، « لهم البشرى »، « وبشر الصابرين »، وهكذا.

أما مصلحة حفظ نظام الأمة، وهى المساحة التى تتعلق بقضايا السياسة الشرعية وكل ما يتعلق برعاية وتدبير مصالح الأمة من قبل أولى الأمر وأهل الحل والعقد فيها، فينخفض عدد البرامج التى تدور عليها إلى (٢٤ برنامجًا) من مجموع (٣٦ برنامجًا)، وهو عدد وإن كان كافيا -فى تقدير الباحث - لتغطية هذا الجانب؛ إلا أن قلة عدد البرامج التى تدور على مثل هذا النوع من المصالح، ربما يعود إلى أحد السببين الآتيين:

١- جرى تنظيم العمل الإذاعى على أساس أن يكون لكل خدمة إذاعية هدف معين، وعلى ذلك؛ فإن « شبكة القرآن الكريم: تعتبر إذاعة دينية متخصصة فى الإعلام الدينى فى العالم العربى والإسلامى وتهدف إلى نشر وتعميق المفاهيم الدينية الصحيحة ». ومن ثم؛ فإن الشأن السياسى لا يدخل فى هدفها، ولكنه يدخل فى نطاق أهداف الشبكات الأخرى تحت إشراف مباشر من القطاع المختص، وهو قطاع الأخبار، الذى يملك آليات العمل، والخبرة، فى الشأن السياسى، بل وقواعد العمل وقنوات الاتصال بمؤسسات العمل السياسى، وصنع القرار.

٢- غياب مفهوم السياسة ومعناه فى الرؤية الإسلامية، وهو مفهوم له تميزه عن المفهوم الدارج للسياسة. وتعنى « السياسة » فى اللغة العربية القيام على الشىء بما يصلحه، والسياسة هى فعل السائس، يقال هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والولى يسوس رعيته، فالسياسة بهذا المعنى ليست سوى رعاية وإصلاح واستصلاح، وصلاح[١١٥]، وهذا المجال يطلق عليه فى الفكر الإسلامى « السياسة الشرعية » وتطلق على « أنها اسم للأحكام والتصرفات التى تدبر بها شئون الأمة فى حكومتها وتشريعها وقضائها وإدارتها، وفى سياستها الداخلية وفى علاقاتها الخارجية التى تربطها بغيرها من الأمم، مع مراعاة اتفاقها مع روح الشريعة الإسلامية وقيامها على قواعدها الكلية، وتحقيقها لأغراضها الكلية[١١٦]، أى مقاصدها العامة، ومن بينها مقصد حفظ نظام الأمة المسئول عن هذه الأنشطة أمام الله ثم أمام الأمة، وهذا يفتح الباب أمام كثير من الموضوعات التى تدخل فى هذا المجال وتكون جزءًا أساسيًّا من رسالة إذاعة القرآن، وإن دخلت فى الشأن السياسى.

(جـــدول ٤)

توزيع برامج شبكة القرآن الكريم (دورة أبريل - مايو ٢٠٠٥م) على المصالح والمقاصد التى تخدمها

(جدول ٤-أ) برامج تخدم عالم نصوص الوحى أحد متغيرى الخطاب الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم

إسم البرنامج	برامج مصلحة حفظ الدين	برامج مصلحة حفظ العقل (الطاقات الفكرية للأمة)	برامج مصلحة حفظ النفس والنسل والعرض والنسب	برامج مصلحة حفظ المال (اقتصاد الأمة وثروتها)	برامج مصلحة حفظ نظام الأمة (النظام السياسي)	مجموعة المصالح التى دار عليها البرنامج الواحد	ملاحظات
١- فقـــــــرات المصحف المرتل	١	١	١	١	١	٥	التلاوة والترتيل حفظ للنصوص والمقاصد والمصالح كلها مقصودة للنصوص أساسًا ومن هنا فإن حفظ النصوص فى ذاتها حفظ لمقاصدها
٢- القــرآن المجــود على مدار الساعة	١	١	١	١	١	٥	
بـرامج تـلاوات مـن المحافل الاجتماعية: ٣- مـن تسـجيلاتنا الخارجية	١	١	١	١	١	٥	
٤- أمسية دينية.	١	١	١	١	١	٥	
٥- من التسجيلات النادرة.	١	١	١	١	١	٥	

obeikan.com

إسم البرنامج	برامج مصلحة حفظ الدين	برامج مصلحة حفظ العقل (الطاقات الفكرية للأمة)	برامج مصلحة حفظ النفس والنسل والعرض والنسب	برامج مصلحة حفظ المال (اقتصاد الأمة وثروتها)	برامج مصلحة حفظ نظام الأمة (النظام السياسي)	مجموعة المصالح التى دار عليها البرنامج الواحد	ملاحظات
برامج تحفيظ القرآن وتعليم أحكام التجويد وكيفية التلاوة بطريقة صحيحة دون أى نوع من أنواع اللحن والخطأ وهى: ٦- المصحف المعلم	١	١	١	١	١	٥	والحال نفسه لجميع البرامج التى تخدم النصوص وتدور فى فلكها، فهى تدور مع جميع المصالح التى قصدت النصوص إلى حفظها.
٧- الرحمن علم القرآن	١	١	١	١	١	٥	
٨- رحلة مع القرآن	١	١	١	١	١	٥	
٩- تقدمة التلاوة (شرح الروايات)	١	١	١	١	١	٥	
١٠- علوم القرآن	١	١	١	١	١	٥	
١١- مع القرآن الكريم	١	١	١	١	١	٥	
برامج تفسير معانى وبيان أحكام وإيضاح لغويات. ١٢- أوامر الرحمن فى آيات القرآن	١	١	١	١	١	٥	

obeikan.com

(جـــدول ٤ - ب)

برامج تخدم قضايا الواقع الذى يشكل أحد متغيرى الخطاب الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم

إسم البرنامج	برامج مصلحة حفظ الدين	برامج مصلحة حفظ العقل (الطاقات الفكرية للأمة)	برامج مصلحة حفظ النفس والنسل والعرض والنسب	برامج مصلحة حفظ المال (اقتصاد الأمة وثروتها)	برامج مصلحة حفظ نظام الأمة (النظام السياسي)	مجموعة المصالح التى دار عليها البرنامج الواحد	ملاحظات
١- بريد الإسلام	١	١	١	١	١	٥	
٢- حديث الصباح	١	١	١	١	١	٥	
٣-الإيمان والحياة	١	١	١	١	١	٥	
٤- براعم الإيمان	١	١	١	-	-	٣	
٥- منهج القرآن فى بناء المجتمع	١	١	١	١	١	٥	
٦- دنيا ودين	١	١	١	١	-	٤	
٧- حول العالم الإسلامى (نشرة أخبار نشاطات إسلامية)	-	١	١	١	١	٤	
٨- من التراث الإسلامى	١	١	-	-	-	٢	
٩- فقه المرأة	١	١	١	١	١	٥	
١٠-الإنسان والبيئة	-	١	١	١	-	٣	
١١- حقوق الإنسان فى الإسلام	١	١	١	١	١	٥	
١٢-كتابات إسلامية	١	١	١	١	١	٥	
١٣- فى رحاب الدعوة الإسلامية	١	١	١	-	-	٣	
١٤- أدب الحوار فى الإسلام	١	١	١	١	-	٤	
١٥- القرآن وقضايا العصر	١	١	١	١	١	٥	
١٦- الدين المعاملة	١	١	١	١	١	٥	
١٧- طلائع الإيمان	١	١	١	١	-	٤	

obeikan.com

إسم البرنامج	برامج مصلحة حفظ الدين	برامج مصلحة حفظ العقل (الطاقات الفكرية للأمة)	برامج مصلحة حفظ النفس والنسل والعرض والنسب	برامج مصلحة حفظ المال (اقتصاد الأمة وثروتها)	برامج مصلحة حفظ نظام الأمة (النظام السياسي)	مجموعة المصالح التى دار عليها البرنامج الواحد	ملاحظات
١٨- الإسلام والعلم الحديث	١	١	١	١	-	٤	
١٩- أركان الإسلام	١	١	١	١	-	٤	
٢٠- البرامج التعليمية الأزهرية (ع) + (ث)	١	١	١	١	١	٥	
٢١- الأسرة والمجتمع	١	١	١	١	١	٥	
٢٢- عقيدة وعمل	١	١	١	١	١	٥	
٢٣- عباد الرحمن		١	١	١	١	٥	
٢٤- الابتلاء فى حياة الأنبياء	١	١	١	١	-	٤	
٢٥- نوابغ الفكر الإسلامى	١	١	١	١	١	٤	
٢٦- لهم البشرى	١	١	١	-	-	٣	
٢٧- مجلة وبشر الصابرين	١	١	١	-	-	٣	
٢٨- مع الصحابة	١	١	١	١	١	٥	
٢٩- فى مكتبة عالم	١	١	١	١	١	٥	
٣٠- مجلة الشباب	١	١	١	١	١	٥	
٣١- ندوة الأسبوع	١	١	١	١	١	٥	
٣٢- مع الشباب	١	١	١	١	١	٥	
٣٣- دعوة للحوار	١	١	١	١	١	٥	
٣٤- مواقف إسلامية	١	١	١	١	١	٥	
٣٥- القرآن وقضايا العصر	١	١	١	١	١	٥	
٣٦- هذا هو الإسلام	١	١	١	١	١	٥	
مجموع البرامج التى تدور على المصلحة الوحدة	٣٤	٣٦	٣٦	٣١	٢٤		

obeikan.com

نظرة تقويمية على أشكال البرامج فى ضوء تجديد الخطاب الإذاعى:

يوضح الجدول رقم (٥) الأشكال والقوالب الإذاعية التى تقدم من خلالها المواد المذاعة أو البرامج فى شبكة القرآن الكريم، وبالنظر فى هذا الجدول نجد الملاحظات الآتية:

١- أن الأغلبية الساحقة من البرامج (٣٦ برنامجًا) ما يقارب ٤٩ ٪ من مجموع البرامج، تقدم فى شكل حديث حوارى، يليه فى النسبة شكل الحديث المباشر (١٨ برنامجًا) ما يقارب ٢٥ ٪ من البرامج تقدم فى شكل الحديث المباشر، ويحتل قالب السؤال والجواب المرتبة الثالثة فى نسبة عدد البرامج التى تقدم بهذا الأسلوب (٦برامج) أى ما يقارب ٨ ٪.

ولعل السبب فى تفوق هذه الأشكال الثلاثة -فى نسبة عدد البرامج التى تقدم بها- يعود إلى طبيعة المادة الدينية. وكون هذه الأشكال الثلاثة (الحوار - الحديث المباشر - السؤال والجواب) هى الأقرب والأكثر ملاءمة لطرح المادة الدينية من غيرها من الأشكال الأخرى. وقد يكون هناك سبب آخر له علاقة، بدرجة أو بأخرى، بتفوق هذه الأشكال الثلاثة فى تقديم البرامج فى شبكة القرآن الكريم، يعود إلى سهولة هذه الأشكال من الناحية المهنية، بحيث لا يحتاج إعداد البرامج ولا تقديمها إلى مجهود كبير كما فى غيرها من الأشكال الإذاعية.

وقد يذهب البعض من أهل الفن الإذاعى إلى أن هذه الأشكال الثلاثة، قد تكون من أقل الأشكال والقوالب الإذاعية تشويقًا وجذبًا لجمهور المستمعين، ومع تسليمنا غير المطلق بصحة هذا الرأى، وأن الأشكال الأخرى قد تكون أكثر جاذبية وتشويقًا؛ إلا أن الباحث يرى أن مادة الحوار، والسؤال، والحديث المباشر، إذا تم إعدادها إعدادا جيدًا من الناحية العلمية، وربطها ربطًا محكمًا بحاجة المستمعين، وهمومهم، وما يشغل اهتمامهم، ورتبت المادة فى سياقها ترتيبًا منطقيًّا، سواء فى إجراء الحوار أو سوق الأسئلة أو ترتيب أفكار الحديث المباشر، فلن تقل هذه الأشكال الإذاعية -مع توافر هذه العناصر- تشويقًا وفائدة للمستمع عن غيرها من الأشكال؛ وهو ما يعنى ضرورة أن يستوفى الخطاب الإذاعى شروط صلاحيته وتجديده.

ولا ننسى فى هذا السياق أن نذكر بأن جيل القدوة من الصحابة استطاعوا مع رسول الله ﷺ ومن بعده، أن يحسنوا توظيف هذه الأشكال التقليدية من وسائل عرض الدعوة، وهى الوسائل التى كانت متاحة لهم فى ذلك الحين، فوقفوا على أعلى مكان، ورفعوا أصواتهم إلى القدر المستطاع لإيصال صوت الإسلام بالأذان، ووقف الرجال من حول الرسول ﷺ يبلغون

صوته وتعاليمه إلى الأسماع التى لم يصلها الكلام،وذلك بالحوار والنقاش، والسؤال والجواب، والحديث المباشر، والقصة، وهى الأساليب والقوالب التى يزخر بها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والمأثور من مواقف وأقوال الصحابة مع رسول الله ﷺ، أو مع بعضهم، أو مع الرسول ﷺ والآخرين ممن جادلوه وحاوروه من كفار قريش أو أهل الكتاب، وسواء كان ذلك فى الخطب من على المنبر، أو فى المنتديات المختلفة أو فى درس المسجد، أو حتى فى ميادين الجهاد، المهم أنهم أحسنوا توظيف هذه الأساليب، واستوفوا شروط نجاحها، فحققوا ما حققوه من نجاح وتوفيق فى الدعوة والبلاغ المبين للإسلام، حين كانوا على مستوى إسلامهم وعصرهم.

ويلاحظ من الجدول رقم (٥) أن شكل الندوة عمومًا، والندوة المفتوحة خصوصًا، وشكل المجلة، لا تجد لها مكانًا ضمن قوالب وأشكال البرامج فى شبكة القرآن الكريم، بما يتناسب مع أهمية شكل الندوة وشكل المجلة، وهى من الأشكال التى تناسب طرح الموضوعات والقضايا القومية والاجتماعية والاقتصادية ذات الجوانب المتنوعة، بحيث يسمح كل من هذين الشكلين بتناول كافة جوانب القضية المطروحة وتقليبها مع أكثر من ضيف وفى أكثر من جانب، بحيث يمكن طرح جميع الرؤى والمواقف والآراء حول الموضوع أو القضية المطروحة للمناقشة.

أما الدراما باعتبارها وسيلة من وسائل تقديم المادة الدينية، فهى منعدمة بين الأشكال أو القوالب الإذاعية للبرامج كما هو واضح من الجدول رقم (٥)، ولم توجد الدراما فى شبكة القرآن الكريم، من قبل، إلا فى فترة محدودة، وعلى استحياء فى نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات فى شكل « سيمى - دراما » من خلال برنامج « وهنا قال الرسول » الذى كان يكتبه ويقدمه محمد على الشناوى رئيس شبكة القرآن الكريم فى تلك الفترة، وأظن أن عدم اهتمام شبكة القرآن الكريم بالدراما، باعتبارها من الأشكال الإذاعية لتقديم المادة الدينية، هو أن شبكة القرآن منذ نشأتها وحتى الآن، باستثناء الفترة المشار إليها، لم تعرف هذا الشكل أو القالب الإذاعى، فسارت الأجيال المتعاقبة جيلاً بعد جيل لا تقترب من هذا الشكل الذى يظن البعض، أنه لا يتناسب مع سمة شبكة القرآن الكريم، وقد يرى البعض الآخر أنه من قبيل المواءمة الإذاعية بين الشبكة وطبيعة بعض من مستمعيها، الذين لا يقبلون بوجود الدراما بين الأشكال البرامجية فى شبكة القرآن الكريم، وأنه من الواجب على القائمين بالاتصال احترام رغبة المستمعين.

جـدول ٥
الأشكال الإذاعية لبرامج شبكة القرآن الكريم

م	القالب أو الشكل الإذاعى	عدد البرامج	ملاحظات
١	حديث حوارى	٣٦	
٢	حديث مباشر	١٨	
٣	سؤال وجواب (فتاوى)	٦	
٤	ندوة (مائدة مستديرة)	٢	
٥	ندوة مفتوحة	-	براعم الإيمان، طلائع الإيمان
٦	الأقصوصة	٢	
٧	الدراما الإذاعية	-	
٨	تسجيلات حية من المساجد	٢	الأمسية الدينية والإذاعات الخارجية على الهواء
٩	الترديد والتكرار	١	المصحف المعلِّم، وهدفه الحفظ والتعليم
١٠	المجلة	٢	
١١	أكثر من قالب	٣	براعم الإيمان، طلائع الإيمان، الأسرة والمجتمع
١٢	المسابقة	١	مسابقة مع الشباب بالإضافة إلى المسابقات التى تذاع فى المناسبات الإسلامية ولها جوائز حج وعمرة

والظن عندى أن هذا الرأى أو ذاك يحمل فى طياته موقفًا غير إيجابى من «الدراما» باعتبارها شكلاً من الأشكال الإذاعية فى شبكة القرآن الكريم، لا يعنينا مناقشة أسبابه هنا، لكن يمكن تأكيد أن هذا الموقف ليس من أسبابه الحكم «بالحرمة» بمعنى أنه موقف لا ينبنى على أساس دينى، ولا يعبر عن موقف للإسلام من فن الدراما أو سائر الفنون ووسائل الإبداع، كما لا يقوم على أساس من الدراسة العلمية لرغبات المستمعين من خلال استطلاع الآراء.

والواقع أن الخطاب الإذاعى الإسلامى يواجه أزمة فى موقفه من الدراما، وتوظيفها فى خدمة المصالح والمقاصد الشرعية ومنها مقصد البلاغ المبين لحقائق الدين، والتوعية بمفاهيمه

وأحكامه الصحيحة (مقصد الإفهام)، وتحقيق الالتزام بهذه المفاهيم وتلك الأحكام (مقصد الامتثال للتكليف).

والدراما شأنها شأن كافة الوسائل الفنية، هى فى التكييف الأخير، وسائل وأدوات، وليست مقاصد وغايات، والأصل فى الوسائل الإباحة، بمعنى أنه عند غلبة الظن بأن هذه الوسيلة أو تلك صالحة نافعة، فلا يتردد المتوسل بها فى استعمالها، حتى يجد من الشرع ما يمنعه من اتخاذها واعتبارها؛ لأن حكمها فى الأصل الإباحة... والسلف الصالح ما كانوا يبحثون عن حكم الوسائل الموصلة إلى المقاصد المعتبرة، وما توقفوا فيها، وإنما بادروا إليها واستعملوها، وأخذوا بها، وهذا مما يؤكد أنهم كانوا يعتبرونها على الإباحة... ومن قواعد الفقهاء: «الوسائل لها حكم المقاصد»؛ لأن الوسائل هى الطرق المفضية إلى المقاصد والغايات، فحكمها حكم ما أفضت إليه من تحريم أو تحليل، فوسيلة الواجب واجبة، ووسيلة المندوب مستحبة، ووسيلة المكروه مكروهة، ووسيلة المحرم محرمة[١١٧].

يقول الشيخ محمد الغزالى فيما نحن بصدده: «العرض الإعلامى الحريص على بث الحق، وإيثار السلام، ورفض الشحناء، يستطيع أن يبرز تعاليم الإسلام فى صور شتَّى لعل أيسرها الخبر المجرد، لكن: أيكفى ذلك فى عالم تبرجت فيه الدعوات، وافتتنت فيه أساليب الاستهواء؟! إن الحوار الزكى فى قصة شائقة أو تصوير الواقع فى هذه القصة، بل الصورة الساخرة،والنكتة البارعة، إن هذه جميعا أصبحت من وسائل البلاغ المبين؛ بل أصبحت وسائل محتومة لقوله (تعالى): ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[١١٨]، وذاك ما لابد أن تدركه أجهزة الإعلام الإسلامى»[١١٩].

وبناء على ما سبق؛ فإن الوسائل ليست من الثوابت والمقدسات التى لا يجوز تطويرها أو حتى مراجعتها أو إعادة النظر فى جدواها، ومن ذلك «الدراما» باعتبارها شكلاً أو قالبا من القوالب التى تقدم من خلالها المادة الدينية، وأخص بذلك موقفنا – نحن القائمين على صناعة الخطاب الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم، بل والقائمين على صنع الخطاب الدينى فى مصر والعالم الإسلامى.. لابد لهم من إعادة النظر والمراجعة للموقف من «الدراما» ودورها فى البلاغ المبين، بل تقدير الأوعية الإعلامية الأخرى حق قدرها من مسرح، وسينما، ورواية وقصة وسيناريو، وغيرها من العناصر الفنية التى تحتاج إلى اجتهاد وإبداع فنى فى ضوء مقاصد

الشريعة بما يحقق الاستفادة من هذه الوسائل فى تحقيق البلاغ المبين والإفهام المستقيم، والامتثال الأمين للتكليف بخطاب الوحى(٢٢٠).

ومن الجدير بالذكر: أنه قد أجريت دراستان باستعمال أسلوب العينة، طرحت إحداهما ضمن أسئلتها التى تستطلع الرأى حولها، سؤالاً حول مدى موافقة أفراد عينة الدراسة على اقتراح تقديم المسلسلات الدينية بشبكة القرآن الكريم؟! وأوضحت النتائج أن (٨٤,٥ ٪) من أفراد العينة وافقوا على تقديم مسلسلات دينية بالشبكة مقابل (١٤,٨ ٪) ذكروا أنهم غير موافقين... وثمة نسبة ضئيلة (٧. ٪) لم تبد رأيًا(١٢١)، وذكرت الدراسة الأخرى أن نسبة من وافق من الشباب (عينة الدراسة) على شكل الدراما كأحد الأشكال الإذاعية التى يمكن أن تساهم فى التثقيف الدينى (من خلال شبكة القرآن الكريم) وصلت إلى ١٣,١ ٪ من المبحوثين(١٢٢).

وبناء على ما سبق، يمكن الانتهاء إلى أن الاستفادة من الشكل الدرامى، وتوظيفه فى تقديم المواد الدينية فى شبكة القرآن الكريم أمر لا يتعارض مع مطلوب شرعى، ولا يأتى عليه منع أو حظر من رأى فقهى، وهو أمر مرغوب فيه من قطاع من الرأى العام كما أثبتته الدراستان الآنفتان، ويبقى الاجتهاد والإبداع فى كيفية هذا التوظيف بما يحقق الغاية المشار إليها من هذا التوظيف.

وبذلك يمكن الانتهاء إلى أن عصر الإعلام الكوكبى- الفضائى والإنترنت يفرض على الخطاب الإذاعى الإسلامى عدة أمور ينبغى أن يواجهها وأن ينهض بها، منها:

١- ضرورة متابعة ما يُبَثُ على صفحات ومواقع شبكة الإنترنت، وفى القنوات الفضائية من حملات مضادة للإسلام والمسلمين بقصد تشويه الإسلام وصورة العرب والمسلمين، وهذا يفرض على شبكة القرآن الكريم أن تصنع لونًا من الخطاب العالمى ينهض بالرد على تلك الشبهات، وتفنيدها تفنيدًا علميًّا رصينا، وكشف دوافعها وأهدافها. وهذا النوع من الخطاب الإذاعى يصنع لخطاب الآخر وحواره.

٢- يتفرع على ما سبق ضرورة تفعيل الصلاحية اللائحية لشبكة القرآن الكريم، ببث ساعة يومية باللغة الإنجليزية حول معانى القرآن الكريم، والاستفادة بذلك فى رد الشبهات، عن الإسلام سواء ما تعلق منها بالقرآن أو الاعتداء على رسول الإسلام، أو مفهوم الألوهية فى الإسلام، أو حتى بوقائع التاريخ الإسلامى.

٣- إذا كانت البرامج التى تهتم بقضايا ومشكلات الواقع بأبعاده ومتغيراته تصل إلى ٥ ٪ من نسبة العدد الإجمالى للبرامج، وهذه النسبة من البرامج لها اهتمامات متنوعة بمختلف النواحى فى الواقع الاجتماعى؛ إلا أنها تحتاج إلى تدعيم معرفتها بدقائق ظواهر هذا الواقع، والرؤى التحليلية لعناصر الوقائع والأحداث من الأبحاث والتقارير الصادرة عن مراكز البحوث والدراسات الاجتماعية، والجامعات والمعاهد، والمؤسسات والمنظمات الأهلية والدولية، ثم مناقشة هذه العناصر مناقشة واعية بفقه الواقع من ناحية، وفقه النصوص من ناحية أخرى.

٤- يستتبع ما سبق ضرورة الجمع، فى الحوارات والندوات التى تناقش الظواهر والقضايا الاجتماعية، بين المتخصصين فى الدراسات الإنسانية المتصلة بهذه الظواهر، وعلماء الإسلام الذين لهم اهتمامات واجتهادات علمية من الناحية الإسلامية قريبة من هذه الظواهر.

٥- العمل الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم يحتاج إلى مزيد من التنسيق والمتابعة للمؤسسات العلمية والمجامع الفقهية، والإحاطة بالجهود العلمية والأبحاث والفتاوى الصادرة عن هذه الهيئات، باعتبار ذلك سبيلا إلى توحيد لغة الخطاب الإسلامى، وتوعية الجماهير بنتائج هذه الجهود العلمية الرصينة.

رابعًا: البنية الإذاعية وتجديد الخطاب فى شبكة:

القرآن الكريم:

يصدر الخطاب الإذاعى- فى مكوناته وأهدافه السابقة - عن بنية تقوم على عملية صناعة وتشكيل هذا الخطاب، وتدور هذه العملية حول عدد من الإجراءات منها: تحديد موضوع الخطاب أو القضية التى يتناولها، ثم إعداد المادة الفكرية حول موضوع الخطاب أو قضيته، ثم اختيار المتحدثين أو الكتاب، الذين سيعالجون الموضوع، ثم إجراء الخطوة الأخيرة المتمثلة فى إجراء تسجيل الحوار أو موضوع الخطاب الإذاعى.

ويتضح من ذلك: أن العلاقة بين الخطاب الإذاعى والبنية الإذاعية، التى تقوم على صياغته وتشكيله على النحو السابق، علاقة مباشرة، ذلك أن البنية تحتل موقع المخاطب (بكسر الطاء) بالخطاب؛ ولهذا فإن الخطاب يعكس الخصائص «البيئية» للبنية، التى قامت على صنعه وتشكيله أو صياغته، باعتباره منتجًا إعلاميًّا لهذه البنية، ويصدر عنها متأثرًا بها إيجابًا أو سلبًا.

من هنا كان من الضرورى النظر فى أركان هذه البنية، ومكوناتها الأساسية، وكيف تؤثر إيجابًا فى الخطاب الإذاعى، والعوامل التى تمكن هذه البنية من المحافظة على تجديد الخطاب الإذاعى الإسلامى، واستمرار فاعليته فى تحقيق البلاغ المبين، والإفهام المستقيم لوحى رب العالمين إلى رسوله الأمين.

ويتعرض البحث إلى دراسة مكونات ثلاثة لبنية الاتصال، وكيف يمكن لكل مكِّون من هذه المكونات أن يكون على وجه يحقق تجديد الخطاب وفاعليته، هذه المكونات هى الهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم، ثم العنصر البشرى القائم على صياغة الخطاب وتشكيله المتمثل فى الإذاعيين، ثم آليات ضبط صياغة الخطاب وتشكيله (الرقابة الإذاعية).

١- الهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم، وتجديد الخطاب الإذاعى:

يقصد بالهيكل التنظيمى القوالب أو الأطر التى يتجمع فيها الأفراد، وتتوزع عليها الواجبات والسلطات، بحيث يتحدد نشاط الأفراد ومسئولياتهم، ويكون معروفًا من المسئول عن ماذا؟ حتى يتم إنجاز الهدف المنشود من وضع الهيكل بأقصى كفاءة وفعالية[١٢٣]. فما مكونات الهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم؟ وما علاقة كل مكون بصياغة وتشكيل الخطاب الإذاعى؟

يتكون الهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم، وفقًا لآخر قرار[١٢٤] فى هذا الصدد، من أربع إدارات عامة، تشارك كل منها فى صياغة وتشكيل الخطاب الإذاعى، كل فى مجالها حسب الاختصاصات المحددة لكل إدارة عامة، هذه الإدارات العامة الأربع تعمل تحت إشراف رئيس الشبكة، ونائب رئيس الشبكة، فما هذه الإدارات العامة؟ وما اختصاص كل منها فى تشكيل وصياغة الخطاب الإذاعى؟

أ- **الإدارة العامة لبرامج علوم القرآن**[١٢٥] : وتقوم هذه الإدارة بالإشراف على إعداد وتقديم جميع البرامج التى تخدم نصوص القرآن الكريم، وجميع برامج الفقه والفتاوى، من خلال إدارتين فرعيتين هما: إدارة برامج التفسير، وإدارة برامج الفقه والفتاوى، وتختص هذه الإدارة العامة بإدارتيها الفرعيتين بالاختصاصات الآتية:

- إعداد وتقديم برامج تفسير القرآن الكريم بما يتلاءم مع روح العصر.
- إعداد وتقديم برامج الأحكام الفقهية وآراء الفقهاء فى المسائل المختلفة، وتبسيطها للمستمع، وذلك فى مجال العبادات والمعاملات.

- مواكبة الأحداث الإسلامية والمناسبات الدينية.

- إعداد الردود المناسبة على التساؤلات التى ترد للشبكة من المستمعين.

- ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية للجاليات الإسلامية عن طريق برنامج يومى مدته ساعة (ولعل متخذ القرار يقصد إعداد وتقديم برنامج حول معانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية؛ لأن ترجمة معانى القرآن الكريم مهمة تخرج عن نطاق هذه الإدارة العامة؛ بل عن نطاق الشبكة وهدفها وطاقتها).

ب- الإدارة العامة لبرامج الأسرة والمجتمع: وتقوم هذه الإدارة العامة، أساسًا، بالإشراف على إعداد وتقديم جميع البرامج المتعلقة بتنمية الشرائح الاجتماعية: الطفل، والشباب، والمرأة، وذوى الاحتياجات الخاصة، وبرامج الفكر والحضارة الإسلامية، ومتابعة أخبار المجتمع الإسلامى المحلى والدولى فى أنشطته الثقافية، وغير الثقافية. وتمارس هذه الإدارة العامة اختصاصاتها من خلال ثلاث إدارات فرعية هى: إدارة برامج الأسرة، إدارة أخبار المجتمع الإسلامى، إدارة برامج الحضارة الإسلامية.. وتختص الإدارة العامة لبرامج الأسرة والمجتمع بإداراتها الفرعية بالاختصاصات الآتية:

- إعداد وتقديم البرامج التى تهتم بتوعية المرأة.

- مراعاة التوعية الدينية للطفل.

- الاهتمام بالتوعية الدينية للشباب بالأسلوب الذى يهذب السلوك.

- إعداد وتقديم عرض (نشرة) لأنباء المجتمع الإسلامى، على الصعيد المحلى والعربى والدولى.

- تربية كوادر من العاملين ليعهد إليهم مهمة مندوبين للشبكة فى المؤسسات والهيئات الإسلامية.

- تغطية مؤتمرات الفكر الإسلامى على المستوى المحلى والدولى، ومتابعة أعماله وإذاعة أبحاثه.

- إعداد وتقديم البرامج الخاصة بالحضارة الإسلامية.

- متابعة مناقشة الرسائل العلمية فى الجامعات، وإذاعة ما يتناسب منها مع الفكر والحضارة الإسلامية.

جـ- **الإدارة العامة لبرامج السنة والسيرة:** وتقوم هذه الإدارة العامة بالإشراف على إعداد وتقديم جميع البرامج المتعلقة بشرح نصوص السنة المطهرة وبيان أحداث السيرة العطرة، من خلال إدارتين فرعيتين هما: إدارة برامج علوم السنة، وإدارة برامج السيرة، وتختص الإدارة العامة لبرامج علوم السنة والسيرة بالاختصاصات الآتية:

- إعداد وتقديم برامج الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة، باعتبارها المصدر الثانى للشريعة.
- شرح هذه الأحاديث من خلال المتخصصين من العلماء ورجال الدين.
- إلقاء الضوء على المناسبات التى وردت فيها الأحاديث النبوية الشريفة، وتحليل هذه المناسبات، من أجل نشر الوعى الإسلامى بين المستمعين.
- إعداد وتقديم البرامج الخاصة بالسيرة النبوية الشريفة.
- إعداد وتقديم برامج المسابقات الخاصة بالسيرة النبوية الشريفة.

د- **الإدارة العامة للتنفيذ:** وتتفرع إلى إدارتين: **إحداهما**: إدارة المذيعين، **وثانيتهما**: إدارة الإذاعات الخارجية وتقوم الإدارة العامة للتنفيذ بالاختصاصات الآتية:

- تنظيم أعمال المذيعين وتحديد مسئولياتهم لسلامة استمرار التنفيذ على الهواء.
- استيفاء تقارير مذيعى الفترات المختلفة، وتدوين ملاحظاتهم ورفعها إلى قيادة الشبكة.
- متابعة المناسبات والمهرجانات بالتنسيق مع الإدارة العامة للمهرجانات الدينية والمناسبات لضمان نقل هذه المهرجانات على الهواء.
- وضع خطة خاصة لتربية كوادر جديدة من المذيعين، على أساس منهج مدروس يتم الاتفاق عليه مع رئاسة الشبكة.
- تنفيذ خريطة البرامج على الهواء والربط بين فقراتها.
- مواكبة وتغطية جميع المؤتمرات الإسلامية التى تعقد فى داخل مصر وخارجها، ومتابعة وتغطية اللقاءات وقوافل الدعوة والندوات بالوزارات والمؤسسات الرسمية كالجامعات مثلاً، وكذا النشاط الأهلى وافتتاح المساجد، وإقامة الأمسيات الدينية.

شكل رقم (١)

الهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم طبقاً للقرار ٥٦١ لسنه ١٩٩٦م

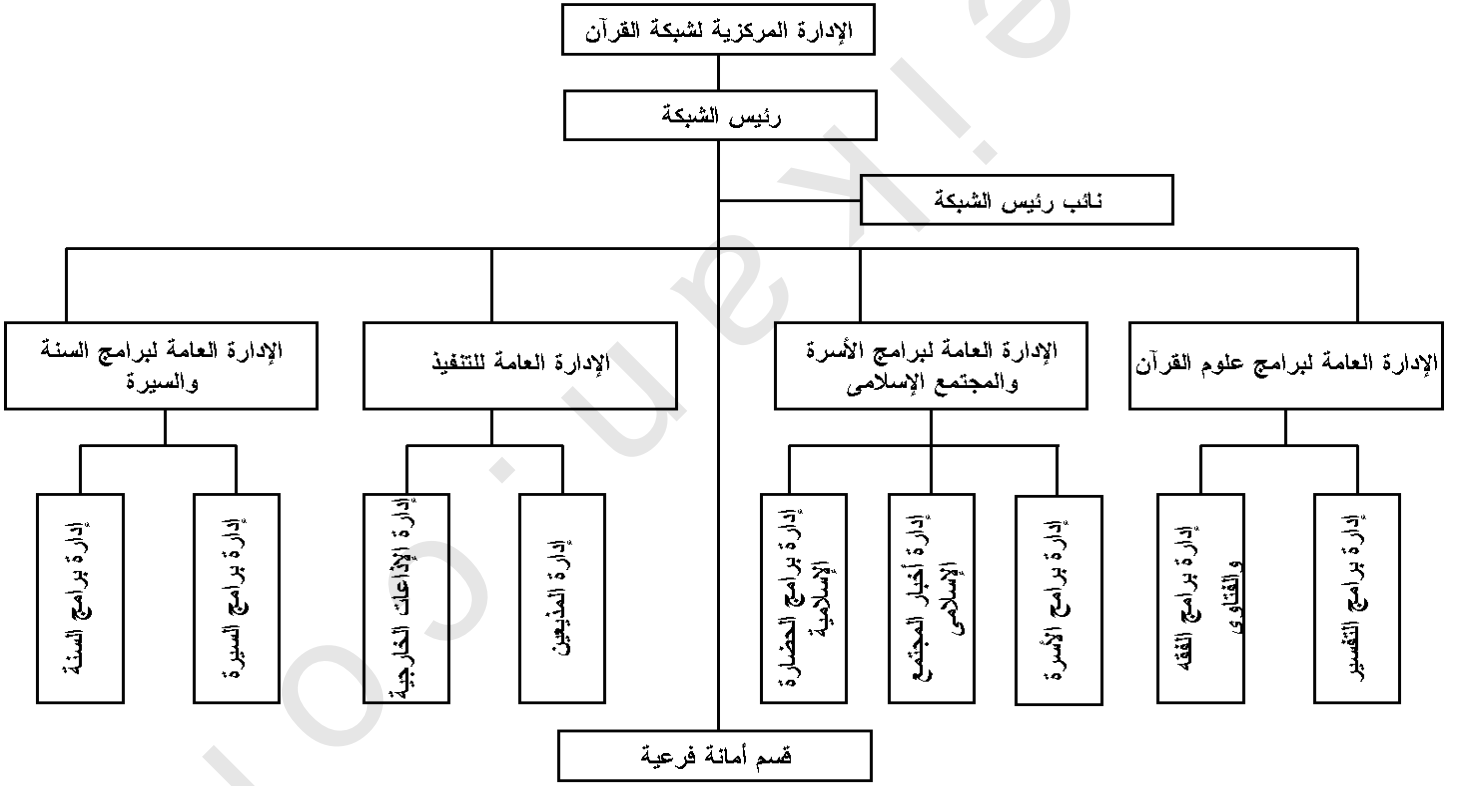

١- تطوير الهيكل التنظيمى، وتجديد الخطاب الإذاعى:

ما سبق عرضه للإدارات العامة المكونة للهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم باختصاصاتها المختلفة فى صياغة وتشكيل الخطاب الإذاعى للشبكة، ويرى البحث أن هذا الهيكل التنظيمى يحتاج إلى بعض المقترحات لتطوير الهيكل، بما يجعله أكثر فاعلية فى صياغة وتشكيل خطاب إذاعى، أشد قوة فى إنجاز أهداف الإفهام المستقيم والبلاغ المبين لدعوة رب العالمين.

أ- تأصيل إطار وظيفى لشبكة القرآن الكريم

تحتاج شبكة القرآن الكريم إلى تأصيل إطار وظيفى عام، فى ضوء ما سبق وضعه من مصالح أو مقاصد شرعية يهدف الخطاب الإذاعى بالشبكة إلى خدمتها أو تحقيقها فى الواقع المعيش، بحيث يشكل هذا الإطار الوظيفى ناظمًا تُسْلك فيه الاختصاصات السابقة للإدارات العامة المكونة للهيكل التنظيمى للشبكة، ويحكم فى الوقت ذاته السياسات الإعلامية التى توضع لتحقيق رسالتها، ويتكون هذا الإطار من الوظيفتين الرئيستين الآتيتين:

الوظيفة البنائية لشبكة القرآن الكريم: وتعنى الدور المبذول فى سبيل إقامة البناء الإسلامى فى الواقع، والعمل على التوعية به، وتحريك الجزئيات والتفاصيل داخل المجتمع الإسلامى على نحو لا يهدم أية لبنة من لبنات هذا البناء، وإنما يدعمها ويقويها، ويدفع المجتمع بواسطتها إلى الأمام؛ بحيث ترتبط السياسات الإعلامية بهذا البناء الفكرى الإسلامى. فى هذا الإطار يمكن الحديث عن وظائف فرعية أخرى، مثل وظيفة التعليم والتثقيف الإسلامى[١٢٦] التى سبق التعبير عنها بمقصد الإفهام والبلاغ، بل يمكن أن تمتد خطوة إلى الأمام للحديث عن الوظيفة التربوية التى تتمحور حول معطيات القرآن الكريم والسنة المشرفة.

الوظيفة المعيارية[١٢٧]: تتأكد هذه الوظيفة فى هذا العصر الذى يتسم بالتدفق الإعلامى والمعلوماتى الهائل، وهو عصر صار فيه الكون قرية صغيرة، ذابت فيها الحواجز والحدود الجغرافية، ويتعرض فيها كل فرد للتيارات الفكرية العالمية المتلاطمة، التى تهدد الخصوصيات الثقافية، والهويات المتباينة، ومن ثم تبين أهمية وزن مدى صلاحية المادة

الوافدة، التى تمثل المدخلات على المجتمع الإسلامى، وفقًا لمعيار الشرعية الإسلامية، التى تحدد أيضا صلاحية المخرجات الإعلامية إلى المجتمع العالمى، لتصويب صورة الإسلام والمسلمين فى عقل المتلقى من غير المسلمين.

فى هذا الإطار الوظيفى الناظم يمكن إعادة تصنيف السياسات الإعلامية الموضوعة للبرامج الدينية عامة، وللاختصاصات الإذاعية للإدارات العامة المكوِّنة للهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم.

ب- استحداث إدارة البرامج التعليمية والمسابقات الثقافية

من بين قائمة البرامج التى تشرف عليها الإدارة العامة لبرامج علوم القرآن، البرامج التعليمية الأزهرية لطلبة وطالبات كل من الشهادتين الإعدادية والثانوية الأزهرية، فى المواد العربية والعلوم الشرعية، بمعدل ست مواد لكل شهادة، أى اثنتى عشرة مادة يتم شرحها بواسطة اثنى عشر مستشارًا من قطاع المعاهد الأزهرية، بمعدل حلقتين فى اليوم، كل منها عشرة دقائق، بمجموع أربع عشرة حلقة فى الأسبوع، وما يعادل ساعتين وثلث فى الأسبوع.

وهذه البرامج تعتبر خدمة لشريحة كبيرة من شرائح المستمعين هم طلاب وطالبات الشهادتين الإعدادية والثانوية الأزهرية. وهنا ينبغى العمل على تطوير هذه البرامج وتيسير مادتها العلمية، وهى اللغة العربية والعلوم الشرعية لتعتبر بذلك مادة إذاعية يستفيد منها سائر المستمعين إلى جانب الطلاب، ومن ثم، فهى جزء رئيسى من مضمون الرسالة الإعلامية لشبكة القرآن الكريم.

وبهذا يظهر حجم العمل الكبير الذى تستوعبه البرامج التعليمية الأزهرية، وحجم شرائح المستمعين من الطلاب والطالبات، والشرائح الأخرى المهتمة بمضمون المواد العربية والعلوم الشرعية. وهنا تبدو الحاجة إلى استحداث إدارة ثالثة بالإدارة العامة لبرامج علوم القرآن، تختص بالإشراف على البرامج التعليمية، ويسند إليها برامج المسابقات الثقافية العامة، أو تلك التى يمكن إجراؤها بين طلاب المعاهد الأزهرية، فى المواد الدراسية العربية والشرعية موضع البرامج التعليمية الأزهرية، وتلك خدمة إذاعية ينبغى استحداثها بين برامج الإدارة العامة لعلوم القرآن الكريم: تدعيمًا لروح التنافس والحماس بين طلاب المعرفة العربية والإسلامية.

جـ- استحداث إدارة للعقيدة، والمذاهب الفكرية:

بالنظر فى جدول الهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم، نجده يتضمن بالإضافة إلى الإدارة العامة لعلوم القرآن، الإدارة العامة للسيرة والسنة ثم الإدارة العامة لبرامج الأسرة والمجتمع، وتلك إدارات برامجية موضوعية تغطى جوانب مهمة، ومساحات علمية أساسية فى المعرفة الإسلامية.

وعلى أهمية أبواب العقيدة والمذاهب الفكرية فى المعرفة الإسلامية، ودور قضايا الاعتقاد فى توجيه الفرد والمجتمع فى حركة الحياة؛ إلا أن هذه الأبواب لم يخصص لها فى الهيكل التنظيمى للشبكة، أى تقسيم تنظيمى للإشراف على إعداد وتقديم برامج هذه الأبواب المهمة فى المعرفة الإسلامية. ومن ثم تبدو أهمية استحداث إدارة للعقيدة، والمذاهب الفكرية الإسلامية، وذلك فى مرحلة أولى، تمهيدًا لرفع مستواها إلى مستوى إدارة عامة، وهو باب يبلغ فى وزنه العلمى والمعرفى وزن علوم القرآن، ووزن السيرة والسنة النبوية.

د- الاستفادة بآراء جماعة العلماء المتحدثين فى تطوير العمل الإذاعى:

من المعلوم أن شبكة القرآن الكريم تستعين فى إعداد وتقديم برامجها بمجموعة متميزة من العلماء المتخصصين فى المعرفة الإسلامية، وهم يشكلون فيما بينهم جماعة علمية مهتمة -بحكم مشاركتهم- بالرسالة الإعلامية لشبكة القرآن الكريم، ومن ثم؛ فإن إيجاد شكل ما أو درجة ما من الترابط فيما بينهم ولو فى شكل اجتماع دورى، ومناقشتهم فى مضمون البرامج والقضايا المطروحة فى العمل الإذاعى، وجوانب التطوير فيه، يمثل رافدًا ثريًّا من روافد التوجيه والنصح، ومن ثم التجويد فى العمل الإذاعى، والتجديد الدائم فى الخطاب الإسلامى.

وهذا المقترح يخلق قناة أو نافذة من نوافذ الرأى أو التغذية العكسية غير الرسمية، وهى وسيلة متاحة وميسورة بدون تكلفة، وهى وإن كانت لا تدخل فى الهيكل التنظيمى للشبكة؛ إلا أنها نافذة فعالة فى تطوير العمل الإذاعى من كافة الجوانب.

٢- أنموذج الإذاعى القائم على تجديد الخطاب:

لا شك أن أى تجديد لهدف الرسالة الإعلامية ومضمونها وخطابها الإذاعى لا يقدر له

النجاح بدون تطوير العنصر البشرى القائم على هذه الرسالة؛ ولأن العمل الإذاعى بشبكة القرآن الكريم، عمل ذو طبيعة خاصة، يحتاج إلى نوعين من النظر: نظر فنى إعلامى، بمعنى: امتلاك ناصية المهنة الإذاعية علمًا وخبرة، ونظر إسلامى بمعنى: امتلاك الأدوات والقدرة على التعامل مع مصدر الرسالة الإعلامية، وهو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، هذه الطبيعة التخصصية التى تميز العمل الإذاعى بشبكة القرآن الكريم، تقتضى أنموذجًا للمذيع ذا مهارات ومواصفات خاصة، تتناسب مع خصوصية العمل الإعلامى الذى يقوم به، والخطاب الإذاعى الذى يشارك فى صناعته وبثه. وقبل بيان هذه المهارات وتلك الصفات ينبغى التأكيد على الحقائق الثلاث الآتية:

الأولى: إن مهمة القائم بالرسالة الإعلامية فى الحقل الإسلامى ذات صلة قوية بمهمة الرسل، والأخيرة ذات شقين: **أحدهما**: إبلاغ كلمات الله. **ثانيهما**: بيان كلمات الله، وهذا جوهر العمل فى إذاعة القرآن الكريم، كما سلف بيانه.

الثانية: أن الرسول ﷺ هو القدوة والمثل للقائم بالرسالة الإعلامية فى الحقل الإسلامى، بمعنى أنه ﷺ الإعلامى القدوة والمثل، وأسلوبه فى الدعوة هو القدوة والمثل.

الثالثة: يترتب على الحقيقتين السابقتين: ضرورة توفر اقتناع لدى المذيع أو البرامجى بشبكة القرآن الكريم يصل إلى حد اليقين والإيمان؛ بأن هذا العمل الإذاعى رسالة، وأن التوفر عليه اصطفاء واجتباء من الله، فضلاً عن كونها مهنة يعيش من دخلها الشهرى.

٣- أنموذج الإذاعى بشبكة القرآن الكريم:

من المنطلقات السابقة يمكن تصور بعض المهارات والمواصفات التى يجب توافرها فى الإذاعى القائم على الرسالة الإعلامية بشبكة القرآن الكريم منها:

أ- صفات أخلاقية: تنبع من صفات الرسول ﷺ الذى يعتبر الإعلامى القدوة[١٢٨]:

ومن أبرز الصفات الأخلاقية ذات الصلة بالعمل الإعلامى ما يأتى:

- إخلاص العمل لله، أبرز الصفات التى يتحلّى بها الإذاعى فى شبكة القرآن الكريم، وهذا معناه أن يؤمن بأن «النجومية والشهرة والذيوع» هدف لفكرته ورسالته وليست لذاته وشخصه. وهو أمر يتعلق بفقه النية وإخلاصها، ودور الرياء فى إحباط العمل، والآثار فى هذا المجال كثيرة.

- امتثال فكرته، بمعنى أن يقتنع بها وأن تنضح على جوارحه؛إذ الإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وهذا له آثاره الظاهرة للمتلقى، والتى تتمثل فى إحساسه بصدق المرسل، ومن ثم يحدث التفاعل بين المرسل والمستقبل بمضمون الرسالة الإعلامية، وخلاصة هذا الجانب فى قوله (تعالى): ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(١٢٩).

- الصدق والأمانة فى عرض الحقائق والتعبير عنها، فالصدق أمانة وإيمان، والكذب خيانة ونفاق. هذه صفات أخلاقية سيقت على سبيل المثال لا الحصر، ولعلاقتها المباشرة والقوية بالعمل الإعلامى فى الحقل الإسلامى ومنظومة القيم والأخلاق الإسلامية هى ألزم لرجل الإعلام الإسلامى.

ب- قدرات ومهارات إذاعية

إن الإذاعى القائم على الرسالة الإعلامية بشبكة القرآن الكريم، والمعنى بقضية تجديد الخطاب الإذاعى فيها، يعمل فى حقل إذاعى ذى طبيعة خاصة، يقتضى أن تتوفر له مهارات أدائية وإذاعية، وقوامها فى الجوانب الآتية:

جمال الصوت وحسن الأداء:

وهذه المهارة ضرورة إذاعية فى حقل إذاعة القرآن الكريم، حيث لا يستعين الإذاعى فى تقديمه المادة الدينية بأى مؤثرات صوتية أو موسيقية، فى الوقت الذى يتوجه برسالته إلى عقل وقلب المتلقى، متوخيًا أن يحدث تأثيرًا يتغير معه فكر المستمع ووجدانه وسلوكه نحو مطلوب رسالته، ومن ثم يصبح جمال الصوت وحسن الأداء، أداته الوحيدة الفعالة فى توصيل رسالته، وإحداث أثرها المنشود.

القدرة على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة:

يأتى على رأس القدرات والمهارات الإذاعية للإذاعى بشبكة القرآن الكريم عمومًا، القدرة على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة وفقًا لأحكام التجويد، والمعروفة لأهل هذا الفن، وهذا يمثل الحد الأدنى لمهارة المذيع فى هذا المجال، وحبذا لو كان حافظًا للقرآن، وإن كان ليس بلازم؛ إلا أنه لو توفر للمذيع هذا الحد الأقصى، كان عونا له على

أداء رسالته الإعلامية على الوجه الأتم. وبغير توفر هذه القدرة؛ فلا أظن أن يتحقق القدر الكافى من النجاح للمذيع فى أداء رسالته الإعلامية، لكثرة تعرض المذيع لقراءة النصوص القرآنية فى كل عمل إذاعى يقوم به، ومن ثم تكثر سقطاته وزلاته فى قراءة الآيات، وهذه إساءة له شخصيًّا وللعاملين معه من الزملاء، وإساءة غير مقبولة، من قبل ومن بعد، للقرآن الكريم؛ لذلك فإن فاقد هذه القدرة لابد له من أحد طريقين: **أحدهما:** أن يكتسب هذه المهارة بتعلمها من مظانها، **ثانيهما:** أن يبحث له عن حقل إعلامى آخر غير إذاعة القرآن الكريم.

القدرة على التحدث باللغة العربية الفصحة وتوظيف قواعدها أثناء التحدث:

يتعامل الإذاعى الذى نحن بصدده، فى صناعته لرسالته الإعلامية إعداد وتقديمًا، مع لغة القرآن الكريم، الذى نزل بلسان عربى مبين، ومع لغة الرسول ﷺ، الذى أوتى جوامع الكلم، ومن ثم لابد أن يمتلك المذيع عمومًا وفى شبكة القرآن الكريم خصوصًا مهارة التعامل مع اللغة العربية الفصيحة تحدثًا وتركيبًا للأساليب، وفهما لقواعدها وتوظيفا لها، حتى يتمكن من نقل رسالته الإعلامية لمستمعيه، بلغة مقنعة، وخطاب رصين، يحترمه المتلقى، مراعيًا اجتناب التفاصح والتشدق والتفيهق، وكلها مظاهر للتكلف تفسد الخطاب، ولا تجعله يؤتى ثماره المرجوة.

جـ- مهارات معرفية

الرسالة الإعلامية فى شبكة القرآن الكريم تنتمى إلى نوع الإعلام المتخصص تخصصًا علميًّا دقيقًا، وحتى يتحقق النجاح لهذه الرسالة فى تحقيق هدفها، يتعين أن يمتلك الإذاعى القائم عليها قدرًا من الثقافة الإسلامية الشاملة لأبواب الدين، تُمكِّنه من معالجة فكرته معالجة فعالة، وأن يفقه الواقع المعيش بما يشتمل عليه من قضايا ومشكلات وأحداث، سواء على مستوى الأفراد أو الأسر، أو على المستوى الجماعى، بما فى ذلك المشكلات الوطنية، مع القدرة على إقامة الموازنة والمعالجة أو المزاوجة بين الواقع والفكر الإسلامى.

تلك هى مواصفات الأنموذج الصالح للإذاعى، الذى يحمل أمانة الخطاب الإذاعى

فى شبكة القرآن الكريم، توحى بها التجربة الشخصية والملاحظات الميدانية مع الزملاء خلال رحلة العمل الممتدة -قرابة ربع قرن- أمام ميكروفون إذاعة القرآن الكريم.

مقترح برنامج عمل لتعميق قدرة المذيعين على تجديد الخطاب الإذاعى:

التصور السابق لنموذج الإذاعى موضع البحث يقتضى أن تضم لجنة اختبار المذيعين بالإذاعة، من بين أعضائها، رئيس شبكة القرآن الكريم، أو من يمثله، لينتقى من بين المتقدمين، من تتوفر فيه مواصفات أنموذج المذيع الذى يصلح للعمل بالشبكة، وذلك انتقاء من المنبع، لا أن يترك الأمر للتوزيع العشوائى للناجحين على سائر الشبكات ومن بينها شبكة القرآن الكريم، دون مراعاة معايير الصلاحية الخاصة بالشبكة.

أما الزملاء القائمون بالعمل حاليًا فيمكن اقتراح خطة من عدة عناصر، تمكنهم من الاستمرار فى مزاولة مهمة تجديد الخطاب الإذاعى المنوطة بهم كما يلى:

إقامة دورات تدريبية تخصصية داخل الشبكة، يستعان فيها بذوى الخبرة من الزملاء القدامى، سواء منهم المتخصصون فى اللغة العربية أو الدراسات الإسلامية، أو ذوو المهارات الأدائية، ويستخدم أسلوب «التحفيز» لإثارة الهمة والحماس لدى كل من المدرب والمتدرب.

تشجيع الزملاء على الانتظام فى جلسات للتلاوة شبه منتظمة، يتدربون فيها على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، مع شرح مبسط لأحكام التلاوة، ويستعان فيها بالزملاء الحافظين للقرآن الدراسين لأحكام تلاوته، مع حث من يحتاج منهم، إلى التردد على أحد الشيوخ للتدريب على القراءة الصحيحة والتعرف على أحكامها.

حث الزملاء على متابعة المحاضرات والندوات وحلقات النقاش، فى الموضوعات الإسلامية بالجامعات ومراكز البحوث والدراسات الإسلامية، لزيادة رصيدهم العلمى فى المعرفة الإسلامية.

أن يضم البرنامج التدريبى لمعهد الإذاعة والتليفزيون: دورات تدريبية على إعداد وتقديم البرامج الدينية، وأخرى للتثقيف الإسلامى.

مكاتبة وزارة الأوقاف: كى تخصص مِنَحًا خاصة للعاملين فى إذاعة القرآن الكريم للالتحاق بمركز إعداد الدعاة، باعتباره سبيلا للتثقيف الإسلامى للزملاء.

حث المذيعين من غير المتخصصين فى الدراسات الإسلامية، على الالتحاق بكليات العلوم الشرعية من الخارج، واستكمال الدراسة فيها، أو مواصلة بعضهم الدراسات العليا فى الحقل الإسلامى، وقد اجتاز أكثر من أنموذج هذه التجربة بنجاح، وهو ما يمثل أسوة تحتذى فى هذا المجال.

٣- تطوير آليات ضبط عملية صناعة الخطاب الإذاعى:

يعنى البحث هنا بطرح عدد من المقترحات التطويرية التى يربط بينها جمعًا، ارتباطها بآليات العمل، وسيره على وجه يؤدى إلى الاستمرار فى عملية تجديد الخطاب الإذاعى، وتحقيق الفعالية لرسالة شبكة القرآن الكريم، إنجازًا لأهدافها المنشودة.

تطوير إجراءات المتابعة والرقابة على مضمون المواد المذاعة

من المعلوم أن المتابعة والرقابة مكّون مهم من مكونات العملية الإدارية فى أى مؤسسة، وهى عملية متابعة دائمة تهدف إلى التأكد من أن العمل يسير فى اتجاه تحقيق الأهداف المخططة، وتهدف إلى تدارك الأخطاء والانحرافات قبل وقوعها أو الكشف عنها وتصحيحها بعد وقوعها.

والمتابعة والرقابة فى المؤسسات الإعلامية تستهدف مضمون الرسالة الإعلامية من عدة جوانب:

- الرقابة على المستوى الفنى للرسالة الإعلامية.
- الرقابة على مضمون الرسالة الإعلامية؛ بحيث تكون ذات هدف يخدم المجتمع.
- الرقابة على مضمون الرسالة الإعلامية؛ بحيث لا تستعدى السلطة أو تخالف التشريعات الاجتماعية والإعلامية.

ومن ثم تأتى الرسالة الإعلامية منسجمة مع أهداف المؤسسة، وذات مستوى فنى وعلمى لائق، محققة لمسئوليتها الاجتماعية باتفاقها مع الصالح العام(١٣٠).

هكذا تبدو أهمية المتابعة والرقابة على المواد المذاعة، وتكتسب هذه العملية أهمية خاصة بشبكة القرآن الكريم، ذلك أنها تستهدف أن تتحقق عناصر السلامة الآتية، فى الخطاب الإذاعى وهى:

- صحة المعلومات والأفكار الواردة بنصوص البرامج من الناحية الشرعية.

- صحة الآيات والأحاديث الواردة فى نصوص البرامج على سبيل الاستدلال.

- انسجام مضمون نص كل برنامج مع هدفه وفكرته، فلا يكفى أن يكون النص صحيحًا من الناحية الشرعية، بل لابد من أن يقع فى المساحة العلمية المحددة للبرنامج، وأن يدور حول هدفه، حتى تتضح الحدود وتبين المعالم، ويحدث التمايز بين البرامج، فكل البرامج تناقش أفكارًا دينية وتطرح قضايا إسلامية؛ فإذا انفكت المضامين عن أهدافها اختلط الحابل بالنابل، ومن ثم تبدو أهمية هذا العنصر من عناصر السلامة.

مراحل عملية المتابعة والرقابة على مضمون الرسالة الإعلامية (رؤية تطويرية):

يمكن الحديث عن مرحلتين للمتابعة والرقابة يمر بهما مضمون الرسالة الإعلامية، والخطاب الإذاعى بشبكة القرآن الكريم، يتم عرضهما فيما يلى برؤية تطويرية:

- المرحلة الأولى: قبل تسجيل البرنامج (الرقابة السابقة):

اصطلح الإذاعيون على تسمية هذه المرحلة « مراجعة النص » بهدف تحرى توافر اعتبارات وعناصر السلامة السابقة، وهنا نؤكد على ضرورة مراجعة النص جيدًا، من قبل مقدم البرنامج قبل عرضه على المراجع المختص، فمن المفترض أنه أكثر خبرة وإحاطة بهدف برنامجه ومضمون فكرته، والقضايا التى يتناولها، ومن ثم أهمية رؤيته للنص؛ فإن وجد ملاحظات على النص، راجع معد النص -إن كان يستعين بمعد- وبهذا فهو يتدارك الخطأ عند المنبع.

ثم يعرض النص على المراجع المختص بالبرنامج للتحقق من عناصر الصحة السابقة، ومن المستوى العلمى للنص؛ فإن وجدت ملاحظات أعيد النص لتدارك الملاحظات، ثم يعاد لإجازته للتسجيل بعد اعتماده من المدير العام.

- المرحلة الثانية: الرقابة بعد التسجيل والإذاعة (الرقابة اللاحقة):

بعد تسجيل النص تتم إذاعته، وهنا صار الخطاب الإذاعى حقيقة حية، ومنتجًا إذاعيًّا، ومن ثم تتمثل الرقابة فى عدة جهات ينبغى الاستفادة منها فى تقويم الخطاب

بعد إذاعته، وهذه الجهات تمثل للإذاعى القائم على صياغة الخطاب وتشكيله مصادر أو منابع التغذية العكسية ورجع الصدى، تعدل مساره بتعميق الإيجابيات ومعالجة السلبيات.

مصادر رجع الصدى للخطاب الإذاعى لشبكة القرآن الكريم:

تتنوع هذه المصادر أو تلك الجهات الرقابية على مضمون الخطاب الإذاعى، بين مصادر رسمية، وظيفتها الرقابة ووضع تقرير بمحصلة العملية الرقابية، ومصادر غير رسمية، تحمل وجهات نظر أو آراء حول هذا المضمون، وهى جميعًا تؤدى دورًا مهما فى تقويم العمل الإذاعى، ورفع مستواه الفنى وتوجيهه الوجهة الصحيحة. من هذه الجهات ما يأتى:

أ- تقارير مذيع التنفيذ باستديو الهواء؛ إذ من المهام التى تناط بمذيع الهواء، مراقبة المادة المذاعة، وكتابة تقرير عنها يبين أوجه الإيجاب وأوجه السلب، حيث تحول الملاحظات إلى الإدارة العامة المختصة، ومنها إلى مسئول البرنامج للرد والتقويم.

ب- تقارير الإدارة العامة للمتابعة، وهى جهة متخصصة فى رقابة مضمون الرسالة الإعلامية المذاعة، ويتوفر على هذه المهمة عناصر ذات خبرة إذاعية تمكنها من نقد العمل المذاع تحريًّا لأهداف ومعايير رقابية شاملة(١٣١).

جدير بالذكر أن تقارير الإدارة العامة للمتابعة، الخاصة بمضمون خطاب شبكة القرآن الكريم، أحيانًا ما تأتى بملاحظات تتسم بالعمومية وفى نواح شكلية من مثل »هذه الحلقة معادة «، هذه الحلقة ممتازة » مما يدل على أن المتابع ليست لديه الأدوات الحقيقية التى تمكنه من نقد المادة المذاعة نقدًا علميًّا يضع يد المسئولين على نواحى القوة ونواحى الضعف، بما يفيد فى تقويم مضمون الخطاب الإذاعى، وهنا ينبغى العناية باختيار العناصر التى يتوفر لها أدوات الفكر والنظر لتقويم مثل هذا المضمون الإذاعى المتخصص تخصصًا علميًّا دقيقًا.

جـ- نتائج بحوث المستمعين التى تقوم بها الإدارة المركزية لبحوث المستمعين بالأمانة العامة لاتحاد الإذاعة والتليفزيون، ومن ذلك بحث « تقييم برامج ومواد إذاعة القرآن الكريم »، وقد أجرى هذا البحث على مستوى الجمهورية -حضر وريف- وغطى عينة

قوامها ١٢٠٠ مُستمع، واستهدف البحث بصفة عامة، تقييم الدور الذى تؤديه إذاعة القرآن الكريم فى مجالات التنوير والتثقيف الدينى، والوقوف على مدى تحقيق البرامج لأهداف الخطة الإعلامية للاتحاد فى المجال الدينى، وتضمنت الدراسة أيضًا استطلاع آراء عينة من علماء الدين غطت (١٠٠) مُستمع لإثراء الدراسة بآرائهم حول برامج إذاعة القرآن الكريم(١٣٢).

وأرى ضرورة تعميم نتائج مثل هذا البحث على جميع الإعلاميين أو الإذاعيين المعنيين بجميع مستوياتهم، لا أن يقتصر على رؤساء الشبكات، حتى تعم الفائدة ويستفيد الجميع من نتائج مثل هذه البحوث.

د- مضمون رسائل الدكتوراه والماجستير ونتائجها وتوصياتها، خاصة تلك التى تناقش موضوعات تتعلق بمضمون الرسالة الإعلامية فى حقل الدعوة الإسلامية، تمثل مصدرًا ثريًّا ونبعًا فيَّاضًا من الآراء التطويرية والتقويمية التى تعين القائمين على تطوير الأداء الإعلامى (١٣٣).

هـ- الاستماع المباشر للإذاعة من المسئولين عن الرسالة الإعلامية بجميع مستوياتهم يعتبر مصدرًا رقابيًّا فعالاً فى تقويم وتوجيه الخطاب الإذاعى نحو هدفه.

و- خطابات المستمعين، ومكالماتهم التليفونية، واللقاءات المباشرة بهم عبر المحيط الاجتماعى للمسئولين عن الرسالة الإعلامية، تمثل منبعًا رقابيًّا فياضًا بالفكر، والرأى الهادف إلى تقويم الخطاب الإذاعى، وهذا المصدر ذو أهمية خاصة؛ لأنه التقاء مباشر بفكر وآراء المستفيدين من الخطاب الإذاعى والمستهدفين به، ومثلهم فى ذلك مثل لقاء منتج السلعة بمستهلكها.

هذه المصادر الستة، فى مجموعها، تمثل وسائل للرقابة اللاحقة على إذاعة مضمون الخطاب الإسلامى، ومن ثم فهى رجع للصدى له أثر إيجابى على الخطاب الإذاعى، وتفعيله من خلال التعديل والتصويب، بل والتطوير فى خطوات العمل الإذاعى ومضمونه، ومن ثم ينبغى أن تولى كثيرًا من الاهتمام والإصغاء والاستجابة.

خاتمة

لا يراد لهذه الخاتمة أن تكون تلخيصًا لما سبق بحثه، أو اجترارًا للأفكار التى وردت فى ثنايا البحث المتعلقة بتجديد الخطاب الإذاعى وأهدافه، أو التجديد والتطوير فى البنية الإذاعية المنتجة لهذا الخطاب؛ ولكن المراد هنا هو التأكيد على أمر له علاقة مباشرة بتجديد الخطاب الإذاعى الإسلامى لم يقف البحث أمامه بالقدر الكافى، ألا وهو ضرورة التنسيق بين شبكة القرآن الكريم بالقاهرة، وبين غيرها من الإذاعات المماثلة سواء فى الوطن العربى أو العالم الإسلامى، ومنها -على سبيل المثال لا الحصر- إذاعة القرآن الكريم بالرياض، وإذاعة نداء الإسلام من مكة المكرمة، وإذاعة القرآن الكريم بالكويت، وإذاعة القرآن الكريم بالإمارات العربية المتحدة، وإذاعة القرآن الكريم فى قطر، وإذاعة القرآن الكريم فى لبنان، بل هناك إذاعة للقرآن الكريم فى استراليا.

هذا التعدد والتنوع الثرى فى إذاعات القرآن الكريم: يدعو إلى ضرورة إبداع آلية لتنسيق السياسات الإذاعية فيما بينها جميعًا. هذه الآلية محل الاقتراح تختلف عن منظمة الإذاعات الإسلامية، التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامى، وعن اتحاد الإذاعات العربية التابع لجامعة الدول العربية.

الآلية محل الاقتراح: هى عبارة عن مجلس لرؤساء إذاعات القرآن الكريم ينعقد بشكل دورى، لتنسيق السياسات الإذاعية فيما بين إذاعات القرآن الكريم، فيما يتصل بأفكار البرامج، وأولويات القضايا محل التناول الإذاعى، والأهداف المرحلية للخطاب الإذاعى الإسلامى، وتبادل البرامج الإذاعية الإسلامية، وتبادل الخبرات وتكاملها، باعتبار ذلك كله سبيلاً إلى أن يكون الخطاب الإذاعى الإسلامى متآلفًا غير متنازع، ومتكاملاً غير متناقض، أولوياته منسقة بدلاً من تشتيت الجهود وضياعها فى مجالات تتكرر فيها، أو أن يغفل العمل الإذاعى عن قضايا تستحق التركيز والاهتمام، ولا يخفى ما فى ذلك من تطوير وتفعيل للخطاب على مستوى الأمة، فى خدمة قضايا الإسلام على هذا المستوى، وإبراز للوجه الحضارى والإنسانى فى الإسلام على المستوى العالمى، وما يمكن أن يكون لهذه الآلية من دور فى التعامل مع الحملات الإعلامية المضادة للإسلام، سواء فى الإعلام الفضائى أو المواقع المضادة للإسلام على شبكة الإنترنت.

هذه الآلية محل الاقتراح ليست تكرارًا، ولا بديلاً عن منظمة الإذاعات الإسلامية باعتبارها أحد الأجهزة الفرعية التى أنشأتها منظمة المؤتمر الإسلامى، لنشر الدعوة وتعزيز الوعى بتراث الإسلام، كما تسعى إلى التعريف بالقضايا الإسلامية ولتعميق روح الأخوة الإسلامية، وليست بديلاً عن اتحاد الإذاعات العربية. إنها آلية للتنسيق بين إذاعات القرآن الكريم تتكامل ولا تتناقض مع منظمة إذاعات الدول الإسلامية، وتدعم رسالتها وتقويها؛ لكنها أكثر تخصصية باعتبارها تمثيلاً لإذاعات دينية متخصصة فى الإعلام الإسلامى، وتهدف إلى توحيد لغة الخطاب الإذاعى الإسلامى، ليس من ناحية اللسان، بل توحيد رؤاه للقضايا محل التناول الإذاعى، وتفعيل هذا الخطاب فى أدائه لمقاصده -التى سبق الإشارة إليها- من البلاغ المبين لوحى رب العالمين إلى الناس أجمعين، والإفهام المستقيم لحقائق ومفاهيم هذا الدين، ابتغاء تحقيق الامتثال الأمين لمراد الله فى خطاب التكليف إلى سائر المؤمنين.

openkan.com

الهوامش

(١) سحر فؤاد أحمد على، دور إذاعة القرآن الكريم فى التثقيف الدينى للشباب الجامعى: دراسة تحليلية وميدانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، ١٩٩٨م/١٤١٩هـ، ص ٣٩٧.

(٢) اتحاد الإذاعة والتليفزيون، الإدارة العامة لبحوث المستمعين، بحث تقييم برامج ومواد إذاعة القرآن الكريم، فى الفترة من ٢٠٠١/١/١٥ إلى ٢٠٠١/١/٢٥م. ص ١٣، ٥٣.

(٣) انظر: ابن منظور: لسان العرب، جـ١، دار المعارف، مادة خطب ص ١٩٤.

(٤) راجع: الإمام الغزالى، المستصفى فى علم الأصول، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص١٨٤، والآمدى، الأحكام فى أصول الأحكام، جـ١، القاهرة، محمد على صبيح، سنة١٣٨٧هـ/١٩٦٨م من ص٧٣،٧٢.

(٥) اعتمد الباحث فى بناء إطار هذه المفردات على: د. على جمعة، الثقافة العربية والإسلامية: إشكالية الثوابت والمتغيرات، محاضرة ألقيت فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة فى افتتاح الموسم الثقافى الثالث٢٠٠٣/٢٠٠٤م لبرنامج حوار الحضارات (تسجيل كاسيت).

(٦) راجع تفصيلات أنواع الحكم الشرعى (فى): د. زكى الدين شعبان، أصول الفقه الإسلامى، القاهرة دار الكتاب الجامعى، د.ت، ص ١٨٣ وما بعدها.

(٧) سورة البقرة آية: ٢٥٩.

(٨) سورة العاديات، آية: ٦.

(٩) سورة الإسراء، آية: ٨٣.

(١٠) سورة الإسراء آية : ١٦، راجع نماذج من سنن التجدد والاستبدال الحضارى (فى): محمد هيشور، سنن القرآن فى قيام الحضارات وسقوطها، القاهرة: المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(١١) د. عماد الدين خليل، حول تشكيل العقل المسلم، فيرجينيا: المعهد العالمى للفكر الإسلامى ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص٧٠.

(١٢) محمد عبد الله دراز، مقدمة كتاب الإمام الشاطبى، الموافقات فى أصول الشريعة، جـ١، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ص٣.

(١٣) راجع التفاصيل (فى): د. فوزى خليل، المصلحة العامة من منظور إسلامى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤/٢٠٠٣م ص ٨١ وما بعدها.

(١٤) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(١٥) انظر: د. جمال الدين عطية، النظرية العامة للشريعة الإسلامية، د.ت، ١٩٩٨م، ص١٣١.

(١٦) سورة الجمعة، آية: ٢.

(١٧) الإمام البخارى، الأدب المفرد، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، باب حسن الْخُلُقْ، ص ٤٢.

(١٨) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(١٩) الراغب الأصفهانى، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق ودراسة د. أبو اليزيد العجمى، المنصورة، دار الوفاء، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ٩٣ وما بعدها.

(٢٠) اعتمد الباحث فى صياغة هذا المكون من مكونى الخطاب الدينى «مكون الواقع» على: د. على جمعة، الثقافة العربية والإسلامية، إشكالية الثابت والمتغير، محاضرة على شريط كاسيت، مرجع سابق.

(٢١) الإمام الشاطبى، الموافقات فى أصول الشريعة، جـ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ص٤، ٧، ٨.

(٢٢) حسب خريطة برامج شبكة القرآن الكريم يناير – أبريل٢٠٠٥م.
(٢٣) د. أحمد كمال أبو المجد، تجديد الفكر الإسلامى: إطار جديد، مداخل أساسية، أبحاث ووقائع المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، التجديد فى الفكر الإسلامى، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٣٦، ٣٧، ٣٨.
(٢٤) د. محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية، أبحاث ووقائع المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، المرجع السابق، ص٥٩.
(٢٥) انظر تفنيدًا لهذه الخصائص وتفصيلاً للاستدراك عليها (فى): د. أحمد كمال أبو المجد، تجديد الفكر الإسلامى: إطار جديد، مداخل أساسية، مرجع سابق، ص٣٩ – ٤٥.
(٢٦) د. محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية، مرجع سابق، ص ٦٠ وراجع عرضًا لنماذج حداثية للقطيعة المعرفية مع ثوابت الإسلام وأصوله وقواعده فى واقعنا الفكرى المعاصر ص ٧٩-٩١.
(٢٧) المرجع السابق، ص ٦٠ – ٦١، انظر د. أحمد كمال أبو المجد، تجديد الفكر الإسلامى، مرجع سابق، ص ٣٦.
(٢٨) د. محمد عمارة، الخطاب الدينى بين التجديد الإسلامى والتبديد الأمريكانى، القاهرة مكتبة الشروق الدولية،٢٠٠٤م، ص ٢٤.
(٢٩) سورة الزمر، آية: ٢٨.
(٣٠) سورة الإنعام، آية: ١٦١.
(٣١) ابن كثير تفسير القرآن العظيم، الجزء الثانى، القاهرة: عيسى البابى الحلبى، د.ت، ص ١٩٧.
(٣٢) سورة الروم، آية: ٣٠.
(٣٣) سورة البينة، آية:٥.
(٣٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٣، المرجع السابق، ص ٤٤٣، انظر المرجع نفسه، جـ٤، ص٥٣٧.
(٣٥) راجع: د. يوسف القرضاوى، الخصائص العامة للإسلام، مرجع سابق، ص١١٨-١١٩.
(٣٦) د. محمد عمارة، الخطاب الدينى بين التجديد الإسلامى والتبديد الأمريكانى، مرجع سابق، ص١٦.
(٣٧) فى بيان معانى القلب والنفس والروح وطرق تهذيبها عند الصوفية، راجع أبو حامد الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ٨ القاهرة، دار الشعب، د.ت، ص١٣٤٢ – إلى آخر كتاب شرح عجائب القلب.
(٣٨) انظر دحضا لمقولات وخصائص هذا الخطاب وبيان أضرار هذه الخصائص على الإسلام وعلى استئناف نهضة الحضارة الإسلامية فى د. أحمد كمال أبو المجد، تجديد الفكر الإسلامى... مرجع سابق، ص ٣٨. وما بعدها.
(٣٩) د. محمد عمارة، الخطاب الدينى بين التجديد الإسلامى والتبديد الأمريكانى، مرجع سابق، ص١٨-١٩.
(٤٠) المرجع السابق، ص٢٧، ٢٩، وانظر تحليلاً لنماذج من كتابات لهذا الخطاب وتحليل لها ولأهدافها فى: المرجع نفسه، ص ٢٠-٤٤ ونماذج أخرى (فى): د. محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامى والحداثة الغربية، مرجع سابق، ص ٧٩ وما بعدها. وعما خسرته الأمة الإسلامية بسبب دور عملاء الحضارة والفكر من المتغربين من أبناء جلدتنا راجع محمد الغزالى: الدعوة الإسلامية، فى القرن الحالى، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٥٧-١٦١.
(٤١) سورة الأنفال، آية: ٢٤.
(٤٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٢، مرجع سابق، ص٢٩٧.

(٤٣) سورة الإسراء، آية: ٤٩.
(٤٤) سنن أبى داود، كتاب الملاحم رقم ٣٧٤٠، والحاكم فى المستدرك جـ٤، رقم ٥٢٢.
(٤٥) د. عصام أحمد البشير، التجديد: مفهومه وضوابطه وآفاقه فى واقعنا المعاصر، مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مرجع سابق، ص ٩٣٧.
(٤٦) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة جد.
(٤٧) راجع: د. محمد عمارة، معالم المنهج الإسلامى، القاهرة، دار الشروق، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص ٩٤-٩٥.
(٤٨) انظر: د. عصام أحمد البشير، التجديد: مفهومه وضوابطه وآفاقه...، مرجع سابق، ص ٩٤٧، ٩٤٩.
(٤٩) فى مقومات عملية صنع القواعد والقرارات الملزمة وعملية تطبيعها فى الواقع من المنظور الإسلامى د. فوزى خليل، المصلحة العامة من منظور إسلامى، القاهرة مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٣٨٣ وما بعدها.
(٥٠) أنظر: ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، جـ٣، بيروت: دار الجيل، د.ت، ص ٣.
(٥١) فى التمييز بين البنية والوظيفة التى تقوم بها والغاية التى تمثل الهدف النهائى الذى تسعى البنية من خلال قيامها بالنشاط لأن تحققه، راجع د. حامد ربيع نظرية القيم السياسية، مذكرات غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ص ٢٢٤-٢٢٨.
(٥٢) جمهورية مصر العربية، اتحاد الإذاعة والتليفزيون، الكتاب السنوى، ٢٠٠١م – ٢٠٠٢م، يوليو ٢٠٠١م، ص٣١٩ – ٣٢٠، وانظر أيضًا: الخطة الإعلامية العامة،٢٠٠٠م- ٢٠٠١م، ص ٣٥٧.
(٥٣) الخطة الإعلامية العامة لعام ٢٠٠١م/٢٠٠٢م، مرجع سابق، ص٩٥.
(٥٤) راجع: الخطة الإعلامية العامة، المرجع السابق، ص٩٥-١٠٢،
(٥٥) الخطة الإعلامية العامة لعام ٢٠٠٠م/٢٠٠١م، مرجع سابق، ص ١٣٥-١٤١.
(٥٦) حسب خريطة البرامج الحالية لشبكة القرآن الكريم أبريل – يونيه ٢٠٠٥م.
(٥٧) راجع تقرير إنجازات شبكة القرآن الكريم فى الفترة من ٧/١ –٢٠٠٤/٩/٣٠م المرفوع من رئيس شبكة القرآن الكريم لرئيس الإذاعة المصرية فى ٢٠٠٤/١١/٣٠م.
(٥٨) فى النظر فى منظومة أصول المصالح العامة للشريعة الإسلامية أو مقاصدها العامة بين من يحصرها فى تلك الخمس، وبين من يستبدل النسب بالنسل، وبعضهم يضيف العرض والبضع على اعتبار أنها ذات دلالات واحدة وكيف أن الأمر على خلاف ذلك، وأن هذه الأصول تعبر عن دلالات مصلحية متباينة ومتكاملة، وإضافة أصل حفظ نظام الأمة باعتباره مقصدًا للشارع ومصلحة عامة فى الأمة. راجع التفاصيل فى: د. فوزى خليل، المصلحة العامة من منظور إسلامى، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٠٢-١٠٨.
(٥٩) أبو حامد الغزالى، المستصفى فى علم الأصول، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٧٤.
(٦٠) محمد الظاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، د.ت، ص٧٩.
(٦١) الشاطبى، الموافقات فى أصول الشريعة، جـ٢، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ص١٣.
(٦٢) راجع: ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص٨٠. والشاطبى، المرجع السابق، جـ٢، ص١٣٥.
(٦٣) الشاطبى، المرجع السابق، جـ٢، ص٧.

(٦٤) أبو حامد الغزالى، شفاء الغليل فى بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، تحقيق د. حمد الكبيسى، بغداد: د.ت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، ص ١٥٩.

(٦٥) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المجلد الثامن والعشرون، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ١٠٥- ١٠٦.

(٦٦) الشيخ محمد أبو زهرة، أصول الفقه، القاهرة، دار الفكر العربى، د.ت، ص٣٦٨.

(٦٧) راجع: د. فوزى خليل، المصلحة العامة من منظور إسلامى، مرجع سابق، ص ٢١٩، ٢٢١.

(٦٨) د. يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، فرجينيا، المعهد العالى للفكر الإسلامى ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص ٢٧٢.

(٦٩) راجع: د. فوزى خليل: المصلحة العامة.. مرجع سابق، ص٢٢٣-٢٣٦.

(٧٠) ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٧٤-١٧٥.

(٧١) راجع: باقر الصدر، اقتصادنًا، القاهرة، دار الكتاب المصرى، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، ص ٥٧٨، ٢٨٩ ، ٥٩٠.

(٧٢) انظر: د. عيسى عبده، الاقتصاد الإسلامى، مرجع سابق، ص١٠٤-١٠٥.

(٧٣) راجع باقر الصدر: اقتصادنا، مرجع سابق، ص٥١٩-٥٩٣.

(٧٤) فى تأصيل مقصد الشريعة الإسلامية إلى إقامة النظام السياسى والحفاظ عليه باعتباره مصلحة شرعية ضرورية لنفاذ أحكام الشريعة فى المجتمع والاستدلال على ذلك من الكتاب والسُّنة والإجماع وعمل الصحابة راجع: د. فوزى خليل، المصلحة العامة من منظور إسلامى، مرجع سابق، ص٢٥١-٢٦٤.

(٧٥) ابن تيميه: السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية، القاهرة: دار الشعب، ١٣٩٠هـ، ص ٣٦، ١٨٤.

(٧٦) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص ١٥١.

(٧٧) د. محمد عمارة، المعتزلة وأصول الحكم، القاهرة، دار الهلال، ١٩٨٤م، ص ١٠.

(٧٨) راجع د. فوزى خليل، دور أهل الحل والعقد فى النموذج الإسلامى لنظام الحكم، القاهرة المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٣٣٥ وما بعدها.

(٧٩) الإمام الشاطبى، الموافقات فى أصول الشريعة، جـ٣، مرجع سابق، ص ٤، ٥.

(٨٠) سورة المائدة، آية: ٣.

(٨١) سورة الأنعام، آية: ٣٨.

(٨٢) الغزالى، شفاء الغليل...، مرجع سابق، ص٢١٠.

(٨٣) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص٦٤.

(٨٤) انظر: علال الفاسى، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٣م، ص٦٣.

(٨٥) سورة هود، آية: ٦١.

(٨٦) سورة الحجرات، آية: ١٣.

(٨٧) سورة الأعراف، آية: ١٥٨.

(٨٨) سورة سبأ، آية: ٢٨.

(٨٩) راجع هذا المعنى فى: محمد رشيد رضا، الوحى المحمدى، بيروت، المكتب الإسلامى، ١٤,٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٥٧-٢٦٠.

(٩٠) سورة إبراهيم، آية: ٤.

(٩١) د. عمر عبيد حسنة، مراجعات فى الفكر والدعوة والحركة، فيرجينيا، المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥، ص ٢٥٧-٢٦٠.

(٩٢) انظر قرار رئيس مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون رقم ٥٦١ لسنة ١٩٩٦م بشأن تعديل الهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم، والاختصاصات التفصيلية للإدارة العامة لعلوم القرآن.

(٩٣) الصاب: شجر مر له عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة – ومرجع الفقرة: د. عمر عبيد حسنه، مراجعات فى الفكر والدعوة والحركة، مرجع سابق، ص٤٧.

(٩٤) سورة يونس، آية: ٩٩.

(٩٥) انظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائى الإسلامى، الجزء الأول، القاهرة، دار التراث، ١٩٧٧م، ص ٢٧٥.

(٩٦) سورة الأنبياء، آية: ٩٢.

(٩٧) سورة الحجرات، آية:١٠.

(٩٨) سورة الروم، آية: ٢٢.

(٩٩) سورة هود، آية: ١١٨، ١١٩.

(١٠٠) حسب خريطة الشبكة للدورة الإذاعية إبريل – يونيه ٢٠٠٥م.

(١٠١) راجع تحقيق صحفى لاستطلاع آراء بعض القراء والخبراء حول اقتصار شبكة القرآن الكريم على إذاعة القرآن الكريم مرتلاً ومجودًا دون البرامج، الصفحة الأخيرة، أخبار الجمعة ١٩٩٩/٢/١٢م.

(١٠٢) انظر: ملف خاص بالمعلومات التوثيقية عن نشأة الشبكة والتطور فى مضمون رسالتها الإعلامية ضمن الملفات الخاصة بالشبكة.

(١٠٣) الخطة الإعلامية العامة للاتحاد٢٠٠١م-٢٠٠٢م، مرجع سابق، ص٩٥.

(١٠٤) انظر: قرار رئيس مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون رقم ٥٦١ لسنة ١٩٩٦م الخاص بتعديل الهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم بقطاع الإذاعة.

(١٠٥) انظر: سحر فؤاد أحمد على، دور إذاعة القرآن الكريم فى التثقيف الدينى للشباب الجامعى: دراسة تحليلية ميدانية، ماجستير، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٢٩٥، ٣٦٧، ٣٩٧.

(١٠٦)- سورة النحل: آية: ٤٤.

(١٠٧) سورة الشعراء، آية: ١٩٥.

(١٠٨) راجع الشاطبى، الموافقات...، جـ٢، مرجع سابق، ص٤٩، ٨٢، ١٢٨.

(١٠٩) راجع الخطة الإعلامية للاتحاد لسنة ٢٠٠٤م/٢٠٠٥م، ص ٦٦-٦٩.

(١١٠) راجع الخطة الإعلامية لسنة ٢٠٠٣م/٢٠٠٤م، ص١٢٤-١٢٧، الخطة الإعلامية لسنة ٢٠٠٢م/٢٠٠٣م، ص٢٩٢-٢٩٥، وخطة ٢٠٠٠م/٢٠٠١م، ص ٣٥٧-٣٥٩.

(١١١) راجع: سيد قطب: معالم فى الطريق، القاهرة: دار الشروق، د.ت، ص ١٢٧، ١٥٠.

(١١٢) سحر فؤاد أحمد، دور إذاعة القرآن الكريم فى التثقيف الدينى للشباب الجامعى...، مرجع سابق، ص ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤.

(١١٣) انظر: قطاع الإذاعة، شبكة القرآن الكريم، تقرير إنجازات شبكة القرآن الكريم خلال الفترة من ١/٧-٣٠/٩/٢٠٠٤م، ص ٣٩ وما بعدها.

(١١٤) اتحاد الإذاعة والتليفزيون، الخطة الإعلامية العامة ٢٠٠٠/٢٠٠١م، ص٣٥٧.

(١١٥) انظر: ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، مادة سوس ص ٢١٤٩.

(١١٦) عبد الرحمن تاج، السياسة الشرعية والفقه الإسلامى، القاهرة، د.ت، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م، ص ٧-٨، وراجع:عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية فى الشئون الدستورية والخارجية والمالية، بيروت، مؤسسة الرسالة١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٦-٧.

(١١٧) راجع تفاصيل هذه القضية والاستدلال عليها من القرآن والسُّنة، وعمل الصحابة فى د.عبد الله الزبير عبد الرحمن، دعوة الجماهير، مكونات الخطاب... ووسائل التسديد، كتاب الأمة، عدد ٧٦، قطر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١١٧-١٢٧.

(١١٨) سورة النساء آية: ٦٣.

(١١٩) محمد الغزالى، الدعوة الإسلامية فى القرن الحالى، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ١٤٨.

(١٢٠) حول الموقف المطلوب فى صناعة الخطاب الإسلامى من وسائل الإعلام الحديثة، راجع: د. عمر عبيد حسنة: مراجعات فى الفكر والدعوة والحركة، مرجع سابق، ص ٤٠-٤٣.

(١٢١) اتحاد الإذاعة والتليفزيون، الأمانة العامة، الإدارة العامة لبحوث المستمعين، بحث تقييم برامج ومواد إذاعة القرآن الكريم، (فترة البحث يناير ٢٠٠١م)، ص٧٤.

(١٢٢) سحر فؤاد أحمد على، دور إذاعة القرآن الكريم فى التثقيف الدينى للشباب الجامعى...، مرجع سابق، ص ٣٦٢.

(١٢٣) راجع: د. محمد فريد عزت، إدارة المؤسسات الإعلامية، القاهرة، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص٦٢-٦٣.

(١٢٤) قرار رئيس مجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون رقم ٥٦١ لسنة ١٩٩٦م بشأن تعديل الهيكل التنظيمى لشبكة القرآن الكريم بقطاع الإذاعة.

(١٢٥) انظر الشكل رقم (١) هيكل شبكة القرآن الكريم وتقسيماته الفرعية.

(١٢٦) راجع د. محمد كمال الدين إمام، المرجع السابق، ص١٨١، ١٨٣.

(١٢٧) المرجع السابق، ص١٩٣.

(١٢٨) المرجع السابق، ص١٤٥-١٤٦.

(١٢٩) سورة الصف، آية: ٢ ، ٣.

(١٣٠) راجع: د. محمد فريد عزت، إدارة المؤسسات الإعلامية، مرجع سابق، ص١٣١، ١٣٥، ١٣٦.

(١٣١) راجع هذه المعايير فى اتحاد الإذاعة والتليفزيون، الكتاب السنوى، ١٩٩٠- ١٩٩١، ص ٢١٩-٢٢٠

(١٣٢) انظر: اتحاد الإذاعة والتليفزيون، الكتاب السنوى لسنة ٢٠٠٠م/٢٠٠١م، ص ٢٦٩.

(١٣٣) فى خصوص إذاعة القرآن الكريم والبرامج الدينية فى الإذاعة والتليفزيون راجع ثبتًا من المراجع فى سحر فؤاد أحمد على، دور إذاعة القرآن الكريم فى التثقيف الدينى للشباب الجامعى، مرجع سابق، ص ٤٠٦ وما بعدها.

* تعقيب (١)

الدكتور صفوت العالم

قد يكون من المفيد أن نشير إلى أن إنشاء إذاعة القرآن الكريم، كان يوم ٢٥ مارس ١٩٦٤م، أى أننا أمام تجربة إذاعية متخصصة أمضت نحو إحدى وأربعين عامًا. ولقد مرَّت البرامج بها بمراحل، بدأت ببرامج القرآن المجود، ثم تم إدخال بعض البرامج الخاصة بالتفسير بنسبة قد تصل إلى ٥ ٪ من البرامج، ثم تم زيادة هذه النسبة إلى ٣٠ ٪ فى ٢٤ مايو ١٩٩٤م؛ أى منذ قرابة ١١ عامًا، وامتد الإرسال إلى ٢٤ساعة يوميًّا. ولقد تطور الهيكل الإدارى لشبكة إذاعة القرآن الكريم إلى أربع إدارات؛ برامج علوم القرآن، وبرامج الأسرة والمجتمع، وبرامج السيرة والسُّنة، والإدارة العامة للتنفيذ.

إن الحديث عن الخطاب فى مؤسسة إذاعية لابد أن يشير إلى ملاحظات أساسية تتمثل فى: عمومية التقديم، الانتشار، تجاوز حدود الزمان والمكان، الجماهيرية، البعد الدينى بما له من عمق وتأثير بطبيعة الوازع الدينى للمواطن المصرى والعربى، الاعتماد على قادة الرأى الدينيين من الأساتذة فى جامعة الأزهر وخبراء الشريعة والفقه وغيرها.

وإذا تأملنا تجربة الإذاعات الدينية فى الوطن العربى كإذاعة القرآن الكريم من القاهرة، وإذاعة القرآن الكريم من مكة المكرمة والرياض، إذاعة نداء الإسلام التى بدأت باسم صوت الإسلام فى مكة المكرمة،سنجد أنه من المفيد أن نشير فى إطار التكامل المعرفى المتعلق بالإذاعات الدينية، إلى أن الكنيسة قد فطنت وكذا مؤسسات التنصير والتبشير منذ وقت مبكر إلى أهمية البث الإذاعى بالراديو، وهناك مقولة شهيرة لبعض الخبراء « إن كل جهاز ترانزيستور قد يصبح مبشرًا بالمسيح، وإن هذا الجهاز الذى ساعد الناس على سماع كلمة الإنجيل ينبغى أن يكرس لخدمة الله ». وقد قامت العديد من المؤسسات والمنظمات المسيحية بإنشاء المحطات الإذاعية؛ مثل الرابطة الكاثوليكية للراديو بجنيف، والرابطة العالمية للإذاعة المسيحية بجنيف، والاتحاد العالمى للاتصالات المسيحية بلندن، وجمعية التنصير العالمية بالراديو فى نيوجيرسى بالولايات المتحدة الأمريكية؛ إذن نحن أمام موضوع يمثل درجة عالية من الصراع والتكامل والبعد التاريخى والتنوع والأهمية.

وفى هذا السياق عندما تصفحتُ هذه الدراسة حاولتُ أن أطرح تساؤلات تبحث عن

إجابة فى هذه الورقة مثل: ما مدى معالجة برامج إذاعة القرآن الكريم للقضايا المستحدثة؟ إلا أنه لم يوجد فى الورقة إجابة عن ذلك، وإذا كانت هذه الورقة تتناول بالبحث قضية تجديد الخطاب الدينى؛ فإن السؤال هو: ما مدى قدرة برامج إذاعة القرآن الكريم على تطوير الخطاب الدينى فى المؤسسات الدينية والمساجد؟ ثم ما هو التطوير والتجديد الذى حدث فى لغة الخطاب الدينى فى برامج الإذاعة فى مواجهة العديد من الموضوعات وبخاصة أننا أمام تجربة ممتدة قرابة ٤٠ عامًا؟ مثلاً، ما هى التغيرات التى طرأت على برامج إذاعة القرآن الكريم فى مواجهة ما يلى: القنوات التلفزيونية الإسلامية (المجد بقنواتها الأربع، إقرأ، المنار)، الشرائط الكاسيت التى تحمل خطبًا دينية هنا وهناك، الكتب والمطبوعات الدينية التى قد تنشر الخرافات وغيرها، الفتاوى الدينية الفورية؟.

ومن القضايا الأخرى المستحدثة التى لم تجب عنها هذه الورقة البحثية موضوعات العولمة وقضاياها، الارتباط بين الإرهاب مثلاً والعرب والمسلمين، الإنترنت وغرف الدردشة وأثر ذلك فى تطور لغة الخطاب الدينى فى إذاعة القرآن الكريم. ومن الملاحظات الأخرى على هذه الورقة البحثية ما يلى:-

١- إن هذه الورقة أقرب إلى تقرير وصفى، وليست دراسة عن برامج إذاعة القرآن الكريم؛ فقد اقتصرت على تحديد اسم البرنامج ومدته الزمنية وعدد مرات إذاعته أسبوعيًّا أو شهريًّا، وليس هذا هو تجديد الخطاب الدينى فى إذاعة يفترض فيها أنها تخاطب قادة الرأى، وتؤثر فى الرؤية المستنيرة للإسلام فى هذه المرحلة.

٢- لم يستفد الباحث من العشرات من الرسائل العلمية، والدراسات التى أجريت على الإذاعات بكليات وأقسام الإعلام من خلال تصميم استمارة تحليل المضمون، فضلاً عن الدراسات التى تناولت التحليل الكيفى، وغيرها من الدراسات المتقدمة التى كان يمكن أن تمثل إضافة علمية إيجابية ترتبط بموضوع تجديد الخطاب الدينى.

٣- كان يمكن للباحث إجراء مقابلات مبدئية مع عينة من أفراد الجمهور المستهدف من إذاعة القرآن الكريم، وسؤالهم عن مقترحاتهم حول التطوير والتجديد للخطاب الإذاعى من وجهة نظرهم؛ لأن مفهوم التجديد ليس من « مفاهيم الذات »؛ لكن يفترض أن الجمهور المستهدف يستشعر أن الحديث الجديد الذى يتناول الدين الإسلامى فى معطياته العصرية يأخذ أبعادًا جديدة، وله صدى من نبض اتجاهات الرأى العام فى هذه المعالجة.

٤- هناك شكل آخر كان يمكن للباحث أن يعتمد عليه، حيث كان يمكن استطلاع رأى العاملين فى المحطة (من معدِّين ومذيعين ومقدمى برامج) عن رأيهم ومقترحاتهم لتطوير برامجهم فى هذا السياق.

٥- كان يمكن للباحث استخدام الأسبوع الصناعى كعينة -ممثلة لسنة كاملة- يؤخذ من خلالها برامج تذاع يوميًّا؛ فنأخذ مثلاً فى الأسبوع الأول يوم السبت، وفى الأسبوع الثانى يوم الأحد، وفى الأسبوع الثالث يوم الإثنين، بحيث أطبِّق شكلاً من أشكال التيسير فى كمية المضامين التى يحللها الباحث، وفى نفس الوقت أستطيع بدرجة أو بأخرى متابعة مجريات الأحداث، ومتابعة التطور الذى تم فى محتوى ومضمون المادة الإذاعية على مدى العام.

٦- كان يمكن للباحث إجراء دراسة تتبعية، تستفيد من الدراسات الأخرى التى أُجْرِيَتْ على إذاعة القرآن الكريم، وتقرير مدى التطوير الذى حدث لهذه الإذاعة منذ أنشئت فى دراسات تتبعية لزملاء آخرين درسوا مضمون هذه الإذاعة.

أعتقد أن هناك بعض المقترحات قد تكون مفيدة فى هذا السياق، من خلال تحليل مضمون: برامج إذاعة القرآن الكريم كميًّا أو كيفيًّا، لغة الخطاب الدينى فى برامج الإذاعة، اتجاهات الجمهور نحو إذاعة القرآن الكريم وتطوير الخطاب الدينى بها، القائم بالاتصال فى إذاعة القرآن الكريم.

وفى الختام أقترح على اللجنة البحثية لهذا المشروع، إضافة عنصر قد يكون من الأهمية بمكان فى تتبع معطيات تطوير الخطاب الدينى، فهو يتعلق بدور القائم بالاتصال فى تجديد الخطاب الدينى من حيث (الإعداد والتعليم والتأهيل والتدريب والممارسة المهنية) ومن حيث الصورة الذهنية لدى الجمهور العام عن قادة الرأى الدينيين. فقد تكون القضية التى يطرحها القائم بالاتصال عادلة.

ولكن الاستدلال عليها والافتقار إلى مهارات الاتصال، يمثل سهمًا يُحِّول القضية العادلة إلى قضية غير عادلة.

* تعقيب (٢)

الدكتور حسن الشافعى

إن الورقة تمتاز بأنها تحدد موضوعًا يكاد يكون مشخصًا بشكل محدد جدًّا؛ التجديد فى الخطاب الدينى فى مصر، وبالذات فى إذاعة القرآن الكريم، لكن هناك مفارقة مع هذا التحديد للعنوان؛ إذ إن هناك استغراقًا فى التحليل والتنظير، وهذا أمر مطلوب لإثارة اهتمام الجمهور المثقف فى مصر، وأظن أن هذا هو أحد أهداف هذه الندوة، فإذاعة القرآن الكريم هى أحد المكاسب خلال النصف الثانى من القرن الماضى، وكذلك دخول المرأة المسلمة أو المصرية إلى الأزهر، وعندما نذكر إذاعة القرآن الكريم يجب ألا نغفل وجود جوانب إيجابية كثيرة، فهى الإذاعة الأولى المسموعة فى مصر، وأستطيع أن أقول إنها الأولى فى الوطن العربى.

وإذا كان القرآن الكريم قد دون بالخط والكتابة فى الصدر الأول للإسلام، فقد سُجل صوتيًّا لأول مرة فى التاريخ أيضًا بفضل إذاعة القرآن الكريم، وكان هذا فى الستينيات. ومع الحملة الحالية التى يتعرض لها الإسلام علينا أن نقدر قيمة هذا، حيث حمى القرآن بالتسجيل الصوتى من ناحية، وبالترديد على الأذن المسلمة؛ بحيث يصبح الجميع على وعى به من ناحية أخرى.

لقد أشار البحث إلى أن الخطاب الدينى هو انعكاس للفكر الدينى نفسه، والمسألة ليست فنية فقط أو تخطيطية أو تمويلية أو كفاءة إذاعية، إنما الرصيد الحقيقى هو الفكر الدينى، وإذا كان الفكر الدينى قد تعرض لخلل وضعف كبير فى النصف الثانى من القرن الماضى، فمن الضرورى أن أى محاولة لتحسين وجه هذا المضمون الإذاعى هى مسألة صعبة جدًّا، ولا أريد أن نحكم عليها بكثير من الفشل. إن الفكر الدينى له جوانب عقلية وفكرية، وهى أكثر ارتباطًا بالأزهر، وهناك الجوانب الروحية والسلوكية وهى أكثر ارتباطًا بالحياة الروحية فى مصر، وبالتصوف الذى له علاقة بالمشاركة الشعبية، وكذلك الجمعيات الدينية، وكل ما يقال خارج المؤسسة الدينية الرسمية، ولقد تعرض ذلك لفقر وضعف فى النصف الثانى من القرن الماضى الذى حفل بإذاعة القرآن الكريم، لكن الإذاعة لم تحفل بنهضة فى مجال الفكر الدينى.

وفى العناصر من ٢ إلى ٧، يتناول البحث ما أسماه بالرصيد الفكرى أو الخلفية التى هى

وراء هذا العرض الإذاعى، ولقد قسم الباحث المعارف أو الأفكار التى تعرضها الإذاعة تقسيمًا معينـًا، يقوم على أمرين: أرى أنهما غير متفقين، وهذا هو سبب عدم الاتساق فى تقسيم البحث، حيث يستفيد بعلم أصول الفقه وهذا لا يتضح فقط فى المبحث الأول، وإنما فى المبحث الثانى كذلك إلى حد كبير -عند الحديث عن هدف الإذاعة- وربطه بالمصالح الشرعية أو المقاصد، فهو يستند إلى علم أصول الفقه وبالأخص إلى الشاطبى وأستاذه وهو الغزالى، فالشاطبى ليس إلا توسعة وتعميقًا لفكر الغزالى، ثم أضاف إلى هؤلاء ما يسمى بتيار أو مجموعة أسئلة المعرفة، وهنا اختلطت المصطلحات وتداخلت إلى حد كبير، والمثال على ذلك: أن الباحث قد عرض عناصر أو مضمون الشريعة الإسلامية نفسها، وركز على الفقه، ولم يتعرض للعقيدة على الإطلاق، وفى العنصر السابع يذكر حقائق إيمانية؛ وهذه هى العقيدة الإسلامية أو علم أصول الدين، ولا شك أن كل دين له أصول وله فروع، ولو التزم البحث بمعجم مصطلحى واحد، ولو لجأ إلى التقسيم الأزهرى المعروف لما حدث هذا، لكن المزج بين المصدرين ربما أدى -فى تقديرى- إلى ذلك.

إن إذاعة القرآن الكريم هى إذاعة تعكس الفكر المصرى الإسلامى، وبالتحديد كما صرح البحث؛ الفكر الأزهرى مع لمسة رسمية؛ لأن مَنْ تحدد الأهداف هى القرارات الرسمية، فالفكر الإسلامى المصرى هو الفكر الأزهرى، ولا يمكن الفصل بينهما، ولقد أدى التدخل الرسمى فى المؤسسات الدينية أو الأزهر إلى ضعف هذه المؤسسات منذ سنة ١٩٥١م مع إلغاء الكتاتيب، وسنة ١٩٦١م عندما صدر قانون تطوير الأزهر، وهناك أمور كثيرة من هذا القبيل ليس لدينا فرصة للتعرض إليها. ولقد نتج عن هذا ضعف فى الفكر الدينى نلمسه سواء استمعنا إلى الإذاعة مع جهدها المشكور، أم إلى المسجد عندما نستمع إلى خطبة الجمعة -فى أى مسجد فى مصر- وكلنا نخرج شاكين؛ لأن الإذاعة تعرض للمستوى الفكرى الإسلامى المصرى الذى تعرض إلى الضعف.

ويتسم الفكر الأزهرى بعدد من السمات منها:

١- أنه يجمع بين العقلية والنقلية، فالفكر الأزهرى يتسم بإلحاحه على العلوم العقلية. ودراسات العقيدة التى -أشرت إليها- هى دراسات تكاد تكون عقلية بحتة، وتسمى بالعلوم العقلية مع أنها تتناول أصول الدين.

٢- هنـاك التـزام سـنى، ولكـن هنـاك تفـتح علـى سـائر المـذاهب والتيـارات أو الأفكـار الإسلامية فى التـاريخ، وهذا أيضًا ميزة للفكر الأزهرى وللفكر الإسلامى فى مصر، ومن يعش خارج مصر يشعر بمدى المذهبية المتحكمة، ولا أريد أن أقول المتعصبة المتشددة جدًّا فى بعض البلدان.

٣- أنه يجمع بين منهج علمى أزهرى شرعى رسمى وتناول صوفى روحى، وهذا ليس كلامًا جديدًا؛ لكنه موجود منذ الشيخ العطار فى أول القرن التاسع عشر، ثم امتد بعد ذلك إلى الشيخ الطويل، والشيخ محمد عبده، وغيرهما حتى الوقت الحاضر.

٤- إنه يجمع بين التراث والمعاصرة؛ إذ إن أغلب شيوخ الأزهر فى القرن الماضى درسوا فى السربون والجامعات الأجنبية. والأزهر ليس منعزلاً عن الفكر المعاصر؛ إلا أن مستوى الفكر الدينى العام فى مصر هو الذى هبط نتيجة عوامل كثيرة، ولذلك فإن ما تعرضه إذاعة القرآن الكريم لابد أن يكون منتجًا موجودًا فى السوق.

وأرى أنه إذا كانت الورقة بصدد التحليل فيجب فى تقسيم الدراسة مراعاة أن هناك فكرًا أزهريًّا، وأن هناك فكرًا وهابيًّا وليس نصوصيًّا، وليس بالضرورة تسميته بهذه التسمية، لكن ينبغى ذكر هذا الأمر، وأنا لا أحب -ولأسباب كثيرة- لمز الأفراد، لكن لا شك أن هناك فكرًا مختلفًا، أى يلتزم مذهبيًّا، وليس لديه تفتح مذهبى نصوصى، وليس عقلانيًّا، ويصادر التصوف أو كان يصادر التصوف. وهذا هو الفارق بين الفكر المصرى الإسلامى، والفكر الإسلامى خارج مصر. وهذا الكلام لم يذكر طوال نصف القرن الماضى. الخطاب الآخر هو خطاب العنف، فالذين يريدون أن يحكموا المجتمع بالعنف لا يستخدمون السلاح دائمًا، فهم يستخدمون التكفير وإخراج الناس من الملة، وهذا خطاب مختلف. وأرى أن التقسيم يجب أن يكون على هذا النسق.

وإذا كان هناك من يقول إن الوهابيِّين يسيطرون اليوم على الفكر المصرى، فهذه مسئوليتنا نحن المشايخ؛ لأن المناهج التى درسناها: هى المناهج التى وضعت فى القرن الماضى، وليس عندى الوقت لأقول شيئًا فى هذا. وبهذا يصبح التحليل واقعيًّا وموضوعيًّا، وهذا هو الطريق لأن نرتقى بالفكر الدينى فى مصر، وبالتالى بالخطاب الدينى كما تسميه الورقة. وقد ذكر الدكتور فوزى الكفاءة فى التوجيه، وأرى أن خطباء اليوم ليسوا فقط فاقدين للكفاءة فى

التوجيه، ولكنهم ليس لديهم ما يقدمونه بالأساس حتى أطالبهم بأن يُصوِّغوه فى صيغة مقبولة. كذلك تعرض الدكتور فوزى لشيء مهم جدًّا يجب أن يدرس جيدًا قبل الدخول فى التطبيق؛ وهو الدراما فى إذاعة القرآن الكريم، وهذا موضوع مهم جدًّا؛ لكن وراءه صعوبات كثيرة لم تحل، وعلينا إدخال العناصر الجديدة لكن فى نفس الوقت يجب أن ندرس المشكلات المتعلقة بالدراما فى إطار إسلامى أو شرعى، وأرى أن ذلك يحتاج إلى جهد كبير فى إطار التطوير.

ولقد تطرقت الورقة إلى ناحية مهمة وهى الجانب الإنسانى، فهذه الإذاعة -وفقًا لما جاء فى الورقة البحثية- تخدم الإنسانية، وتمت الإشارة فى ذلك إلى العالم الإسلامى ثم الجانب المحلى -أى مصر- لكنه أغفل الجانب العربى، وأنا أعتقد أنه جانب مهم جدًّا بالنسبة للفكر الإسلامى، ولعله ترك هذا الأمر إلى إذاعة صوت العرب، ومع ذلك فإن المنطقة العربية من المناطق المهمة المستهدفة ببث إذاعة القرآن الكريم.

openkan.com

obeikan.com

٧- تجديد الخطاب الدينى فى مقررات التعليم فى مصر دراسة فى مضمون مادة التربية الدينية الإسلامية «مرحلة التعليم الأساسى»

د. أحلام السعدى فرهود

موضوع الدراسة وحدود المعالجة:

يحتل الخطاب الدينى مكانة مهمة فى سياق الخطابات الأخرى التى تمثل إطارًا كليًّا للمجتمع يضم فى طياته الخطاب السياسى والاقتصادى والثقافى والاجتماعى. والخطاب الدينى بهذا المعنى يشير إلى دائرة دلالية كلية ومتكاملة؛ هى دائرة المعارف والمقاصد المرتبطة بالدين والقائمة على أساسياته، والتى من خلالها يصوغ الإنسان اتجاهاته وتفسيراته وتأويلاته وأفكاره المرتبطة بالإيمان والعقيدة والكون والبشر والمجتمع، وغيرها من السياقات المفاهيمية التى تصب فى دائرة المعارف الدينية وترتبط بها.

وقد شاع استخدام اصطلاح الخطاب الدينى فى الآونة الأخيرة مرتبطًا بفكر التجديد، انطلاقًا من رؤية ترى أنه قد حان الوقت لإعادة النظر فى المفاهيم والقضايا والموضوعات الدينية المطروحة على ساحة الفكر والسياسة والتعليم وغيرها، وذلك من أجل استخلاص رؤية جديدة تخرج بأمة الإسلام من كبوتها وتعيد لها توازنها؛ إلا أن هذا التجديد يتخذ معانى واتجاهات مختلفة ترتبط بالأطر المرجعية التى يستقى منها فكر التجديد؛ ففى حين يرتبط فكر التجديد فى المرجعيات الغربية بالانحياز لكل جديد أيًّا كان مضمونه ومحتواه، و بنبذ القديم أيًّا كانت صحته - وهو ما يعنى افتقاد تلك المرجعيات للمعايير الثابتة والأصول الراسخة التى يستقى منها فكر التجديد - نجد أن التجديد فى المنظور الإسلامى يعبر عن أنموذج معرفى يرتبط بالعودة إلى الأصول وإحيائها والتفاعل معها، بما يؤدى إلى تقويم الانحراف وإحياء الأصول فى مواجهة المستجدات[١].

وفى سياق الدعوة إلى تجديد الخطاب الدينى: تبرز الدعوة إلى إعادة النظر فى خطاب التعليم الدينى، على اعتبار أن هذا الخطاب مواجَهٌ بأزمة هيكلية تتطلب إصلاحًا شاملاً يتناول: استراتيجيات السياسة التعليمية فى مجال تدريس التربية الدينية، والمناهج التى تعتمدها، والقيم والأفكار التى تتبناها. وعلى هذا الأساس يقصد بخطاب التعليم الدينى كل ما

يخص الفكر التربوى من أفكار تتصل بشكل أو بآخر بالتعاليم والأسس والمبادئ والقيم ومناهج السلوك المستقاة من تعاليم الدين، والتى توجد بشكل مباشر فى مقررات التربية الدينية، وبشكل غير مباشر فى مقررات دراسية أخرى كاللغة العربية والقيم والأخلاق والمواد الاجتماعية.

أهمية الدراسة:

يعود الاهتمام بتجديد خطاب التعليم الدينى إلى فترات تاريخية سابقة؛ إلا أن هذه الدعوة اكتسبت أهمية خاصة فى الآونة الأخيرة مع بروز الحاجة إلى مواجهة الضغوط الخارجية التى ربطت بين برامج التعليم المستقاة من جذور إسلامية، وانتشار فكر التطرف والإرهاب. وتستمد هذه الدراسة أهميتها من رافدين:

الأول: الوضعية المتميزة لخطاب التعليم الدينى الإسلامى فى مصر، وترتبط تلك الوضعية باتخاذ غالبية الشعب المصرى للإسلام دينًا، والنص فى الدستور على إسلامية الدولة، واعتبار الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع، كما أدى الدين الإسلامى دورًا مهمًّا فى تطور الدولة، وأنتج إشكاليات عديدة مست علاقة مصر بذاتها وهويتها، وعلاقاتها بالأمة الإسلامية وبالعالم، كما يشكل الدين طرفًا أساسيًّا وفاعلاً فى المناظرات التى دارت حول الدولة وهويتها، والثقافة واشتقاقاتها، والتحديث، والعولمة وغيرها من القضايا. على جانب آخر كان للدين الإسلامى دور مهم فى الدفاع عن مصر والوقوف فى وجه الضغوط السياسية الوافدة عبر الاحتلال الأجنبى والتدخل الدولى، وكانت الأنساق التعليمية الإسلامية بمثابة خط الدفاع الأول فى مواجهة تلك التدخلات، من خلال رفضها الانسياق خلف المرجعيات الغربية «واستيعابها لعناصر الوافد بما لا يتناقض مع هويتها الدينية، وإنتاجها لخطاب تجديدى إصلاحى ينتمى للتراث الإسلامى، ويتواءم مع متغيرات العصر». ومن هنا يكتسب موضوع تجديد خطاب التعليم الإسلامى أهميته، فحيثما يكن التوجه الدينى هو الغالب فى ثقافة المجتمع، وحيثما يستند النظام التعليمى إلى مرجعية إسلامية، وحيثما تنتشر معاهد التعليم الدينى المتخصصة، وتعمل جنبًا إلى جنب مع معاهد التعليم الحديثة فى بث ثقافة الإسلام، تظهر الحاجة إلى دراسة وضعية خطاب التعليم الدينى الإسلامى فى مصر، وخاصة مع تنامى الدعوة إلى إعادة النظر فى مناهج التعليم التى تنتج -من وجهة النظر الغربية- عقليات جامدة متطرفة.

الثانى: أهمية الخطاب الدينى التعليمى فى الفترة التكوينية لعقلية النشء فى مرحلة التعليم الأساسى، مما أضفى على مقررات التربية الدينية الإسلامية أهمية خاصة فى هذا السياق. وينصب اهتمام الدراسة الحالية على رصد وتحليل التغييرات التى طرأت على المقررات الدراسية فى مصر، عبر تحليل سياسى لمقررات التربية الدينية الإسلامية المقررة على طلبة مرحلة التعليم الأساسى، وذلك فى محاولة للتعرف على ما طرأ على هذه المقررات من تغيير -سواء بالحذف أو الإضافة أو التعديل- بالإضافة إلى الوقوف على الرؤية الفكرية التى تقف خلف تلك التغييرات. وقد جاء اختيار مقررات التربية الدينية الإسلامية لعدة اعتبارات:

أولاً: تعد مادة التربية الدينية الإسلامية هى المنهل الأول والأساسى للثقافة الإسلامية للناشئة فى مراحل التعليم المختلفة، وخاصة مع تخلى الأسرة نسبيًّا عن التزامها بتنمية الوعى الدينى لدى أطفالها: إما لأسباب تتعلق بالاعتمادية والاتكالية على عناصر المعرفة الأخرى، أو لأسباب تتعلق بضغوط الحياة اليومية التى تنتج نظامًا قيميًّا يعزز تفضيلات واختيارات تجعل من التركيز على القيم الدينية هامشيًّا[٢].

ثانيًا: يطرح خطاب التعليم الدينى - وخاصة ما يتعلق منه مباشرة ببث أفكار واتجاهات وقيم إسلامية - نفسه بقوة على ساحة الفكر والثقافة داخليًّا وخارجيًّا، بعد اتخاذ العديد من القوى الخارجية أحداث الحادى عشر من سبتمبر ذريعة للخلط بين الإسلام والثقافة العربية الإسلامية من جهة، والإرهاب والتطرف من جهة أخرى، ولإلقاء اللوم على سياسات ونظم التعليم المستقاة من أصول إسلامية، وما يصدَّر للناشئة من أفكار -نابعة من العقيدة الإسلامية- كمحرك رئيس لما أسماه الغرب بالإرهاب.

ثالثًا: محورية العلاقة بين سياسات الدولة المختلفة -ومنها السياسة التعليمية- ودور الدولة فى الحفاظ على الهوية والتراث والثوابت التاريخية للمجتمع الإسلامى، من خلال إعادة إنتاج خطاب تجديد إصلاحى يرتبط بالشريعة، وينأى عن الأفكار الوضعية التى لا تتفق مع الخطاب الإسلامى، مع العمل فى الوقت ذاته على مواكبة متطلبات العصر وإشكالياته وأزماته وتعقيداته، من خلال إعادة صياغة المقررات الإسلامية، وبخاصة فى ظل هجمة العولمة على الدولة القومية، والانتشار الواضح لمؤسسات المجتمع المدنى فى العالم الإسلامى، مما أضفى ضغوطا متزايدة على الدولة ومؤسساتها.

رابعًا: أضحى من المسلم به -فى عالم اليوم- أن البحث العلمى المدقق والمقنن هو إحدى الأدوات الأساسية لإعادة صياغة الإستراتيچيات المعرفية. ويعد السياق التعليمى واحدًا من أهم فروع تنفيذ هذه الاستراتيچيات، لذا كان مطلوبًا -ولا يزال- إجراء دراسات علمية متعمقة عن الخطابات الدينية السائدة، والتى تعد منظومة الخطاب التعليمى الدينى أحد محاورها؛ وذلك للتعرف على أزمة هذا الخطاب تمهيدا لصياغة استراتيچية جديدة تتولى إعادة إنتاجه، ليكون بمثابة الدعامة الأولى لإقامة نهضة إصلاحية شاملة.

أما بالنسبة لاختيار مرحلة التعليم الأساسى، فيرجع ذلك لعدة أسباب من أهمها:

١- محورية مرحلة التعليم الأساسى، باعتبارها المرحلة العمرية الأولى التى يتلقى فيها النشء الثقافات الأساسية التى تشكل اتجاهاتهم ووعيهم واهتماماتهم لفترات طويلة من الزمن، حيث تعد هذه المرحلة أطول مراحل التعليم زمنًا. كما أنها تمثل أحد أهم حلقات التنسيق بين القيم والمفاهيم التراثية النابعة من ثقافة وتراث الأمة والمرتبطة بدينها وهويتها، وبين متطلبات التحديث والترقى فى إطار مجتمع دولى متغير.

٢- خضعت مناهج التعليم فى تلك المرحلة -وخاصة مقررات التربية الدينية- للتعديل والتطوير منذ عام ١٩٧٧م؛ حيث عقدت مؤتمرات متخصصة للنظر فى مقررات التربية الإسلامية، كما عقد مؤتمران مهمان خلال التسعينيات من القرن الماضى؛ تناول الأول تطوير مناهج المرحلة الابتدائية وعقد فى فبراير ١٩٩٣م، واهتم الآخر بدراسة مناهج التعليم الإعدادى وعقد فى نوفمبر ١٩٩٤م. وقد خلص كل من المؤتمرين إلى أهمية إعادة النظر فى مناهج التعليم مع التركيز على تطوير مناهج التربية الدينية بدءًا من المرحلة الابتدائية، بالاستعانة برأى علماء الدين والأزهر والمفتى، والتركيز على السلوكيات والأخلاق الدينية حتى لا يصبح الدين مجرد شعائر وعبادات؛ وإنما سلوك وأخلاقيات أيضًا، وهو ما ترتب عليه إصدار مناهج مطورة وضعت على أساس توصيات كل من المؤتمرين، فى حين لم يحظ التعليم الثانوى بنفس القدر من الاهتمام.

٣- تشير الإحصائيات إلى تضاعف عدد المستفيدين من الخدمة التعليمية التى تقدمها الدولة فى مرحلة التعليم الأساسى[٣]، وهو ما يوضح أهمية الدور الذى تقوم به السياسات التعليمية فى تربية وتكوين الأجيال الجديدة، بما يعنى أن الدور الذى تقوم به السياسة

التعليمية لا يعد هامشيًّا، بل يحتل مكانة متميزة - إن لم تكن المكانة الأولى- فى توجيه العقول والاتجاهات.

٤- قد يكون من المفيد الإشارة إلى الغيبة الفعلية لتكامل العملية التعليمية فى فترة التعليم الثانوى، فعلى الرغم من عدم اهتمام هذه الدراسة بالعناصر الأخرى المكملة للعملية التعليمية وهى المدرسة والمعلم؛ إلا أنه لا يغيب عن ذهن الباحثة أهمية الدور الذى يقوم به المعلم فى غرس القيم والتعاليم الدينية فى نفوس التلاميذ(٤)، وهو ما يمكن أن يطلق عليه اسم «الحاضر الغائب» فى مرحلة التعليم الثانوى، نظرًا إلى اعتماد الطلاب فى تلك المرحلة - بخاصة- وفى المراحل التعليمية الأخرى -بعامة- على «الدروس الخصوصية»، ليس من أجل التراكم المعرفى، وإنما من أجل المجموع، وهو ما انعكس بشدة على إهمال المقررات الدراسية غير المضافة إلى المجموع ومنها التربية الدينية، والاهتمام بها فقط من أجل تخطى عقبة الرسوب.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة بالأساس على أداة التحليل الكيفى لمضمون المقررات الدراسية، وذلك فى محاولة للكشف عن القيم والمفاهيم السياسية المتضمنة فى مقررات التربية الدينية الإسلامية، والكشف عن الثابت والمتغير فى هذه المقررات عبر الفترة الزمنية محل الدراسة، من منطلق أن التحليل الكيفى للمضمون يساعد على رصد واستقراء المفاهيم والمعانى والقضايا المتضمنة فى المقررات، كما أنه يعطى دلالات فعلية عن مدى اهتمام القائمين على العملية التعليمية بمفاهيم وقيم بعينها، ويسمح بالتعرف على بعض التفاصيل الخاصة بتلك المفاهيم.

وتنتظم الدراسة الحالية فى محورين أساسيين:

المحور الأول: يتناول وضعية مادة التربية الدينية الإسلامية فى سياق الإطار التعليمى لمنظومة التعليم العام فى مصر، ويوضح هذا المحور: مدى اهتمام القائمين على العملية التعليمية بمادة التربية الدينية مقارنة بالمواد التعليمية الأخرى، وهل يتطابق هذا الاهتمام مع محورية المادة فى الدستور المصرى ومرجعيته الدينية، بالإضافة إلى إلقاء الضوء على ملامح تطور المادة فى المنظومة التعليمية فى مصر.

المحور الثانى: ويتناول بالتحليل مقررات التربية الدينية الإسلامية، انطلاقًا من رؤية كلية

تتعلق بدراسة البناء المعرفى للمقررات، وآليات كتابة خطابها التعليمى، ثم رؤية جزئية تتعلق بدراسة وتحليل المفاهيم الأساسية ومنظومة القيم السياسية التى تناولتها هذه المقررات على مدى عقدين من الزمن.

وعلى هذا تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: وضعية مادة التربية الدينية الإسلامية فى سياق منظومة التعليم فى مصر.

المبحث الثانى: البناء المعرفى للمقررات، وآليات كتابة الخطاب التعليمى.

المبحث الثالث: مقررات التربية الدينية الإسلامية، وبناء الصورة السياسية الإدراكية.

خاتمة: التغيير فى خطاب التعليم الدينى: جدلية الداخل والخارج.

obeikan.com

المبحث الأول: وضعية مادة التربية الدينية الإسلامية في سياق منظومة التعليم في مصر

تكتسب مادة التربية الدينية الإسلامية أهميتها في سياق المنظومة التعليمية في مصر من كونها المعبر الأول عن أيديولوچية الدولة وتوجهاتها الفكرية والدينية، ووسيلتها لتعليم النشء عقيدة الإسلام وتعاليمه وقيمه ومبادئه، ويأتي اهتمام الدولة بتدريس الدين في مراحل التعليم المختلفة متوائمًا مع ما تتبناه الدولة من سياسة تعليمية، وتعد السياسة التعليمية أحد مكونات حزمة السياسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي تحكم العلاقات في المجتمع. وتتصف السياسة التعليمية بثبات نسبي واستقرار مؤقت يرتهن بإدراك القائمين على تلك السياسات لوجود ثوابت وأصول لا يمكن تجاوزها أو تخطيها، وعلى رأسها الثوابت الدينية، وهو ثبات يتعانق بالضرورة مع مواكبة التغيرات المعرفية وطموحات الأفراد والمجتمع والدولة، وإدراك التحديات التي تواجههم(٥).

وإذا كانت السياسات التعليمية هي المحدد الأساسي لشكل النظام التعليمي للدولة ونسقه وأهدافه، والذي يتبلور في مجموعة من القوانين والخطط والبرامج التي تضعها الجهات المسئولة عن التعليم في الدولة؛ فإن هذا النظام لا يعد نظامًا مكتفيًا بذاته، بل هو نسق فرعي من نظام كلي يؤثر فيه ويتأثر به. ومن ثم تسعى الدراسة في هذا المبحث إلى التعرف على الإطار العام الذي تنتظم فيه السياسة التعليمية في مصر، بدءًا بدراسة تطور الاهتمام بتدريس مادة التربية الدينية الإسلامية كمادة منفصلة في مقررات التعليم العام، مرورًا بتحليل الدستور والقوانين الحاكمة للنظام التعليمي المصري، انتهاءً بالوضعية الفعلية للمادة في المنظومة التعليمية في مصر.

أولاً: تطور الاهتمام بتدريس التربية الدينية الإسلامية في مصر:

غلب على نظام التعليم في مصر لحظة تولي محمد علي عرش مصر في أوائل القرن التاسع عشر الطابع الديني، وكان دخول الإسلام مصر وانتشاره سببًا في ازدهار التعليم الديني(*)

(*) لم تظهر التفرقة بين التعليم الديني والتعليم المدني إلا خلال القرنين الأخيرين، ويمكن التأريخ لهذا الظهور بعهد محمد علي، أما قبل ذلك فقد كان التعليم شاملاً لكل فروع المعرفة. في إطار رؤية إسلامية لا تفرق بين ما هو ديني بحت، وما هو غير ديني بحت (المحرر).

الذى نجح لقرون عدة فى وضع أسس حضارة إسلامية عربية ذات بصمة مصرية معبرة عن العمق الحضارى للشخصية المصرية، كما نجح فى الحفاظ على التراث الإسلامى. وبعد القرون الثلاثة الأولى لازدهار الحضارة الإسلامية، ومع بداية العصر الفاطمى أنشئ فى مصر الأزهر الشريف، الذى سرعان ما جمع بين الجامع والجامعة، وصار منذ إنشائه عام ٣٦١ هـ مركزًا للتعليم الدينى فى مصر وفى العالم الإسلامى. وقد انتظم تحت إطار التعليم الدينى فى مصر قسمان من المعارف:

الأول- المعارف اللغوية، **والثانى**- العلوم الدينية. وظل الجامع الأزهر هو المصدر الأساسى للتعليم والمعرفة حتى قام محمد على بإنشاء مؤسسات تعليم حديثة على النسق الأوروبى، مما أوجد ثنائية تعليمية -أو ازدواجية- تمثلت فى وجود تعليم دينى وتعليم مدنى حديث، أصبح هو الوعاء الأكبر للنظام التعليمى فى مصر[٦]، مما أدى إلى انخفاض أعداد معاهد التعليم الدينى والكتاتيب المنتشرة فى مصر فى ذلك الوقت، وهو ما دعا القائمين على أمور الدولة - استجابة للمطالب المتزايدة للرأى العام للاهتمام بتدريس العلوم الدينية فى معاهد التعليم الحديثة - إلى إدخال مادة التربية الدينية ضمن مقررات المراحل الأولى من التعليم الابتدائى. وقد صدر أول منهج للقرآن الشريف فى مصر سنة ١٨٨٥م، واقتصر التدريس فيه على تحفيظ القرآن الكريم، وظل هذا الوضع قائما حتى سنة ١٩٠٠م عندما أدخلت موضوعات تتعلق بالتهذيب، والعقائد، والعبادات الإسلامية، والتربية، على مناهج الصفوف الأربعة من التعليم الابتدائى.

وفى عام ١٩٠٧م صدر منهج التعليم الدينى محددًا الأهداف المتصورة من تدريس تلك المادة فى المرحلة الابتدائية، والتى اقتصرت فيما يبدو على الاهتمام بالجانب الروحى والأخلاقى مع الاهتمام بالعبادات والعقائد والأصول الشرعية، دون الاهتمام بالجوانب الخاصة بالسلوكيات والمعاملات إلا فيما ندر؛ حيث جاء فى مقدمة المنهج أن أهداف تدريس هذه المادة تتمثل فى نقاط أربع هى:

١- خلق الاعتقاد القلبى فى أفئدة التلاميذ، بأن الدين هو الذى يحول بين النفوس وشهواتها، ويصرف القلوب عن إرادتها السيئة.

٢- أن الوازع الدينى هو الذى يحول بين الإنسان ومخالفة الخالق لتيقنه من مراقبة الله له فى حياته وخلواته.

٣- أن الدين يؤدى إلى التآلف والتعاون بين الناس.

٤- أن الدين يعود التلاميذ من بدء أمرهم أداء الواجبات الشرعية والتخلق بالأخلاق الدينية.

وقد ترسمت المناهج التالية نفس خطى المنهج السابق باستثناء بعض الاهتمام فى مناهج ١٩٣٠م، ١٩٣٦م بالربط بين الدين والمجتمع.

إلا أن التغيير الواضح فى مناهج التربية الدينية ارتبط بتوقيع الاتفاقية الثقافية بين مصر وسورية والأردن عام ١٩٥٧م، وقيام الوحدة بين مصر وسوريا ١٩٥٨م، والتى أعقبها صدور مجموعة من المناهج المشتركة للمرحلة الابتدائية تميزت باتجاهات تسعى إلى تعميق التوجه القومى العربى، والإعلاء من قيمة الوطن والدفاع عنه. وحدد المنهج وظيفة التربية الدينية فى أنها تعتبر « خير وسيلة لتقويم النفس وإصلاح المجتمع »، وأن أهداف المنهج تتلخص فى تكوين جيل يؤمن بالله ورسله وكتبه، ويقدر الحق ويحب وطنه فيجاهد بقوته ولا يرضى لها إلا العمل المنتج ». وحدد المنهج وسائل تحقيق هذه الأهداف عن طريق بث العقيدة الإسلامية، وتعليم السيرة التى تمثل القدوة للتلاميذ، مع الاهتمام بحفظ وتلاوة القرآن والتأدب بآداب الرسول ﷺ[٧]. وقد أطلق على هذا المنهج اسم « التربية الدينية ». واستمر تدريس هذه المناهج حتى عام ١٩٧١م باستثناء بعض التعديلات التى ارتبطت بالتغيرات التى شهدتها البلاد؛ **سياسيًّا**: انفصمت عرى الوحدة بين مصر وسوريا، واتجهت مصر إلى تأكيد دعمها لحركات التحرر العربى والأفريقى، وكانت هزيمة ١٩٦٧م نقطة فارقة فى تاريخ النظام الناصرى، **اقتصاديًّا**: اتجه النظام السياسى لتبنى التوجهات الاشتراكية، والربط بين الإسلام والاشتراكية، كما شهدت تلك الفترة ازدياد اهتمام النظام السياسى، بإبراز الوضعية التاريخية لمصر والدعوة إلى الاهتمام بالجوانب العلمية والتكنولوجية، وهو ما انعكس بدوره على إعادة صياغة المقررات الدراسية بما يتؤاءم مع تلك التغييرات[٨].

أما بالنسبة لمناهج المرحلة الإعدادية، فنجد أنها قد مرت بنفس المراحل التى مرت بها مناهج المرحلة الابتدائية، فيما يتعلق بتأكيدها على النواحى الروحية والخلقية، والاهتمام بالعبادات دون المعاملات، مع التأكيد على أهمية تدريس التربية الدينية كوسيلة لتربية النشء، والعمل على خلق جيل صالح مؤمن صادق الإيمان محب لله والوطن والحق[٩].

وفيما يتعلق بخطط الدراسة وتوزيع المقررات الدراسية فى المرحلتين الابتدائية والإعدادية، يلاحظ انخفاض عدد الحصص المقررة لتدريس الدين فى المرحلة الابتدائية بصورة واضحة فى أعقاب قيام ثورة ١٩٥٢م؛ حيث انخفضت الحصص بمقدار الثلثين فى عام ١٩٥٣م فى السنتين الأولى والثانية، وبمقدار النصف فى السنتين الثالثة والرابعة، لكنها بقيت كما هى فى السنتين الخامسة والسادسة (جدول رقم ١)، أما فى الأعوام التالية فقد تفاوتت الحصص الدراسية ما بين الارتفاع والانخفاض، والثبات فى أحيان كثيرة مقارنةً بمجموع الحصص المقررة للمواد الدراسية.

أما بالنسبة لمرحلة التعليم الإعدادى: فقد شهدت ثباتا فى الخطط الدراسية منذ قيام الثورة؛ حيث اتفقت الخطط على تخصيص حصتين فقط لتدريس الدين من مجموع الحصص المقررة (٣٦ حصة)، وذلك فى جميع سنوات الدراسة فى المرحلة الإعدادية[١٠].

جدول رقم (١)

عدد حصص التربية الدينية مقارنة بإجمالى عدد الحصص للمرحلة الابتدائية [١١]

الصفوف الدراسية / السنوات	١	٢	٣	٤	٥	٦
١٩٥٢	٣٤/٦	٣٤/٦	٣٤/٦	٣٤/٦	٣٨/٤	٣٨/٤
١٩٥٣	٣٤/٢	٣٤/٢	٣٤/٣	٣٤/٣	٣٨/٤	٣٨/٤
١٩٥٧	٣٢/٢	٣٢/٣	٣٤/٤	٣٤/٤	٣٤/٤	٣٤/٤
١٩٥٩	٣٢/٢	٣٢/٣	٣٢/٤	٣٢/٤	٣٢/٤	٣٢/٤
١٩٦٠	٣٢/٢	٣٢/٣	٣٢/٤	٣٤/٤	٣٤/٤	٣٤/٤
١٩٦٧	٣٠/٣	٣٠/٣	٣٠/٣	٣٤/٤	٣٤/٤	٣٠/٣
١٩٧١	٢٦/٣	٢٨/٣	٣٠/٣	٣٠/٣	٣٠/٣	٣٢/٣

Openkan.com

ثانيًا: الدين وخصوصية المجتمع المصرى [قراءة فى البناء الدستورى][١٢]

تتحدد وضعية مادة التربية الدينية الإسلامية فى البناء الدستورى المصرى من منطلقين أساسيين: **الأول-** يتعلق بتحديد المقومات الأساسية للمجتمع المصرى، وفى هذا السياق انطلق الدستور من مجموعة من المبادئ المرتبطة باعتبار الدين الإسلامى المرجعية الأساسية لسياسة الدولة فى كافة المجالات؛ حيث تنص المادة الثانية من الدستور على أن « الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع »، وتقرر المادة التاسعة أن « الأسرة أساس المجتمع، قوامها الدين والأخلاق الوطنية »، وتنص المادة الثانية عشرة على « التزم المجتمع برعاية الأخلاق وحمايتها، والتمكين للتقاليد المصرية الأصيلة، مع مراعاة المستوى الرفيع للتربية الدينية والقيم الخلقية والوطنية .. وتلتزم الدولة باتباع هذه المبادئ والتمكين لها ».

والثانى: يهتم بتحديد المبادئ الدستورية لسياسة الدولة فى مجال التعليم؛ حيث انعكست المقومات الدينية التى اتخذها الدستور المصرى مرجعًا له على تبنى دستور ١٩٧١م لنص جديد هو نص المادة (١٩) الذى يقرر أن « التربية الدينية مادة أساسية فى مناهج التعليم العام » - وهى المادة التى انفرد بها دستور ١٩٧١م عن الدساتير السابقة عليه والتى قصرت مبادئ سياسة الدولة فى التعليم على تقرير مجانية التعليم وإلزاميته وحق الدولة فى الإشراف عليه وتنظيمه بمقتضى القوانين- وقد جاء النص على هذه المادة وغيرها من المقومات الدينية فى الدستور الدائم ١٩٧١م، فى إطار محاولات الرئيس السادات لتوظيف الدين فى صراعه مع القوى السياسية المناهضة له فى تلك الفترة، وكوسيلة لاكتساب النظام للشرعية،وتحقيق التوازن السياسى مع خصومه السياسيين[١٣](*).

ثالثًا: مقررات التربية الدينية فى قوانين التعليم فى مصر:

يخضع التعليم الأساسى فى مصر لأحكام القانون رقم (١٣٩) لسنة ١٩٨١م الصادر فى ٢٠ أغسطس ١٩٨١م[١٤]. ووفقا لهذا القانون تحددت أهداف التعليم قبل الجامعى فى تكوين

(*) وقد يكون السبب فى إدراج المادة المذكورة فى الدستور: هو محاولة علاج النقص الشديد فى مقررات التربية الإسلامية فى العهد الناصرى، وما أدى إليه من نتائج سلبية على الروح العامة للشعب المصرى (المحرر)

الدارس تكوينا ثقافيًّا وعلميًّا وقوميًّا بقصد إعداد الإنسان المصرى «المؤمن بربه ووطنه، وبقيم الخير والحق والإنسانية»[١٥].

كما نص القانون فى المادة (١٧) -من الباب الثانى منه- على أن أهداف مرحلة التعليم الأساسى تتحدد فى مجموعة من الأهداف منها «التأكيد على التربية الدينية خلال مختلف سنوات الدراسة»[١٦].

واعتبر القانون مادة التربية الدينية مادة أساسية فى جميع مراحل التعليم، واشترط للنجاح فيها الحصول على ٥٠ ٪ على الأقل من الدرجة المخصصة لها، على ألا تحتسب درجاتها ضمن المجموع الكلى، ثم وسع القانون من مجال الاهتمام بالتربية الدينية؛ حيث قرر فى المادة نفسها قيام الوزارة بإعداد مسابقات دورية لحفظة القرآن الكريم، وعلى أن يمنح المتفوقون منهم مكافآت وفقا للنظام الذى يقرره المجلس الأعلى للتعليم[١٧].

ويشير تحليل النصوص السابقة لقانون التعليم إلى عدد من النقاط المهمة:

١- أن اهتمام القانون بمادة التربية الدينية جاء هامشيًّا، ولقد برز ذلك فيما نصت عليه المادة الأولى من القانون، من أن أهداف التعليم فى مصر تتحدد بإعداد الإنسان المصرى المؤمن بربه؛ حيث ربطت هذه المادة بين الإيمان بالله والوطن وقيم الخير والحق والإنسانية فى منظومة واحدة، دون أن يحظى المضمون الدينى باهتمام خاص.

٢- أن نص المادة (١٧) جاء مُمَوّهًا؛ فلم يحدد القانون المقصود بالتأكيد على التربية الدينية، وترك للقائمين على العملية التعليمية تحديد الوزن النسبى للمادة، وهو ما ترتب عليه انخفاض واضح فى المساحة المقررة لتدريس المادة كما سيرد لاحقًا.

٣- زاد من هامشية المادة تقرير المادة (٦) من القانون على ألا تحسب درجات مادة التربية الدينية ضمن المجموع الكلى، بل كمادة نجاح ورسوب، وبالرغم من محاولة القانون إسباغ أهمية على المادة من خلال ما قرره من مسابقات لحفظ القرآن الكريم؛ إلا أن هذا النص أيضًا جاء محدودًا بالاهتمام بحفظ القرآن دون الاهتمام بغيره من العلوم الإسلامية. وتجدر الإشارة إلى أن صدور القانون رقم (١٣٩) لسنة ١٩٨١م كان قد سبقه عقد مؤتمرين لتدارس أفضل الطرق لتدريس مادة التربية الدينية فى مراحل التعليم المختلفة. وقد طرح فى المؤتمر الثانى -المنعقد فى عام ١٩٨٠م- اقتراح بإضافة درجات مادة التربية الدينية إلى

المجموع الكلى للدرجات لتحفيز الطلاب على الاهتمام بالتربية الدينية؛ إلا أن هذا الاقتراح لم يلق ترحيبًا من وزير التعليم فى ذلك الوقت من منطلق أن إضافة هذه الدرجات يشوبه بعض العقبات من أجل تحقيق تكافؤ الفرص نظرًا إلى سهولة بعض المواد الدينية وصعوبة البعض الآخر[١٨]. كما مثلت تلك الفترة بدايات ظهور تنظيمات الجهاد المسلح، واتجاهها لتبنى فكر التكفير، ورفضها لاعتبار المسيحيين جزءًا من نسيج الدولة طالما هم مخالفون فى الدين[١٩]، مما دعا القائمين على السياسة التعليمية إلى محاولة تجنب توسيع حدةَّ الشقاق بين عُنْصُرَىِ الدولة.

٤- تَتَّضح محورية دور وزير التعليم فيما نص عليه القانون: من إعطاء وزير التعليم حق إصدار القرارات اللازمة لتنفيذ القانون[٢٠]، وخاصة ما يتعلق منها بنظام الدراسة والخطط الدراسية والمناهج (مادة ٢)، كما أعطى له -بعد موافقة المجلس الأعلى للتعليم- حق توزيع الدروس والمواد الدراسية على الصفوف، وإقرار المناهج وتحديد نظم التقويم والنهايات الكبرى والصغرى لدرجات مواد الامتحان (مادة ٥). ومن هذا المنطلق صدرت القرارات الوزارية المتتابعة: والتى حددت وضع مادة التربية الدينية فى خطط الدراسة، وذلك على النحو التالى:

جدول رقم (٢)

خطة الدراسة للمرحلة الابتدائية ٢٠٠٢-٢٠٠٣م [٢١]

الصفوف / المواد	الأول	الثانى	الثالث	الرابع	الخامس
التربية الدينية	٣	٣	٣	٣	٣
اللغة العربية	١٢	١٢	١٢	١١	١١
الخط	٢	٢	٢	١	١
الرياضيات	٦	٦	٦	٦	٦
الدراسات الاجتماعية	-	-	-	٢	٢
العلوم	-	-	-	٣	٣
التربية الفنية	٢	٢	٢	٢	٢
التربية الرياضية	٢	٢	٢	٣	٣
التربية الموسيقية	٢	٢	٢	٢	٢
المجموع	٣٤	٣٤	٣٤	٣٩	٣٩

ويلاحظ على هذا الجدول ما يلى:

(١) تحتل الحصص المخصصة لتدريس التربية الدينية قدرًا متساويًا فى السنوات الثلاث الأولى من مرحلة التعليم الأساسى؛ حيث خصص لها ثلاث حصص أسبوعيًّا من مجموع الحصص المقررة والتى يبلغ عددها ٣٤ حصة بنسبة ٨.٨ ٪ من المجموع الكلى للحصص، أما فى الصفين الرابع والخامس.. فيحصل الطالب على ثلاث حصص من مجموع ٣٩ حصة، أى بنسبة ٧.٦ ٪. وهو ما يشير إلى تناقص الاهتمام بتدريس التربية الدينية بتزايد المستوى العمرى للتلاميذ، وقد يرجع ذلك إلى زيادة عدد المقررات الدراسية فى الفترة العمرية الثانية (الصفين الرابع والخامس)؛ حيث يضاف إلى المقررات الدراسية مادتا العلوم والدراسات الاجتماعية.

(٢) تتساوى عدد الحصص المقررة لتدريس التربية الدينية مع الحصص المقررة لما يعرف باسم «المواد التربوية»؛ مثل التربية الفنية والتربية الرياضية والموسيقية، كما تتساوى مع الدراسات الاجتماعية، ويلاحظ أن عدد الحصص المخصصة للتربية الرياضية تزداد فى الصفين الرابع والخامس، فى حين تظل حصص التربية الدينية كما هى دون تغيير.

(٣) يشير الجدول إلى وجود فارق كبير بين عدد الحصص المخصصة لتدريس اللغة العربية والرياضيات، والمخصصة لتدريس التربية الدينية، ففى حين يبلغ عدد حصص تدريس اللغة العربية اثنتا عشرة حصة، يصل عدد الحصص المخصصة للتربية الدينية ثلاثًا فقط؛ أى ربع المساحة المخصصة لتدريس اللغة العربية فى الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية، وتزداد قليلا فى الصفين الرابع والخامس لخفض حصص اللغة العربية بمقدار حصة، كما تقل عدد الحصص المخصصة للتربية الدينية بمقدار النصف عن تلك المخصصة للرياضيات.

أما بالنسبة لمرحلة التعليم الإعدادى، فيوضح جدول رقم (٣) توزيع الحصص الدراسية على المواد المقررة فى تلك المرحلة، وذلك على النحو التالى:

جدول رقم (٣)

خطة الدراسة للمرحلة الإعدادية ٢٠٠٢-٢٠٠٣م [٢٢]

الصفوف / المواد الدراسية	الأول الإعدادى	الثانى الإعدادى	الثالث الإعدادى
دين	٢	٢	٢
لغة عربية	٧	٧	٧
خط	١	١	١
مكتبة	١	١	١
لغة أجنبية أولى	٥	٥	٥
رياضيات	٥	٥	٥
علوم	٤	٤	٤
دراسات اجتماعية	٣	٣	٣
رسم	٢	٢	٢
ترميم	١	١	١
تكنولوچية	٢	٢	٢
تربية رياضية	٢	٢	٢
تربية موسيقية	٢	٢	٢
اقتصاد منزلى	١	١	١
المجموع	٣٨	٣٨	٣٨

ويلاحظ على توزيع الحصص الدراسية فى المرحلة الإعدادية ما يلى:

(١) انخفاض عدد الحصص المقررة لتدريس التربية الدينية فى مرحلة التعليم الإعدادى عن مرحلة التعليم الابتدائى؛ حيث تختص بحصتين فقط بدلاً من ثلاث حصص، كذلك يظهر هذا النقص فى انخفاض نسبة الحصص المقررة للتربية الدينية إلى المجموع الكلى للحصص؛ حيث يصل إلى ٥,٢ ٪ فقط من المجموع الكلى فى الصفوف الثلاثة.

obeikan.com

(٢) تتساوى الحصص الدراسية لمادة التربية الدينية مع الحصص المخصصة لعدد آخر من المواد المقررة على طلاب تلك المرحلة مثل: التربية الموسيقية والرياضية والرسم والتكنولوچية.

(٣) يوضح الجدول أن الثقل الأساسى فى توزيع المواد الدراسية فى تلك المرحلة، يتركز فى اللغة العربية بفارق خمس حصص عن التربية الدينية، يليها اللغة الأجنبية والعلوم بفارق ثلاث حصص، ثم الرياضيات بفارق حصتين، فالدراسات الاجتماعية بفارق حصة واحدة، ويعبر هذا التوزيع عن الأهمية النسبية لكل مادة.

أما فيما يتعلق بتقييم التلاميذ فى مادة التربية الدينية فى مرحلة التعليم الأساسى، فقد صدرت القرارات الوزارية المتعاقبة والتى تتفق مع مضمون القانون رقم (١٣٩) لسنة ١٩٨١م فى اعتبار التربية الدينية مادة نجاح ورسوب، دون أن تضاف درجاتها إلى المجموع الكلى، واستثنت القرارات الوزارية الصف الأول الابتدائى من عقد امتحان تحريرى للتربية الدينية، وقصرت الاختبار فيه على الامتحان الشفهى(٢٣).

لذا يمكن القول أن توزيع الجداول الدراسية فى مرحلة التعليم الأساسى -بشقيه الابتدائى والإعدادى- ونظام التقييم المتبع، يعبران عن عدم الاتساق بين وضعية الدين الإسلامى فى مصر، والشريعة الإسلامية كمصدر أساسى لدستور للدولة، وبين الوضع الحالى لمقررات التربية الإسلامية فى التعليم الأساسى فى مصر.

رابعًا: جهود تطوير مقررات التربية الدينية الإسلامية منذ السبعينيات:

مرت عملية تطوير مناهج ومقررات التربية الدينية الإسلامية خلال العقدين السابقين بمرحلتين مهمتين: **الأولى**- تبدأ من أواخر السبعينيات من القرن الماضى، حتى أوائل التسعينيات من نفس القرن، **والثانية**- تبدأ من أوائل التسعينيات، حتى تاريخ إجراء هذه الدراسة.

المرحلة الأولى: التعديل المصرى للمناهج:

بدأ التفكير فى إعادة النظر فى مناهج التربية الدينية الإسلامية فى أواخر السبعينيات

من القرن الماضى بصدور القرار الوزارى رقم (٤٥) لسنة ١٩٧٧م، الذى نص على تشكيل لجنة متخصصة تمثل فيها القطاعات المختلفة ذات العلاقة بتطوير مادة التربية الدينية الإسلامية مثل الأزهر، والمعاهد الدينية، ومجمع البحوث الإسلامية، ووزارة الأوقاف، والكليات المتخصصة مثل دار العلوم والتربية، بالإضافة إلى ممثلين عن المجلس التشريعى ووسائل الإعلام، للمشاركة فى مراجعة مناهج التربية الدينية المقررة على الطلاب فى تلك الفترة، وذلك من حيث وفائها باحتياجات الطلاب، وقدرتها على إفادتهم من المعارف الدينية وتحقيقها لأهداف تدريس المادة[٢٤].

وقد انتهت اللجنة من مراجعة مناهج الدين، وحددت أوجه القصور فى المناهج فى عدة نقاط أهمها[٢٥]:

أ - أن العقيدة الإسلامية لم تأخذ مكانتها بين موضوعات المنهج فى المرحلتين الابتدائية والإعدادية.

ب- أن ما هو مقرر للحفظ من القرآن الكريم فى تلك المرحلة، لا يكفى لتحقيق الصلة بين الطالب وآيات القرآن.

جـ- أن الموضوعات التى تستهدف ربط الدين بالحياة، غير كافية ولا تحقق أهدافها.

د - عدم ملاءمة اللغة المكتوب بها الكتب لمدارك التلاميذ.

هـ- فشل نظام التقويم فى تحقيق الإقبال على مذاكرة دروس المادة.

وكان مما قدمته اللجنة من مقترحات: ضرورة إعادة النظر فى مناهج التعليم بما يسمح بالقضاء على المثالب التى يواجهها تدريس الدين الإسلامى، حتى يمكن تلافى أوجه القصور السابقة وخاصة فيما يتعلق بالربط بين موضوعات الدين والحياة. بالإضافة إلى تحديد أهداف المادة فى العمل على: تدعيم العقيدة الإسلامية والدفاع عنها فى مواجهة التيارات المادية، والعمل على تنشئة التلاميذ على أساس من الفضائل والآداب الإسلامية، ثم الاعتزاز بالإسلام وبناء المجتمع الإسلامى على أساس من قيم التكامل والتراحم، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، دون عنف أو إكراه، وبما يعيد للأمة الإسلامية مجدها وريادتها لكل الشعوب -مع عدم إغفال البعد الوطنى فى التربية الإسلامية[٢٦]-. ويلاحظ أن صدور هذه التوصيات قد تزامن مع

عدد من التغيرات التى ارتبطت بتغير توجهات السياسة الخارجية لمصر تجاه إسرائيل؛ بطرح الرئيس السادات لمبادرته لزيارة القدس، وما تبعها من عقد معاهدة الصلح، وهو ما ترتب عليه القطيعة العربية لمصر. كذلك شهدت مصر فى تلك الفترة ازدياد مظاهر العنف الدينى المتمثل فى بروز حركات الاحتجاج الإسلامى التى قوضت من أسس الشرعية التى استند إليها السادات. ومن ثم جاءت توصيات اللجنة فيما يتعلق بالاهتمام بالبعد الوطنى، ودعوتها لنبذ العنف فى التعامل مع الآخرين؛ لتتواءم مع المعطيات السياسية الجديدة. وفى ضوء تلك التوصيات صدرت كتب جديدة لمقرر التربية الدينية الإسلامية بدأ تدريسها من العام الدراسى ٧٨- ١٩٧٩م، وصممت على أساس محاولة تفادى أوجه القصور التى انتابت المقررات فى المرحلة السابقة عليها(٢٧).

ثم تتابع تشكيل اللجان المتخصصة من أجل تطوير المناهج الدينية الإسلامية؛ حيث شكلت لجنة موسعة فى عام ١٩٨٠م برئاسة د. زكريا البرى وزير الأوقاف السابق، ولجنة أخرى عام ١٩٨٣م برئاسة د.محمد السعدى فرهود -رئيس جامعة الأزهر السابق- لتقويم المقررات الدراسية المعمول بها منذ عام ٧٨- ١٩٧٩م، ثم صدر فى عام ١٩٨٤م قرار آخر بتكوين لجان موسعة للإسراع فى إعداد مناهج الصفوف الثلاثة الأولى من التعليم الأساسى، على أساس من القراءة المتعمقة لتقارير عمل اللجان السابقة، ودراسة استطلاعات الرأى التى أجريت من قبل الوزارة حول مناهج التعليم فى التربية الدينية الإسلامية وطرق تدريسها، والتقارير الميدانية، وآراء المتخصصين فى المديريات التعليمية المختلفة فيما يتعلق بمضمون مناهج الدين الإسلامي(٢٨). ثم صدرت قرارات وزارية بشأن تشكيل لجان موسعة لدراسة المناهج الدراسية فى جميع مواد التعليم، ومن بينها مقررات الدين الإسلامي(٢٩). وقد أسفر كل ذلك عن إعداد مناهج جديدة للصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية بدأ تدريسها من العام الدراسى ٨٥-١٩٨٦م، ثم تتابع تدريس هذه السلسلة فى الصفين الرابع والسابع من التعليم الأساسى عام ٨٦- ١٩٨٧م، والخامس والثامن من عام ٨٧- ١٩٨٨م، والتاسع عام ٨٨- ١٩٨٩م(٣٠).

وقد جاءت المناهج الموضوعة بمقتضى هذا التطوير فى شكل سلسلة متكاملة من المعارف، يتناول **الجزء الأول** منها مناهج المرحلة الابتدائية، **والجزء الثانى** مناهج المرحلة الإعدادية.

المرحلة الثانية: التدخل الأجنبى فى تطوير التعليم:

ترتبط هذه المرحلة بمنعطفين مهمين:

الأول: إنشاء مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية بناء على توقيع اتفاقية بين وزارة التربية والتعليم، وهيئة المعونة الأمريكية فى ١٦/١٠/١٩٨٨م، وهى المرة الأولى فى تاريخ التعليم المصرى -بعد الاستقلال- التى يشارك فيها عنصر أجنبى فى تطوير التعليم؛ وترتيبًا على توقيع الاتفاقية صدر القرار الوزارى رقم (١٧٦) لسنة ١٩٩٠م بإنشاء مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية ملحقًا بمكتب وزير التعليم، ويخضع لإشرافه، ويدخل فى اختصاصه تخطيط وتقييم وإعداد وتجريب وتنقيح وإخراج المناهج، مع الإشراف على جميع مراحل صناعة المناهج ومتابعة تنفيذها وتقويمها قبل اعتمادها. كما نص قرار إنشاء المركز على أن يتولى المركز ترجمة التوجهات الجديدة للمجتمع المتضمنة فى « فلسفته السياسية والاجتماعية وخطط التوعية، إلى برامج تعليمية تكون مادتها وسيلة لإحداث التغييرات السلوكية المنشودة فى التلاميذ: معرفيًّا ونفسيًّا وحركيًّا »[٣١].

وبمقتضى ذلك قام المركز بوضع خطة لتطوير المناهج، وتم إدخال مجموعة من التغييرات فى المناهج القائمة فى جميع المواد، وقد صحب إجراء هذه التعديلات انتقادات حادة ضد محاولات التدخل الأجنبى فى التعليم المصرى، نظرًا إلى ورود أسماء عدد من المشاركين الأجانب فى التقارير الصادرة عن تعديل المناهج الدراسية[٣٢]. وتركزت الانتقادات على التغييرات الخاصة بمرحلة التعليم الثانوى وخاصة فيما يتعلق باللغة العربية والدراسات الاجتماعية والتربية الإسلامية، من حيث حذف عدد من الموضوعات التى تؤكد على الهوية الإسلامية، وتعيد تشكيل عقول التلاميذ بما يتواءم مع الاتجاهات الغربية[٣٣].

كما انعكست هذه المراجعة على مناهج التربية الإسلامية المقررة على طلبة التعليم الأساسى فى الطبعات الصادرة عام ٩١- ١٩٩٢م، حيث تضمنت الطبعات الجديدة تنويه عن تعديل الكتاب « بمركز تطوير المناهج والمواد التعليمية » مع إضافة أسماء المشاركين فى التعديل. كما تم تعديل اسم المقرر الدراسى من: التربية الإسلامية، إلى التربية الدينية الإسلامية[٣٤]. وأجريت على المقررات بعض التعديلات بالحذف أو الإضافة.. وتركزت الانتقادات التى وجهت لهذه التعديلات فى محاولتها فرض نمط أيديولوچى جديد يتفق مع

محاور الفكر الغربى ويفرغ أحكام الشريعة الإسلامية من حجيتها، من خلال التدخل فى إعادة تفسير العقيدة[٣٥].

إلا أنه بداية من العام الدراسى ٩٢- ١٩٩٣م ظهرت طبعات جديدة من المناهج قام بوضعها مؤلفون جدد، واشترك فى مراجعتها عدد من رجال الأزهر فى مرحلة التعليم الابتدائى. أما مرحلة التعليم الإعدادى: فقد اقتصرت تعديلات الطبعات منذ عام ١٩٩٢م إلى عام ١٩٩٥م على بعض قضايا الحذف والإضافة. وسوف تخضع هذه الطبعة للتحليل والدراسة.

أما المنعطف الثانى فى تطوير مناهج التعليم فى التسعينيات من القرن العشرين، فقد تمثل فى عقد مؤتمرين مهمين خلال أعوام ١٩٩٣- ١٩٩٤م، وذلك لمناقشة عملية تطوير مقررات مرحلتى التعليم الابتدائى والإعدادى. وكانت عملية تطوير المناهج على رأس اهتمامات كل من المؤتمرين؛ حيث دعا كل منهما إلى إعادة النظر فى مناهج التعليم سعيًا وراء إصلاح شامل لمناهج التعليم، لمواكبة حقائق العصر الذى يتسم بالتفجر المعرفى وثورة المعلومات، وبما يسمح بتطعيم مناهج التعليم ببعض المفاهيم الجديدة مثل: البيئة والإرهاب والتطرف والتفاهم الدولى والوعى السياسى وحقوق الإنسان[٣٦]. وقد نالت مناهج التربية الدينية بعضا من هذا التطوير حيث دعا المؤتمرون إلى تطوير مناهج التربية الدينية بالاستعانة برأى علماء الدين والأزهر والمفتى، ليتم خلالها التركيز على « ترسيخ القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية، والفهم الصحيح للدين، واحترام عقائد الآخرين »، وبحيث يجد التلاميذ فى هذه المناهج ما يسد احتياجاتهم، ويجيب عن تساؤلاتهم حول الواقع المعيش، تركيزًا على السلوكيات والأخلاقيات؛ حتى لا يصبح الدين مجرد شعائر وعبادات[٣٧].

وقد قامت **وزارة التعليم** بالاشتراك مع **مركز تطوير المناهج** بإصدار مناهج جديدة للتربية الدينية الإسلامية، انطلاقًا من الرؤية السالف بيانها، واتفاقًا مع ما جاء فى القرار الوزارى رقم (٧٠) لسنة ١٩٩٣م بشأن تطبيق نظام المسابقة فى تأليف الكتب الدراسية[٣٨]. و بدأ إصدار المناهج الجديدة اعتبارًا من العام الدراسى ٩٤- ١٩٩٥م فى الصف الأول الابتدائى، ثم تتابع صدور مناهج باقى الصفوف، وهو ما اعتبرته وزارة التعليم على لسان مسئوليها « تطويرًا جذريًّا، يعد علاقة بارزة وأسلوبًا متميزًا فى تاريخ تطوير التعليم فى مصر»[٣٩].

المبحث الثانى: البناء المعرفى للمقررات وآليات كتابة الخطاب التعليمى

يتناول هذا المبحث دراسة وتحليل الصورة الكلية للمقررات الدراسية لمادة التربية الدينية الإسلامية فى مرحلة التعليم الأساسى، من حيث إخراجها وفلسفتها وأهدافها خلال ما يقرب من عقدين من الزمن؛ تبدأ من صدور الطبعة المعدلة من مناهج التربية الدينية فى العام الدراسى ٨٥– ١٩٨٦م. ويرجع اختيار هذه الفترة إلى سببين:

الأول: شهدت تلك الفترة صدور ثلاث طبعات مختلفة من مقررات مادة التربية الدينية الإسلامية فى صفوف التعليم الأساسى الثمانية(٤٠).

السبب الثانى: عدم توفر المادة العلمية كاملة للطبعات السابقة على طبعة ١٩٨٥م، حيث لم يتوفر إلا بعض المناهج المقررة على بعض الصفوف الدراسية دون غيرها.

وقد كان أمام الباحثة فيما يتعلق بعملية التحليل خياران: **الأول:** أن يتم تحليل المادة العلمية مقارنة بين الطبعات الثلاث لكل صف دراسى على حدة، **الثانى:** تحليل ودراسة كل طبعة على مدى مرحلة التعليم الأساسى بأكملها. وقد تبنت الباحثة الخيار الثانى، على أساس أن كل طبعة من الطبعات الثلاث تعبر عن إطار تاريخى واجتماعى وثقافى بعينه، يؤثر على صياغة المناهج المقررة لكل مرحلة وكل صف دراسى، فى إطار من فكر متكامل يتم التعبير عنه فى صورة مادية تبدأ من الصف الأول الابتدائى حتى نهاية مرحلة التعليم الأساسى.

وسوف ينتظم تحليل مقررات مادة التربية الدينية الإسلامية فى هذا المبحث فى بعدين: **الأول:** يتعلق بإخراج المناهج، ونعنى به فى هذا الصدد التأليف والمراجعة وطريقة الإخراج من حيث الشكل(٤١)، **والثانى:** يتعلق بفلسفة المادة وأهدافها كما حددها المؤلفون فى مقدمات الكتب.

أولاً: الأبعاد الشكلية لمقررات التربية الدينية الإسلامية لمرحلة التعليم الأساسى:

تقتصر هذه النقطة على وصف الكتب المقررة من حيث العدد والتأليف والشكل العام للكتاب فى المرحلتين الابتدائية والإعدادية، وذلك على النحو التالى:

الطبعة الأولى: تنتظم كتب هذه الطبعة فى ثمانية كتب[٤٢] تحمل جميعًا عنوان: التربية الإسلامية، بواقع مقرر واحد لكل صف بالمرحلتين الابتدائية والإعدادية[٤٣]. وقد اشترك فى تأليف المقررات أربعة وثلاثون مؤلفًا؛ بواقع أربعة مؤلفين لكافة الصفوف عدا الصفين الثالث والخامس من المرحلة الابتدائية؛ حيث اشترك فى التأليف خمسة مؤلفين، **ويلاحظ بالنسبة للتأليف، وتحرير وإخراج مقررات تلك الطبعة ما يلى**[٤٤]:

١- امتزجت التخصصات التربوية بالتخصصات الدينية فى تأليف الكتب المقررة، حيث شارك متخصصون فى المجال التربوى فى التأليف مثل د.محمود كامل الناقة، د. فتحى على يونس، كما اشترك فى التأليف مستشارون لمادة التربية الدينية فى وزارة التربية والتعليم مثل د. أحمد حسن حمزة، سيد عبد الكريم رشوان، عبد الجليل حماد، كذلك استعانت وزارة التربية والتعليم بأساتذة متخصصين فى الدراسات الفقهية والشريعة الإسلامية، مثل د.عبد الله محمود شحاته؛ إلا أنه يلاحظ أن الغلبة كانت لمستشارى التربية الدينية فى وزارة التعليم، ثم للخبراء التربويين ثم للمتخصصين الفقهيين.

٢- انفرد بتأليف وتحرير مقررات تلك الطبعة خمسة عشر مؤلفًا؛ بواقع تسعة مؤلفين للمرحلة الابتدائية، وستة مؤلفين للمرحلة الإعدادية، وجاءت الزيادة فى العدد الإجمالى للمؤلفين نتيجة لمشاركة البعض فى أكثر من مؤلف، حيث اشترك اثنان من المؤلفين فى تأليف أربعة مقررات، وخمسة فى تأليف ثلاثة مقررات، وثلاثة مؤلفين فى تحرير مقررين، فى حين اشترك خمسة من المؤلفين فى تأليف مقرر واحد، وكان أكثر الأعضاء مشاركة د. فتحى على يونس، الذى شارك فى تأليف كتب السنوات: الأولى، والثالثة، والرابعة، والخامسة الابتدائى، ود. محمد على سليمان الذى اشترك فى تأليف كتب: الفرقة الثانية الابتدائى، والفرق الثلاث للمرحلة الإعدادية.

٣- خضعت كتب المرحلة الإعدادية جميعها للمراجعة؛ حيث قام بمراجعتها د. محمد السعدى فرهود -رئيس جامعة الأزهر السابق- فى حين قام بمراجعة كتاب الصف الرابع الابتدائى أ. يونس عبد اللطيف -يونس مستشار التربية الدينية بوزارة التربية والتعليم- ولم تتم مراجعة مقررات الصفوف الأخرى.

٤- اتسم إخراج الكتب فى تلك الطبعة باستخدام للصور التوضيحية من أجل توضيح

الأفكار والموضوعات الواردة فى الكتاب، وبما يتلاءم مع المرحلة العمرية للتلميذ، وكان نصيب المرحلة الابتدائية فى هذا المجال أكبر مقارنة بمرحلة التعليم الإعدادى، وتركزت الصور الواردة فى تلك المرحلة على الموضوعات الخاصة بالعبادات مثل الوضوء والصلاة والحج، بالإضافة إلى الموضوعات الخاصة بالعقائد، فعلى سبيل المثال جاء فى كتاب الصف الأول الابتدائى تحت عنوان: «الله وحده خالق كل شىء» صورة لطفلين فى حديقة وحولهما طيور وحيوانات، كما جاء فى نفس الكتاب تحت عنوان: «الله وحده هو الذى يرزقنا» صورة لأسرة مكونة من أم وأب وطفلين وهى تتناول الطعام. كذلك جاء فى نفس الكتاب صورة توضح آيات الله فى الكون من بحار وأنهار وشمس وقمر تأسيسًا على ما ورد فى الآيات ٣٢– ٣٤ من سورة إبراهيم. والتى توضح قدرة الله فى خلقه.

كذلك جاء فى كتاب الصف الثانى الابتدائى صورة لطفلين يتضرعان إلى الله بالدعاء، بالإضافة إلى صور توضح فرائض الوضوء، والصلاة وصورة لطفل يقرأ آيات الله فى القرآن الكريم، ويتضح من تسلسل الكتب الدراسية: قلة استعانة المؤلفين والوزارة بالصور التوضيحية كلما تقدم العمر بالتلميذ؛ حتى إن هذه الصور تكاد تختفى تمامًا فى مرحلة التعليم الإعدادى.

الطبعة الثانيـة: تنتظم كتب هذه الطبعة فى اثنا عشر كتابًا بواقع ستة كتب للمرحلة الابتدائية، خمسة منهم كتب ذات موضوعات متعددة مقررة على الصفوف الخمسة الأولى من المرحلة الابتدائية، والسادس كتاب الموضوع الواحد المقرر على الصف الخامس، وستة كتب للمرحلة الإعدادية بواقع كتابين لكل صف: أحدهما متعدد الموضوعات، والآخر أحادى الموضوع.

وتحمل الكتب المقررة على طلبة المرحلة الابتدائية وطلبة الصف الثالث الإعدادى عنوان: «التربية الدينية الإسلامية»، أما كتب الصفين الأول والثانى الإعدادى فتقع تحت عنوان: «التربية الإسلامية»[٤٥].

وقد اشترك فى تأليف كتب هذه الطبعة ثلاثة وأربعون مؤلفا بواقع من خمسة إلى ستة مؤلفين لكل كتاب، **ويلاحظ على هذه الطبعة ما يلى:**

١- شارك فى التأليف نخبة كبيرة من مستشارى التربية الدينية بوزارة التربية والتعليم، ولم يشترك فى التأليف من المتخصصين من رجال الأزهر سوى د. أحمد عمر هاشم الذى شارك فى تأليف الكتب الثلاثة المقررة على مرحلة التعليم الإعدادى.

٢- أكثر الأعضاء مشاركة فى تأليف كتب التربية الدينية الإسلامية عبد الجليل حماد؛ حيث شارك فى تأليف سبعة كتب من إجمالى ثمانية كتب مقررة على مرحلة التعليم الأساسى، أعقبه كل من مصطفى كامل مصطفى، وأحمد يحيى نور الدين حجاجى، لمشاركتهما فى تأليف أربعة كتب، ثم د. أحمد عمر هاشم، د. يوسف حسن صالح، وعلى محمد إبراهيم، لمشاركتهم فى تأليف ثلاثة كتب، ثم زكريا محمد إبراهيم الذى شارك فى تأليف كتابين.

٣- قام بمراجعة كتب التربية الإسلامية لهذه الطبعة ستة مراجعين ينتسب معظمهم إلى الأزهر الشريف؛ حيث شارك فى المراجعة: الشيخ محمد الغزالى -عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- الذى قام بمراجعة كتابى الصفين الأول والثانى الابتدائى، وكتاب الصف الثانى الإعدادى، كذلك قام د. محمد سيد طنطاوى مفتى جمهورية مصر العربية -فى ذلك الوقت- بمراجعة كتب الصفوف الرابع والخامس الابتدائى والأول الإعدادى بواقع ثلاثة كتب، كما شارك د. أحمد عمر هاشم فى مراجعة كتاب الصف الثالث الابتدائى. ود. عبد المنعم النمر فى مراجعة كتاب الصف الثالث الإعدادى، أما الأستاذ أحمد حسن حمزة مستشار التربية الدينية بالوزارة فقد قام بمفرده بمراجعة سبعة كتب من أصل ثمانية كتب، كما شارك محمد مختار أمين مستشار التربية الدينية فى مراجعة منهج الصف الثالث الإعدادى.

٤- تنفرد الطبعة الثانية -فيما يتعلق بالتأليف- باشتراك المرأة فى تأليف الكتب الدراسية المقررة؛ حيث شارك العنصر النسائى -لأول مرة- فى تأليف الكتب المقررة على طلبة الصفوف الأول والثانى والخامس الابتدائى، وهن على التوالى أسماء إبراهيم شريف، د. حكمت محمود الزنارى، ثريا محجوب محمود. وجاء إشراف: د. كوثر حسين كوجك على كافة المقررات لمرحلة التعليم الأساسى باعتبارها مستشارًا تربويًّا لمركز تطوير المناهج والمواد التعليمية.

٥- احتلت الصور المصورة مساحة كبيرة من كتب تلك الطبعة، حيث استعان المؤلفون ومركز تطوير المناهج بالصورة فى العديد من الصفحات وبشكل مكثف خاصة فى المرحلة الابتدائية، وأشارت إحدى الدراسات إلى أن إجمالى الصور المنشورة فى مقررات التربية الدينية الإسلامية لمرحلة التعليم الابتدائى فى تلك الطبعة وصل إلى ١٦٥ صورة. أما فى المرحلة الإعدادية فقد قلت كثافة الاستعانة بالصورة عنها فى المرحلة الابتدائية بشكل واضح[٤٦].

٦- بالنسبة للكتب ذات الموضوع الواحد، فقد اشترك فى تأليفها خمسة مؤلفين بواقع مؤلف واحد لكل كتاب، عدا قصة أسامة بن زيد التى اشترك فيها مؤلفان. وتشير مقدمات هذه الكتب إلى مراجعتها وإعدادها للطبعة المدرسية بواسطة خبراء ومستشارى التربية الدينية بالوزارة، ماعدا كتاب معجزة القرآن للشيخ محمد متولى الشعراوى.

الطبعة الثالثة: تنتظم كتب هذه الطبعة فى ثمانية كتب، قسم كل منها إلى جزءين: الأول للفصل الدراسى الأول، والثانى للفصل الدراسى الثانى، بإجمالى ستة عشر كتاب تحمل كلها عنوان: «التربية الدينية الإسلامية» مقررة على الصفوف الثمانية لمرحلة التعليم الأساسى، وأربعة كتب -ذات موضوع واحد- مقررة على كل من الصفوف: الخامس الابتدائى[٤٧] والصفوف الثلاثة للمرحلة الإعدادية، وبذلك يبلغ عدد الكتب المقررة عشرون كتابًا؛ بواقع كتابين للصفوف من الأول إلى الرابع، وثلاثة كتب للصف الخامس والصفوف الإعدادية الثلاثة[٤٨].

وقد اشترك فى تأليف الكتب المقررة أربعة وعشرون مؤلفًا ومدققًا ومراجعًا، ليصل إجمالى المشاركين إلى ستة وعشرون، وحظى كتاب الصف الثانى الإعدادى بأكبر نسبة من عدد المشاركين؛ حيث شارك فى تأليفه أربعة أشخاص، على حين انفرد بتأليف كتاب الصف الثانى الابتدائى مؤلف واحد مع وجود مدقق ومراجع للكتاب. أما الكتب ذات الموضوع الواحد؛ فقد شارك فى تأليفها ستة مؤلفين بواقع مؤلف واحد لكل من كتابى عبد الرحمن بن عوف، وخواطر إسلامية، ومؤلفين لكل من كتابى عقبة بن نافع، وأسامة بن زيد.

ويلاحظ على إخراج الكتاب فى تلك الطبعة ما يلى:

١- الغياب الواضح للمتخصصين الأكاديميين فى مجال التربية و«رجال الدين»، حيث لم يشارك من أساتذة الجامعة التربويين فى إعداد وتأليف كتب هذه الطبعة سوى د. حسن شحاتة -المتخصص فى مجال الدراسات التربوية- الذى شارك فى كتاب الصف الثانى الابتدائى، ود. زكريا طه منصور وهو أحد المتخصصين العاملين فى المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية التابع للوزارة[٤٩]. فى حين لم يشارك أى من رجال الأزهر أو «رجال الدين المتخصصين» فى تأليف هذه المجموعة من الكتب، وهو ما يعبر عن تناقض واضح بين الواقع، وما قدمته مؤتمرات ولجان تطوير المقررات الدراسية من توصيات.

٢- جاءت المشاركة الكبرى فى التأليف من نصيب ثلاثة مؤلفين هم: الحسينى محمد المداح، ومحمد الفاتح الحسينى، وأحمد يحيى نور الحجاجى؛ حيث شاركوا فى تأليف ثلاثة مؤلفات هى مقررات الصف الأول الابتدائى والصفين الأول والثانى الإعدادى.

٣- كانت المشاركة الفعلية فى تأليف وتحرير مقررات تلك الطبعة -بعد حذف التكرارات- من نصيب ١٤ مؤلفًا فقط فى مقررات التربية الدينية الإسلامية، أما الكتب ذات الموضوع الواحد فكانت من نصيب أربعة مؤلفين.

٤- لم تحظ كتب هذه الطبعة بأية مراجعة عدا كتاب الصف الثانى الابتدائى، وقد يرجع ذلك إلى عرض الكتب على مجموعة من المحكمين، فى ظل نظام المسابقة الذى ابتدعته الوزارة لاختيار أحد الكتب المتقدمة للمسابقة وفقًا لمعايير يضعها مركز تطوير المناهج؛ إلا أنه كان من الأحرى الإشارة إلى أعضاء لجان التحكيم التى قامت باختيار الكتاب الفائز.

٥- اتسم إخراج الكتب المقررة على الصفوف الدراسية المختلفة فى تلك الطبعة باستخدام الصور التوضيحية للموضوعات فى مواضع كثيرة من الكتاب، ولم يقتصر هذا الاتجاه على كتب المرحلة الابتدائية بل تعداه إلى كتب المرحلة الإعدادية الثلاثة، وقد أحصت إحدى الدراسات المهتمة بدراسة حقوق الإنسان فى مقررات التربية الدينية الإسلامية - لطلاب مرحلة التعليم الأساسى- الصور المرتبطة بهذه الحقوق فوجدتها أربع وتسعين صورة(٥٠).

ويلاحظ على إخراج المقررات الدراسية فى الطبعات الثلاث ما يلى:

١- أن هذه المقررات تجمع بين إسمى التربية الإسلامية والتربية الدينية فى سياق واحد دون التفرقة بين الإسمين، وذلك على عكس ما يذهب إليه عدد من التربويين من ضرورة التفرقة بين مفهوم التربية الدينية ومفهوم التربية الإسلامية، على اعتبار أن التربية الدينية تعنى: تدريس بعض آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والسير والتراجم وما إلى ذلك، فى حين يذهب مفهوم التربية الإسلامية إلى أبعد من ذلك؛ حيث يستوعب هذا المفهوم -بالإضافة إلى ما سبق توضيحه فى مفهوم التربية الدينية- كل ما يتعلق بتنشئة الأفراد على أساس من القيم والمبادئ التى أتى بها الإسلام، والتى توجه سلوكهم بما يتفق مع العقيدة الإسلامية، أو هى النظام التربوى القائم على الإسلام بمعناه الشامل(٥١).

٢- الغلبة فى عنصر التأليف فى الطبعات الثلاث -على الرغم من اختلاف الطرق المتبعة لاختيار المقررات الدراسية، وإشراف مركز تطوير المناهج على مناهج الطبعتين الثانية والثالثة- لمستشارى التربية الدينية فى وزارة التربية والتعليم، وهو ما يعبر عن غلبة الاتجاه الوظيفى عند اختيار الكتب المقررة فى الطبعتين الأولى والثانية، أما فى الطبعة الثالثة، وعلى الرغم من تطبيق نظام المسابقة فى التأليف، فإن استئثار مستشارى التربية الدينية بالتأليف؛ إما أن يفسر بقدرة هؤلاء المؤلفين على فهم أبعاد التدريس لمادة التربية الدينية لمرحلة التعليم الأساسى دون غيرهم من خارج الوزارة، أو يعزى إلى إحجام المتخصصين عن المشاركة فى مثل هذه المسابقات.

٣- اتسمت الطبعة الثانية بوجود أكبر نسبة من المشاركين من رجال الأزهر والمتخصصين من خارج الوزارة، سواء تأليفًا أو مراجعة، وجاءت الطبعة الأولى فى المرتبة الثانية من حيث نسبة عدد المشاركين من المتخصصين الدينيين والتربويين من خارج الوزارة. فى حين لم تحظ الطبعة الثالثة إلا بمشاركة د. أحمد عمر هاشم فى تأليف كتب المرحلة الإعدادية.

٤- لم يظهر اشتراك العنصر النسائى فى تأليف مقررات الدين الإسلامى إلا فى الطبعة الثانية فقط، فى حين غابت المرأة عن المشاركة فى الطبعتين الأولى والثالثة. وقد يُفَسَّرْ ذلك بالتزام الوزارة بتفعيل دور المرأة؛ اتساقا مع التوجهات الغربية، وتزامن صدور الطبعة الثانية، مع توقيع اتفاقية إنشاء مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية بالاشتراك مع هيئة المعونة الأمريكية. كما قد يفسر غياب المرأة فى الطبعة الثالثة بتطبيق نظام المسابقة، وإحجام العنصر النسائى عن الاشتراك فيها.

٥- اتسمت الطبعة الثانية بكثرة عدد المشاركين فى التأليف للكتاب الواحد؛ حيث وصل فى بعض الصفوف إلى ستة مشاركين ومراجعين، فى حين تراوح عدد المشاركين فى الطبعة الأولى ما بين أربعة أو خمسة مشاركين بالإضافة إلى مراجع واحد لكل كتاب، أما فى الطبعة الثالثة فلم يزد عدد المشاركين عن ثلاثة.

٦- تشير المقارنة بين أسماء المشاركين فى تأليف الكتب المدرسية فى الطبعات الثلاث إلى وجود عناصر مشتركة فى التأليف، حيث شارك بعض المؤلفين فى إعداد كتب الطبعات

الثلاث، وكان أكثرهم مشاركة عبد الجليل حماد، ومحمد الفاتح الحسينى، وعبد الوهاب مسعود، وأحمد يحيى نور الحجاجى.

٧- تشير الدراسة الإجمالية للصور الموجودة فى المقررات الدراسية فى الطبعات المختلفة إلى اهتمام مركز تطوير المناهج -والذى قام بإخراج الطبعتين الثانية والثالثة من الكتاب- بإدراج مزيد من الصور التى تعبر عن القضايا والمفاهيم والموضوعات المختلفة المتضمنة فى المناهج، وهو ما يتفق مع رؤية بعض الباحثين من أهمية تأثير الصورة على النشء باعتبارها تتضمن رموزًا أو قيمًا ودلالات بعينها، مما يؤكد أن تأثيرها على النشء لا يقل أهمية عن تأثير النص المكتوب؛ إن لم يزد[٥٢].

ثانيًا: فلسفة المقرر وأهداف:

تتحدد فلسفة المقرر وأهدافه استنادًا إلى ما تضعه وزارة التربية والتعليم من معايير يستند إليها المؤلفون عند وضع المقررات الدراسية، وعادة ما تتحدد هذه المعايير فى إطار استراتيجية عامة يضعها المسئول الأول عن التعليم فى مصر (وزير التعليم). وتحدد هذه الاستراتيجية الأهداف العامة للمراحل التعليمية المختلفة والتى تنطلق منها الأهداف الخاصة بكل مادة. ويضع مؤلفو المقررات الدراسية هذه الأهداف نصب أعينهم عند وضع الكتاب[٥٣]، وسوف تتناول الباحثة -فى هذه الجزئية- الأهداف المحددة لكل طبعة فى ضوء دراسة مقدمات المقررات الدراسية الخاصة بكل طبعة على حدة.

الطبعة الأولى: يمكن تقسيم سنوات التعليم الأساسى فى تلك الفترة إلى مجموعتين: الأولى تشمل كتب المرحلة الابتدائية، والثانية تضم كتب المرحلة الإعدادية.

بالنسبة للمرحلة الابتدائية، توضح قراءة مقدمات الكتب المقررة على طلاب تلك المرحلة عددًا من النقاط من أهمها[٥٤]:

١- اهتم مؤلفو المرحلة الابتدائية بالتأكيد على أن الهدف الأساسى من المناهج هو: غرس القيم الإسلامية والعقيدة فى قلوب التلاميذ، وتدعيم الاتجاهات الروحية الإنسانية فى نفوسهم، وهو ما يتفق مع الاتجاهات العامة فى مجال التربية الإسلامية، التى ترى أن مناط التربية الإسلامية هو الاهتمام بغرس العقيدة والنواحى الروحية والوجدانية فى نفس المتلقى،

وبقدر ما تكون العقيدة قوية فى الأمة.. تكون الأمة متماسكة ملتزمة بالسلوك الذى تقتضيه هذه العقيدة[٥٥].

٢- تم التركيز فى كتب هذه المرحلة -كما يذكر مؤلفو الكتاب- على استيعاب التلاميذ لأركان الإسلام، وتنمية إيمانهم بالله الواحد، الخالق، الرازق، القادر، الكريم، مالك يوم الدين. وهو ما يحقق العبودية لله باعتباره الهدف الأساسى للتربية الإسلامية[٥٦] .ويظهر ذلك واضحًا فى الكتب المقررة على الصفوف الثلاثة الأولى من التعليم الابتدائى؛ حيث اهتمت تلك الكتب بالتعريف بأركان الإسلام الخمسة مع الربط بين العبادات وتربية النفس المسلمة، وتزويدها بقدر من الفضائل والارتباط بالجماعة المسلمة.

٣- اهتم المؤلفون بسيرة الرسول ﷺ، باعتبارها محورًا أساسيًّا فى تعليم النشء فى تلك المرحلة، وبخاصة فى الصفين الأول والثانى الابتدائى، أما فى الصفوف الثالث والرابع والخامس من المرحلة الابتدائية، فقد أضاف مؤلفو الكتاب بعضًا من سير الرسل السابقين. وجاء الاهتمام بالسيرة وقصص الأنبياء -كما يذكر المؤلفون- كوسيلة لتهذيب التلاميذ، وتنشئتهم على كريم العادات وحميد الصفات.

٤- اهتم المؤلفون فى الصفوف الخمسة بإبراز أهمية حفظ وتلاوة بعض آيات الذكر الحكيم وبعض قصار السور. وامتد هذا الهدف على طول المرحلة الابتدائية، ولم يخرج عن هذا الإجماع إلا كتاب الصف الثالث؛ حيث أشار مؤلفوه إلى اهتمامهم بتلاوة السور والآيات تلاوة جيدة مع حفظ وشرح المقرر منها، واستخلاص ما تدل عليه من قيم ومبادئ.

٥- أما بالنسبة للأحاديث النبوية فلم يظهر الاهتمام بها؛ إلا فى مقدمة كتب الصفوف الثالث والرابع والخامس؛ حيث أشير إلى أهمية التعرف على الأحاديث النبوية وحفظها وفهم معانيها؛ كجزء أساسى مكمل للعقيدة الإسلامية التى تستند إلى القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة.

٦- كذلك يشير استقراء مقدمات الكتب إلى اهتمامها بتوجيه الطلاب إلى القيم والأخلاق الحميدة التى ينبغى أن يتحلى بها الإنسان مثل: إتقان العمل، وحسن معاملة الآخرين، وآداب تناول الطعام، وآداب الطريق والمجالس والنظافة والتعاون وحقوق الجار وغيرها من القيم.

بالنسبة للمرحلة الإعدادية[٥٧]:

تعد أبرز الملاحظات الخاصة بمقدمة الكتب المقررة على المرحلة الإعدادية: هى تلك المتعلقة بوضع الكتب للصفوف الثلاثة فى المرحلة الإعدادية فى شكل سلسلة متكاملة، حيث تشير مقدمة الكتاب المقرر على الصف الثالث الإعدادى إلى أن هذا الكتاب « يكمل الكتابين السابقين، ويسير على ذات المنهج الذى يتمركز حول » المجتمع الإسلامى « رغبة فى تلبية حاجات هذا المجتمع، والتطلع معه إلى المستقبل فى إطار من الإيمان، الأخلاق، التكافل الاجتماعى ».

وقد تحددت أهداف هذه المجموعة -من المقررات- فى التأكيد على تنمية الاتجاهات الروحية والنفسية لدى التلاميذ، و تثبيت العقيدة، وهداية الناس، وتربية الوازع الدينى، وغرس حب كتاب الله فى نفوس التلاميذ، بما يؤدى إلى تنمية قدراتهم على مواجهة المتغيرات التى تفرض نفسها على المجتمع الإسلامى، والاعتصام بكتاب الله من شرور هذه المتغيرات.

الطبعة الثانية: يلاحظ من خلال قراءة مقدمات كتب التربية الدينية الإسلامية المقررة على الصفوف التعليمية لمرحلة التعليم الأساسى لتلك الطبعة ما يلى[٥٨]:

١- مقدمة الكتاب واحدة فى كافة الصفوف، مما يدل على غياب الدور الحقيقى للمؤلفين فى كتابة المقدمة، والحضور القوى لمركز تطوير المناهج والمواد التعليمية؛ كما أن المقدمة لا تعبر عن المحتوى الحقيقى للمادة محل الدراسة؛ حيث اختزلت المقدمة لتعبر عن إطار عام يضم مجموعة من القضايا العامة التى تناولتها المقررات دون تحديد دقيق لمضمون منهج كل صف. وتشير مقدمة الكتب المقررة فى تلك الطبعة إلى أن اهتمام المنهج ينصب على:

أ - تثبيت العقيدة الإسلامية فى نفوس التلاميذ، وتحبيب تلاوة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف إليهم.

ب- الاهتمام بالجانب السلوكى فى التربية الإسلامية، من خلال حث الطلاب على اتباع النهج الإسلامى فى تصرفاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية إقتداء بالرسول ﷺ وصحابته والسلف الصالح.

ج- اتباع نظام الوحدات التى تتضمن موضوعات مختلفة فى التهذيب والسيرة والقرآن الكريم والعقائد والعبادات والأحاديث، فى صورة متكاملة عند وضع الكتاب.

د- اهتمت مقدمة الكتاب -بالإشارة إلى اهتمام المؤلفين- بتنمية القدرات العقلية المختلفة لدى الطلاب من حفظ وفهم وتحليل.

٢- بالنسبة للكتب ذات الموضوع الواحد، تشير مقدمات طبعاتها إلى: أسباب اختيار هذه المؤلفات على النحو التالى:

أ- بالنسبة لكتاب « أسد الله حمزة بن عبد المطلب » المقرر على طلبة الصف الخامس الابتدائى، تشير مقدمته إلى: إعلاء قيمة الاستشهاد من أجل الأوطان ونشر نور الحق، وأن الشهادة فى سبيل الله -وإن كانت تؤدى إلى موت الشهيد- فإنها تحيى آلاف الناس وتنقذهم من الظلم والبؤس، وأن ذكرى الشهداء تظل حية لا تموت(٥٩).

ب- أما مقدمة قصة « أسماء بنت أبى بكر» والمقررة على الصف الأول الإعدادى، فَتُعلِى من قيمة الدور الذى قامت به المرأة من أجل الإسلام، وتجعل منها قدوة فى السلوك القويم، وتضعها نبراسًا للشباب، من أجل استعادة الإسلام لعظمته وتجديد شبابه(٦٠).

ج- فى مقدمة كتاب « أسامة بن زيد »، المقرر على الصف الثانى الإعدادى، يطرح المؤلفان قصة أسامة بن زيد باعتبارها « سيرة عظيمة » لأحد أبطال المسلمين، و« قدوة صالحة » ليقتدى بها الطلاب، ووسيلة لتجديد مجد العظماء واستعادة أمجاد الأمة، ثم يحدد المؤلفان الدرس الأساسى الواجب تعلمه من هذه القصة وهو: التفانى فى العمل، والكفاح، والنضال من أجل أداء الواجب(٦١).

د- فى كتاب « معجزة القرآن » للشيخ محمد متولى الشعراوى، تحدد هدف الكتاب فى: الإيمان بأن القرآن الكريم معجزة من السماء، وأن هذه المعجزة خالدة وباقية. وتظهر معجزة القرآن كما وردت فى المقدمة فى(٦٢): نزول القرآن ككتاب جامع يعالج مشاكل البشرية كلها، وأن القرآن استطاع أن يجلى الماضى ويفسر الحاضر، ويضع رؤية للمستقبل لم يسبقه إليها كتاب من قبل. ويضع الكتاب الدليل على أن: القرآن صالح لكل زمان ومكان فيما يحتوى عليه القرآن من نبوءات تتعلق بمصائر شعوب، وإحاطة القرآن بقضايا علمية لم تكتشف إلا فى الزمن القريب مثل: كروية الأرض، وعلم الأجنة، وتحديد المقصود بمفهوم الذرة.

وتشير قراءة مقدمات الكتب -السابق الإشارة إليها- إلى عدد من النتائج من أهمها

- أن مقدمات الكتب لا تعبر عن مؤلفيها وإنما تعبر عن رؤية معدى الطبعات المدرسية.
- أن الكتب الثلاثة الأولى تنتظمها قيمة واحدة هى اعتبار سير السابقين قدوة وبرهانًا على عظمة الإيمان.
- أن الكتب الثلاثة المقررة على الصفوف الخامس الابتدائى والأول والثانى الإعدادى، تعلى من قيمة التضحية فى سبيل الله، وإعلاء كلمة الحق ونشر الإسلام، سواء كانت هذه التضحية قتالاً فى سبيل الله ونزالاً للعدو كما جاء فى كتابى « حمزة بن عبد المطلب، وأسامة بن زيد »، أو عملاً من أجل خدمة الإسلام كما جاء فى قصة « أسماء بنت أبى بكر».

الطبعة الثالثة: انفردت كتب هذه الطبعة بوجود مقدمتين تحدد كل منهما فلسفة المقرر وأهدافه: **الأولى**: تعبر عن رؤية المؤلفين لفلسفة المنهج، **والثانية**: -وهى المقدمة المشتركة للصفوف الابتدائية- تعبر عن رؤية مركز تطوير المناهج.

ويلاحظ على هذه المقدمات ما يلى(٦٣):

- احتلت الأهداف الروحية والوجدانية مكانة متميزة، حيث أشارت المقدمات -الأصلية والمعدة من قبل مركز تطوير المناهج- إلى أن اهتمام هذه المناهج يتركز فى تعميق الإيمان بالله ووحدانيته والتمسك بالعقيدة وغرس الإيمان فى نفوس التلاميذ.
- جاء الاهتمام بالجانب السلوكى من العقيدة الإسلامية واضحًا فى المقدمات الأصلية للكتب والتى قام بوضعها مؤلفوها، ويظهر ذلك فى مقررات الصف الثانى والرابع والخامس الابتدائى، حيث أشارت مقدمة كتاب الصف الثانى الابتدائى إلى أن الهدف الأساسى من الكتاب: هو بناء الشخصية المسلمة السمحة تركيزًا على الجانب السلوكى فى العقيدة، كما جاء فى كتابى الصفين الرابع والخامس أن للمنهج هدفًا أساسيًّا هو إكساب التلاميذ السلوكيات الصحيحة من أجل أن ينشأ الفرد مستقيمًا، ولا يجرفه التيار إلى التطرف والانحلال.
- اهتمت المقدمات الأصلية للكتاب بالتأكيد على بعض القيم مثل: حب الوطن والانتماء

له، والتسامح والتعاون والمحبة، فى حين أضافت المقدمات الجديدة للكتب، مجموعة جديدة من المفاهيم المرتبطة -كما تشير مقدمة الكتاب- بالتغيرات التى يواجهها المجتمع مثل: البعد عن العنف، والتربية السياسية، والعمل الإسلامى الصحيح، والأمن القومى، ومحاربة التلوث. وترى الباحثة: أن مضمون هذه المقررات لم يشتمل على تأسيس المفاهيم إلا بقدر الإشارة إليها فى مربع فى بداية كل درس يتضمن أهداف الوحدة دون العثور عليه فى مضمون الكتاب بشكل مباشر.

ولم تخرج مضامين المقدمات الخاصة بكتب **المرحلة الإعدادية**[٦٤] عما سبق الإشارة إليه من التأكيد على أن الهدف الأساسى للمنهج هو: تنمية وتعميق الإيمان بالله لدى التلاميذ، مع إعطاءهم صورة واضحة ومبسطة للتصور الإسلامى للألوهية والكون والإنسان. كذلك حرص مؤلفو كتب تلك المرحلة على تضمين الكتب لعدد من المفاهيم المرتبطة -كما جاء فى المقدمة- بالسلوك الإسلامى الصحيح، مثل: الإيمان بالعلم والعدل والحرية والشورى، ورفض العنف والتطرف والإرهاب، مع التأكيد على أهمية الجهاد فى سبيل الله، والبرهنة على سماحة الإسلام.

أما بالنسبة للكتب ذات الموضوع الواحد وهى « عبد الرحمن بن عوف، وعقبة بن نافع، وأسامة بن زيد »[٦٥]، فقد تركزت فلسفة اختيارها: على أن كلا من الشخصيات الثلاث قدم للإسلام ما يجعله قدوة للشباب »؛ فعبد الرحمن بن عوف » هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان من الذين عملوا واجتهدوا، وقدموا أموالهم خدمة للإسلام وأهله، ويكنى « برجل الاقتصاد الإسلامى ». و« عقبة بن نافع » هو صحابى جليل حمل عبء الجهاد فى سبيل الله تحت راية الإسلام، وأبلى بلاء حسنًا فى الدعوة إلى الإسلام فى سماحة وعدل. وقد تعرضت الدراسة لقصة أسامة بن زيد عند تحليل مقررات الطبعة الثانية. أما الكتاب المقرر على الصف الثالث الإعدادى، وهو كتاب خواطر إسلامية فى التوعية البيئية والسكانية، فقد حدد هدفه فى تعريف الطلاب بمخاطر التلوث البيئى والزيادة السكانية على الكون، والإنسان، والحياة، من وجهة نظر إسلامية.

المبحث الثالث: مقررات التربية الدينية الإسلامية و بناء الصورة السياسية الإدراكية

يهتم هذا المبحث بدراسة وتحليل واستقراء مجموعة المفاهيم والقيم المتضمنة فى مناهج التربية الدينية الإسلامية المقررة على طلاب مرحلة التعليم الأساسى، وينطلق التحليل فى هذا المبحث من مقولة أساسية قوامها: وجود قضايا محورية ثابتة لا تخضع للتبديل، أو التغيير. ينطلق منها خطاب التعليم الدينى الممثل فى مقرر التربية الدينية الإسلامية، مع وجود مجموعة أخرى من المفاهيم السياسية، والقيم والاتجاهات والقضايا -ذات البعد السياسى- التى يتشكل حولها الخطاب الدينى، وتخضع للتغيير أو التبديل بالحذف والإضافة اتساقًا مع التغييرات التى تواجه المجتمع فى تطوره. ويتفرع من هذه المقولة مجموعة من التساؤلات:

١- ما هى القضايا المحورية التى تشكَّل حولها مقرر التربية الدينية الإسلامية خلال فترة التحليل، على مدار الطبعات الثلاث، وكيف تم التعبير عنها ؟

٢- هل طرأ على منظومة المفاهيم والقيم المتضمنة -ذات البعد السياسى- فى تلك المناهج تغير، سواء بالحذف، أو بالإضافة، أو إعادة الصياغة، بما يتفق مع المتطلبات المرحلية لكل فترة؟

٣- ما هى وضعية هذه المفاهيم فى منظومة القيم الإسلامية ؟

وسوف تحاول الباحثة الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال تحليل مضمون المقررات.

أولاً: المفاهيم السياسية المحورية فى كتب التربية الدينية الإسلامية:

يكشف تحليل المضمون الكيفى لكتب التربية الدينية الإسلامية المقررة على مرحلة التعليم الأساسى فى الطبعات الثلاث -السابق الإشارة إليها- عن وجود ثلاثة مفاهيم محورية دار حولها الخطاب التعليمى، وهذه **الفضاءات** المفاهيمية هى:

١- الإسلام عقيدة التوحيد: الإيمان بالله ووحدانيته:

إحتل مفهوم الإيمان بالله والوحدانية: مساحة كبيرة من اهتمام المقررات الدراسية فى الطبعات الثلاث، على الرغم من اختلاف المؤلفين، وتباين دائرة الاهتمام، ويرجع ذلك إلى سببين أساسيين:

الأول: أن التوحيد هو أصل الأصول الذى لا يجهله مسلم، ومنه ينطلق كل نشاط إنسانى، فالتوحيد ليس مجرد « كلمة أو قيمة عقيدية أو مفهوم دينى »، بل هو « رؤية شاملة للكون » يستشعر خلاله الإنسان وجود الله؛ مما يدفعه إلى العمل بما يرضيه، وإلى الحرص على كل ما يقربه من الإيمان ويجعله وثيق الصلة بالخالق.

الثانى: أن الطالب -وهو يتلقى دروسه الأولى فى الدين- يجب أن تتفتح مداركه على أساسيات العقيدة، والتى يعد التوحيد محورها.

ويظهر الاهتمام بترسيخ الإيمان بالله الواحد القادر الخالق، منذ السنوات الأولى لعمر الطفل، وهو ما يكشف عنه تحليل مضمون الكتب المقررة على مرحلة التعليم الأساسى فى الطبعات الثلاث على النحو التالى:

فى الطبعة الأولى: اهتمت المناهج بغرس « رؤية كلية متعالية » فى ذهن التلميذ، توضح فيها العلاقة بين الخالق والمخلوق، وتقدم له أساسيات التوحيد والعبادة(٦٦)؛ فالله واحد لا شريك له ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [سورة الإخلاص: الآية ١ - ٢] والركن الأول من أركان الإسلام هو: شهادة أن لا اله إلا الله(٦٧).

والتوحيد: دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، أو ما يطلق عليه فى أصول العقيدة: توحيد الألوهية، وهو استحقاقه -سبحانه وتعالى- أن يعبد وحده لا شريك له. والتوحيد يقتضى من المسلم إفراد الله -عز وجل- بخصائص الألوهية فى تصريف كل أمور الكون وتدبير حياة البشر؛ بحيث يعتقد المسلم: أن لا اله إلا الله، وأن لا خالق إلا الله، وأن لا رازق إلا الله(٦٨).

ويتبع ذلك - كما جاء فى مقررات تلك الطبعة - الحديث عن صفات الله (تعالى)، فالله هو الخالق الرازق القادر، فهو خالق الكون ومدبره، كما جاء فى كتاب الصف الأول الابتدائى(٦٩) ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [سورة الشعراء: الآيات ٧٨ : ٨١]، وهو الرازق « الله وحده هو الذى يرزقنا وهو الرحمن الرحيم »(٧٠). والله هو القادر، وتتجلى قدرته فى كل شىء فى الكون.. من طبيعة وإنسان، ويأتى البرهان النقلى على ذلك فى كتاب كل من الصفين الثالث والرابع الابتدائى(٧١)، فالله هو القادر الذى يملك كل أمورنا، بيده الحياة والموت،

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[سورة الملك: الآية ١]، ويستتبع ذلك علم الله بكل شيء، فالله هو السميع العليم، يرانا ويطلّع على أفعالنا، ومن ثم -كما تقرر المناهج- وجب على المسلم من تمام الإيمان، ألا يفعل ما يغضب الله، والأدلة على رؤية الله للإنسان فى كل أفعاله قائمة فى القرآن والسيرة، وفى إعمال العقل، كما جاء فى كتاب الصف الثانى الابتدائى « المسلم يسأل: ما عدد حبات الرمل وقطرات المطر وأوراق الشجر والنجوم والأسماك والطيور؟! الله الواحد الخالق العليم.. يعلم كل شيء » ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى: آية ١١]، وما قصة عمر بن الخطاب مع الفتاة الصالحة -والتى وردت فى مقرر الصف الثالث الابتدائى- حول رفضها لغش اللبن بالماء؛ إلا قبس من هذه السيرة(٧٢). كما تضمنت المقررات إشارات إلى صفات الله الأخرى مثل: العلم، والمخالفة للحوادث، والإيمان بالقدر كله خيره وشره، وتتدرج المقررات فى الحديث عن أوجه الإيمان الأخرى حسب القدرات العقلية للطلاب، وهو ما يظهر -بداية- فى الاهتمام بالمخلوقات المحسوسة مثل الأرض والبشر، ثم الانتقال إلى دعوة الطلاب إلى الإيمان بمفاهيم غيبية، مثل الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والبعث والجزاء؛ فقد جاء فى مقرر الصف الرابع الابتدائى: أن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإسلام ، وأن الملائكة خلق من نور.. كثيرون لا يعلمهم إلا الله ، لا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون ولا يلدون. ومنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل(٧٣). كما جاء فى كتاب الصف الثالث الإعدادى حديث: أن « الإيمان: أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر». والإيمان بالملائكة كما جاء فى الحديث شرط للإيمان بالكتب والرسل(٧٤). وواجب المسلم أن يؤمن بأن الله اصطفى من الناس رسلاً ليكونوا وسطاء بينه وبين عباده، ليرشدوا العقول إلى معرفة الله ،ويجمعوا كلمة الخلق على إله واحد، ويشرعوا للناس قواعد العدل، ويعلموهم الأخلاق الفاضلة والعبادات »(٧٥)، أما الإيمان باليوم الآخر والبعث والحساب؛ فيترسخ فى ذهن التلاميذ منذ البداية، حيث جاء فى كتاب الصف الثانى الابتدائى: الله يعلم كل شيء ويبصر كل شيء وتكتب الملائكة ما يفعله الإنسان ثم يحاسبه الله عليه(٧٦)، كما ورد فى كتاب الصف الثالث: أنه فى يوم القيامة تبدأ حياة جديدة لا نهاية لها، ويعود الناس أحياء ليحاسبوا على أعمالهم، وكل إنسان ينال جزاءه العادل: الجنة للطائعين، والنار للعاصين(٧٧).

وجاء فى كتاب الصف الرابع الابتدائى: المسلم يؤمن بالبعث والحساب والجزاء، فيوم

القيامة تنتهى حياة كل شىء، وينتهى العالم كله، ويموت الناس جميعًا؛ ثم يبعثهم الله مرة أخرى ليحاسبهم على أعمالهم ... والملائكة تسجل كل ما يفعله الناس، حتى إذا جاء يوم القيامة يقرأ كل إنسان ما عمله؛ ليحاسبه الله عليه »(٧٨).

ويرتبط بتمام العقيدة أداء العبادات، لذلك جاء التأكيد على الجانب التعبدى فى المقررات واضحًا على مدى الصفوف الثمانية؛ حيث أُفْرِدَتْ صفحات مطولة للحديث عن الصلاة والصوم والزكاة والحج، باعتبارها وسائل لغرس الإيمان فى نفس كل مسلم وفى حياته(٧٩).

ولم تخرج مناهج الطبعتين الثانية والثالثة عن هذا السياق؛ حيث أَعْلَتْ من قيمة التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الخالق القادر الرازق السميع البصير الغفور الرحيم، وما يستتبع ذلك من الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والبعث والجزاء والحساب، كما أفردت هذه الكتب أيضًا صفحات مطولة عن العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج. وتشير المقارنة بين الطبعات الثلاث: إلى تقارب الاهتمام بموضوعات التوحيد سواء من حيث طريقة التناول، أو المساحة المخصصة لها فى كل طبعة.

٢- الجهاد:

يمثل الجهاد أحد أهم المفاهيم المركزية فى الفقه الإسلامى، وهو فى معناه الواسع يعنى « بذل المؤمنين المشقة فى سبيل العقيدة، نشرًا ودفاعًا، وممارسة وسلوكًا والتزامًا »، وينصرف معنى الجهاد شرعًا لدى فقهاء السلف إلى نوعين: الأول جهاد النفس -أو مجاهدة النفس- وهو فرض على كل مسلم، وجزء لا يتجزأ من عقيدته الإيمانية، والثانى: الجهاد فى سبيل الله بمعنى: القتال للدفاع عن الدين ونشر دعوة الإسلام، وهو فرض كفاية إذا قام به من هو أهل له سقط فرضه على الكافة(٨٠).

وقد تضمنت مقررات التربية الدينية الإسلامية فى طبعاتها الثلاث بعضًا من الموضوعات التى تبرز معنى الجهاد بشقيه، وتعمل على تأصيله فى نفوس الطلاب.

فيما يتعلق بالجهاد بمعناه الأول أى « جهاد النفس » ، جاء فى كتب الطبعة الأولى أن من دلائل عظمة الإسلام: أن جعل جهاد النفس خلقًا ودينًا، وجعل الجهاد -من أجل تحقيق أمن

الحياة وسلامتها- صلاحًا وعبادة، وجعل نضال الإنسان -من أجل عمارة الأرض- وتقدم الحياة هدفًا[٨١]؛ فالجهاد بهذا المعنى: يشكل كل ما يقوم به الإنسان من أعمال مادام يبتغى بها وجه الله، ومن ثم يصبح التزام الإنسان بالعبادات جهادًا فى سبيل الله.

فالصلاة انتشال للمسلم من دنياه؛ ليقف بين يدى ربه سائلاً إيَّاه الهداية، والصيام جهاد للنفس وشهواتها، وصون لها من الحرمات، والزكاة مغالبة لشح النفس، تزكية للمال والروح وشكر لنعمة الله ، والحج تحمل للمكاره والمشاق، ومفارقة للأهل والعشيرة تقرُّبًا إلى الله، فالعبادات جهاد شرعه الله من أجل تقويم النفس[٨٢].

ولا يقتصر جهاد النفس على العبادات فقط، بل يتعداها إلى الجهاد فى طلب العلم والجهاد فى العمل، فالعلم كما جاء فى مقرر الصف الأول الإعدادى هو: جهاد فى سبيل الله يوصل فاعله إلى الجنة »، ففى الحديث « من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة »[٨٣].

والعمل هو أساس الحياة ، وهو جهاد من أجل إعمار الأرض، ورفع شأن الدين « الإخلاص فى العمل جهاد من أجل تعمير الأرض، والعمل على رفعة الدين »[٨٤].

كذلك احتل مفهوم الجهاد بمعناه الأول « جهاد النفس » حيزًا واسعًا فى مقررات الطبعة الثانية، فقد جاء فى كتاب الصف الثانى الإعدادى: أن الحج جهاد بالصبر على تحمل المشاق، وفراق الأهل والوطن[٨٥].

واهتمت مقررات تلك الطبعة: بإبراز العلاقة بين طلب العلم والجهاد تأسيسًا على الحديث النبوى « من خرج فى طلب العلم؛ فهو فى سبيل الله حتى يرجع »، ومن ثم يصبح طلب العلم جهادًا للنفس والعقل والبدن، وربما استدعى ذلك السفر والتكلفة والبعد عن الأهل[٨٦].

أما عن الجهاد وربطه بالعمل، فقد جاء فى كتاب الصف الثالث الإعدادى فى مقررات الطبعة الثانية: أن الاجتهاد فى العمل وإتقانه يعادل الجهاد؛ فإذا كان الجهاد فى سبيل الله يغفر للمجاهد ذنوبه، ويعود عليه بأجر من الله؛ فإن العمل المتقن يسمح لصاحبه بمغفرة الله، ومن ثم يصبح السعى على المعاش كالجهاد فى سبيل الله، فمن « بات كالاًّ من طلب الحلال بات مغفورًا له »[٨٧].

أما فى الطبعة الثالثة: فقد ربطت مقرراتها بين الجهاد والعبادة من صوم وصلاة وحج وزكاة، من خلال شرح العبادات المفروضة وحكمتها، فعلى سبيل المثال جاء فى مقرر الصف الأول الإعدادى: أن الصوم عبادة وجهاد[٨٨]، كما جاء فى مقرر الصف الثالث الإعدادى: أن الحج تدريب عملى ليكون المسلم مجاهدًا قويًّا فى سبيل الله، ويتعلم الصبر والنظام والتواضع، فهو يجهد نفسه، وينفق ماله فى طاعة الله، ويترك وطنه وأهله، ويتحمل المشاق من أجل التقرب إلى الله[٨٩].

كذلك اهتمت **الطبعة الثالثة:** بالربط بين العلم والجهاد، فطلب العلم -كما جاء فى كتاب الصف الأول الإعدادى - عبادة، والبحث عنه جهاد، وتعليمه للناس صدقة وخدمة للبشرية سواء كانت علوما شرعية أو علومًا دنيوية، وذلك انطلاقًا من الحديث النبوى « من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة »[٩٠]. كذلك جاء فى نفس الطبعة: أن العمل يعدل الجهاد، وأن الله رفع شأن العمل، ووعد العاملين بالمغفرة، ووسعت من دائرة العمل، واعتبرته كل عمل يمارسه المسلم ويعود عليه وعلى مجتمعه بالفائدة، وعلى الأمة الإسلامية بالازدهار والتقدم[٩١].

يتضح مما سبق، أن جلَّ اهتمام المقررات فى طبعاتها الثلاث فيما يتعلق بالشق الأول من الجهاد وهو جهاد النفس، انصب على ثلاثة محاور: **الأول**: الجهاد فى العبادة باعتبارها مغالبة لشهوات النفس وتقربًا إلى الله، **والثانى**: الجهاد فى العمل كوسيلة لكسب المال بما يعود بالفائدة على الشخص والمجتمع والوطن. **والثالث**: الجهاد فى العلم من منطلق أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأن أساس نهضة الشعوب هو العلم.

أما بالنسبة للجهاد بمعناه الثانى المتعلق بالقتال دفاعاً عن الدين ونشراً لدعوة الإسلام، فيظهر من تحليل مضمون مقررات الطبعات الثلاث: أن اهتمام القائمين على وضع المقررات انصب على تناول غزوات الرسول والصحابة، وصور من جهادهم فى سبيل الإسلام ونشر الدعوة، وتناولت خمسة من الكتب الستة -ذات الموضوع الواحد، مع حذف التكرارات- والمقررة على طلاب الصفوف من الخامس الابتدائى إلى الثالث الإعدادى فى الطبعتين الثانية والثالثة سيرة خمسة من المجاهدين من أجل رفعة شأن الإسلام، وانصب اهتمام المقررات -فى هذا السياق- على التأكيد على وضعية الجهاد كأفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تأكيدًا لقول

رسول الله ﷺ عندما سئل عن أفضل الأعمال فقال: «الإيمان بالله والجهاد فى سبيله». كما اهتمت المقررات بالربط بين الجهاد والشهادة، وبين مغفرة الله، وأوضحت المقررات منزلة الشهداء عند ربهم وما أعده الله لهم من ثواب، مثلما جاء فى قصة الخنساء (أم الشهداء) عن جهادها بعد إسلامها، ودفعها لأبنائها من أجل الاستشهاد فى سبيل الله، حتى إنها عندما بلغها نبأ استشهادهم احتسبتهم عند الله وقالت: «الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم، وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته»[٩٢]. وجاء الحديث عن شهداء مؤتة الثلاثة -زيد بن حارثة، وجعفر بن أبى طالب، وعبد الله بن رواحة- الذين خرجوا لقتال الروم، وعن استشهادهم فى المعركة، وعدم تخاذلهم أمام جيش الروم الجرار، وطلبهم لإحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة تعبيرًا عن نفس الفكرة[٩٣].

ومن قبيل الجهاد الإنفاق فى تجهيز الجيوش، وحمل المجاهدين فى سبيل الله من أجل لقاء الأعداء، واعتباره جهادًا يماثل لقاء العدو فى ميدان القتال[٩٤]. والجهاد فى سبيل الله أحد أهم أسباب المغفرة لمن قد يقع من المسلمين فى الزلل، والدليل على ذلك مسامحة الرسول لأحد المسلمين عن زلته فى إخبار أهل قريش عن أنباء فتح مكة محتسبًا «صدق إيمانه، وسبق إسلامه، وروعة جهاده فى سبيل الله»[٩٥].

ويشير التحليل السابق إلى عدد من النقاط المهمة التى تجدر الإشارة إليها:

(١) ارتبط الحديث عن جهاد الرسول ﷺ والصحابة فى أغلب الأحيان بوظيفتين مهمتين من وظائف الدولة هما: الدفاع عن الأمة، ونشر الدين وتأمين حرية الدعوة الإسلامية باستلهام خبرة تأسيس الأمة والفتوح الإسلامية. وجاء الدفاع عن الأمة فى الفترات الأولى من حياة الدولة الإسلامية، حتى استقر المسلمون فى شبه الجزيرة العربية بعد فتح مكة، ثم بدأت الفتوحات لنشر الدين الإسلامى، وتأمين الحرية الدينية خارج شبه الجزيرة العربية.

(٢) التأكيد على فكرة الجهاد -فى هذا الإطار- لم تتضمن حقيقة مهمة تشير إليها الدراسات المتعلقة بالعلاقات الدولية، وهو أن تاريخ العلاقات الدولية طوال الحقبة الممتدة منذ التاريخ القديم حتى الوقت الحالى، بدايات القرن الحادى والعشرين، يعبر عن علاقات القوة التى ربطت بين الشعوب والحضارات المختلفة ومن بينها الحضارة الإسلامية، حيث كانت القوة الوحيدة المتاحة فى ذلك الوقت فى ساحات القتال، وهو ما يجعل من جهاد

المسلمين من أجل الدفاع عن الأمة ونشر الإسلام طريقًا غير مبتدع، فى ذلك الوقت، وخاصة مع انغلاق الإمبراطوريتين المجاورتين دون الدعوة الجديدة »[٩٦].

(٣) الحديث عن غزوات الرسول وسرايا الصحابة وفتوحاتهم أغفل فى أغلب الأحوال جانبًا مهمًّا من جوانب الحضارة الإسلامية، وهو المتعلق بأخلاقيات الإسلام والمسلمين أثناء الحروب، والضوابط الصارمة التى وضعها الإسلام لحقوق الشعوب من أفراد ومتحاربين وأسرى فى ساحة القتال، وهو ما يضع الحروب الإسلامية فى مصاف « أكثر صيغ الفتح والدفاع رقيًا مقارنة بنماذج أخرى مثل الإمبراطورية الرومانية والاستعمار الأوروبى »[٩٧].

(٤) لم تغفل المقررات حقيقة أن دعوة الإسلام لم تنتشر بحد السيف، وأن الفتوحات الإسلامية لم تتضمن أى إكراه -من جانب القائمين عليها- على اتباع الإسلام، بل أتاحت الفتوحات فرصة واسعة لانتشار العقيدة من خلال عرضها بحرية، وترك للأفراد حرية الاعتقاد بها من عدمه من منطلق أنه « لا إكراه فى الدين »؛ كما جاء فى مقرر الصف الثالث الإعدادى طبعة ٢٠٠١ – ٢٠٠٢م « فقد أقر النبى ﷺ اليهود على دينهم فى المدينة بعد أن هاجر إليها وتبعه الصحابة فى هذه السنة الحميدة، فتركوا لأهل الأقطار التى فتحوها حرية البقاء على دينهم أو الدخول فى الإسلام »[٩٨].

(٥) لم تُغفل المقررات -أيضًا- حقيقة أن الإسلام هو دين السلام[٩٩]، وهو ما يتفق مع أساس النظرية الفقهية المحدثة، من اعتبار أن السلم هو أساس العلاقة بين المسلمين وغيرهم، استنادًا إلى أسس شرعية فى القرآن والسنة، ترجح السلم وتربط القتال بالدفاع عن النفس ودرء الفتنة ودفع الظلم[١٠٠]؛ لذا جاء صلح الحديبية تعبيرًا عن « بعد نظر الرسول وسداد رأيه وكان فتحًا عظيمًا، وأتاح الصلح للمسلمين التفرغ لنشر الدعوة الإسلامية فى الجزيرة العربية، وبهذا الصلح انتشر أمر الإسلام وكثر المسلمون، وازدادت قوتهم، وظهر أن فيه خيرًا كثيرًا للإسلام والمسلمين »[١٠١].

٣- الهوية الإسلامية:

يأتى اهتمام مقررات التربية الإسلامية بإبراز الهوية الإسلامية للأمة فى كل مظاهر الحياة واضحًا فيما تضعه هذه المقررات من موضوعات تتعلق بالمعتقدات والعبادات والمعاملات والأخلاقيات التى يجب أن يتحلى بها المسلم ويلتزم بها امتثالاً لجوهر الإسلام. وقد

أفردت المقررات فى الطبعات الثلاث حيزًا كبيرًا فيها للحديث عن مفهوم الوحدانية -وما يتبعه من صفات- التزامًا بتفريد الله بالألوهية -كما عرض سابقًا- كما أفردت مساحات كبيرة للحديث عن العبادات بما فيها من طهارة ووضوء وصلاة وزكاة وحج وصيام وأحكامهم وأوقاتهم وشروطهم. واهتمت المقررات أيضًا بإفراد جانب كبير منها للحديث عن الآداب الإسلامية؛ مثل آداب الحديث والطعام والاستئذان وحسن المعاملة والصدق والسماحة فى البيع والشراء، والكلمة الطيبة والوفاء بالعهد، واحترام المواعيد وعدم الغش والتعاون، وغيرها من الآداب التى لا يخلو مقرر من المقررات فى مراحل التعليم المختلفة من الحديث عنها، والدعوة إلى الالتزام بها. كذلك تتضمن هذه المقررات مجموعة من القيم والفضائل الإسلامية التى يحرص عليها الإسلام، مثل الاعتدال والأمانة والصدق والتراحم ورعاية حقوق الأهل والجار(١٠٢).

إلا أن أبرز الموضوعات والقضايا التى تعرضت لها المقررات فيما يتعلق بالهوية الإسلامية، هو ذلك الجزء الخاص بأمة الإسلام، باعتبار مفهوم الأمة أحد المفاهيم الأساسية التى يقوم عليها الفكر الإسلامى، والذى يعتبره البعض إسهامًا قيمًا أضافته الحضارة الإسلامية لمجموعة الأطروحات الفكرية الخاصة بما يطلق عليه اسم فكر المجموعات(١٠٣).

ويستقى مفهوم الأمة الإسلامية وجوده من القرآن الكريم والسنة، وفى إطاره وضعت مجموعة من القواعد التى تحدد حقوق وواجبات كل فرد من أفراد الأمة وعلاقتهم بغيرهم(١٠٤).

ويبدأ الحديث عن مفهوم الأمة بالإشارة إلى أساسها العقدى، وهو الرابطة الإيمانية التى تعلوعلى أى رابطة أخرى سواء كانت قبلية أو قومية أو وطنية. فكما جاء فى كتاب أسماء بنت أبى بكر « أن رابطة الإيمان أقوى من أى رابطة أخرى، فالجميع أهل فى الله وأحباء فى الله، الفرد يعمل من أجل الجماعة، والجماعة فى خدمة الفرد »(١٠٥)، وهو تأكيد لما جاء فى كتاب الصف الثالث الإعدادى طبعة ١٩٨٨م من أن « المسلم فى مصر مرتبط بكل مسلم على ظهر الأرض برباط الإيمان »، وما جاء فى كتاب الصف الثانى الإعدادى طبعة ٩٢- ١٩٩٣م من رفض ابنة أبى سفيان استقبال أبيها فى دارها عند فتح مكة، تفضيلاً لرابطة الدين على رابطة الأبوة(١٠٦).

ومن هذا المنطلق الإيمانى وتطرح المقررات بعضًا من الأسس التى يجب أن تتوافر من

أجل قيام هذه الأمة، كما تشير إلى طبيعة الأمة الإسلامية انطلاقًا من دراسة تطورها التاريخى، وذلك على النحو التالى:

(١) الالتزام بتعاليم الإسلام ومبادئه وقيمه، فقد جاء فى مقرر الصف الأول الإعدادى طبعة ١٩٩٢م أن أساس قيام الأمة هو «الاجتماع على دين الله وعدم التفرق حتى يكتسب المسلمون بهذا الاتجاه قوة ونماء، وحتى تنجو الأمة من المهالك بالتفافها حول دين الله»[١٠٧]، وهو نفس المعنى الذى ورد فى مقرر الصف الثالث الإعدادى طبعة ١٩٨٨م، حيث جاء أن التمسك بالإسلام، ومعرفة حدوده ومسئولياته.. هو أساس قيام المجتمع القوى الصلب المتماسك المتعاون[١٠٨].

(٢) إقامة المجتمع الإسلامى على أساس من الاتحاد والحب والمودة والرحمة والتعاون، فقد جاء فى كتاب الصف الخامس الابتدائى طبعة ١٩٨٨م، أن المجتمع المسلم مجتمع متعاون، يتعاون كل أفراده على الخير، وتتحد قلوبهم على حب الله وطاعته، ويقفون صفًّا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص[١٠٩]. كما جاء فى كتاب الصف الخامس الابتدائى طبعة ١٩٩٢م أن الاتحاد قوة للمؤمنين جميعًا، والتفرق ضعف، وأن المجتمعات الإسلامية يجب أن تتعاون وتكمل بعضها البعض؛ لأن تفرقهم بعد عن الإيمان[١١٠]. وجاء فى كتاب الصف الثانى الإعدادى لنفس الطبعة: أن الإسلام يحرص على إقامة المجتمع الفاضل الذى تربط بين أبنائه علاقات المودة والحب، وأن التآلف والحب والمودة من صفات المجتمع الفاضل الذى ينشده الإسلام[١١١].

(٣) فيما يتعلق بطبيعة الأمة الإسلامية، تشير المقررات الدراسية فى طبعاتها الثلاث إلى النقاط المهمة التالية[١١٢]:

أ) الأمة الإسلامية ليست وليدة اليوم؛ بل هى تضرب بأصولها التاريخية منذ أن وضع الرسول ﷺ الأساس لقيام دولة إسلامية فى المدينة المنورة، وبدأ ينظم الحياة فيها وآخى بين المهاجرين والأنصار، وجعل من مجتمع المدنية مجتمعًا آمنًا يعيش فى سلام بعقده معاهدة مع اليهود الموجودين فى المدينة تتضمن حسن الجوار والدفاع المشترك. وبذلك يكون الرسول قد وضع اللبنة الأولى لقيام الأمة على أساس من الإخاء والمساواة والتعاهد مع غير المسلمين.

ب) الأمة الإسلامية لم تفتئت على غيرها من الأمم؛ بل كانت حروبها فى الأساس تأمينًا لسلامة الدولة؛ فلقد « حارب المسلمون الروم لتأمين حدود الدولة الإسلامية من ناحية الشام ».

ج) انتقال المسلمين من مكان إلى آخر: كان لإعلاء كلمة الحق والإسلام، والقضاء على الوثنية والكفر، وإقامة أساس الدولة الإسلامية، « فالمسلمون فتحوا مكة » للقضاء على الوثنية فيها، ولجعلها العاصمة الكبرى للدولة الإسلامية. « وقد أمر الله سبحانه وتعالى النبى بالهجرة إلى المدينة ليكون مع المسلمين ولينشر دين الإسلام ».

د) الحضارة الإسلامية ما هى إلا نبت من شعاع الأمة التى ازدهر فيها العلم ازدهارًا كبيرًا، وما الحضارة التى تعيشها أوروبا الآن إلا قبس من الحضارة الإسلامية.

الأمة الإسلامية بهذا المعنى تجمعها الرابطة الإيمانية ودستورها القرآن الكريم وهدفها إعلاء كلمة الحق، وهى تضرب بأصولها منذ بداية نزول الوحى، ووضع الرسول ﷺ لأساس قيام الدولة الإسلامية الأولى فى المدينة، وهو ما عبَّرت عنه المقررات الدراسية فى طبعاتها الثلاث.

ثانيًا: منظومة القيم السياسية للأمة الإسلامية فى مقررات التربية الدينية الإسلامية:

تحاول الدراسة فى هذه النقطة: الإجابة عن التساؤلين السابق طرحهما حول: التَّغيرات التى طرأت على المقررات فيما يتعلق بمعالجة منظومة القيم والمفاهيم السياسية المتضمنة فى المناهج الدراسية، سواء بالحذف أو الإضافة أو إعادة الصياغة، ووضعية هذه المفاهيم فى منظومة القيم الإسلامية، وقد رصدت الباحثة عددًا من القيم والمفاهيم السياسية التى تعرضت لها المقررات الدراسية موضع البحث، والتى تدخل فى سياق منظومة القيم السياسية لأُمة الإسلام، وهذه المفاهيم هى: أسس الحكم فى الإسلام، الإسلام.. والقضايا الاجتماعية والاقتصادية.. الموقف من المرأة.. الموقف من الآخر.. الحقوق والحريات.

أولاً: أسس الحكم فى الإسلام:

يستمد نظام الحكم فى الإسلام أسسه من شريعة الإسلام؛ كما تتجلى فى مصدريها: القرآن الكريم، وصحيح السُّنة النبوية، وركزت المقررات محل البحث على ثلاثة من المفاهيم السياسية فى معرض بيانها لأسس الحكم فى الإسلام وهى: الشورى والعدل والحرية على التفصيل التالى:

١- الشورى

يعد مبدأ الشورى أصلا من أصول الأحكام الشرعية، وقاعدة من قواعد الحكم فى الإسلام، ويقصد بها حق الجماعة فى الاختيار وتحمل مسؤلية قراراتها فى الشؤون العامة، وقد شُرِّعت الشورى كوسيلة لتحقيق العدل وتنفيذ مقاصد الشريعة، وعادة ما يُقرن مبدأ الشورى بالمفهوم الغربى عن الديمقراطية، وقد تناولت مقررات التربية الإسلامية المقررة على طلبة التعليم الأساسى هذا المبدأ باعتباره قيمة محورية فى الإسلام، وذلك على النحو التالى:

- برز مفهوم الشورى أو مبدأ الشورى فى الطبعة الأولى: فى إطار الحديث عن مشاورة الرسول ﷺ للمسلمين فى غزواته، فقد جمع الرسول ﷺ أصحابه لمشاورتهم فى شأن الخروج لقتال المشركين فى بدرٍ، وشاور أصحابه فى اختيار المكان الذى ينزل فيه الجنود « وهكذا يطبِّق الرسول مبدأ الشورى الذى يدعو إليه الإسلام »، ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الشورى: الآية ٣٨][١١٣].

وفى غزوة أحد: استشار الرسول ﷺ أصحابه، فكان من رأيه أن يتحصن المسلمون داخل المدينة، لكن الأكثرية طلبت الخروج لملاقاة العدو؛ فوافق الرسول ﷺ على رأى الأغلبية « تمسكا بمبدأ الشورى »، على الرغم من عدم اتفاق الرسول ﷺ مع ما ذهبوا إليه من رأى. ومن ذلك أيضًا هدى الرسول ﷺ فى غزوة الأحزاب بالأخذ بمشورة سلمان الفارسى بحفر خندق حول المدينة؛ مما كان له الأثر الكبير فى إحداث النصر[١١٤].

وكان أبرز ما جاء فى تلك المقررات عن مبدأ الشورى: ما جاء فى مقرر الصف الثانى الإعدادى من التأكيد: على أن أساس تشريع هذا المبدأ هو القضاء على نزعات الاستبداد الفردى لدى الحكام، وأن يصبح الجميع شركاء فى الحكم[١١٥] . ويكشف تحليل مضمون الإشارات السابقة إلى ما يلى:

أ) أن مقررات الطبعة الأولى: اهتمت بإبراز مبدأ الشورى فى أمور الحرب والسلم، وهو ما يتفق مع بعض الآراء الفقهية التى ترى: أن الشورى جائزة فى كافة الأمور مع ضرورة التمييز بين مسائل الشورى المختلفة؛ سواء كانت مسائل تشريعية ذات صِبغة فقهية، أو مسائل فنية خالصة، أو مسائل عامة، أو مسائل تتعلق بفئات بعينها[١١٦].

ب) الاهتمام بالإشارة إلى أخذ الرسول ﷺ برأى الأغلبية، حتى لو لم يتفق هذا الرأى مع رأيه؛ كما حدث فى غزوة أحد، وهو ما يعبِّر عن عدم استئثار الرسول ﷺ بالرأى وهو الموحَى إليه.

ج) أن تشاور رسول الله ﷺ لم يقتصر على الصحابة فقط؛ بل تعداهم إلى جميع المسلمين، وهو ما يتفق مع الرأى الفقهى الذى يرى: أن الأمة فى مجموعها أهل للشورى، وأن تفاوت درجة الوجوب يختلف باختلاف المسألة محل الشورى، وأهلية المشورين.

د) ربطت مقررات الطبعة الأولى: بين الشورى ونظام الحكم؛ حيث جعلتها مناط التفرقة بين الحكم الصالح والحكم الاستبدادى، وجعلت من الناس جميعًا شركاء فى المسئولية، وهو ما يتفق مع أساسيات الحكم فى النُّظم السياسية المعاصرة.

- فى الطبعة الثانية: لم يخرج الحديث عن مبدأ الشورى عما سبقت الإشارة إليه فى الطبعة الأولى فيما يتعلق باستشارة الرسول ﷺ للصحابة فى بعض أمور الأمة، إلا فى توسيع نطاق التعريف بممارسة الشورى، ليشمل عددًا من القضايا التى احتكم فيها الصحابة والتابعون لمبدأ الشورى فى اتخاذ قراراتهم؛ مثل عمر بن عبد العزيز الذى آمن بمبدأ الشورى، ووسع من قاعدة الاستشارة، وجعلها محورًا أساسيًّا من محاور حكمه(١١٧). ويلاحظ فى هذه الطبعة قصور واضح فى التعريف بالشورى.. كأحد أهم أساسيات الحكم فى النظام الإسلامى.

- أما فى الطبعة الثالثة: فقد أفرد مقرر الصف الثالث الإعدادى مساحة مطولة للحديث عن مبدأ الشورى؛ باعتباره أحد المبادئ التى يقوم عليها نظام الحكم فى الإسلام ضمن درس كامل يتحدث عن الإسلام والنظام السياسى، جاء فيه(١١٨):

أ) تعريف الشورى: بأنها استعانة الحاكم برأى غيره من الحكماء والعلماء وذوى الخبرة وأهل الرأى، للوصول إلى أصح الآراء فيما يصادفه من مشكلات.

ب) التأكيد على أن الدين الإسلامى: حث المسلمين على الاستمساك بهذا المبدأ واتخاذه أساسا للحكم، انطلاقا من الآية الكريمة ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [سورة الشورى: الآية ٣٨].

ج) حددت المقررات مناط تحقيق الشورى فى أمرين: **الأول**: اختيار الحاكم ومبايعته على الطاعة، **والثانى**: مشاورة الحاكم للشعب فى أموره والأخذ برأيه، مادام هذا الرأى صالحًا، وبهذين العنصرين يتجسد مبدأ الشورى.

د) وسعت المقررات من نطاق الشورى: ليتصل بكل ما يتعلق بأمور الحياة « فيما لم ينزل به وحى »، ومن ثم يصبح الأمر شورى بين المسلمين فى جميع الأمور التى لا وحى فيها.

هـ) أشارت المقررات: إلى نماذج من تطبيق الشورى فى حياة المسلمين[١١٩]؛ بدءًا بالرسول ﷺ الذى قام بتطبيق مبدأ الشورى فى غزواته وفى حروبه، ووقت السلم عند استشارة زوجته أم سلمة فى صلح الحديبية، كما ورد فى نفس الطبعة ما يفيد استشارة الخلفاء الراشدين -أهل الرأى والخبرة- فى الأمور السياسية من: اختيار الحكام والولاة، وفى الأمور العسكرية من: تسيير للجيوش وتوزيع الغنائم وغيرها من الأمور، مثلما استشار الخليفة « عمر بن الخطاب » « عبد الرحمن بن عوف » فى القطع بالرأى فى أمر الطاعون.. وتذكر تلك المقررات أن كلاً من « أبى بكر وعمر» عقدا مجلسًا للشورى؛ بحيث لا يقضى أمر من أمور المسلمين، ولا يوضع قرار أو يلغى قرار قائم إلا بعد عرض الأمر على المجلس والاستئناس برأيه، والوصول إلى أفضل قرار.

و) توضح المقررات نماذج من تطبيق الشورى فى مجال الحكم ونموذجها البيعة. فإذا نظرنا إلى بيعة أبى بكر بعد وفاة النبى، وبيعة عمر وبيعة عثمان وبيعة على، وجدنا الناس يجتمعون ويختارون خليفتهم ثم يبايعونه[١٢٠]. حيث اعتبرت المناهج أن مبايعة المسلمين لأبى بكر وعمر وعثمان تعبيرًا عن الشورى، وذلك على الرغم من اقتران البيعة بالاستخلاف؛ إلا أن الكلمة الأخيرة كانت للمسلمين، مثال ذلك استشارة أبى بكر لعبد الرحمن بن عوف فيمن يوليه الخلافة من بعده، وكان رأيه إسنادها إلى عمر بن الخطاب، لكنه لم يرد أن يفرضه على الناس .. فلجأ إلى المشورة لتكون توليته باختيار المسلمين ورضاهم[١٢١].

ز) اهتمت مقررات تلك الطبعة بالتأكيد على عدم التفرقة بين المرأة والرجل فيما يتعلق

بتطبيق مبدأ الشورى، فقد أخذ الرسول ﷺ برأى زوجته أم سلمة فى صلح الحديبية، حين أشارت عليه بأن يخرج إلى أصحابه ثم يذبح هديه « وهذا دليل على أن رأى المرأة يعمل به إذا وافق الصواب »[١٢٢].

يتَّضح مما سبق أن جلَّ الاهتمام بمبدأ الشورى باعتباره مبدأ حاكما للعلاقة بين الحاكم والمحكوم تركز فى مقررات الطبعة الثالثة، وذلك على الرغم من ورود إشارات واضحة عن الشورى، وتطبيقاتها فى الطبعتين الأولى والثانية. وقد ارتبط هذا الاهتمام بالتغيرات التى طرأت على المجتمع الدولى فيما عرف باسم هبوب رياح الديمقراطية أو « الموجة الثالثة من الديمقراطية »، والتى فرضت نفسها على النظام السياسى المصرى، مما استدعى محاولة استخلاص رؤية إسلامية -مستقاة من تعاليم الإسلام- توضح أسس الرؤية الإسلامية لنظام الحكم، وبما يقارب بين الديمقراطية كمفهوم غربى، وبين الشورى كمبدأ إسلامى أصيل، وهو ما ظهر واضحًا فى مقررات الطبعة الثالثة؛ إلا أنه يلاحظ أيضًا أن الحديث عن مبدأ الشورى لم يتضمن مقاربة حقيقية لكيفية تطبيق هذا المبدأ أو التعريف بالمؤسسات المؤهلة للقيام بهذا الدور فى الوقت الحالى، ولو ببعض الإشارات الموجزة، وبما يتناسب مع المراحل العمرية للطلاب.

٢- العدل

العدل أساس الحكم فى الإسلام، والحكم مما لا يقوم الدين إلا به، حتى ينتشر الأمن بين العباد، وتقوى علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتزيد الثقة بين الحاكم والمحكوم، ويستقر نظام الحاكم[١٢٣]. ومن هذا المنطلق: يعد العدل أحد القضايا المحورية الواجب تناولها فى مقررات التربية الإسلامية، ويشير تحليل مضمون المقررات الدراسية فى هذا الخصوص إلى ما يلى:

أ) لم يحظ مفهوم العدل فى الحكم باهتمام كاف فى مقررات الطبعة الأولى؛ حيث اقتصر مفهوم العدل فى الحكم فى الطبعة الأولى على الإشارة إلى سيرة الخليفة « العادل » عمر بن الخطاب[١٢٤].

ب) فى الطبعة الثانية: جاءت الصورة أكثر تحديدًا؛ حيث تحددت صورة الحاكم الصالح بأن « يكون حريصًا على أن يحكم بين الناس بالعدل والحق »[١٢٥]. وأن يبدأ أولو الأمر بتطبيق العدل على أنفسهم، ومثال ذلك موقف الرسول ﷺ من أسامة بن زيد عندما

تشفع لديه فى شأن المرأة المخزومية التى سرقت، وإعلاء الرسول ﷺ لكلمة الحق بقوله « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »[١٢٦].

جـ) فى الطبعة الثالثة: جاء الحديث عن العدل مرتين: **الأولى**- كان الحديث بصورة سلبية بمناسبة الحديث عن حكم فرعون لقومه بطريقة استبدادية ظالمة، وعن وجود ملك ظالم جبار كان الناس يخافونه ويعبدونه ولا يخافون أوامر الله[١٢٧]، **الثانية**- عند الحديث عن العدالة باعتبارها أحد أهم أسس الحكم فى الإسلام؛ حيث جاء فى مقرر الصف الثالث الإعدادى[١٢٨] أن العدالة هى قوام الحكم فى الإسلام، والإسلام يدعو إلى الحكم بين الناس بالعدل، ويدعو القائمين على أمور الناس إلى الحكم بينهم بالعدل، ويشمل ذلك أولى الأمر والقضاة والآباء فى أسرهم مصداقًا لقوله (تعالى) ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [سورة النساء: الآية ٥٨]. كذلك جاء فى نفس المقرر أن العدالة تقتضى أن يكون الناس أمام التكاليف الدينية والحريات السياسية سواء، وهم سواء فى وظائف الدولة، والعدالة الاجتماعية مكفولة للجميع. إن العدالة بهذا المعنى مرادف للمساواة؛ فالعدل يقتضى عدم التفرقة بين الأفراد والتسوية بينهم فى الحكم وفى الخضوع لأحكام الشرع، لا فرق بين المسلم وغير المسلم، وهو ما حرصت مناهج هذه المرحلة على إبرازه، واعتبرت المقررات أن العدل هو الوسيلة المثلى لقيام المجتمع السليم المتماسك، الذى تتحقق فيه مصالح الأفراد والجماعات؛ لأن اختفاء العدل معناه زيادة المظالم وكثرة الفتن، وفى وجود العدل يطمئن الناس فيعملون آمنين، وينامون آمنين وتتاح لهم الفرصة لتحقيق أهدافهم وغايات المجتمع، ويعيش المجتمع فى استقرار.

٣- الحرية

تعد الحرية إحدى القواعد الأساسية التى يقوم عليها نظام الحكم فى الإسلام، والحرية بمعناها الإسلامى هى: ممارسة الشخص لأقواله وأفعاله بإرادته، دون أن يكون عبدا لغير الله، ولا يرجو أو يخشى إلا الله، ويربط البعض بين الحرية -كقيمة- والعدالة؛ « فالحرية قيمة تتشكل وتتبع قيمة العدالة »، وهى مفتوحة فى الإسلام بشرط أن تكون فى إطار مبادئه وألا تحدث ضررا للآخرين. وتتحدد خصائص الحرية فى الإسلام فيما يلى[١٢٩]:

أ) الحرية منحة من الله منحها الله لعباده. وهى ليست منحة من مخلوق لمخلوق، ومن ثم لا يجوز انتقاصها أو السطو عليها من قبل الحكام.

ب) الحرية مقيدة بعدم الإضرار بمصالح الجماعة تطبيقًا لمبدأ: لا ضرر ولا ضرار.

ج) الحرية تشمل كل ما يمكن أن يتمتع به الإنسان من حريات، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.

ومن هذا المنطلق تحددت مجموعة الحريات التى يجب على الحاكم احترامها، وعلى الشعب ممارستها فى: حرية العقيدة أو حرية الفكر وحرية إبداء الرأى والمشاركة، بالإضافة إلى الحريات الاقتصادية مثل حرية (حق) التملك، وحرية العمل. وتشير قراءة مقررات مناهج التربية الإسلامية، إلى اهتمامها بإبراز معنى الحرية كحاكم أساسى للعلاقة بين الحاكم والمحكوم فى الدولة، ومن أهم ما تناولته المقررات الدراسية من حريات: حرية العقيدة وحرية الرأى؛ باعتبارهما لصيقتى الصلة بأسس الحكم، وإدارة نظام الدولة.

أ- حرية العقيدة: جاء الاهتمام بحرية العقيدة واضحا فى مقررات الطبعات الثلاث انطلاقًا من قوله (تعالى) ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٥٦]؛ أى لا يكره أحد على الدخول فى دين الإسلام، ويستتبع ذلك اعتبار كل عمل يتأسس على الإكراه مهدورًا فى المنظور الإسلامى، حيث أعطى الإسلام لكل فرد حرية الاختيار، ففى منهج الصف الثالث الإعدادى طبعة ١٩٨٨م[١٣٠] جاء أن الإسلام عندما تم له الانتصار على الشرك مدافعًا عن كلمة الله «ترك حرية الدخول فيه لمن يريد طائعًا مختارًا، وأنه من مفاخر الإسلام على البشرية؛ أنه حرص على العقيدة كحق من حقوق الإنسان، فجعل من حق كل إنسان أن يعتنق ما يشاء من العقائد السماوية، أو يجهر بها ويقيم شعائرها ويدافع عنها .. وليس لأحد أن يجبر أحدًا على ترك عقيدته، أو يمنعه من أداء شعائرها، أو يؤذيه بسببها، كما جاء فى نفس المقرر، أن الإسلام لا يرى أن العقيدة صحيحة؛ إلا إذا جاءت نتيجة تفكير حر واقتناع كامل، ومن منطلق حرية العقيدة، أمر الإسلام أبناءه بأن يعاملوا غير المسلمين الذين يقيمون فى جوارهم معاملة تؤكد هذه الحرية، وتحقق المساواة بين المسلمين وغير المسلمين، من ذلك قوله (تعالى) ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ [سورة الممتحنة: الآية ٨] وقول رسول الله ﷺ «من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»[١٣١].

أما فى **الطبعة الثانية**، فقد جاء فى مقرر كل من الصفين **الأول والثانى** الإعدادى[١٣٢] أن الإسلام أباح حرية العقيدة الدينية، فلا يرغم غير المسلم على ترك دينه واعتناق الإسلام، وأباح الإسلام مجادلة أهل الديانات الأخرى بالتى هى أحسن، حتى يكون الاقتناع عن طريق دفع الحجة بالحجة والدليل بالدليل، استنادًا لقوله (تعالى) ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [سورة النحل: الآية ١٢٥].

كما أن الرسول ﷺ طبق هذه المبادئ مع غير المسلمين، « وأقر اليهود على دينهم وأموالهم، وحذر من الاعتداء عليهم، وسار على نهجه الخلفاء الراشدون، وترك غير المسلمين على دينهم. ولم يجبر أحدًا على الدخول فى الإسلام فى البلاد التى فتحها المسلمون.

وفى **الطبعة الثالثة**: تكثف التأكيد على حرية العقيدة؛ ففى المرحلة الابتدائية: ظهر التأكيد على أن الإسلام دين الحرية، وأنه يدعو إلى حرية الاعتقاد، وأن الرسول ﷺ قد ترك أهل المدينة على معتقداتهم، وأقام معهم عهدًا بمقتضاه أقر لهم حرية العبادة، وبهذا العهد ظهر أول وطن يتمتع أبناؤه بحرية العبادة؛ مما يبرهن على أن الإسلام دين الحرية والمساواة[١٣٣].

ومن منطلق حرية العقيدة تقرر مناهج تلك الطبعة: أن الإسلام لا يرغم أحدًا على ترك دينه؛ لأنه لا إجبار لأحد على الدخول فى الدين، وأن الإسلام اعتمد الحوار أسلوبًا فى الدعوة للدين « إن الذى يدعو إلى الإسلام يجب أن يكون حكيمًا فى أقواله، لينًا فى أفعاله، يحاور الناس بالكلمة الرقيقة التى تستميل قلوبهم للإسلام، ويجادلهم بالبراهين والحجج الواضحة »[١٣٤]، حتى يكون اعتناق الناس للإسلام ناشئًا عن الاقتناع الصحيح، حتى إن الإسلام -فى إعطائه للرجل حق القوامة- لم يجبر المرأة الكتابية المتزوجة من مسلم على اعتناق الإسلام أو منعها من أداء عبادتها وشعائر دينها، وهو برهان على احترام الإسلام لحرية العقيدة. ويأتى البرهان الآخر من إقرار الرسول ﷺ لأهل المدينة على دينهم ومتابعة الصحابة له فى هذه السنة الحميدة « فتركوا لأهل الأقطار التى فتحوها الحرية فى البقاء على دينهم أو الدخول فى الإسلام »[١٣٥]، كما جاء فى منهج الصف الأول الإعدادى[١٣٦] « أن الإسلام حريص على أن يتعامل أبناء الوطن الواحد كما يتعامل أفراد الأسرة الواحدة، وأن من حق كل إنسان أن يمارس شعائر دينه ويؤديها بحرية، فحين فتحت مكة تعامل فيها المسلم وغير المسلم فى أخوة وطنية تظللهم جميعا رعاية الإسلام ».

ب- حرية الرأى: يقصد بحرية الرأى أن يكون من حق الإنسان المساهمة فى إبداء رأيه فى كل ما يخص المجتمع، وتستند حرية الرأى فى الإسلام إلى أساسين: **الأول الشورى**: وتعنى عدم الاستبداد بالرأى، وتوسيع دائرة المشاركة فى القرار، وإعطاء الحق لأفراد المجتمع للتعبير عن رأيهم بحرية، مثل المساهمة بالرأى فى اختيار الحاكم، وفى تقديم النصح، وفى الإدلاء بالرأى فى توجيه السياسة العامة للدولة، وهو شكل من أشكال المشاركة السياسية، **والأساس الثانى**: تكليف كل مسلم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو أيضًا أحد المفاهيم البارزة فى الفكر السياسى الإسلامى، والتى تقترب من مفهوم المشاركة السياسية المتعارف عليه فى الديمقراطيات الغربية(١٣٧).

وقد جعل الإسلام -كما يؤكد مقرر الصف الثالث الإعدادى طبعة ٢٠٠٠م- من أسمى مظاهر الحرية السياسية: أن يجابه المسلم الحكام برأيه فى سياستهم « لا يمنعن رجلا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه »(١٣٨).

واهتمت المقررات بالتأكيد على أهمية حرية الرأى بصفة عامة أكثر من اهتمامها بالحديث عن مشاركة المسلم فى إدارة شئون الدولة عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وتشير قراءة المقررات الدراسية فيما يخص هذه الجزئية إلى ما يلى:

- جاء الاهتمام بالتأكيد على ضوابط حرية الرأى فى الطبعتين الأولى والثالثة؛ حيث جاء فى مقرر الصف الثالث الإعدادى، -الطبعة الأولى- أن الإسلام يشترط الإعلان عن الرأى بالأسلوب المهذب والحجة الواضحة التى تقنع عقول الناس وقلوبهم، مع سعة الصدر فى المناقشة والنزاهة فى النقد ومعرفة واسعة بكل جوانب هذا الرأى »(١٣٩). أما فى الطبعة الثالثة: فقد ركز كتاب الصف الثالث الإعدادى على البعد الوظيفى لحرية الرأى، « حرية الرأى من أهم الوسائل لرقى المجتمع؛ إذ تتيح لأصحاب العقول الرشيدة والآراء السديدة أن يشاركوا فى سياسة الأمة، ويسهموا فى حل مشكلاتها »(١٤٠). ومن الواضح أن كلا من الطبعتين اتخذت منهجًا للتعبير عن رأيها يتفق مع الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة وقت صدورها؛ ففى حين أشارت الطبعة الأولى إلى ارتباط حرية الرأى باستخدام الأسلوب السلمى فى التعبير عنها، ومقارنة الحجة بالحجة؛ جاءت الطبعة الثالثة: لتعبر عن سيادة فكر المشاركة وتوسيع قاعدة الرأى كأساس لإقامة الإصلاح والتعبير عن انتشار فكر الديمقراطية.

- قرنت المقررات فى طبعتها الأولى والثالثة بين حرية الرأى وحرية التفكير؛ فالإسلام

الذى دعا الإنسان إلى استخدام العقل فى التعرف على أسرار الكون، وأقر حقه فى أن يفكر تفكيرًا مستقلاً فى جميع شئون حياته؛ حتم عليه ألا يجعل لمخلوق سلطانا على عقله، ويستتبع ذلك الربط بين إقرار حق الإنسان فى التعبير عن رأيه وبين قدرته على التفكير(١٤١).

- جاء الحديث عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مقررات كلتا الطبعتين -الثانية والثالثة- ضمن شرح الحديث النبوى الخاص بتغيير المنكر، وقد حدد شرح الحديث مراتب تغيير المنكر فى ثلاث:

الأول: باليد لمن يقدر على تغييره باليد، وقرن المقرر بين رؤيته للمنكر وتغييره باليد؛ كما حدث من جانب أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

الثانى: استخدام اللسان توجيها وإرشادًا عندما يعجز عن التغيير باليد. وهذا العجز يتمثل فى حالة عدم وجود ولاية لمن يريد تغيير المنكر، وعليه فى هذه المرتبة ألا يكون قاسيًا غليظًا؛ بل لينا رقيقًا يلتزم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن.

الثالث بالقلب: فيبتعد عن مقترف المنكر ويبغضه من قلبه ولا يقره على ما هو عليه، وفى الحالات الثلاث: ينبغى على من يقوم بمقاومة المنكر، ألا يؤدى إنكاره ومقاومته إلى حدوث مفسدة أشد من المنكر، كأن يخشى على حياته(١٤٢). ومن الواضح فى هذا الاقتباس أن رسالة المشاركة فى تغيير المنكر -كما جاءت فى مقررات هاتين الطبعتين- اقتصرت على بعد واحد فقط، وهو المتعلق بتفسير مفهوم «تغيير المنكر»، دون التطرق للشق الأول من الحديث «الأمر بالمعروف»، ويمكن القول: أن مضمون الرسالة اقترن بممارسات الجماعات الإسلامية المتشددة التى قامت بارتكاب عدد من جرائم العنف فى التسعينيات من القرن الماضى، بدعوى تغيير المنكر باليد. ومن ثم خرج مضمون هذه الرسالة عن المفهوم الإسلامى الأعم والخاص بإدارة شئون الدولة فى إطار من النصح والتوجيه، بما يعنى أن اهتمام القائمين على وضع المناهج انصب على مواجهة التطرف المندثر تحت شعار تغيير المنكر، دون الاهتمام بالشق الآخر من الحديث.

القضايا الاجتماعية والاقتصادية:

ارتبط اهتمام مقررات التربية الدينية الإسلامية فى هذا المحور بموضوعين أساسيين: التكافل الاجتماعى، والتنمية.

١- التكافل الاجتماعى:

احتل مفهوم التكافل الاجتماعى موقعًا متميزًا فى منظومة المفاهيم والقضايا المتضمنة فى المقررات الدراسية على مدى الطبعات الثلاث[١٤٣]. وقد جاء الحديث عن التكافل الاجتماعى فى أغلب الأحوال مقرونًا بالزكاة باعتبارها ركيزة أساسية من ركائز الإيمان. فهى الركن الثالث -من أركان الإسلام- وحجبها يستوجب الجهاد، وهى أساس التكافل والترابط الاجتماعى.

ففى الطبعة الأولى جاء فى مقرر الصف الثانى الإعدادى: أن «الزكاة تحقيق لمبدأ التكافل وإقامة المجتمع الفاضل»[١٤٤]، وهى كما جاء فى مقرر الصف الثالث الإعدادى تعبر عن التكافل فى أزهى صوره؛ فهى إخراج الأغنياء لأموالهم وإعطاؤها للفقراء عن طيب نفس، بما يسمح بإقامة مجتمع متعاون متكافل يحرص فيه الأغنياء على سد حاجة الفقراء، وتختفى فيه الفروق. فهى للغنى تزكية وتطهير، وللفقير إغناء وتحرير[١٤٥].

ويستمد مفهوم التكافل حجيته من قول رسول الله ﷺ «من كان عنده فضل زاد فليعد على من لا زاد له»، وتتجلى مظاهر التكافل فى العديد من الصور: منها أن من حق المسلم على أخيه أن يصله ويعاونه ويواسيه[١٤٦]، كما أن من موجبات التكافل: أن يتعاون أفراد المجتمع على فعل الخير، «فمن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كربات الدنيا.. فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا فى الدنيا.. ستره الله يوم القيامة»[١٤٧]، كما جاء فى كتاب الصف الثانى الإعدادى أن من مظاهر التكافل ألا يعيش المسلم فى وحدة، وألا يعتزل الناس؛ بل يتحرك فى الحياة معتمدًا على نفسه، وسائلا أهل الخبرة والعلم والدين ويعين الناس على قضاء حوائجهم[١٤٨].

ولم تقتصر مقررات تلك المرحلة على مظاهر التكافل الإنسانى من تعاون وترابط وتراحم، بل اعتبرت أن الإنفاق فى سبيل الله وفعل الخير، والاشتراك فى بناء المستشفيات والمدارس ودور العبادة مظهرًا مهمًّا من مظاهر التكافل، كما اعتبرت التعاون على الحفاظ على المرافق العامة، وصيانتها من العبث والإهمال مظهرًا مهمًّا من مظاهر التكافل[١٤٩].

ولم تخرج مقررات الطبعة الثانية عن هذا السياق؛ حيث اهتمت بالإشارة إلى الزكاة -باعتبارها ركيزة أساسية لتحقيق التكافل والترابط الاجتماعى- «فالزكاة تواسى الفقراء

وتسد حاجة البؤساء والمحرومين، وتقام عن طريقها المؤسسات التى تستوعب العاطلين، وتقدم الخدمات المختلفة للمواطنين »[١٥٠].

والزكاة فى هذا السياق تنصرف إلى كل أنواع الزكاة؛ فإذا كانت زكاة المال تحقق الأهداف السابق الإشارة إليها؛ فإن زكاة الفطر هى الأخرى عبادة مالية أوجبها الله على الأغنياء للفقراء، يتحقق فيها التكافل بما يدفع الأغنياء من مالهم للفقراء وفى كلتا الزكاتين - زكاة المال وزكاة الفطر- يكون المال كله للأمة، ولا يحدث إفراط نتيجة الطغيان المالى[١٥١].

وتتعدد مظاهر التكافل فى هذه الطبعة لتشمل كل علاقات الشخص بجيرانه وأصحابه وأهله وعشيرته، فالتلميذ يساعد جاره وزميله، وخير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران خيرهم لجاره[١٥٢]، ومن مظاهر التكافل: الإحسان للمجتمع -ومن فيه- من مساكين وابن السبيل، والإحسان لذوى القربى، وحسن العشرة، فبعد أن تتحقق رابطة الإنسان بأبويه، وبباقى أفراد أسرته بإعطائهم حقوقهم، تأتى الرابطة الاجتماعية وتبرز فى الإحساس بالمجتمع ومن فيه .. وهذا هو التكافل الاجتماعى فى أبهى صوره، حيث يشعر الإنسان بحاجة أخيه ويوليها اهتمامه[١٥٣].

على جانب آخر: حددت مقررات هذه الطبعة محاور أخرى للتكافل ومنها: توفير العمل لكل قادر عليه، وتوفير الحياة الكريمة للعاجزين وكبار السن، والالتزام بتربية النشء ورعاية الأيتام الذين فقدوا عائلهم، كما اعتبرت الإنفاق فى سبيل الله من فعل الخير، والمساهمة فى بناء المرافق العامة مظهرًا من مظاهر التكافل والترابط، ووسعت نطاق التكافل ليشمل غير المسلمين؛ وهو ما وضح فى مواقف الرسول ﷺ والصحابة مع غير المسلمين. ومنهم عمر بن الخطاب، عندما أمر بإخراج الأموال من بيت مال المسلمين لرعاية بعض مرضى النصارى من المجذومين -عندما مر بهم فى طريقه إلى الشام- وفى إطار اهتمام مقررات الطبعة الثانية -بموضوع التكافل- حرصت المناهج على إبراز الفوائد التى تعود على المجتمع من تحقيق التكافل بين أفراده ومنها: تحقيق الأمن والاستقرار، وخاصة فى المجال الاقتصادى؛ حيث يوجب التكافل على المجتمع: توفير العمل لكل قادر عليه من أجل تنمية المجتمع الإسلامى، مما يؤدى إلى ارتفاع نسبة العمالة وانخفاض البطالة، ويجنب المجتمع آثارها السيئة، كما يتحقق عن طريق التكافل، الأمن الاجتماعى، وتختفى الكراهية والبغضاء فى المجتمع، مما يعود عليه بالأمن والسلام[١٥٤].

وفى **الطبعة الثالثة**: تناولت كتب التربية الإسلامية قضايا التكافل الاجتماعى -من نفس المنظور السابق الإشارة إليه فى الطبعتين السابقتين- انطلاقًا من أهمية التكافل الاجتماعى فى تثبيت دعائم الأمن والاستقرار الاجتماعى والاقتصادى، والتأكيد على دور الزكاة فى تحقيق التكافل؛ إلا أن مجال الاهتمام الأول للتكافل الاجتماعى فى تلك الطبعة ارتبط بجانبين مهمين(١٥٥):

الأول: الاهتمام بالتأكيد على دور الزكاة فى تحقيق ما أسمته تلك المقررات «التوازن الاجتماعى والتكافل الاجتماعى» بما تقدمه للفقراء من الأيتام والأرامل وكبار السن الذين عجزوا عن العمل، وبما تسهم فيه من بناء المؤسسات الخدمية من مدارس ومستشفيات؛ وهو نفس الفضاء المفاهيمى الذى ورد فى مقررات الطبعتين الأولى والثانية، ويمثل دعوة واضحة إلى إنفاق أموال الزكاة فى تأسيس وبناء المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية، وتقليل الاعتماد على الدولة فى هذا المجال، وهو ما يتفق مع الدعوة إلى مساهمة المجتمع المدنى فى الأنشطة التى كانت محجوزة مسبقا للدولة.

الثانى: توسيع نطاق التكافل الاجتماعى؛ بحيث لا يقتصر على مظاهر التواد والتراحم والحب والتعاون بين أفراد المجتمع؛ بل يتعداه ليشمل كل ما يتعلق بتحقيق الفائدة لأفراد المجتمع، من اشتراكهم فى مواجهة الخلل البيئى من تلوث وزحام واستغلال سيئ للموارد الطبيعية -التى وهبها الله للإنسان- مثل الماء والأرض الزراعية، والخلل الاجتماعى الناتج عن بروز مظاهر العنف والتطرف والإرهاب والإدمان.

٢- التنمية:

ينصرف مفهوم التنمية فى معناه العام إلى: التعبير عن شبكة التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، التى تؤدى إلى إحداث تغييرات جوهرية فى المجتمعات الإنسانية(١٥٦). ومن ثم يصبح مفهوم التنمية مقترنا فى بعض الأحيان بالجانب السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى أو الثقافى، ولكل منهم وجهته وتعريفه(١٥٧).

ويلاحظ من قراءة مناهج التربية الإسلامية فى طبعاتها الثلاث: أن هذه القضية لم تحظ باهتمام كاف فى مقررات الطبعتين الأولى والثانية، فى حين اهتمت مقررات الطبعة الثالثة بقضايا التنمية بشكل واضح؛ كذلك يلاحظ أن مفهوم التنمية قد اقتصر فى أغلب الأحيان

على الحديث عن التنمية بمفهومها الاقتصادى الضيق، والتنمية بمفهومها البشرى- المتعلق بتحسين ظروف ونوعية الحياة- وترقية ما يحصل عليه الإنسان من خدمات وفرص تعليم وسكن ودخل، فى حين لم تتطرق المناهج للتنمية بمفهومها السياسى؛ والذى يتناول قضايا، مثل الديمقراطية، وتمكين المجتمع المدنى، ودور الدولة فى المجتمع وغيرها. وفيما يلى تفصيلا لما أجملناه:

فى الطبعة الأولى وفيما يتعلق بالجانب الاقتصادى جاء فى مقرر الصف الخامس الابتدائى حول حسن استخدام الموارد أننا يجب أن « نعبد الأرض التى نعيش عليها، وأن نبذل كل الجهد فى فلاحتها واستخراج كنوزها »(١٥٨).

كما جاء فى مقرر الصف الأول الإعدادى أن رسالة الإنسان هى « عمارة الأرض وتطوير الحياة واكتشاف الطبيعة والتعرف على سنن الوجود وقوانينه »(١٥٩).

أما فيما يتعلق بالجانب البشرى، فقد اهتمت المناهج بمحورين أساسيين: **الأول** التعليم، **والثانى** العمل، فالتعليم: هو أساس التقدم ويتفق مع روح الدين، كما أن « اهتمام الدولة بتعليم النشء الأساسيات المهنية بجانب العلوم الأخرى: دليل على فهم الدولة الصحيح لروح الدين »(١٦٠). والإسلام: اهتم بالتعليم منذ أن نزل القرآن على رسول الله ﷺ بكلمة اقرأ. ومن شواهد التأكيد على هذا المعنى:(١٦١)

(أ) أن الرسول الكريم ﷺ جعل فداء الأسير فى -غزوة بدر- تعليمه عشرة من أبناء المسلمين، « وانطلق المسلمون يتعلمون ويكتشفون ويستوعبون ويعملون.. مضيئين الكون بنور الله: حتى أقاموا حضارة غيرت مجرى تاريخ الإنسان ».

(ب) ما جاء فى الآيات القرآنية الكثيرة من الحث على التعليم، ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة المجادلة: الآية ١١]، ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر: الآية ٩]، وغيرها من الآيات التى تحث الإنسان: على العلم واكتشاف علوم الطبيعة والرياضة والجبر. وقد أفرد منهج الصف الثانى الإعدادى وحدة كاملة للتأكيد على أهمية العلم.

أما بالنسبة لاهتمام الإسلام بالعمل؛ فقد جاء فى مقرر الصف الأول الإعدادى: أن الإسلام دين عمل وإتقان وإنتاج، وأن كل عمل شريف يعود على الإنسان والمجتمع بالخير. وللاستدلال

على أهمية العمل فى الإسلام، أشارت المناهج إلى أن الرسول ﷺ كان يعمل، وكان قدوة حسنة لأصحابه والمسلمين فى احترام العمل[١٦٢]، كما أنه كان يرشد السائلين إلى العمل بدلاً من الانقطاع للسؤال، وانتظار العطاء[١٦٣].

أما فى الطبعة الثانية: فقد جاء الاهتمام بالجانب الاقتصادى فى التنمية متطابقًا مع ما جاء فى الطبعة الأولى، من خلال الحديث عن أهمية الدور الذى يقوم به الإنسان فى تعبيد وإعمار الأرض؛ فالإنسان مكلف ببذل الجهد من أجل تحقيق التنمية فى كافة المجالات، وكل إنسان مطالب أن يعمل حسب قدراته وخبراته وميوله لإشباع حاجاته وكفايته وتنمية المجتمع»[١٦٤].

وقد زادت هذه الطبعة فى اهتمامها بالحديث: عن أهمية العمل اليدوى وتأثيره على تحقيق التنمية انطلاقًا من رؤية دينية تحث على طلب العمل أيًّا كان نوعه، وترى أن العمل وإن كان احتطابًا أفضل من السؤال. والتواكل على الله، ومثالنا على ذلك رسول الله ﷺ الذى شارك مع المسلمين فى بناء أول مسجد فى المدينة وكان يحمل الطوب بيده، وكان يوجه أصحابه إلى العمل ويسلك معهم مسلكًا عمليًّا؛ حتى يبعدهم عن البطالة والتسول ويعوِّدهم الحياة الكريمة[١٦٥]. وقد جاء هذا الاتجاه فى مناهج التربية الإسلامية انعكاسًا واضحًا لاتجاه الدولة نحو التخلى عن التزامها بتعيين الخريجين، ورغبة منها فى مواجهة مشكلة البطالة - التى استفحلت وزاد خطرها- بالإضافة إلى توجيه الطلاب إلى الاهتمام بالتعليم الفنى بدلاً من التكدس فى الجامعات دون حاجة فعلية لخريجيها. وقد حددت المقررات رؤيتها لإمكانيات تحقيق التنمية والقضاء على البطالة.. من خلال ثلاثة مجالات: الصناعة، والزراعة وغزو الصحراء، والتجارة.

وجاء الاهتمام بالمجال الصناعى: انطلاقًا من أن الصناعة هى الدعامة الأساسية للتنمية؛ فمن خلالها -كما جاء فى مقرر الصف الثالث الإعدادى[١٦٦]- يمكن «الحصول على العملة الصعبة اللازمة لخطط التنمية بما فيها فتح أسواق دول كثيرة لقيت فيها صناعاتنا رواجًا وإقبالاً، وبما يستوجب معه دعم التعليم الصناعى، وإنشاء المعاهد المتخصصة، والارتفاع بمستواهما حتى تتحقق التنمية الصناعية للدولة، ويتطلب ذلك أن يقبل الطلاب على هذا التعليم ولا يخجل الشباب من الانتساب إليه مادام إنتاجه مطلوبًا. وتشجيعًا على الالتحاق بهذا النوع من التعليم تشير المقررات: إلى أن الدولة قد أتاحت «للعمال حياة جديدة بما هيأت

لهم من فرص عمل وزيادة أجور وتأمين صحى »، كما أن الصناعة هى الدعامة الأساسية لتحقيق قوة الدولة وخاصة فى الصناعات الثقيلة والمواد الأساسية والأسلحة؛ مما يجعل بلادنا قوية مرهوبة الجانب، وهذا مطلب دينى يأمرنا به الله.

أما الاهتمام بالزراعة والتعليم الزراعى، فقد جاء من منطلق: أن المسلم حريص على استغلال كل ما يقع تحت يده من عوامل الإنتاج؛ لذا يجب توجيه الشباب نحو غزو الصحراء لمواجهة مشكلة تزايد السكان، واستصلاح الأراضى، بما يسمح بتوفير الطعام لملايين البشر، وبما يسمح بإيجاد فرص عمل، وهو ما يترتب عليه تحقيق تنمية فعلية فى الثروات البشرية والاقتصادية.

ويرتكز الاهتمام بالتجارة: على اعتبار أن المال عنصر أساسى فى بناء المجتمع الإسلامى وتنمية وإعلاء كلمة الله، ويستدل المنهج على ذلك: بأن المسلمين عند هجرتهم إلى المدينة كان اليهود يسيطرون على تجارتها، فطلب الرسول ﷺ من أصحابه أن يعملوا بالتجارة حتى يكون المال -وهو عصب الحياة- فى يد المسلمين فى ظل تعاليم الإسلام التى تدعو إلى المعاملة الحسنة فى البيع والشراء « حتى ينشأ المجتمع الإسلامى القوى تحوطه المودة والتسامح والرحمة والمحبة ».

أما فى الطبعة الثالثة: فقد اكتسب مفهوم التنمية بعدًا آخر. فبالإضافة إلى الدعوة إلى استغلال الثروات الموجودة لدى المجتمع فى إقامة مشروعات صناعية جديدة وإنشاء المدن، وتعمير الأراضى واستصلاح الصحارى مما يؤدى إلى تحقيق التقدم والتنمية[١٦٧]، والدعوى إلى الاهتمام بالعلم -على اعتبار أن عصرنا هو عصر العلم- وأن تقدم الأمم وتخلفها يقاس بما لديها من علم[١٦٨]، طرحت مقررات الطبعة الثالثة موضوعين مهمين فى مجال الحديث عن التنمية: **الأول**: يتعلق بتوسيع مجالات الاستثمار من أجل تحقيق التنمية.. **الثانى**: الإشارة إلى بعد جديد للتنمية يتعلق بما اصطلح على تسميته « التنمية المستدامة »، والذى يربط بين التنمية وبين الاستغلال الأمثل للموارد والتنمية البيئية[١٦٩]، وذلك كما يلى:

أ- فيما يتعلق بتوسيع مجال الاستثمار، اهتمت مقررات هذه الطبعة بالإشارة إلى أهمية استغلال فرص الاستثمار المتاحة -سواء فى الداخل أو الخارج- من أجل تحقيق التنمية، ففى الداخل أثنى مقرر الصف الرابع الابتدائى على اهتمام الدولة بالسياحة لما له من آثار طيبة فى حياتنا[١٧٠]. أما على المستوى الخارجى فقد أشار مقرر الصف الثالث الإعدادى إلى أهمية

الاستفادة من الحج كعبادة فى تنشيط المبادلات الاقتصادية والتعرف على المشروعات المتاحة للاستثمار والتنمية والتنسيق بين هذه المشاريع، وتبادل الخبرات والمنافع من أجل تنمية البلدان الإسلامية(١٧١).

ب- فيما يتعلق بمفهوم التنمية المستدامة، جاء الحديث عن هذا المفهوم فى مقرر الصف الخامس الابتدائى تحت عنوان المؤمن يحافظ على البيئة، وكتاب خواطر إسلامية المقرر على طلبة الصف الثالث الإعدادى؛ حيث ربط الكتابان بين خلافة الله للإنسان فى الأرض التى تقتضى منه عمارة الأرض وشئونها حسب منهج الله، وبين واجبه نحو الحفاظ على ما استخلف عليه وتنميته. ومن هذا المنطلق يطرح المقرران مجموعة من النقاط:

- ضرورة استغلال الموارد الطبيعية التى منحها الله للإنسان، بما لا يؤدى إلى إتلافها أو القضاء عليها امتثالاً لقوله (تعالى): ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾[سورة الأحزاب: الآية ٧٢](١٧٢).

- تنمية الموارد البشرية صحيًّا وتعليميًّا وثقافيًّا، بما يسمح باستغلالها أفضل استغلال، والعمل على الحد من الزيادة السكانية بما يتفق مع روح الإسلام التى ترى أن «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، وأن الكثرة الصالحة القوية فى دينها أفضل من الكثرة الضعيفة فى عقيدتها المتخلفة فى سلوكها، الذميمة فى أخلاقها، المحتاجة إلى غيرها»(١٧٣).

- الاهتمام بالقضاء على العوامل السلبية التى تؤثر على التنمية(١٧٤)، مثل «الزيادة السكانية العشوائية» وتصويرها على أنها تؤدى إلى ارتفاع معدل الجريمة، وتضعف قدرة الدولة على مواجهة احتياجات السكان، وتؤدى إلى إحداث خلل بيئى نتيجة للتكدس والعشوائيات وعدم توافر المرافق اللازمة لاحتياجات المجتمع، بالإضافة إلى المحافظة على الماء بوصفه أصل الحياة وعلى نهر النيل -الذى يمد الدولة والمجتمع باحتياجاته من المياه الصالحة للرى والشرب- بعدم تلويثها وترشيد استهلاكها؛ فالرسول ﷺ نهى عن تلويث المياه «اتقوا الملاعن الثلاثة ومنها: البراز فى الموارد»، ونهى عن الإسراف فقد: «رأى رسول الله ﷺ رجلا يتوضأ فقال لا تسرف لا تسرف».

- المحافظة على المساحات الخضراء وتنميتها وزيادتها؛ باعتبار ذلك واجبًا دينيًّا وإنسانيًّا.

- التأكيد على مفهوم التنمية المستدامة، فقد خلق الله الأرض صالحة، ولكن أطماع الناس أفسدت الأرض حينما نظر الناس لمصلحتهم فقط دون مصلحة غيرهم من الأمم، أو مصلحة الكون أو الأجيال القادمة، فمن ينهب الثروات ولا يفكر فى الأجيال القادمة هو مفسد فى الأرض، ومن يلوث المياه مفسد فى الأرض، ومن يقتل إنسانًا أو حيوانًا أو نباتًا فهو مفسد فى الأرض(١٧٥).

الموقف من المرأة:

جاء الاهتمام بقضايا المرأة فى مقررات التربية الدينية الإسلامية فى الطبعات الثلاث ليشير إلى اهتمام الإسلام بالمرأة وتكريمه لها، وذلك على النحو التالى:

- اهتمت المقررات بالمقارنة بين وضع المرأة قبل الإسلام، وبعد الإسلام، ووضع المرأة فى ظل الحضارات الأخرى، وفى ظل حضارة الإسلام، فالمرأة قبل الإسلام كانت « بلا وزن ولا قيمة، بل كانت ضعيفة، مهضومة الحق، ولما جاء الإسلام أكرمها. وأحلها مكانًا عاليًا، وحصلت على جميع حقوقها، وظفرت بمكانة لم تفز بها فى أى مجتمع بشرى »(١٧٦).

- الإشارة إلى مساواة الإسلام بين المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات والتكليفات الشرعية، فالمرأة تصلى مثل الرجل صلاة العيد(١٧٧)، ومكلفة بالعمل الصالح مثل الرجل(١٧٨)، وتستطيع أن تقوم بواجبها مثلها مثل الرجل(١٧٩).

- فيما يتعلق بالحقوق التى تتمتع بها المرأة فى الإسلام، أشارت المقررات إلى أن الإسلام كفل للمرأة حقوقًا مساوية لحقوق الرجل فى كل مراحل حياتها؛ فالإسلام عندما دعا إلى طلب العلم لم يفرق بين الذكر والأنثى، فليس هناك علم نساء ولا علم رجال، وكان الرسول ﷺ يلتقى بنساء المدينة فى المسجد من أجل أن يتعلمن منه، وبذلك علمنا الرسول ﷺ أن طلب العلم يعم المسلمين ذكورًا وإناثًا؛ كما أن الإسلام ساوى بين المرأة والرجل فى الحقوق المدنية ولم يفرق بينهما، ولم يُفقد المرأة أهليتها عند الزواج ومنحها حق التصرف فى أموالها كما تشاء(١٨٠). كذلك لم يفرق الرسول ﷺ بين المرأة والرجل فى طلب المشورة؛ فقد استشار أم سلمة (أم المؤمنين) فى صلح الحديبية وعمل بمشورتها(١٨١). وحتى فى أحلك المواقف لم يمنع الإسلام من المساواة بين المرأة والرجل؛ حيث خرجت المرأة مع الرجل فى الحروب واستماتت فى الدفاع عن الإسلام، وكان لها دور بارز فى هذا المجال، وتوضح سير الصحابيات مثل « أسماء بنت أبى بكر، ونسيبة بنت كعب، والخنساء » هذا الدور.

- اهتمت المقررات فى طبعاتها الثلاث بالتأكيد على اهتمام الإسلام بالمرأة ورفقه بها، انطلاقًا من قول الرسول ﷺ فى خطبة الوداع « إن لكم على نسائكم حقًّا ولهن عليكم حقًّا، استوصوا بالنساء خيرًا »، حيث اعتبرت المناهج الدراسية أن هذه الدعوة تعبير عن اهتمام الإسلام بالمرأة وارتقاء بمنزلتها ودفاع عنها[١٨٢]. كذلك عنيت المناهج بالإشارة إلى الدور التقليدى للمرأة فى رعاية الأسرة والأطفال فهى « الزوجة التى تهيئ لزوجها سبل الراحة والسعادة، وهى الأم التى تنجب البنين والبنات وتقدم للوطن العلماء والأبطال وأمهات المستقبل، وهى ربة المنزل التى تعطى من وقتها وجهدها ما يوفر لعائلتها الأمن والسلام والاستقرار»[١٨٣].

ويلاحظ أن هذا الاهتمام بالمرأة لم يصحبه اهتمام موازٍ بالحديث عن الموضوعات التى طرحت حديثًا على ساحة الاهتمام الدولى منذ الثمانينيات، وهى موضوعات تمثل أحد أهم اهتمامات الأجندة الغربية التى يسعى الغرب من خلالها للنفاذ إلى الأمة الإسلامية. وغاب عن الموضوعات المقررة فى الطبعات الثلاث موضوعات مهمة مثل قضايا المواريث وأحكامها، وأسس قوامة الرجل على المرأة « أو ما يطلق عليه فى الغرب مفهوم الأبوية »[١٨٤]، وتولِّى المرأة للمناصب القيادية فى الدولة، والدعوة إلى المساواة التامة بين الرجل والمرأة، وغيرها من القضايا التى يتخذها الغرب ذريعة للهجوم على الإسلام. وقد يرجع ذلك إلى حداثة عمر الطلاب فى هذه المرحلة العمرية أو إلى تناول مثل هذه القضايا فى مراحل دراسية تالية أو فى مواد أخرى، إلا أنه كان من الأجدر -ومنعًا لالتباس المفاهيم- أن تتناول المقررات قدرًا -ولو ضئيلاً- من هذه الموضوعات من أجل توضيح الرؤية الإسلامية لمثل هذه القضايا المهمة.

الموقف من الآخر:

يتحدد مفهوم الآخر فى مقررات التربية الدينية الإسلامية بكل ما يخرج عن نطاق الأمة الإسلامية، سواء شعوبًا أو جماعات أو قبائل أو دولاً أو ديانات؛ لذا يأتى الحديث عن الآخر مقترنًا تارةً بالحديث عن الآخر الدينى أى أصحاب الديانات الأخرى، وتارةً أخرى بالحديث عن الشعوب والجماعات الأخرى. وعلى هذا يمكن تقسيم رؤية المقررات الدراسية وموقفها من الآخر إلى قسمين: **الأول** يتعلق بالآخر غير المسلم، **والثانى** يتحدث عن الشعوب والمجتمعات الأخرى.

١- الآخر غير المسلم:

جاء الحديث عن الآخر غير المسلم فى مقررات الدراسة فى ثلاثة أشكال: **الأول**: يتحدث عن الآخر غير المسلم بمفهوم أهل الذمة، **والثانى**: الآخر الدينى فى إطار مفهوم المواطنة، أما **الثالث**: فيتحدث عن اليهود باعتبارهم من أصحاب الديانات الأخرى. وبيان ذلك على النحو التالى:

أ- أهل الذمة:

يُعبر مفهوم أهل الذمة عن رؤية فقهية تنطلق فى موقفها -من غير المسلمين- من أن الإسلام هو الهوية السياسية للأمة، وأن حقوق غير المسلمين تقف عند الحدود التى يتيحها الإسلام للذميين أو أهل الكتاب، فلهم خصوصيتهم التى يتعين احترامها، وشريعتهم التى يتعين الإقرار بوجودها، وعليهم واجبات الجزية وحقوق لا ترقى إلى نفس المستوى الذى يتاح للمسلمين(١٨٥). وقد عبر هذا المفهوم عن نفسه فى الطبعتين الأولى والثانية من المناهج الدراسية، حيث جاء فى مقررات الطبعة الأولى: أن العلاقة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى تفرض على المسلمين وجوب التعامل معهم من منطلق المساواة، فلهم مالنا وعليهم ما علينا، ماداموا قد دخلوا فى ذمة المسلمين وعهدهم، والدولة يجب أن تدافع عنهم مثلما تدافع عن سائر رعاياها، ويرتبط بذلك حماية حقوق المعاهدين، وحديث « من ظلم معاهدًا أو انتقصه » هو توجيه للمسلمين لرعاية حقوق المعاهدين، وعدم تكليفهم فوق طاقتهم . وتتضمن رعاية الحقوق إعطاءهم الحق فى إقامة شعائرهم، والحفاظ على مقدساتهم وممتلكاتهم(١٨٦).

وعلى نفس المنوال سارت مقررات الطبعة الثانية: عندما أوجبت على المسلمين تقديم المعاملة الكريمة والطيبة لأهل الذمة والداخلين فى عهد الإسلام، استجابة لقوله (تعالى): ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة الممتحنة: الآية ٨]؛ وهى المبادئ التى أقرها الإسلام للتعامل مع غير المسلمين وطبقها الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده، « فالرسول ﷺ بعد أن هاجر إلى المدينة عقد معاهدة أقر فيها اليهود على دينهم وأموالهم، وعاهدهم على الرعاية والنصر ما داموا على العهد »(١٨٧) وعندما فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس كتب للنصارى عهدًا وأمانًا على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم » (١٨٨).

أما فى مقررات الطبعة الثالثة: فلم يظهر الحديث عن الآخر غير المسلم بمفهوم أهل الذمة، بل اقتصر الحديث عن الآخر غير المسلم بمفهوم المواطنة. وقد اتفقت هذه الرؤية مع الاتجاه العام فى الفكر الإسلامى السائد منذ منتصف التسعينيات الذى يقبل فكرة التخلى عن مفهوم أهل الذمة الذى لا تقره الأقليات، واستبدال مفهوم المواطنة به، فى محاولة لمواجهة بعض غلاة الجماعات الإسلامية الراديكالية التى اتجهت لتكفير أصحاب الديانات الأخرى واستباحة أموالهم من منطلق عدم أدائهم للجزية[١٨٩].

ب- الآخر الدينى فى إطار مفهوم المواطنة:

يعبر مفهوم الآخر الدينى فى هذا السياق عن الأقلية المسيحية التى تشارك الأغلبية المسلمة فى المجتمع والوطن، وقد جاء الحديث عن أتباع الديانة المسيحية فى مقررات التعليم ليعبر عن رحابة الدين الإسلامى فى التعامل مع أصحاب الديانات الكتابية -وخاصة المسيحيين- من منطلق أنها أقرب الديانات إلى الدين الإسلامى؛ فالرسول ﷺ عندما أمر أتباعه بالهجرة إلى الحبشة كان يدرك أن بها « ملك رحيم عادل يعطف على المظلومين ولن تضيق بلاده بهم، وسيجدون الأمن فيعبدون ربهم فى هدوءٍ واطمئنانٍ »[١٩٠]، -فهم كجماعة- بأسهم بينهم شديد وعدلهم محتمل، والتعاون معهم حالة عدلهم واجبٍ؛ إلا أن أكثر مناطق الاهتمام بالحديث عن المسيحيين ارتبط بالحديث عنهم فى إطار مفهوم المواطنة وخاصة فى الطبعتين الأولى والثالثة، وبدرجة أقل فى الطبعة الثانية؛ حيث وردت بهم إشارات عديدة عن العلاقة بين المسلم والمسيحى من أبناء الوطن الواحد فى إطار الرابطة الوطنية. ومن نافلة القول أن نشير فى هذا الصدد إلى أن اهتمام المقررات الدراسية بالحديث عن العلاقة بين المسلمين والأقباط فى إطار الدولة ارتبط بما شهدته فترة التحليل -أى منذ منتصف الثمانينيات حتى قرب نهاية التسعينيات- من زيادة حالات العنف الطائفى بين المسلمين والمسيحيين، أو ما اصطلح على تسميته « الفتنة الطائفية »؛ فجاءت المقررات لتحمل رسالة مؤداها عدم تفرقة الإسلام بين أبناء الوطن الواحد؛ انطلاقًا من فهم صحيح للإسلام الذى لا يفرق بين أبناء البلد الواحد على أساس العرق أو الدين، ولتؤكد على أن ما يحدث من عنف موجه ضد الأخر ما هو إلا تأويل منحرف للنصوص الدينية نتج عن حالة من التوتر الاجتماعى، أسفرت عن تبنى صورة سلبية عن الآخر[١٩١]. ففى مقرر الصف الثالث الإعدادى طبعة ١٩٨٨م جاء « أن الإسلام يحرص على الرابطة الوطنية ووحدة الأوطان، ويدعو المسلمين أن يتخلقوا

بخلق التسامح، فليس أبقى على العلاقات بين الأفراد فى الوطن الواحد من التسامح». وحتى لا يتخذ المتشددون الرابطة الإيمانية كمحك للتفرقة بين أبناء الوطن الواحد أشارت المقررات إلى أن «المسلم فى مصر مرتبط بكل مسلم على ظهر الأرض برباط الدين، ومرتبط بأخيه القبطى برباط الوطنية، وأنه لا تناقض بين الرابطتين، وأن المسلم أخ للمسلم فى العقيدة وأخ للمسيحى فى الوطنية، وواجبنا أن نمتنع عن كل شىء يسىء لوحدة وطننا»[١٩٢].

وعلى نفس المنوال سارت الطبعة الثالثة، لتؤكد على حميميَّة العلاقة بين المسلم والمسيحى فى إطار المواطنة «فالمصريون جميعًا أخوة فى حب الله والوطن ولا تفرقة بينهم على أساس الدين»[١٩٣]. «والإسلام حريص على أن يتعامل أبناء الوطن الواحد كما يتعامل أفراد الأسرة الواحدة دون تفرقة بين المسلم وغير المسلم»[١٩٤]. كما جاء فى مقرر الصف الرابع الابتدائى أن خُلُق المسلم يقتضى أن يتعامل مع أصحاب الديانات الأخرى بالحسنى، وأننا فى مصر نعيش إخوانًا متحابِّين «أقباطًا ومسلمين» ونتعاون على الخير، ويشارك بعضنا بعضًا فى السراء والضراء، ونقف صفًّا واحدًا للدفاع عن الوطن، وقد ربط الكتاب بين هذا السلوك وضمان الأمن والأمان للأمة كلها[١٩٥].

ج- اليهود:

نظرتْ المناهج بأكملها على مدى طبعاتها الثلاث لليهود نظرة سلبية قديمًا وحديثًا. وترتبط هذه النظرة السلبية بما يتسم به اليهود من خسة وغدر وخيانة وعدم وفاء بالعهد مصداقًا لقوله (تعالى): ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [سورة المائدة: الآية ١٣]، وتاريخ العلاقة بين المسلمين واليهود كما جاء فى هذه المقررات محمل بالكثير من هذه الصور، فبعد غزوة بدر كشف يهود المدينة عن حقدهم وعداوتهم للمسلمين، دون مراعاة للجوار. ويحكى لنا التاريخ: أن اليهود تمادوا فى الكيد للمسلمين، والاعتداء على حرماتهم، مما دفع المسلمين إلى إعلان الحرب عليهم»[١٩٦]، وعادة ما تضع المقررات غدر اليهود مقابل وفاء المسلمين بالعهد، فاليهود خائنون لم يحترموا العهود، والمسلمون يحفظون العهود ويحسنون معاملة الجار ويتعاملون مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى بالحسنى[١٩٧]. ولم يقتصر الحديث عن غدر اليهود فى فترة حكم الرسول ﷺ؛ بل امتد إلى فترة الخلفاء الراشدين، فأبو بكر بدأ خلافته بأخطر ما يبتدئ به حاكم عهده، فهو أمام فتنة المرتدين وتربص اليهود[١٩٨].

وتصف المقررات اليهود: بأنهم أهل فساد ويسعون فى الأرض فسادًا؛ فقديمًا قام اليهود بتخريب بيوتهم عندما أمرهم الرسول ﷺ بالخروج من المدينة بعد نقضهم لعهده معهم، «فكان الرجل يهدم بيته قبل أن يتركه، وهذا ما فعله اليهود عند جلائهم عن أرض سيناء»، ويصور القرآن ذلك بقوله: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الحشر: آية ٢].

كذلك قام اليهود عند جلائهم من سيناء بتدمير قرية ياميت -وهى قرية على الحدود المصرية فى سيناء- فلم يُبْقُوا فيها بيت قائم، «وهذا ما يفعله اليهود فى كل مكان يتركوه حتى لا يستفيد أهله به، تمامًا كما فعلوا فى بيوتهم التى تركها بنو النضير فى المدينة»[١٩٩]. وهذه المعاملة من جانب اليهود لا تقتصر على المسلمين فقط؛ بل تتعداهم إلى أصحاب الديانات الأخرى، ومنهم المسيحيين، وهو ما يتضح فى قصة يهود الجزيرة العربية مع نصارى نجران: عندما أشعلوا النيران فى الأخدود واستاقوا عشرين ألفًا من المؤمنين بالمسيحية إلى هذه النيران[٢٠٠]. وقد يكون من المفيد هنا الإشارة إلى وضوح الربط فى المقررات بين اليهود والدولة الإسرائيلية -باعتبارهما وجهين لعملة واحدة- دون أن يصحب ذلك شرح -ولو مبسط- للفروق الواضحة بين المفهومين، مما قد يدخل المتلقى فى تعميمات تفسد من وضوح القضية لديه.

٢- الشعوب والأمم الأخرى:

اتخذ الحديث عن الشعوب و الأمم الأخرى فى إطار علاقتهم بدولة الإسلام أحد سبيلين: **الأول- تاريخى** وتركز اهتمامه فى الحديث عن انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، والعلاقة بين المسلمين وبلاد الفرس والروم، والحديث عن فتوحات الإسلام وانتشاره فى مصر والشام وإفريقية. واتخذت المقررات هذا النموذج التاريخى كنموذج ضابط وأساسى لتنمية الحس الإسلامى لدى التلاميذ، وقد سبقت الإشارة إلى ما تضمنه هذا الشق من قيم ومفاهيم فى مواضع سابقة من الدراسة. أما السبيل **الثانى**: وهو المتعلق بالنظرة إلى الآخر المعاصر من أمم وشعوب -بما فيها الدول الغربية- فنجد أن المقررات فى طبعاتها الثلاث قد تناولت هذا الشق على النحو التالى:

فى الطبعة الأولى: اتخذ الحديث عن الغرب الأوروبى نظرة متعالية تناولت فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا؛ حيث اهتم مقرر الصف الأول الإعدادى[٢٠١] بإبراز فضل المسلمين على الحضارة الغربية، «فالحضارة الإسلامية وصلت بعالمنا إلى ما نعيشه الآن من حضارة وتقدم، وقد شهد الغربيون أنفسهم بذلك، يقول «جب» فى كتابه «الاتجاهات الحديثة فى الإسلام»:

أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة، وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبى إلى أوروبا فى العصور الوسطى ».

أما الطبعة الثانية، بالإضافة إلى اهتمامها بإبراز فضل المسلمين على الحضارة الغربية، فلقد نظرت مناهجها تلك الطبعة نظرة سلبية إلى الدول الغربية قوامها: أن كثيرًا من الأمراض والآفات الاجتماعية والأخلاقية التى أصابت تلك الأمم؛ ما هى إلا نتاج للبعد عن الإسلام وتعاليمه، وأن التمسك بمبادئ الإسلام هو الحامى لسلامة الأسرة والمجتمع، والضامن لمنع انتشار هذه الآفات فى مجتمعنا[٢٠٢]، كما أن ما تشهده هذه الدول من ترف مادى لم يحقق الأمان لمواطنيها، فالسويد -والتى يعد أفرادها من أكثر دول العالم دخلاً- تشهد نسبة عالية من معدلات الانتحار[٢٠٣]. وتأكيدًا على نفس الفكرة أشار منهج الصف الثالث الإعدادى إلى شخصية « أحمد أمين » باعتباره قدوة إسلامية للشباب، ونهجًا لكل قومى يسعى للحفاظ على التراث من الدعوة للاتجاه نحو الغرب بما فيه من نزعات وانحرافات خلقية وعقائدية، وصورة للمحافظة على العقيدة من كل ما يمكن أن يصيبها من تيارات التبشير المؤيدة بالتفوق العسكرى والسياسى والمادى[٢٠٤].

وعلى جانب آخر: اهتمت مقررات تلك الطبعة بالإشارة إلى ما طرأ على المجتمع الدولى من تغييرات فى ظل العولمة، حيث عرفتها بأنها « علاقة التوحد التى نتجت عن حدوث التقاء بشرى فى كافة المجالات؛ فما يحدث فى أمريكا يصبح عندك بعد ساعة، تكاد تكون هناك وحدة الآفات فى العالم كله؛ لأنه حدث التقاء بشرى، وعندما يحدث الحادث يعرفه العالم كله بعد دقائق »، واعتبرت المقررات أن: ما يحدث فى العالم فى ظل العولمة ليس بجديد على الفكر الإسلامى » فقد أنبأنا القرآن بأن العالم سيتقدم ليصبح وحدة واحدة، وأن الآفات فى العالم تكاد تتوحد نتيجة الاتصال السريع بين أجزائه؛ لذلك لابد من وحدة المعالجة »[٢٠٥]. إلا أن المناهج لم تذكر لنا كيفية التعامل مع مظاهر العولمة بما يتفق مع شريعتنا الإسلامية فى ظل الاتجاه العالمى نحو ذوبان الجزء فى الكل، وما يمكن أن يترتب على ذلك من مخاطر جمة على الثقافة والحضارة والتراث الإسلامى.

وقد أبرزت الطبعة الثالثة فى مقرراتها هذا الاتجاه نحو العولمة، فالعالم كله أصبح كأنه قرية واحدة، وأنت تستطيع أن تشاهد الأحداث العالمية لحظة وقوعها والتى تنتقل إلينا عبر

الأقمار الصناعية والإنترنت[٢٠٦] « إلا أنه يلاحظ أيضًا أن مناهج تلك المرحلة لم تتعرض لتأثيرات هذه التكنولوچية على الثقافة الإسلامية، وكيف يمكن إقامة علاقة بين الدول الإسلامية والغرب بما يسمح بعدم ذوبان الشعوب الإسلامية فى تلك الحضارة. ومن اللافت للنظر: أن الاتجاه السلبى الذى سيطر على مقررات الطبعة الثانية فيما يتعلق بالنظرة إلى الغرب قد تحول إلى إعجاب وانبهار فى الطبعة الثالثة، من منطلق أن الحضارة الغربية استطاعت عن طريق العلم والتكنولوچية أن تصل بالعالم إلى ما هو عليه الآن من حضارة وتقدم، وواجبنا أن نسعى إلى اللحاق بركب الحضارة الغربية والأمريكية عن طريق تحصيل العلم النافع، وإدراك أن العلم لا جنسية ولا عنصرية له؛ فليس هناك علم عربى وعلم أوروبى وعلم أمريكى »[٢٠٧]. كما أن سلوكياتنا - كما جاء فى هذه المقررات - يجب أن تتوافق مع ما منحه الله لنا من عقل وفكر وتدبر، و علينا الأخذ بالأسباب؛ حتى ترقى الأمة الإسلامية إلى مصاف الأمم الأخرى، فما تشهده المجتمعات الأخرى من تقدم؛ ما هو إلا نتاج الأخذ بالأسباب والعمل بكل مهارة، والاهتمام بإتقان العمل فأثابهم الله على مجهودهم فى الدنيا[٢٠٨].

ومن مظاهر الانبهار بالحضارة الغربية: ما يشهده الغرب من اهتمام بالبيئة وحرص عليها باعتبارها ميراث الأجيال « ففى أوروبا لا تستطيع حكومة قطع شجرة؛ لأن الشجرة ثروة قومية وقيمة فنية جمالية وصحية للإنسان »، وأن الشعوب فى الدول الأوروبية يحرصون على بلادهم وعلى ثرواتها البيئية من العبث، وهو ما يجب أن يتحلَّى به المسلمون حفاظًا على ما أعطاهم الله لهم من ثروات[٢٠٩].

ويعد من أفضل ما جاءت به مقررات تلك المرحلة: هو الدعوة إلى اقتفاء خطى الدول الكبرى فى مجال الوحدة، فالدول الكبرى تحاول أن تقيم بينها وحدة تحميها من الأضرار -سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو عسكرية- وهو ما يجب أن يتعلمه المسلمون ويدركوا أن وحدتهم هى سبب قوتهم، وأنه إذا كانت هذه الدول تسعى لتحقيق الوحدة حماية لنفسها وأمنها؛ فإن الأحرى بالدول الإسلامية أن تعود إلى ما كانت عليه سابقًا من اتحاد[٢١٠].

الغرب وقضايا العنف والتطرف والإرهاب:

من الموضوعات المهمة التى برزت على أجندة الاهتمام الدولى فى الآونة الأخيرة قضايا العنف والتطرف والإرهاب وخاصة مع ربط الغرب لهذه الظاهرة بالإسلام. وقد حرصت كتب

التربية الدينية الإسلامية فى طبعاتها الثلاث[٢١١] على إبراز وسطية الإسلام وتسامحه مع الآخرين -من منطلق أن الإسلام دين السماحة- وأن الرسول ﷺ كان نموذجًا للأخلاق السمحة بما يتصف به من رأفة ورحمة وحرص على هداية الناس، ونبذه للعنف والتطرف والإرهاب، وهو ما عبر عنه الرسول الكريم ﷺ فى خطبة الوداع بقوله « إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها، كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا »؛ وهو ما يعنى تحريم قتل النفس باعتباره سلبًا للحياة بغير حق ونبذ استخدام العنف فى التعامل بين الناس. وجاء استدلال المقررات أيضًا على حض الإسلام على نبذ العنف من خلال إيراد حديث الرسول ﷺ عندما سئل أى المسلمين خير؟ قال: « من سلم المسلمون من لسانه ويده »؛ وهو ما يعنى رفض الإسلام لكل مظهر من مظاهر العنف ماديًّا كان أم معنويًّا.

غير أن ما يثير الاهتمام أن مقررات الطبعة الثالثة حرصت على الإشارة إلى خطأ الرؤية الأوروبية للإسلام، التى تربط بين الإسلام والإرهاب، واعتبرت هذه الرؤية جهلا بتعاليم الإسلام، حربًا موجهة ضد الإسلام والأمة الإسلامية؛ حيث جاء فى كتاب « خواطر إسلامية » المقرر على طلبة الصف الثالث الإعدادى، « أن الخطأ الفادح الذى يردده الكثيرون من الغربيين -والتجنى فيه واضح- هو أن الإرهاب صناعة إسلامية، وزيادة فى التعصب والتعنت ألحقوا الإرهاب بالإسلام، وهو جهل بالإسلام وتعاليمه، وادِّعاء غير شريف، وصورة من صور الحروب التى تشن ضد الإسلام، علمًا بأن من يقومون بهذه الحرب يمارسون أشد أنواع التطرف والإرهاب أفرادًا وحكومات »[٢١٢].

قضايا حقوق الإنسان:

احتلت قضايا حقوق الإنسان حيزًا مهمًّا فى مقررات التربية الدينية الإسلامية فى طبعاتها الثلاث؛ فلم تغفل أى من هذه الطبعات الحديث عن حق الإنسان فى العدل والمساواة والمواطنة والإشارة إلىحقوق المرأة والأقليات. وقد تناولت هذه الدراسة بعضًا من هذه الحقوق فى إطار الحديث عن بعض المفاهيم التى وردت فى الدراسة؛ لذا سوف يتم التركيز فى هذه الجزئية على ثلاثة من الحقوق الأساسية وهى العدالة، المساواة، المواطنة.

١- العدالة:

العدل: هو إعطاء كل ذى حق حقه دون النظر إلى مكانته أو جنسه أو لونه أو دينه، والعدل

فى الإسلام واجب على كل فرد، وفى كل شىء، وأبرز صفة يتحلى بها الحاكم هى العدالة، ولا يعنى العدل فى الحكم تطبيق القوانين فقط؛ بل هو أيضًا العدل فى الخصومات وفى توزيع الإنتاج والثروات والقيم، ويأتى العدل فى الإسلام بمعنى القسط وهو ضد الظلم، وقد جاء فى مقررات التربية الإسلامية: أن الله هو العدل، وأن مقتضى العدالة أن يحاسب الله كل إنسان عن أفعاله، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [سورة الزلزلة: الآيات ٧-٨][٢١٣].

أما العدالة البشرية؛ فتبدأ بالعدل فى داخل الأسرة، وبين الأبناء؛ حيث يتعين على المسلم أن يعامل أولاده بالعدل، فلا يميز بينهم فى المعاملة مما قد يولد فى نفوسهم الحقد والضغينة التى تحول دون الحفاظ على صلة الرحم. والله يأمرنا بالعدل والإحسان فى المعاملة بين الأبناء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [سورة النحل: الآية ٩٠][٢١٤].

ثم ينتقل مفهوم العدالة من الأسرة إلى باقى أفراد المجتمع؛ حيث تؤكد المقررات: أن العدل قيمة أساسية يجب أن تسود بين أفراد المجتمع -المسلم منهم وغير المسلم- حتى لا يظلم أحد ولا يضيع حقه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة المائدة: الآية ٨]. كما جاء فى كتاب الصف الثالث الإعدادى طبعة ١٩٩٩م أن الله يأمرنا بإقامة العدل وقول كلمة الحق، وعدم اتباع هوى النفس حتى يصلح المجتمع وتقوى الأمة ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [سورة النساء: الآية ١٣٥][٢١٥].

أما العدل فى الحكم فجاء مثاله الواضح فى رفض الرسول ﷺ لمحاباة المرأة المخزومية، وإعلانه أن العدل يقتضى المساواة بين الشريف والضعيف حتى تقوى الأمم ويتحقق لدولة الإسلام الأمن والسلام « وهنا تتجلى أروع آية من آيات العدالة عند رسول الله ﷺ »[٢١٦]. كما اهتمت المقررات الدراسية بالإشارة إلى بعض مواقف العدالة عند الصحابة والتابعين. واهتمت بإبراز عدل المسلمين فى فتوحاتهم وفى توزيعهم للغنائم، وفى معاملاتهم مع أهل البلاد التى يدخلونها[٢١٧].

٢- المساواة:

المساواة: قيمة من القيم الإسلامية الأصيلة المنبثقة عن العدل، وتعد أحد أهم المبادئ

الإسلامية، وقد أقر الإسلام حق المساواة بين الناس جميعًا فيما سنه من تكاليف وتشريعات وقوانين، ولم يبق للتفاضل بين الناس إلا التقوى والعمل الصالح. وقد جاء التأكيد على حق المساواة بين الناس فى طبعات الكتاب الثلاثة، وذلك على النحو التالى:

- اهتمت المقررات بالإشارة إلى أن الإسلام دين المساواة، وأن الدعوة العامة إلى المساواة جاءت فى خطبة الرسول ﷺ للناس فى حجة الوداع، وهى دليل كامل على المساواة العادلة التى يدعو إليها الإسلام فيقول الرسول الكريم ﷺ « أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، لا فضل لعربى على عجمى، ولا عجمى على عربى، ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود؛ إلا بالتقوى »(٢١٨).

- مظاهر المساواة فى الإسلام تتجلَّى فى أروع صورها فيما أقره الله للناس من عبادات؛ فالجميع فى الصلاة سواء يقفون فى الصف دون فارق، والكل يصوم ويمتنع عن الطعام والشراب فى وقت واحد ويفطرون فى ميقات واحد. والزكاة نصابها واحد لمن يملك. وفى الحج يتجه الناس إلى مكان واحد ويمارسون نفس الشعائر ويلبسون نفس اللباس، ويتجه الجميع إلى الله بقلوب مليئة بالإيمان والخشوع، وقد تجرَّد الحاج من منصب الوظيفة أو سلطان الحكم(٢١٩).

- المساواة فى الإسلام لم تفرق بين جنس وآخر، أو بين الأديان، أو الإنسان أيًّا كان عِرْقه أو وطنه أو منصبه؛ فالمساواة بين الناس قائمة بين الرجل والمرأة، فالمرأة لها ما للرجل من حقوق وواجبات ومكلفة مثله بالعمل الصالح، وهى حرة التصرف فى مالها، ولا اعتراض لأحد عليها، ولها رأيها فى اختيار الزوج، ولها الحق فى طلب العلم، ولها ثوابها فى الآخرة مثلها مثل الرجل(٢٢٠). والمسلم فى الوطن يتساوى مع أخيه المسيحى فى الحقوق والواجبات؛ فالمصريون أخوة لا تفرقة بينهم على أساس الدين. كذلك تظهر المساواة واضحة فى إقرار الإسلام للمعاهدين حقوقهم فلهم مالنا وعليهم ما علينا.

والمساواة تتسع لتشمل -كما جاء فى مقرر الصف الثانى الإعدادى طبعة ١٩٩٢م- المساواة فى الأعمال؛ فليس لعمل فضل على آخر، والإسلام يحترم العمل -أيًّا كان- ويحث على تنمية المجتمع، والإسلام ساوى بين الذين يعملون فى كل الأعمال، ولم يحقر العمل اليدوى، بل أعلى من شأنه ومن شأن من يقومون عليه(٢٢١).

والمساواة بين الأجناس تتجلى فى أوضح صورة – كما تذكر المقررات – فى مساواة

الرسول ﷺ بين المسلمين فى الشورى. وهكذا شمل مبدأ المساواة مختلف نواحى الحياة فى الإسلام وطبقه الرسول ﷺ والصحابة فى شتى شئون حياتهم.

٣- المواطنة:

تأتى قيمة **المواطنة** -أو مفهوم حب الوطن والانتماء له- كإحدى القيم الأساسية التى تسعى كل الدول إلى تأصيلها فى نفوس مواطنيها. وتعد هذه القيمة أحد أهم القيم التى تبث فى نفوس الأطفال فى كافة المجتمعات لكونها تحدد أسس العلاقة بين الإنسان ووطنه ومقدساته وعاداته وتقاليده، وعادة ما يتم التركيز على قيمة المواطنة من خلال الاهتمام بنقاط الفخر والاعتزاز والقوة فى تاريخ الدولة، بالإضافة إلى دعم مفاهيم الانتماء وحب الوطن. ويشير تحليل مضمون المقررات الدراسية إلى أن الاهتمام بمفهوم المواطنة جاء واضحًا فى الطبعات الثلاث من خلال التأكيد على نقطتين:

الأولى- الاعتزاز بالرموز الوطنية وبتاريخ الوطن وقيمه وأخلاقياته، حيث جاء فى مقرر الصف الخامس الابتدائى طبعة ١٩٨٨م أن « مصر كانت وما تزال ملجأ للأنبياء والشرفاء من أخيار الأمة، ينعمون بخيراتها ويأمنون فى رحابها ويعيشون بين أهلها أخوة متحابين »[٢٢٢].

وجاء فى مقرر الصف الثالث الإعدادى طبعة ١٩٩٢م « أن الصناعة فى مصر بدأت منذ فجر التاريخ، وتؤكد منجزات الحضارة: أن المصرى سبق العالم بابتكاراته » [٢٢٣]، وجاء أيضًا فى مقرر الصف الخامس الابتدائى: أن مصر انتصرت على اليهود فى حرب ١٩٧٣م، وحق المصريين أن يشعروا بالفخر والاعتزاز بهذا النصر[٢٢٤].

أما فى الطبعة الثالثة: فقد جاء فى كتاب « خواطر إسلامية » أن مصر بلد الحضارة والتاريخ والعلم والدين منذ آلاف السنين، ومن حق المصرى أن يفخر ويباهى شعوب الأرض جميعًا بها[٢٢٥]. كما جاء فى مقرر الصف الخامس الابتدائى فى إطار الحديث عن سورة القصص أن مصر كنانة الله فى أرضه، وأنها ذكرت فى القرآن عدة مرات، وشاء الله لها أن تعمل على حفظ الإسلام، وولد على أرضها موسى وهارون، وشهدت بعثة موسى، وبها سيناء - الأرض المقدسة- وجبل الطور الذى نادى الله منه موسى ومنها خرج الرجل الصالح الذى دعا قومه للإيمان بموسى، ومنها جاءت آسية امرأة فرعون التى آمنت بموسى، وتحملت العذاب من فرعون فى سبيل إيمانها[٢٢٦].

الثانية: الدعوة إلى حب الوطن والانتماء له والعمل على رفعته والمحافظة على ثرواته؛ من

ذلك ما جاء فى مقرر الصف الخامس الابتدائى طبعة ١٩٨٨م، من أن حب الوطن واجب على كل مصرى يعيش فوق ترابه ويتمتع بخيراته[٢٢٧]، وأن من كمال حب الوطن المحافظة عليه وعلى ثرواته ومرافقه وعدم العبث بها أو بخيراته[٢٢٨].

وحول نفس المعنى جاء فى كتاب الصف الرابع الابتدائى طبعة ١٩٢٢م أن الإسلام يدعونا للمحافظة على الطريق -فهو ملك للناس جميعًا-[٢٢٩]، والدولة تعمل بكل جهدها على إنشاء هذه المرافق وإدارتها نيابة عن المواطنين، وأنه يجب على كل مواطن أن يعمل جاهدًا للحفاظ على المال العام؛ فلا يترك المصابيح مضاءة نهارًا، أو يترك صنابير المياه مفتوحة، أو يلقى الخبز فى صناديق القمامة[٢٣٠]. أما فى مقررات الطبعة الثالثة فقد جاء الحث على حب الوطن والانتماء له من خلال مجموعة من الأناشيد المقررة على الصفوف المختلفة، ففى مقرر الصف الأول الابتدائى فى نشيد الصباح، دعاء بحفظ مصر ومدها بالخير، «انشر الخير بمصر، وأحفظ النيل السعيد»[٢٣١]. وجاء فى مقرر الصف الثانى الابتدائى دعاء لمصر بأن يحفظها الله «أَدِمْ على شعبنا الوئاما، واحفظ على مصرنا السلاما»[٢٣٢]. أما فى مقرر الصف الخامس: فقد جاء تحت عنوان نشيد بلادى دعاء لمصر بالسلامة، واستعداد للتضحية فى سبيل رفعتها، وحماية ثراها من أى معتدٍ[٢٣٣].

ومن هذا القبيل أيضًا: ما جاء فى مقرر الصف الثانى الإعدادى: من أن وطننا الذى وهبنا الله إياه وتربينا على ترابه وشربنا من مائه، يجب علينا تنمية ثرواته، والعمل على رفعته والدفاع عن أهله وأرضه تصديقًا لقول رسول الله ﷺ «أن من مات مدافعًا عن عرضه أو أرضه أو ماله فهو شهيد». وللتدليل على حب الوطن، ذكر نفس المقرر، أنه روى عن رسول الله ﷺ عند هجرته من مكة إلى المدينة أنه نظر إلى مكة وقال: «والله إنك لأحب بلاد الله فى قلبى، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت»[٢٣٤].

خاتمة: التغيير فى خطاب التعليم الدينى: جدلية الداخل والخارج:

جاءت الدعوة إلى إدخال مادة التربية الدينية الإسلامية فى مناهج التعليم فى مصر فى لحظة فارقة فى تاريخ الأمة، انتقلت فيها الدولة من وضعية الدولة الدينية إلى مصاف الدول بمفهومها الحديث. وإذا كان قدرنا أن نتعامل مع الحقائق؛ فإن علينا أن ندرك أن تدريس التربية الدينية الإسلامية كمادة تمثل واحدة من أهم مداخل الثقافة الدينية للنشء فى ظل تهافت الاهتمام بتأصيل المفاهيم الدينية فى فروع المعرفة الأخرى. وإذا كانت دعوى إصلاح

وتطوير مناهج التعليم - بما يتلاءم مع متغيرات العصر - تصب فى كافة فروع العلم والمعرفة؛ فإنها فى المناهج ذات الصبغة الدينية أحرى. ومن هنا جاء اهتمام الدراسة الحالية بتحليل مقررات التربية الدينية الإسلامية، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أهمها:

١- مازالت التربية الدينية الإسلامية حائرة بين اعتبارها مادة أساسية فى سياق التعليم المصرى انطلاقا من مرجعيته الدينية والدستورية، وبين محاولات التهميش المتتابعة التى لحقت بها.. ولعل إطلالة سريعة على واحدة من أحدث الدراسات المؤصلة لوضعية التربية الدينية فى الجداول الدراسية لعدد ١٤٢ دولة، توضح التدنى الواضح لزمن التدريس المخصص للمادة فى مصر، مقارنة بغيرها من الدول التى تقف معها على نفس الخط من المرجعية الدينية، مثل المملكة العربية السعودية واليمن. كما أن المقارنة بين مصر ودول أخرى أوروبية - مثل النمسا والنرويج وأيرلندا وغيرها- يوضح أن معدل تدريس المادة فى مصر يقل عن هذه الدول؛ بل إن الدولتين العربيتين الوحيدتين اللتين تقل الساعات التدريسية المخصصة فيهما لتدريس التربية الدينية -وفقًا للدراسة- هما تونس والجزائر، وقد تفيد الإشارة هنا إلى دور الاستعمار الاستيعابى الفرنسى(٢٣٥).

٢- إن الدعوة الحالية لإعادة النظر فى مضمون المقررات -ذات الطابع الدينى- لا تمثل نقلة جدية فى تاريخ تطوير المناهج؛ حيث تشير الدراسة إلى: أن مقررات التربية الإسلامية قد خضعت للتعديل والتبديل أربع مرات خلال العقدين السابقين، ومن ثم تصبح الدعوة إلى إعادة النظر فى مضمون المناهج، دعوة غير منبتة الصلة عما سبقها؛ إلا أن السياق الذى طرحت فيه هذه الدعوة -والدعاوى المستترة وراءها- هو الذى يطرح علامات استفهام حول حقيقتها والغرض منها وكيفية مواجهتها.

٣- إن مسيرة تطوير المناهج التعليمية فى مصر -كما ظهر من خلال تحليل مضمون مقررات التربية الدينية الإسلامية- توضح قدرتها على استيعاب متغيرات العصر دون إغفال الثوابت، وهو ما اتضح من خلال دراسة وتحليل المناهج الدراسية فى الطبعات الثلاث، مع إدراك وجود بعض أوجه القصور، سواء فى عرض المادة العلمية، أو فى اختيارها، أو فى ملاءمتها لأعمار الطلاب؛ إلا أن غلبة الاستناد للمرجعية الدينية قد حد من هذا القصور.

ختامًا: تبرز الدعوة الأمريكية لإعادة صياغة مناهج التعليم -وخاصة فى شقها الدينى- فى مصر وعدد من الدول الإسلامية -والتى تنامت فى إطار دعاوى الإصلاح التى تبنتها

الولايات المتحدة الأمريكية فى أعقاب أحداث الحادى عشر من سبتمبر- كأحد أهم التحديات الكبرى التى تواجه الدول الإسلامية، وليس منا من يرفض الإصلاح منهجًا لحياة أفضل، وأسلوبًا لتحقيق غاياتنا وطموحاتنا؛ إلا أنه إصلاح مرتبط بنا.. نابع من احتياجاتنا متأثر بهويتنا الإسلامية؛ لذا يمكن الإشارة إلى عدد من النقاط المهمة:

١- إن رفض الدعوة الغربية والأمريكية تحديدًا إلى تعديل المناهج -أو على الأقل التحفظ عليها- لا ينفى كون هذه المناهج تحتاج إلى تعديل، إنما الاعتراض هو على سعى الغرب إلى تفريغ المناهج الجديدة من مضامين الهوية الإسلامية والانتماء لأمة الإسلام، وقولبة العقول على النمط الغربى.

٢- إن عملية تطوير التعليم عملية شاملة لا تقبل التجزئة، ومن ثم فهى لا تنصب على جانب بعينه دون الآخر. ومع الاعتراف بأن المناهج الدراسية تعد أحد أهم هذه الجوانب؛ فإن اختصار عملية الإصلاح فى تغيير المناهج دون النظر إلى باقى مدخلات العملية التعليمية -من مدرس وأساليب تعليم ونظم تقييم- يختزل عملية الإصلاح ويصبها فى قالب الفرض وليس الاختيار.

٣- إن الإصلاح لا يتم فجأة، فالمشكلات التى تواجه النظام التعليمى؛ ليست مشكلات طارئة؛ بل هى مشكلات تمتد بجذورها إلى البدايات الأولى لنشأة النظام التعليمى الحديث؛ ومن ثم فإن قضايا التغيير تحتاج إلى دراسات متأنية، للتعرف على أوجه القصور التى تنتاب النظام التعليمى ومحاولة تلافيها وإصلاحها بما يتفق مع الثوابت الدينية للأمة الإسلامية.

٤- إن تدريس الدين ضرورة ملحة يفرضها ما يشهده العالم من تطورات تنزع نحو الفكر المادى والبعد عن الدين، وما نشهده من اختلال فى منظومة القيم، مما أدى إلى التأثير على سلوكيات الأفراد؛ إلا أنه يجب إعادة النظر فى طريقة التدريس بحيث يُنظر إلى الدين كمنهج حياة، وليس مجرد نسق معرفى يحتل مساحة محددة وينتهى عندها، كما أن إحياء المفاهيم الدينية يقتضى إعادة النظر فى المنظومة التعليمية بأكملها؛ لإنتاج منهج متكامل قادر على استيعاب متغيرات العصر دون تفريط فى الثوابت، ومُعلم قادر على الإسهام فى تربية طلابه تربية إسلامية سليمة، ومناخ مدرسى يسمح بأداء العبادات ويفى بمتطلبات التربية الإسلامية على وجه العموم، فى إطار من التنسيق والتكامل بين كافة مؤسسات الدولة وبخاصة المؤسسات الدينية.

هوامش الدراسة

(١) انظر تفصيلاً: د. سيف الدين عبد الفتاح، النظرية السياسية من منظور إسلامى، القاهرة: المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٩٨م، ص ١٤– ٢٢.

(٢) حول تدهور دور الأسرة فى التنشئة الاجتماعية بعامة، والتنشئة الدينية بخاصة، انظر: مجلس الشورى، تنمية الإنسان المصرى، لجنة الخدمات، التقرير رقم ١، ١٩٩٢م، ص ٢٢. أيضًا: د. عبد الباسط عبد المعطى، «الأسرة العربية المتغيرة والتنشئة، التربية» العدد١٠٣، السنة ٢١، ديسمبر ١٩٩٢م، ص ١٩٦– ٢٠٥.

(٣) وزارة التعليم، مبارك والتعليم: التعليم المصرى فى مجتمع المعرفة، القاهرة: ٢٠٠٣م، ص ١٤– ١٥.

(٤) حول هذا الموضوع، انظر: د. مصطفى كامل السيد، حقوق الإنسان فى مقررات التعليم الأساسى، القاهرة: مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٠م، ص ١٦– ١٧.

(٥) مجلس الشورى، نحو سياسة تعليمية متطورة، تقرير لجنة الخدمات، القاهرة: ١٩٩٢م، ص ٩.

(٦) انظر تفصيلاً: د. محمد رأفت غنيمى الشيخ، صمود الجامع الأزهر كمؤسسة تعليم إسلامى فى مواجهة تحديات التعليم على يد محمد على، المؤتمر العلمى الخامس للتربية الإسلامية، الجزء الثانى، القاهرة: المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية، مارس ١٩٨٧م، ص ١٢٩– ١٣٨.

(٧) يوسف الصفتى، التربية الدينية الإسلامية ١٨٨٥– ١٩٨٠م: عرض تاريخى تحليلى لتطور مناهجها وطرق تدريسها، القاهرة: المركز القومى للبحوث التربوية، ١٩٨٠، ص ٤٠– ٤٥.

(٨) تشير إحدى الدراسات إلى أن مراحل تطور المناهج الدراسية فى مصر فيما بين عامى ١٩٥٢– ١٩٨١م مر بست مراحل تعبر كل منها عن التغيرات التى شهدها المجتمع المصرى فى تلك الفترة. حول تأثير التغيرات والتحولات السياسية على النظام التعليمى. أنظر: المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى ١٩٥٢– ١٩٨٠م القاهرة: المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨١م، ص ٧٣١– ٧٣٧.

(٩) يوسف الصفتى، مرجع سابق، ص ١٨٩– ١٩٨.

(١٠) المرجع السابق، ص ١٩٠.

(١١) المرجع السابق، ص ١٨٨.

(١٢) اقتصرت الدراسة على دستور ١٩٧١م باعتباره الأساس الذى تستقى منه السياسات التعليمية لمصر منذ صدوره حتى الآن، كما أنه يغطى فترة الدراسة؛ إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن دستور ١٩٧١م قد اتفق مع دستورى ١٩٥٦م – ١٩٦٤م فى مجموعة من النقاط لعل أهمها: النص على أن الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، كذلك النص على أن الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق الوطنية. وهو ما يعبر عن ثوابت الأساس الدستورى لمحورية الدين فى سياسة الدولة منذ بداية عهد الثورة مع وجود فارق بين النص وتفعيل النص فى الواقع. انظر: دستورى ١٩٥٦م، ١٩٦٤م فى: الهيئة العامة للاستعلامات، القرارات الكبرى لثورة ٢٣ يوليو، الجزء الأول، القاهرة: ١٩٨٥م، ص ٢٤– ١١٦.

(١٣) حول دور الدين فى المرجعية السياسية، انظر: نبيل عبد الفتاح، سياسات الأديان: الصراعات وضرورات الإصلاح، القاهرة: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣م، ص١٦١–١٦٤. أيضًا: د. هدى ميتكيس، الشرعية والمعارضة الدينية: دراسة حالة كل من المغرب ومصر، فى د. مصطفى كامل السيد، التحولات الحديثة فى الوطن العربى، القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٨٩م، ص ٤٨٢– ٤٨٥.

(١٤) سبق هذا القانون صدور القوانين رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥١م و٢١٠ لسنة ١٩٥٣م بشأن تنظيم التعليم الابتدائى. كذلك صدر القانون ٢١١ لسنة ١٩٥٣م، والقانون ٥٥ لسنة ١٩٥٧م بشأن تنظيم التعليم الإعدادى. ثم صدر القانون رقم ٦٨ لسنة ١٩٦٨م بشأن نظام التعليم العام.

(١٥) (المادة ١) من القانون ١٣٩ لسنة ١٩٨١م، وزارة التربية والتعليم، التشريعات واللوائح التى تحكم أنشطة العمل بوزارة التربية والتعليم، الكتاب الثالث، ١٩٩٠م، ص ٥١.

(١٦) المرجع السابق، ص ٦٠.

(١٧) المادة ٦ من القانون، المرجع السابق، ص ٥٢.

(١٨) د. محمد عبد القادر أحمد، طرق تعليم التربية الإسلامية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨١م، ص ٢٤٧.

(١٩) انظر: جاد الحق على جاد الحق، نقض الفريضة الغائبة، مجلة الأزهر، عدد المحرم ١٤١٤م. أيضًا: الجماعة الإسلامية، ميثاق العمل الإسلامى، د.ن.، د.ت.

(٢٠) تشير بعض الدراسات إلى أن سياسات التعليم فى مصر عادة ما تدور وجودًا وعدمًا مع شخص المسئول الأول عن الوزارة؛ مما أدى إلى تغيرها فى كثير من الأحيان بتغير الوزير، انظر على سبيل المثال «لورنس بسطا ذكرى" دراسات فى إصلاح سياسات ونظم التعليم، فى ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة، القاهرة: المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، ٢٠٠٠م، ص ٧١. أيضًا: مجلس الشورى، نحو سياسة تعليمية متطورة، مرجع سابق، ص ١٦– ٢٢. وقد تتابعت على السياسات التعليمية فى مصر منذ ١٩٨٠م حتى الآن أربع استراتيجيات مثلت كل استراتيجية منهم رؤية خاصة لوزير التعليم وتبدأ باستراتيجية تطوير وتحديث التعليم فى مصر للدكتور مصطفى كمال حلمى والصادرة عام ١٩٨٠م، مرورًا بأسس السياسة التعليمية كما قدمها د. عبد السلام عبد الغفار فى يوليو ١٩٨٥م، ثم كتابى د. أحمد فتحى سرور استراتيجية تطور التعليم فى مصر ١٩٨٧م، وتطوير التعليم فى مصر، سياسته واستراتيجيته وخطة تنفيذه ١٩٨٩م، انتهاءً بتقرير د. حسين كامل بهاء الدين المقدم إلى مجلس الشورى ١٩٩١م، والذى تبلور فى كتاب التعليم والمستقبل الصادر ١٩٩٧م. وتوضح هذه الاستراتيجيات رؤية القائمين على التعليم فى مصر لأساسيات التطوير فى التعليم.

(٢١) اتسم توزيع الخطط الدراسية بالثبات حيث لم تطرأ تغييرات على توزيع الحصص المدرسية فى مادة التربية الدينية وظلت كما هى فى الجداول الدراسية المختلفة، انظر على سبيل المثال: المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية: تطور التعليم فى جمهورية مصر العربية ٩٤– ٩٦، القاهرة: ١٩٩٦م، ص ٢٨. أيضًا: د. نادية جمال الدين، مشروع تحسين التعليم الأساسى: دراسة مقارنة لمرحلة التعليم الأساسى فى مصر، القاهرة: المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، ٢٠٠٣م، ص ١٩. د. أحمد يوسف سعد، تطوير التعليم الثانوى فى مصر فى ضوء اعتباره تعليما أساسيًّا: تصور مقترح، القاهرة: المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، ٢٠٠١م، ص ٢١.

(٢٢) د. نادية جمال الدين، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢٣) القرار الوزارى رقم ٢٧٠ لسنة ١٩٨٩م بشأن تقويم الطلاب فى امتحانات النقل والشهادة بالتعليم الأساسى، مجلة التربية والتعليم، السنة الأولى، العدد الأول، نوفمبر ١٩٨٩م، ص ١٦٥– ١٧٥. أيضًا: القرارات الوزارية أرقام ٢٨٨ لسنة ١٩٨٣م، ١٨٥ لسنة ١٩٩٠م.

(٢٤) سيد عبد الكريم رشوان، الأصول التاريخية للتربية الإسلامية، المؤتمر العلمى الخامس للتربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٩٥.

(٢٥) يوسف الصفتى، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

(٢٦) المرجع السابق، ص ٣٣٥–٣٣٦.

(٢٧) سيد عبد الكريم رشوان، مرجع سابق، ص ٦٩٨.

(٢٨) جاءت توصيات المديريات التعليمية فيما يتعلق بمناهج التربية الإسلامية؛ لتؤكد على أهمية تعميق المفاهيم والقيم الدينية لدى التلاميذ -عن طريق الممارسة العملية- والدعوة إلى ضرورة تضمين القضايا الخاصة بالمعاملات فى مناهج الدين، مع ضرورة ربط المناهج بالحياة ومشكلات المجتمع، والعمل على زيادة خطة تدريس التربية الدينية فى التعليم الأساسى وإضافة درجاتها للمجموع الكلى. انظر تفصيلا: المركز القومى للبحوث التربوية، نحو تطوير التعليم: دراسة تحليلية لآراء وتوصيات المديريات التعليمية، القاهرة: وزارة التربية والتعليم، ١٩٨٧م، ص ٤٢-٤٣.

(٢٩) انظر على سبيل المثال؛ القرارات الوزارية الخاصة بتشكيل مجموعات عمل تطوير المناهج مثل: القرار رقم ٥١ لسنة ١٩٨٦م، فى شأن تشكيل مجموعات عمل لتأليف وتعديل الكتب المدرسية وفقا للمناهج المطورة للصفين الخامس والثانى الأساسين للعمل بها اعتبارًا من العام الدراسى ١٩٨٨/٨٧م، كذلك القرار الوزارى رقم ٣٥ لسنة ١٩٨٧م فى شأن تشكيل اللجان الفرعية لتطوير المناهج، ثم القرار ٩٤ لسنة ١٩٨٧م فى شأن أهداف تطوير المناهج فى المراحل التعليمية المختلفة.

(٣٠) كان مقررًا صدور مناهج الصفين السادس والتاسع عام ١٩٨٩/٨٨م، إلا أن تقليص عدد سنوات فى المرحلة الابتدائية بمقتضى القانون ٢٣٣ لسنة ١٩٨٨م لم يسمح بصدور منهج الصف السادس.

(٣١) القرار الوزارى رقم ١٧٦ لسنة ١٩٩٠م الصادر فى ١٩٩٠/٦/٤م. وتجدر الإشارة إلى أن هذا القرار قد نص على ضرورة التعاون بين، شعبة بحوث تطوير المناهج، التابعة للمركز القومى للبحوث التربوية والتنمية والمشكل وفقًا للقرار الجمهورى ٥٣ لسنة ١٩٨٩م الصادر فى ١٩٨٩/٢/١١م، ومركز تطوير المناهج، فى سبيل أداء مهمته انظر: وزارة التعليم، منجزات مسيرة تطوير التعليم فى مصر ٨٧-١٩٩٠، القاهرة: المكتب الفنى للوزير، ١٩٩٠م، ص ٦١- ٦٣.

(٣٢) اليهود والأمريكان يضعون مناهج التعليم الجديدة، جريدة الشعب، ١١- ٩- ١٩٩٢م.

(٣٣) المرجع السابق، أيضًا: الإخوان تفتح ملف التعليم فى مصر، جريدة النور، ١٦- ٥- ١٩٩٠م. مناهج التعليم ولعنة التطبيع الكبرى، جريدة الشعب، ٢٤- ٩- ١٩٩٣م. الحذف من مقررات التربية الإسلامية، جريدة الجمهورية، ٣١-٥- ١٩٩.

(٣٤) أنظر: مقررات التربية الدينية الإسلامية المقررة على الصفوف الأول والثانى والرابع من التعليم الابتدائى، طبعات ٩١- ١٩٩٢م.

(٣٥) على سبيل المثال تم حذف نشيد الوضوء من مقرر الصف الأول الابتدائى الذى يوضح أهمية الوضوء والصلاة، وتأثيرها على اكتساب مرضاة الله، كما تم حذف قصة الراعى الأمين والتى تحكى رفض الراعى الصغير الانصياع لاختبار عمر بن الخطاب له، عندما أوعز إليه بفكرة إيهام صاحب الغنم بأن الذئب أكل أحد خرافه، وهى القصة التى تعلى من قيمة الصدق والأمانة. ونشيد الطائر المغرد الذى تعلى من قيمة الحرية من دروس الصف الثانى الابتدائى. أما فى الصف الرابع الابتدائى فقد حذف نشيد الخلق الكريم، وهو النشيد الذى يحث على اتباع القيم الأخلاقية من صدق وأمانة والكسب الحلال وفعل الخير.

وفيما يتعلق بالإضافة: فقد أضيف عدد من سور القرآن الكريم إلى المقررات، سواء للاستشهاد بآياتها، أو للحفظ فى مقررات الصفوف الثلاثة السابق الإشارة إليها، كما أضيفت بعض الموضوعات التى تتعلق بالعقيدة إلى مقرر الصف الرابع الابتدائى مثل: الله هو العليم البصير. إلا أن أبرز التعديلات تلك المتعلقة بالأحكام الفقهية الخاصة بالعبادات، حيث حذفت بعض الموضوعات الخاصة بالصلاة والصوم والزكاة والحج. وقد استبعدت هذه الطبعة من التحليل لعدم توفرها، انظر: اليهود والأمريكان يضعون مناهج التعليم، مرجع سابق. أيضًا: خطر يهدد التعليم المصرى، جريدة النور، ٧-٧-١٩٩٣.

(٣٦) وزارة التعليم، مشروع مبارك القومى: إنجازات التعليم فى ٣ أعوام، القاهرة: ١٩٩٤م ، ص ٣٦- ٣٧.

(٣٧) انظر: وزارة التعليم، مائة وستون عامًا من التعليم فى مصر، وزراء التعليم وأبرز إنجازاتهم ١٨٣٧م-١٩٩٧م، القاهرة: ٢٠٠٢م، ص ٥٢٠.

(٣٨) صدر القرار الوزارى رقم ٧٠ لسنة ١٩٩٣م، والصادر فى ١٩٩٣/٣/١٦م اتساقًا مع ما ذهبت إليه توصيات المؤتمر القومى لتطوير مناهج التعليم الابتدائى من الأخذ بنظام المسابقة بين مؤلفى الكتب الدراسية مع تشكيل لجان تحكيم من المتخصصين من خارج الوزارة لاختيار الكتب الفائزة ،على أن تحدد الوزارة معايير الجودة اللازمة فى التأليف والإخراج. انظر: وزارة التعليم، مشروع مبارك القومى، مرجع سابق، ص ٤٢-٤٩.

(٣٩) المرجع السابق، ص ٣٧.

(٤٠) سوف تستبعد الدراسة منهج الصف السادس الابتدائى من مجال التحليل وذلك لسببين: الأول اختفاء دلالة المقارنة بين الطبعات الثلاث لغياب الصف السادس الابتدائى من مرحلة التعليم الأساسى خلال فترة التحليل بمقتضى القانون ٢٢٣ لسنة ١٩٨٨م، الثانى أن عودة الصف السادس إلى منظومة مرحلة التعليم الابتدائى فى العام الدراسى ٢٠٠٤- ٢٠٠٥م بمقتضى القانون رقم ١٢٣ لسنة ١٩٩٩م لم يصحبها الإعداد الكافى سواء تنظيميًّا أو منهجيًّا إلى حد أن مقدمة مقررْ التربية الإسلامية تشير إلى استعانة اللجنة التى قامت بإعداده بأجزاء من كتابى الصفين الرابع والخامس، وهو ما يفسر بدوره غياب بعض الموضوعات المقررة على طلبة الصفين الرابع والخامس من كتاب التربية الدينية الإسلامية طبعة ٢٠٠٤م- ٢٠٠٥م. انظر: التربية الدينية الإسلامية، الصف السادس الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، القاهرة: ٢٠٠٤م- ٢٠٠٥م.

(٤١) عادة ما يتم التحليل الوصفى للكتاب المدرسى من خلال تحديد عدد الكتب المقررة، وعدد صفحاتها وتوزيعها على المراحل التعليمية المختلفة، ومؤلفيها وإخراجها من حيث الشكل، وتستبعد الدراسة الجزئية الخاصة بعدد الصفحات وحجم الكتاب من التحليل؛ وذلك لعدم انتظام طريقة الكتابة فى كل فترة وداخل كل مقرر، مما قد يعطى إحساسًا وهميًّا بزيادة عدد الصفحات أو نقصانها، وما قد يترتب عليه من إيحاءات عن الاهتمام بالمقرر من عدمه. حول توصيف مقررات التربية الدينية الإسلامية انظر: د. حسنين توفيق إبراهيم، التوجهات السياسية فى كتب التربية الدينية الإسلامية لمراحل التعليم الابتدائى والإعدادى والثانوى العام، فى: د. كمال المنوفى (تحرير) ، التعليم والتنشئة السياسية فى مصر، جامعة القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ١٩٩٤م، ص ١٧٢-١٧٦. أيضًا: إيمان نور الدين أمين، حقوق الإنسان فى كتب التربية الدينية والإسلامية والمسيحية لمرحلة التعليم الأساسى، د. مصطفى كامل السيد (إشراف) حقوق الإنسان فى مقررات التعليم الأساسى، جامعة القاهرة: مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٠م، ص ٢٦٤- ٢٦٩.

(٤٢) تجدر الإشارة: إلى وجود كتب مقررة على المراحل الدراسية المختلفة تُعرفْ بالكتب «ذات الموضوع الواحد" بداية من الصف الخامس الابتدائى، وقد أخرجت هذه الكتب من التحليل من المرحلة الأولى فقط لعدم توفرها.

(٤٣) الكتب هى بالترتيب:

- د. فتحى على يونس، وآخرون، التربية الإسلامية للصف الأول من التعليم الأساسى، طبعة ٨٧- ١٩٨٨م.
- د. محمود كامل الناقة، وآخرون، التربية الإسلامية، الحلقة الأولى من التعليم الأساسى، الصف الثانى، طبعة ٨٨- ١٩٨٩م.
- د. عبد الله محمود شحاته، وآخرون، التربية الإسلامية، الحلقة الأولى من التعليم الأساسى، الصف الثالث، طبعة ٨٧- ١٩٨٨م.

- على عبد الموجود القاضى، وآخرون، التربية الإسلامية، الحلقة الأولى من التعليم الأساسى، الصف الرابع، طبعة ٨٨- ١٩٨٩م.
- عبد الجليل حماد، وآخرون، التربية الإسلامية، الحلقة الأولى من التعليم الأساسى، الصف الخامس، طبعة ٨٨- ١٩٨٩م.
- محمود السيد الدوة، وآخرون، التربية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ٨٧- ١٩٨٨م.
- محمد سيف الدين عليش، وآخرون، التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ٨٧- ١٩٨٨م.
- سيد عبد الكريم رشوان، وآخرون، التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ٨٨- ١٩٨٩م.

(٤٤) انظر تفصيلا المقررات السابق الإشارة إليها طبعة ١٩٨٧-١٩٨٨م.

(٤٥) الكتب المقررة هى على التوالى:
- د. عبد المجيد حمروش، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الابتدائى، طبعة ٩٢- ١٩٩٣م.
- د. حكمت محمود الزنارى، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الابتدائى، طبعة ٩٢- ١٩٩٣م.
- د. أحمد الضوى، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الابتدائى، طبعة ٩٤- ١٩٩٥م.
- محمود حسنى الجران، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، طبعة ٩٢- ١٩٩٣م.
- عبد الرحمن الجبالى، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ٩٣- ١٩٩٤م.
- على محمود إبراهيم، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ٩٢- ١٩٩٣م.
- يوسف حسن صالح، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ٩٢- ١٩٩٣م.
- محمد حسين سباق، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ٩٣- ١٩٩٤م.

أما الكتب ذات الموضوع الواحد فهى على التوالى:
- عبد السلام محمد زيدان، أسد الله حمزة بن عبد المطلب، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ٩٣-١٩٩٤م.
- إبراهيم محمد الجمال، «أسماء بنت أبى بكر-ذات النطاقين-» الصف الأول الإعدادى، طبعة ٩٣- ١٩٩٤م.
- على الجمبلاطى، عبد المنعم قنديل، أسامة بن زيد، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م.
- محمد متولى الشعراوى، معجزة القرآن، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ٩٢- ١٩٩٣م.

(٤٦) د. حسنين توفيق إبراهيم، مرجع سابق، ص ١٨١.

(٤٧) بالنسبة للكتب ذات الموضوع الواحد: يلاحظ أن كتاب الصف الأول الإعدادى خلال تلك المرحلة بدل ما بين كتابى «عقبة بن نافع، وأسماء بنت أبى بكر»، كما أن الكتاب المقرر على الصف الثالث الإعدادى كان حينًا معجزة القرآن، وحينًا آخر خواطر إسلامية.

(٤٨) هذه الكتب هى على التوالى:
- الحسينى محمد المداح وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الابتدائى، طبعة ٢٠٠٠م-٢٠٠١م.
- د. حسن شحاته، التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الابتدائى، طبعة ٢٠٠١م- ٢٠٠٢م.
- أحمد محمد صقر، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الابتدائى، طبعة ٢٠٠٤م- ٢٠٠٥م.
- محمود السقارى، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، طبعة ٢٠٠٠م- ٢٠٠١م.
- د. شاكر عبد العظيم، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ٩٩- ٢٠٠٠م.
- محمد الفاتح الحسينى، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ٩٧-١٩٩٨م.
- د. زكريا طه منصور، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ٩٦-١٩٩٧م
- أحمد يحيى نور الحجاجى، وآخرون، التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ٢٠٠١م-٢٠٠٢م.

أما الكتب ذات الموضوع الواحد فهـى:

- عبد السلام العشرى، «عبد الرحمن بن عوف»، الصف الخامس الابتدائى، ٢٠٠١م- ٢٠٠٢م.
- على الجمبلاطى، عبد المنعم قنديل، «عقبة بن نافع»، الصف الأول الإعدادى، ٢٠٠٢م-٢٠٠٣م.
- على الجمبلاطى، عبد المنعم قنديل، «أسامة بن زيد»، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م.
- مصطفى كامل مصطفى، «خواطر إسلامية فى التوعية البيئية والسكانية»، الصف الثالث الإعدادى، ٢٠٠١م- ٢٠٠٢م.

(٤٩) انظر: دليل تقويم التلميذ فى مادة التربية الدينية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، طبعة ٢٠٠٠م- ٢٠٠١م، ص ٣.

(٥٠) إيمان نور الدين، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

(٥١) د. سعيد إسماعيل على، «أصول التربية الإسلامية»، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٨م، ص ٦. أيضًا: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، القاهرة: دار القلم، د.ت، ص ١٩.

(٥٢) د. حسنين توفيق، مرجع سابق، ص ١٧٧.

(٥٣) انظر على سبيل المثال: الأهداف العامة لمرحلة التعليم الإعدادى فى ضوء توصيات المؤتمر القومى لتطوير التعليم الإعدادى، وكذلك الأهداف الخاصة بمادة التربية الدينية فى وزارة التربية والتعليم، المؤتمر القومى لتطوير التعليم الإعدادى: تصور مقترح للمواد الدراسية، القاهرة: نوفمبر ١٩٩٤م، ص ٦-١٠. كذلك يشار فى هذا الصدد إلى ما قامت به وزارة التعليم من إعداد ما يسمى: «مشروع المعايير القومية للتعليم فى مصر"، والتى حددت هدفه فى العمل على «تحقيق الجودة الشاملة للتعليم فى مصر، باعتبار المعايير القومية محددًة لمستويات الجودة المنشودة « وتنهض فلسفة بناء المعايير على مجموعة من المبادئ والمفاهيم التى تعكس محاور الرؤية المستقبلية للتعليم، وتشكل الأساس الفكرى لهذا المشروع، لعل أهمها:

- التزام الدولة بالمواثيق الدولية والقومية الخاصة بحقوق الطفل والمرأة، والإنسان عمومًا.
- خدمة العدالة الاجتماعية والمحاسبية، وتكافؤ الفرص والحرية، وترسيخ قيم العمل الجماعى، والتنوع والتسامح وتقبل الآخر.
- إحداث تحول تعليمى: يرتقى بقدرة المجتمع على المشاركة وغرس مقومات المواطنة الصالحة والانتماء والديمقراطية.

ووفقًا لما سبق تم وضع مجموعة من «المستويات المعيارية للمواد" ومنها مادة التربية الدينية الإسلامية. وقد حددت اللجنة المشكلة -لوضع معايير محتوى مناهج التربية الإسلامية- أربعة مجالات أساسية للمادة هى: العقيدة، والعبادات والسير، والشخصيات والقيم، والعلاقات الإنسانية، على أن يراعى عند وضع المادة طبيعة كل من التربية الإسلامية والتعليم والمجتمع وما طرأ عليه من تغيرات ذات أبعاد دينية مثل: الغلو فى الدين، الإدمان. وما اكتنف العالم من تطور اتصالى جعله قرية واحدة يتأثر بعضها ببعض، بالإضافة إلى ما فرضته العولمة من انعكاسات مختلفة أفرزت سلوكيات تنذر بالخطر وتهدد منظومة القيم الدينية، مما يستدعى الرجوع إلى المبادئ والقيم الإسلامية التى تنظم علاقة الفرد بربه وبنفسه وبغيره. ومن المفترض أن توضع المناهج الجديدة للتربية الدينية الإسلامية انطلاقًا من هذه المعايير، وهو ما لم يتم حتى لحظة الانتهاء من إعداد البحث، انظر وزارة التعليم، مشروع إعداد المعايير القومية: المعايير القومية للتعليم فى مصر، المجلد الأول والثانى، ٢٠٠٣م.

(٥٤) انظر مقدمات كتب التربية الإسلامية المقررة على الصفوف من الأول إلى الخامس للمرحلة الابتدائية، طبعة ١٩٨٧م- ١٩٨٨م.

(٥٥) د. محفوظ على عزام، الأساس العقائدى للتربية، المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٣٠-٤٣٥.
(٥٦) د. سيف الإسلام على مطر، دور التربية الإسلامية فى التغيير الاجتماعى، المؤتمر العالمى الخامس للتربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٨٨-٤٩١.
(٥٧) انظر مقدمات كتب الصفوف الأول والثانى والثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م- ١٩٨٨م.
(٥٨) انظر مقدمة الكتب المقررة على المرحلتين الابتدائية والإعدادية، طبعة ١٩٩٢م- ١٩٩٣م.
(٥٩) عبد السلام محمد زيدان، مرجع سابق، ص ٢.
(٦٠) إبراهيم محمد الجمل، مرجع سابق، ص ٣.
(٦١) على الجمبلاطى، عبد المنعم قنديل، «أسامة بن زيد»، مرجع سابق، ص ٣.
(٦٢) محمد متولى الشعراوى، مرجع سابق، ص ٣.
(٦٣) انظر: مقدمات الكتب المقررة على مرحلة التعليم الابتدائى، طبعة ٩٥- ١٩٩٦م.
(٦٤) مقدمات الكتب المقررة على الصفوف الإعدادية الثلاثة، طبعة ٩٥- ١٩٩٦م.
(٦٥) انظر: مقدمات الكتب ذات الموضوع الواحد المقررة على المرحلة الإعدادية، طبعة ١٩٩٥م.
(٦٦) د. السيد عمر، منهج القيم والأخلاق بين الوضعية والمعيارية، فى: آفاق الإصلاح التربوى فى مصر، المؤتمر العلمى السنوى لكلية التربية، جامعة المنصورة: أكتوبر ٢٠٠٤م، ص ١٢٥.
(٦٧) تتضمن المقررات الدراسية موضوعات كثيرة حول التوحيد، انظر على سبيل المثال: التربية الإسلامية، الصف الأول الابتدائى، طبعة ، ١٩٨٨م ص ٨-١٠. التربية الإسلامية، الصف الثانى الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٢٠.
(٦٨) عبد المنعم صالح العلى، أصول العقيدة الإسلامية، القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، ١٩٩٩م، ص ١٢- ١٣.
(٦٩) التربية الإسلامية، الصف الثانى الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٢٠. التربية الإسلامية، الصف الأول الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٨-١٠.
(٧٠) المرجع السابق، ص ١١.
(٧١) التربية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٨. التربية الإسلامية، الصف الثالث الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٥.
(٧٢) المرجع السابق، ص١٩. التربية الإسلامية، الصف الثانى الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١١.
(٧٣) التربية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٥.
(٧٤) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٨، ص ٧٨.
(٧٥) المرجع السابق، ص ٥٨- ٦٧.
(٧٦) التربية الإسلامية، الصف الثانى الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٤.
(٧٧) التربية الإسلامية، الصف الثالث الابتدائى، طبعة ١٩٨٧م، ص ١٨.
(٧٨) التربية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٢-١٥.
(٧٩) ورد الحديث عن العبادات بالتفصيل فى الصفوف الخمسة الأولى من المرحلة الابتدائية، أما فى المرحلة الإعدادية فقد اقتصر الحديث عن الصوم وحكمته وفوائده وأنواعه فى كتاب الصف الثانى الإعدادى. وجاء فى كتاب الصف الثالث الإعدادى حديث عن الحج والعمرة والحكمة منهما. أيضًا تضمن كتاب الصف الثالث الإعدادى حديثاً تفصيليًا عن الزكاة وحكمتها وأنواعها والمستحقين لها، انظر: التربية الإسلامية، الصف الثانى والثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ١٤٠-١٥٣، وص ٩٠-١٠٥، ص ٢٠٧-٢١٦.

(٨٠) نقلاً عن: أمانى عبد الرحمن صالح، «إشكالية الحدود فى التصور الإسلامى»، السياسة الدولية، العدد ١١، إبريل ١٩٩٣م، السنة ٢٩، ص ٥٥.
(٨١) التربية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ٨٧-١٩٨٨م، مرجع سابق، ص ١٦١.
(٨٢) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ٨٧-١٩٨٨م، ص ١٢٤- ١٣٩، أيضًا: الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٩٥.
(٨٣) التربية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ٨٧-١٩٨٨م، ص ٨٠-١٢٠.
(٨٤) التربية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ٨٨-١٩٨٩م، ص ٤٢.
(٨٥) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ٩٢-١٩٩٣م، ص ١٠٨.
(٨٦) المرجع السابق، ص ٩٣.
(٨٧) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٩٣م، ص ٥١-٥٢.
(٨٨) التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٧م، ص ٧٣.
(٨٩) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الثانى، طبعة ٢٠٠١م، ص ٤٦.
(٩٠) التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٧م، ص ٣٥-٣٦.
(٩١) المرجع السابق، ص ٤٥-٤٦.
(٩٢) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٩٩-٢٠٠٠م، ص ٣٩-٤٠.
(٩٣) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ٩٦-١٩٧٩م، ص ٨٥-٨٨.
(٩٤) التربية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٢٤. أيضًا: التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الثانى، طبعة ٢٠٠١م، ص ٥٧-٥٨.
(٩٥) التربية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ٨٧-١٩٨٨م، ص ٦-١٠.
(٩٦) انظر: أمانى عبد الرحمن صالح، مرجع سابق، ص ٥٦.
(٩٧) المرجع السابق، ص ٥٦. تجدر الإشارة إلى أن الحديث عن هذا الجانب من المبادئ والقيم الإسلامية جاء فى: قصة «أسامة بن زيد» والمتضمنة لخطة أبى بكر للجيش والتى جاء فيها «أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى، لا تخونوا ولا تغلو ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة" كما ورد فى قصة «عقبة بن نافع»، أنظر: على الجمبلاطى، أسامة بن زيد، مرجع سابق، ص ٥١. أيضًا: على الجمبلاطى، عقبة بن نافع، مرجع سابق، ص٥٥.
(٩٨) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠١م، ص ٣٩. انظر أيضًا: التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ٨٨-١٩٨٩م، ص ١٩٦. وحول حرية العقيدة فى مجتمع المدينة الجديد انظر: التربية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٣م، ص٨٧. كذلك: التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٣م، ص ١١٨. وتفصيلاً انظر: على الجمبلاطى، عبد المنعم قنديل، «عقبة بن نافع»، مرجع سابق، ص٣١.
(٩٩) المرجع السابق، ص١٠٣.
(١٠٠) تفصيلا: أمانى صالح، مرجع سابق، ص ٥٦.
(١٠١) جاء الحديث عن صلح الحديبية فى الطبعات الثلاث. انظر: التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٠٠-١٠٦. أيضًا: التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٩٩. والتربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ٩٧- ١٩٩٨م، ص ٨٤-٨٥.
(١٠٢) تشير قراءة مقررات الصفوف الثمانية من التعليم الأساسى فى الطبعات الثلاث: إلى أنه لا يوجد مقرر واحد يخلو من الإشارة لهذه الآداب والسلوكيات، باعتبارها تمثل جوهرًا أساسيًّا للإسلام، انظر تأكيدًا على التزام هذه المقررات بإبراز الهوية الإسلامية، د. حسنين توفيق، مرجع سابق، ص ١٨٠-١٨٥.

(١٠٣) أمانى عبد الرحمن صالح، مرجع سابق، ص ٥٦-٥٨.
(١٠٤) المرجع السابق، ص ٥٦.
(١٠٥) إبراهيم محمد الجمال، مرجع سابق، ص ٢٩.
(١٠٦) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٩٧.
(١٠٧) التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٢٠.
(١٠٨) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨، ص ١٨٨.
(١٠٩) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٣٦.
(١١٠) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ١٩٩٣م، ص ١١.
(١١١) التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٢٣-٢٤. أيضًا: التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٩٥.
(١١٢) انظر تفصيلاً مقررات الصفوف الثالث والرابع والخامس الابتدائى، والأول والثانى والثالث الإعدادى الطبعة الأولى ٨٧-١٩٨٨م. أيضًا: مقررات الصفوف الرابع والخامس الابتدائى، والصفوف الإعدادية الثلاثة، طبعة ١٩٩٢م. أيضًا: مقررات الصفوف الإعدادية الثلاثة، طبعة ١٩٩٩م.
(١١٣) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٩٢-١٠٠. أيضًا: التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ٧٦- ٨٢. أيضًا: عبد السلام زيدان، مرجع سابق، ص ٤٢.
(١١٤) المرجع السابق، ص ٩٣-٩٥.
(١١٥) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٢٦-١٣٠.
(١١٦) د. إسماعيل عبد الفتاح، القيم السياسية فى الإسلام، القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠١م، ص ١٣٢. أيضًا: هبه رؤوف عزت، المرأة والعمل السياسى: رؤية إسلامية، القاهرة: المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٩٥م، ص ١٤٢-١٤٦.
(١١٧) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٣م، ص١٠١-١٠٤.
(١١٨) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠١م، ص ٤٧-٥١.
(١١٩) عبد السلام العشرى، مرجع سابق، ص ٦٠.
(١٢٠) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠١م، ص ٥٠.
(١٢١) عبد السلام العشرى، مرجع سابق، ص ٥٧-٥٨.
(١٢٢) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠١م، ص ٥٠.
(١٢٣) د. إسماعيل عبد الفتاح، مرجع سابق، ص ٧٨.
(١٢٤) التربية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م.
(١٢٥) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٣م، ص٤٥.
(١٢٦) على الجمبلاطى، «أسامة بن زيد»، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥. أيضًا: التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠١م، ص ٣٥.
(١٢٧) التربية الدينية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، الصف الدراسى الثانى، طبعة ٢٠٠٠م، ص ١٩.
(١٢٨) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، ٢٠٠١م، ص ٤٩-٥١.
(١٢٩) د. إسماعيل عبد الفتاح، مرجع سابق، ص ١٠٦.
(١٣٠) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٥٨.
(١٣١) المرجع السابق، ص ١٩٥.

(١٣٢) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٨٨. أيضًا: التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٣م، ص٨٧.
(١٣٣) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الابتدائى، الفصل الدراسى الثانى، طبعة ٢٠٠٤م، ص٢٢.
(١٣٤) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ١٩٩٩م، ص ١٤.
(١٣٥) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠١م، ص٣٩.
(١٣٦) التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٧م، الفصل الدراسى الأول، طبعة ١٩٩٧مص٥١.
(١٣٧) انظر: د. سيف الدين عبد الفتاح، مرجع سابق، ص ١٨٠.
(١٣٨) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، ٢٠٠١م، ص ٤٠-٤١.
(١٣٩) التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٥٨.
(١٤٠) التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠١م، ص ٤٠.
(١٤١) المرجع السابق، ص ٤٠. أيضًا: التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص١٥٨.
(١٤٢) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٤٥-٤٧.
(١٤٣) حول محورية هذا المفهوم انظر: د. حسنين توفيق، مرجع سابق، ص ٤٤-٤٩.
(١٤٤) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ٢٦١-٢٦٣.
(١٤٥) التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٢٠١-٢١٦.
(١٤٦) المرجع السابق، ص ١٩٥.
(١٤٧) التربية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ٦٠.
(١٤٨) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ٨٧.
(١٤٩) التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٨٦.
(١٥٠) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٥١.
(١٥١) التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٩٣م، ص ٦١.
(١٥٢) التربية الإسلامية، الصف الأول الابتدائى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٤٣. والصف الثانى الابتدائى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٢٤. وص ٥٦-٥٧.
(١٥٣) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٨٥-١١٥.
(١٥٤) المرجع السابق، ص ١٠٨-١٢٢.
(١٥٥) انظر على سبيل المثال: التربية الدينية الإسلامية، الصفوف الأول والثانى والخامس الابتدائى والصف الأول الإعدادى، طبعة٢٠٠٠م. أيضًا: مصطفى كامل مصطفى، مرجع سابق، ص٢٥.
(١٥٦) انظر د. مصطفى كامل السيد، صور المجتمع المثالى: نماذج التنمية فى فكر القوى السياسية فى مصر، القاهرة: مركز دراسات وبحوث الدول النامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٣م، ص ١١.
(١٥٧) لمزيد من التفاصيل حول مفهوم التنمية سياسيًّا انظر: د.صلاح سالم زرنوقة، مفهوم التنمية السياسية فى الكتابات الأكاديمية الغربية. واقتصاديًّا انظر: د. منال متولى، تطور مفهوم التنمية فى الفكر الاقتصادى من الخمسينيات حتى السبعينيات (فى): د. مصطفى كامل السيد، صور المجتمع المثالى، مرجع سابق، ص ١٥-٦٣. وص ١٠٣-١١٦.
(١٥٨) التربية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٢٢.
(١٥٩) التربية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ١٥٠.
(١٦٠) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ١٥٧.

(١٦١) التربية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ٨٠-٨٥.
(١٦٢) التربية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٣٧.
(١٦٣) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ١٥٨.
(١٦٤) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٩٧-١٠٤.
(١٦٥) التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٩٣م، ص ٨١.
(١٦٦) المرجع السابق، ص ٨٣- ٩٠.
(١٦٧) التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٧م، ص ٧٨.
(١٦٨) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ١٩٩٩م، ص ٣٥.
(١٦٩) حول مفهوم التنمية المستدامة، انظر: د. منال متولى، مرجع سابق، ص ١١٢.
(١٧٠) التربية الدينية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، الفصل الدراسى الثانى، طبعة ٢٠٠٠م، ص ٧.
(١٧١) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الثانى، طبعة ٢٠٠١م، ص ٤٦.
(١٧٢) مصطفى كامل مصطفى، مرجع سابق، ص ١٠.
(١٧٣) المرجع السابق، ص ٥٠-٦١.
(١٧٤) المرجع السابق، ص ٧٣-٧١.
(١٧٥) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، الفصل الدراسى الثانى، طبعة ١٩٩٩م، ص ٣٣-٣٤.
(١٧٦) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ٢٠٠١م، ص ٥٠. وحول نفس الفكرة انظر: التربية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ١٧٢.
(١٧٧) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الابتدائى، طبعة ١٩٩٤م، ص ٣١.
(١٧٨) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ١٨.
(١٧٩) التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ١٢٨. أيضًا: التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٦م، ص ٣٩.
(١٨٠) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، ٢٠٠١م، ص ٣٦-٤٠.
(١٨١) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ١٠٠-١٠٦. التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ١٠٥.
(١٨٢) تفصيلاً : التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ١٠٠-١٠٦. التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٩٨. التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الثانى، طبعة ٢٠٠١م، ص ٤٩-٥٠.
(١٨٣) انظر: إبراهيم محمد الجمال، مرجع سابق، ص ٣١- ٣٣. أيضًا: التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ١١٥-١٢٢.
(١٨٤) حول هذا المفهوم وغيره من القضايا المتعلقة بالمرأة والعمل السياسى انظر: هبه رؤوف عزت، مرجع سابق، ص ١٩٦-٢٠٤.
(١٨٥) حول وضعية غير المسلمين فى البلدان الإسلامية، ومفهوم أهل الذمة انظر: د. إسماعيل الفاروقى، حقوق غير المسلمين فى الدول الإسلامية، مجلة المسلم المعاصر، السنة السابعة، إبريل ١٩٨١م. راشد الغنوشى، حقوق المواطنة: حقوق غير المسلم فى المجتمع الإسلامى، فيرجينيا: المعهد العالى للفكر الإسلامى، ١٩٩٣م. أيضًا: د.نيفين عبد المنعم مسعد، د.عبد العاطى محمد أحمد، السياسات الخارجية للحركات الإسلامية، القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٠م، ص ١٨٠-١٩٦.

(١٨٦) التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٩٥-١٩٦.
(١٨٧) التربية الدينية الإسلامية، الصفين الرابع والخامس الابتدائى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٤٠. وص ٤٢.
(١٨٨) التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٤٥.
(١٨٩) نبيل عبد الفتاح، مرجع سابق، ص ١٠٣. أيضًا: د. يوسف القرضاوى، خطابنا الإسلامى فى عصر العولمة، ٢٠٠٤م. ص ٤٦. www.islamonline.com .
(١٩٠) عبد السلام العشرى، مرجع سابق، ص ٣٤-٣٥ .
(١٩١) د.على ليلة، التيار الإسلامى بين التأييد والمعارضة: قراءة فى الصحافة المصرية، جامعة القاهرة: مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، ٢٠٠٢م، ص ١٣٣-١٣٨.
(١٩٢) التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٩٧.
(١٩٣) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ١٩٩٩م، ص ٢٤.
(١٩٤) التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٧م، ص ٥١.
(١٩٥) التربية الدينية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠٠م، ص ٣٠.
(١٩٦) التربية الدينية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٤٠. وطبعة ٢٠٠٠م، ص ٢٩-٣٠. التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ٨٥-٩٣.
(١٩٧) التربية الدينية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، ٢٠٠٠م، ص ٣٠. التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى ١٩٨٨م، ص١٣١.
(١٩٨) على الجمبلاطى، مرجع سابق، ص ٤٤.
(١٩٩) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، الفصل الدراسى الثانى، طبعة ١٩٩٩م، ص ١٢-١٤.
(٢٠٠) مصطفى كامل مصطفى، مرجع سابق، ص ٨٢.
(٢٠١) التربية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٢٣.
(٢٠٢) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٩٧.
(٢٠٣) محمد متولى الشعراوى، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٣.
(٢٠٤) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٩٣م، ص ١٢٢-١٢٥.
(٢٠٥) المرجع السابق، ص ٧٠.
(٢٠٦) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ١٩٩٩م، ص ٣٦.
(٢٠٧) المرجع السابق، ص ٣٨.
(٢٠٨) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٦م، ص ٤٨.
(٢٠٩) مصطفى كامل مصطفى، مرجع سابق، ص ٧٥، ص ١٠٦.
(٢١٠) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠١م، ص ٢٥.
(٢١١) اشتملت مقررات الطبعات الثلاث على مقتبسات من خطبة الوداع، وحديث «أى المسلمين خير».. انظر: التربية الإسلامية، الصف الثالث الابتدائى، طبعتى ١٩٨٨م و١٩٩٣م.الصف الرابع الابتدائى، طبعة ١٩٩٦م. الصف الثالث الإعدادى، طبعتى ١٩٨٨م-٢٠٠١م. الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٣م.
(٢١٢) مصطفى كامل مصطفى، مرجع سابق، ص ٨٢- ٨٣.
(٢١٣) جاء هذا المعنى فى كافة الطبعات، انظر على سبيل المثال: التربية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٥٠. أيضًا: التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الابتدائى، طبعة ١٩٩٤م، ص ٣٩. التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠٤م، ص ٧.

(٢١٤) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الابتدائى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٢٢. أيضًا: التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠١م، ص ٣٤.

(٢١٥) حول نفس المضمون انظر: التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٩٢-١٩٣

(٢١٦) جاء هذا المعنى فى قصة «أسامة بن زيد»، مرجع سابق، ص ٢٤. أيضًا: التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠٤م، ص ٣٥.

(٢١٧) انظر تفصيلاً: عبد السلام العشرى، مرجع سابق، ص ٢٥-٢٦. أيضًا: التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ١٠١-١٠٥. التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٩٢-١٩٣.

(٢١٨) التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٥٠. أيضًا: التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ١٣١.

(٢١٩) جاءت هذه المعانى فى كافة المقررات التى تناولت العبادات ــ من صلاة وصوم وزكاة وحج ــ فى الطبعات الثلاثة.

(٢٢٠) التربية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٨٨م، ص ١٦٠. أيضًا: التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٨٧.

(٢٢١) التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٨١-٨٢.

(٢٢٢) التربية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ١٩٨٧م، ص ٨٩.

(٢٢٣) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثالث الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ١١٣.

(٢٢٤) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ١٩٩٢م.

(٢٢٥) مصطفى كامل مصطفى، مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٢٢٦) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ١٩٩٩م، ص ٢٩.

(٢٢٧) التربية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، طبعة ١٩٨٨م، ص ٢٠.

(٢٢٨) التربية الإسلامية، الصف الثالث الابتدائى، طبعة ١٩٨٧م، ص ٨٠. أيضًا: التربية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٨٧م، ص ١٩٠.

(٢٢٩) التربية الدينية الإسلامية، الصف الرابع الابتدائى، ص ٩٢.

(٢٣٠) التربية الإسلامية، الصف الأول الإعدادى، طبعة ١٩٩٢م، ص ٥٠.

(٢٣١) التربية الدينية الإسلامية، الصف الأول الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠٠م، ص ٤.

(٢٣٢) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ٢٠٠١م، ص ١٣.

(٢٣٣) التربية الدينية الإسلامية، الصف الخامس الابتدائى، الفصل الدراسى الأول، طبعة ١٩٩٩م، ص ٤١.

(٢٣٤) التربية الدينية الإسلامية، الصف الثانى الإعدادى، طبعة ١٩٩٦م، ص ٥٧.

(٢٣٥) جان فرانسوا ريفارد، ماسيمو أماديو، «الوقت المخصص لتدريس التربية الدينية فى الجداول الدراسية الرسمية"، مستقبليات، المجلد٣٣، العدد٢، يونيو ٢٠٠٣م، اليونسكو، ص ٢٦٩- ٢٧٦.

* تعقيب (١)

الدكتور إمام حسنين

بداية أود القول: إن كلامى لا يجب أن يؤخذ على أنه مناقشة لرسالة علمية مقدمة؛ ولكن البحث أجهدنا كثيرًا فى قراءته؛ لأنه يصل إلى ٨٠ صفحة. وفى البداية أشكر الدكتورة أحلام؛ لأنها محيطة بموضوعها إحاطة كاملة، وقد أتاحت لها ثقافتها الدينية -وتكوينها الأسرى- أن تدلى بدلوها فى كثير من الموضوعات التى كانت فى حاجة إلى رأى، وإن أغفلت البعض الآخر. وهناك عدد من الملاحظات حول هذه الورقة البحثية:

أولاً: استخدمت الورقة البحثية مصطلح « خطاب التعليم الدينى الإسلامى فى مصر»، وهذا التعبير -بخلاف ما هو مستخدم فى هذه الورقة- يُقصد به التعليم الأزهرى، وليس مادة التربية الدينية أو التربية الإسلامية، وفى مقررات التعليم تناولت الدكتورة أحلام مادة التربية الإسلامية فى التعليم الأساسى، وأغفلت التعليم الثانوى، وأقامت هذا الإغفال على حجة لم تحدد مصدرها، وهذه سمة عامة فى الجزء النظرى الأول من البحث؛ حيث إن هناك حقائق وتقريرات كانت تحتاج إلى مراجع، خصوصًا بعض الإحصاءات التى تشير إلى تضاعف عدد المستفيدين من الخدمة التعليمية التى تقدمها الدولة، وكان هذا يقتضى الإشارة إلى مصدر تلك الإحصاءات.. هل من الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء، أم من وزارة التربية والتعليم، أم من بحث آخر، أجرى هذه الإحصاءات؟

ثانيًا: إن الدقة البحثية أمر مطلوب، فمسألة اختيار التعليم الأساسى معناها أننى أتحدث عن مرحلة التعليم الأساسى، ثم بعد ما أذهب إلى التناول البحثى أتناول التعليم العام، والذى يدخل فيه التعليم قبل الجامعى كله.

وأرى: أن أقصر طريق للباحث -لكى يصل إلى عقل القارئ، أو عقل المتلقى- أن يدخل إلى الموضوع مباشرة دون إغفال وجود مقدمة تمهد للموضوع، ولكن فى هذه الورقة؛ فإنى وجدت أن عناوين البحث -حول التجديد- تبدأ بعد ٣٧ صفحة من الدراسة، أما البحث نفسه وتناوله للتجديد فيبدأ بعد ٤٩ صفحة منها، وبالتالى: فالجزء الأول كله حول التنظير ومسألة البناء الدستورى والبناء القانونى وتطور التربية الدينية الإسلامية.

ثالثًا: فيما يخص ذكر القانون للتربية، فقد أوردت الدكتورة أحلام النص؛ لكن النص غير ذلك، فمثلاً فى نص المادة (١٧) فى القانون رقم (١٣٩ لسنة ١٩٨١م) فإن أهداف مرحلة التعليم الأساسى لا تتحدد فقط فى التأكيد على التربية الدينية خلال مختلف سنوات الدراسة؛ بل وفى التأكيد أيضًا على التربية الوطنية والسلوكية والرياضية، أى أن القانون يوازى بين هذه الأمور.

أرى كذلك: أن هناك قدرًا من الإسهاب فى بعض المواضع دون الحاجة إلى ذلك، والاختزال فى مواضع يحتاج الأمر فيها إلى تحليل، وهذا الإسهاب ورد فى ذكر أسماء المؤلفين الذين قاموا بتأليف الكتب فى التربية الإسلامية، وكان يُخيل إلىَّ أنه يمكن التمييز بين فترتين: فترة التأليف بالتكليف - بأن أكلف مجموعة من الأفراد بتأليف الكتب الدراسية، وفترة التأليف بالاختيار. والدكتورة أحلام أشارت إلى ذلك، ولكن فى عجالة، وكان يجب شرح ذلك ليتضح ما إذا كان هناك فارق بين الفترة التى كان التأليف يتم فيها بالتكليف من الوزارة، والفترة التى تم فيها التأليف بالمسابقة، ناهيك عما يشوب هذه المسابقات من شوائب.

رابعًا: إن العناوين من وجهة نظرى غير دقيقة فى معظمها، ولا تعبِّر عن المحتوى الذى يتم تضمينه داخل العناوين، كما أن هناك تداخلاً فى التسميات؛ فمثلاً: تم اختيار طبعة سنة ١٩٨٥ و١٩٩٢ و١٩٩٥م، وهذه الطبعات أسمتها الباحثة بالمراحل، وبالتالى تم إدخالنا فى خلط بين مرحلة التعليم والمرحلة الزمنية، وكان يمكن أن تسميها طبعات، أى أن يتم تناول طبعة ١٩٩٥م فى مراحلها المختلفة وطبعة ١٩٩٢م فى المراحل الدراسية المختلفة، كما أن الفارق الزمنى بين الطبعات قليل، وبالتالى لا أعتقد بوجود أى تجديد يمكن أن يحدث فى هذه الفترة ففى؛ الفترة من ١٩٩٢م إلى ١٩٩٥م قد تكون مصر تعرضت لموجة أو حملة إرهابية شديدة، وحدثت مجموعة من العمليات الإرهابية وكثير من المفكرين كتبوا فى هذا الموضوع، مما استدعى مسألة تغيير الطبعة بعد عام ١٩٩٢م، وصدرت مجموعة من القوانين فى هذه الأثناء لمكافحة الإرهاب وخلافه، وصدر قانون ٩٧ لسنة ١٩٩٢م.

خامسًا: اتبعت الدكتورة أحلام -فى عرضها للدراسة- استخدام المنهج الوصفى فى أغلب الدراسة أكثر من المنهج التحليلى، ولم يرد التحليل إلا نادرًا، وكانت تتناول عرض النتائج ثم التحليل، وأعتقد أن عرض التحليل قرينًا بعرض النتائج يكون أوقع وأكثر فائدة للباحث، وقد يغنى عن الإطالة، ويمكن ان يختصر مساحة كبيرة من الدراسة.

هناك أيضًا عدم تناسق فى التقسيم، فمن الأمور المنهجية: أن يتم التقسيم بشكل من التناسق بين حجم المباحث؛ فالمبحث الأول: بلغ ١٥ صفحة، والمبحث الثانى: بلغ نحو٦٠ صفحة. كذلك لا يوجد تقسيم موحد فى التناول؛ بل ويختلف من حالة إلى أخرى، فعندما ننظر إلى المناهج نجد أن طبعة معينة تناولت المراحل الابتدائية والإعدادية، وفى طبعة أخرى نجد أن هناك اقتصارًا على الكتب الإعدادية فقط دون وجود تبرير لماذا لم يتم تناول المرحلة الابتدائية، وأحيانًا يتم الوصول إلى نتائج معينة دون تحليل.

سادسًا: أتصور أن الخاتمة لا تكون بكل المقاييس إعادة تلخيص لما تم عرضه؛ إلا أن الخاتمة فى هذه الدراسة: جاءت بالفعل بعرض نفس النتائج التى تم عرضها من قبل؛ كذلك عند تناول أهداف التعليم؛ فقد تناولت أهداف التعليم وفقًا للمقدمات التى أتت فى مقررات الكتب الدراسية، وكان يخيل إلىّ -ونحن بصدد الحديث عن التجديد- أن يتم تناول المفاهيم فى إطار المفهوم الوارد فى المقرر الدراسى، وهل هناك اتّفاق بينهما أم لا.

هناك نقطة منهجية أخرى فى مسألة تحليل المضمون، فالدكتورة أحلام اتبعت أسلوب تحليل المضمون، واتبعت أسلوب تحليل المضمون الكيفى، وأعتقد: أن تحليل المضمون يجب أن يكون له أداة بحثية مقننة على أساسها يتم تحليل المضمون، وكان يجب تحليل المضمون كميًّا وكيفيًّا؛ لأن قياس الوزن النسبى للقضايا التى يتناولها الخطاب الدينى هو مسألة مهمة، ولذلك عندما تناولت الدكتورة أحلام مسألة المضمون فى كتب مادة التربية الدينية الإسلامية لم تتعرض للوزن النسبى -سواء زاد أو نقص- وهو الأمر الذى يمكن قياسه من خلال استمارة تحليل المضمون التى يتم تصميمها لهذا الغرض، وبالتالى يمكن الخروج بنتائج كمية؛ لأن الكم مهم فى هذا السياق، بالإضافة إلى أن التحليل الكيفى هنا سيكون له دلالة أوقع.. أيضًا لابد فى الورقة من الفصل بين كلام الباحثة الشخصى وما يمكن أن تستقيه من المقررات -مثلما قام به الدكتور إبراهيم غانم- فما يتم أخذه من المقررات لابد من وضعه بين أقواس؛ حتى يمكن التفرقة بين ما إذا كان هذا هو رأى الباحث أم كلام وارد فى المقرر.

* تعقيب (٢)

الدكتور محسن خضر

لا شك أن الباحثة قد بذلت جهدًا، هو جهد فريق عمل وليس جهد فرد، ولا أتصور أن أى باحث سوف يتناول هذه المساحة أو هذا الموضوع سيتجاهل بحث الدكتورة أحلام، وما سنقوله هو محاولة لاستكمال أبعاد المشهد سعيًا للإفادة، ويتركز فى عدد من الملاحظات كما يلى:

أولاً: إن التعليم هو إحدى أدوات الصراع الاجتماعى، وإن انطلقنا من نظرية بورديه لمعاودة الإنتاج نجد: أن التعليم يعكس أوضاع التفاوت الاجتماعى، ويعكس نفوذ القوى المسيطرة اجتماعيًّا، ومن هنا فإن ما يؤخذ على هذا الجهد الكبير فى هذا البحث، هو غياب أو ضعف الرأس، فالجسد كان كبيراً؛ لكن رأس -البحث أو فكر البحث- لم يكن بنفس الضخامة والاتساع، وبالتالى فالسياق الاجتماعى الثقافى السياسى قد غاب عن هذا البحث، بحيث رأينا أن المادة أو مقررات التعليم هذه كأنها معلقة فى الهواء، ولا تقوم على أرضية من المواقع وخطوط الحركة، والتحولات المجتمعية فى المجتمع المصرى فى حقبة ساخنة فى النصف الثانى من القرن العشرين، كما أن التعليم والإعلام يمثلان أدوات العنف الأيديولوچى، ولذلك فالتعليم هو من أهم أدوات ضبط النظام الاجتماعى عن طريق المنهج الرسمى، لكن المنهج الخفى هنا يتمثل فى المعلم، والباحثة أشارت دون أن تستخدم اصطلاح المنهج الخفى إلى موقف المعلم، أى أن وضع منهج قوى فى يد معلم ضعيف سوف يفرغه من محتواه، ولذلك يجب دراسة مسألة التحيز الأيديولوچى للمعلم، وهو أمر يحتاج إلى مداخلة وبحث آخر، لكن المعلم يكمل أبعاد الصورة ومعلم التربية الإسلامية مهم جدًّا.

ونحن نقول فى أصول التربية أن هناك ثلاث حلقات متشابكة: **الحلقة الأولى**: هى الفلسفة المجتمعية، وهذه الفلسفة المجتمعية تشتق منها الفلسفة التربوية، ثم تأتى **الحلقة الثانية**: الوسطى وهى السياسة الاجتماعية، ثم تأتى **الحلقة الثالثة**: لتصف الواقع الاجتماعى، ولقد تناولت الدراسة الحلقة الثانية وهى السياسة التعليمية، والحلقة الثالثة وهى المقررات التعليمية، وكان سيعمق هذا البحث ويزيده قوة وصلابة هو دراسة الحلقة الأولى الأوسع، وهى الفلسفة التربوية من خلال مراجعة الفكر التربوى، الذى أنتجه المفكرون المصريون والمفكرون التربويون حول قضايا التربية الدينية فى فترة الدراسة، حتى تكتمل أبعاد البنية المتشابكة لموضوع الدراسة، وهذه أحد المآخذ على الدراسة وهى غياب الفكر التربوى.

ثانيًا: أعتقد أن العنوان الأدق لهذه الورقة هو تحليل الخطاب الدينى فى مقررات التعليم: التربية الإسلامية نموذجًا. هذا هو العنوان الذى يعبر عن مضمون الورقة بشكل أدق من عنوان: «تجديد الخطاب الدينى فى مقررات التعليم»، وحتى لو أخذنا بالعنوان الأول؛ كان يجب أن يضاف له جملة التعليم ما قبل الجامعى فى مصر.

ثالثًا: لقد صمتت الباحثة حينما كان الأمر يستوجب الكلام والتعليق فى أحيان كثيرة، أى أن هناك جهدًا كبيرًا فى التحليل، لكن هناك مواضع كان يجب أن تدلى الباحثة بدلوها فيها مثل نص دستور ١٩٧١م على أن التربية الدينية مادة أساسية فى التعليم، والسؤال هو: إلى أى مدى ارتبط هذا التعديل بالانقلاب المضاد -الذى قام به السادات- على الحقبة الناصرية والسياسات الناصرية وعلى التيار الدينى؟ وعند تناول الدراسة لطبعة التسعينيات عام ١٩٩٥م أشارت إلى تضمين موضوعات الإرهاب فيها، وصمتت عن الإشارة إلى ما كان يحدث فى المجتمع المصرى فى ذلك الوقت، وما إذا كان هذا التطوير تعبيرًا عن التحولات الخاصة بالصدام بين النظام وقوى الإسلام الراديكالى؟ ولقد لاحظت فى هذا الصدد أن التعليم فى مصر منذ الخمسينيات وحتى الآن، يجره حصان السياسة وهو تابع أمين لها ولا يقودها، وهذه إشارة إلى أن الإرهاب المحلى أو ما يسمى بقوى التشدد الراديكالى بدأت فى صدامها مع النظام السياسى منذ ذلك الحين، لكن أتصور الآن -بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر- أن التغيير لم يتأخر، وأنا متشائم تجاه قدرة نُظم التعليم الوطنية على مقاومة الضغوط الأمريكية، ومقاومة الإرغام الأيديولوچى.. إن سياسة تجفيف المنابع الإسلامية سياسة مستمرة وممتدة من المحيط إلى الخليج؛ فهناك دول إسلامية أغلقت مدارس تدريس الشريعة وبعضها أغلق ١٤ ألف مدرسة إسلامية. هذا الضغط الهائل على النظم الحاكمة، سوف ينجح فى تحقيق أهدافه فى النهاية؛ كما أن النظم الحاكمة تنحنى للابتزاز، وتستسلم للضغوط بدلاً من الاعتصام بشعوبها وبقناعاتها، باعتبار أن التربية الدينية هى مكون أساسى فى بناء الشخصية العربية، وإحدى خطوط الدفاع عن شخصية الأمة.

ولذلك؛ فإن حجم الضغوط الهائلة يفوق قدرة الحكومات العربية على التماسك أمام الضغط الأمريكى المتنامى، ومن الواضح أن أمريكا وضعت فى مقدمة أجندتها هدف تفكيك الإسلام مهما قيل عن احترام التنوع الثقافى؛ حيث إنه من الواضح أن القرار الأمريكى يمضى قدمًا ويكتسب مواقع بعد مواقع .

كذلك أشارت الباحثة إلى تأثير مركز تطوير المناهج على التعليم. ومن خلال قراءتى لهذا البحث: لم أجد تأثيرًا لوجود الخبراء الأمريكيين فى أو على صياغة مناهج التعليم الدينية فى مصر، ويشير هذا البحث فى نهايته إلى الإشادة بالمناهج التعليمية فى مصر مع الاعتراف بوجود بعض الفجوات، مثل تهميش دور المرأة، وضعف الحديث عن قضايا العالم المعاصر، لكن مناهج التعليم -وفقًا لهذه الدراسة- تقوم بوظيفتها الأساسية من خلال التأكيد على محاور التوحيد والهوية الإسلامية وقضايا التنمية بأبعادها المختلفة، ولم استشف من هذا البحث أن هناك تأثيرًا للأصابع الأجنبية على صياغة مقررات التربية الدينية؛ لأنه حتى فى بعض المواضع التى حدث فيها حذف لبعض الموضوعات فى المقررات الدراسية صمتت الباحثة. وقد اعترف وزير التعليم الكويتى: أن نسبة المواد التى تحض على الإرهاب فى التعليم الدينى فى الكويت ٤ ٪ ولقد تم حذفها. كذلك المواضع الخاصة بالجهاد والاستشهاد والثوابت العقائدية للأمة لم تمس، ولم يحدث فيها تغيير أو إلغاء حتى الآن: لكن كنت أريد تحليل مغزى حذف بعض الموضوعات، وإدخال بعض الموضوعات الأخرى فى المقررات، وهذه مسألة مهمة لنعرف حجم التدخل والضغوط الأجنبية.

رابعًا- هناك بعض الملاحظات الفرعية حول ما أوردته الباحثة فى الدراسة:

١- كانت الباحثة موفقة فى الإشارة إلى سياسة الرجل الواحد، وإن لم تربطها بالنسيج الثقافى المصرى الذى يتمحور حول الرجل الواحد، فكل من تولى منصب وزير التعليم صبغ النظام التعليمى بصبغته، وجعله يتمحور حول شخصه، وكذلك الأمر فى مسألة التأليف، فالمستشارون يحظون بنصيب الأسد فى التأليف، وهذه عملية أقرب إلى المجاملة والفساد، وهناك بعض من موضوعات الكتاب الواحد التى يجب أن يعهد بها إلى أديب، وليس بالضرورة إلى رجل التربية الإسلامية؛ إلا أنه لا يتم ذلك، ولهذا ينحط الذوق العام فى النهاية، ولا يراعى فى ذلك أدوات الاستقبال الوجدانى لدى طلابنا.

والسؤال هو: ما معنى أن يشارك مستشار فى تأليف ٧ من كتب التعليم الأساسى ؟ وفى المقابل يشارك آخر فى ٣ كتب ؟ والسؤال هو: هل نحن أمام نوع من أنواع الإقطاعية المهنية، أو نوع من أنواع الاحتكار؟!.. وهل أهل مكة أدرى بشعابها ولذا يكسبون فى مسابقات التعليم؟!.. كذلك أشارت الباحثة إلى أن الفائزين فى تلك المسابقات هم المستشارون أولاً، ثم التربويون، ويأتى المتخصصون فى ذيل القائمة، وهذه مسألة مهمة.

٢- خلطت الباحثة بين اليهود والصهاينة، وهذا خطأ بالكتاب المدرسى يجب على الباحثة أن تكون مدركة لهذا الخطأ، بمعنى: أننا لسنا ضد الديانة اليهودية، ونحن كمسلمين مطالبون باحترام أصحاب الديانات السماوية، لكن عندما نشير إلى أنه عندما انسحب الجيش الإسرائيلى من مستعمرة ياميت قاموا بتخريبها: فيجب فى هذا الإطار أن أنسب هذا إلى الصهاينة وليس إلى اليهود. فعداؤنا لما يسمى بالحركة الصهيونية وليس إلى الديانة اليهودية، وحتى فى الدعوة فى الصلاة؛ فلا يجب أن ندعو على اليهود؛ لأننا ضد المشروع الاستيطانى التوسعى العنصرى الذى يسمى بإسرائيل، والذى يطبق الأيديولوچية الصهيونية، لكننا نحترم أصحاب الديانات -الأخرى وإن اختلفنا أو اتفقنا معهم- ولهذا أرى أن الباحثة قد صمتت فى نقد صورة الآخر فى المقررات.

٣- لقد وُفِّقت الباحثة فى الإشارة إلى مسألة تهميش المرأة، وإن أشارت إلى أن المناهج أكدت على المساواة فى الحقوق والواجبات والتكليفات الشرعية بين الرجل والمرأة.

٤- صمتت الباحثة عن مسألة تقويم التلاميذ والسؤال هو: هل نُقَوِّم التربية الدينية بإضافتها إلى المجموع، أم أن نتفهم وجهة نظر الآخر المستبعدة ؟

٥- علينا ألا نعلق الأمر كله على كاهل المدرسة، وقد أشارت الباحثة إلى أن الأسرة المصرية تخلت عن دورها فى التنشئة الدينية، وهناك أسباب متعددة تشير بالفعل إلى تراجع دور الأسرة المصرية فى هذه الفترة، وهذا قرين بأزمة المجتمع المصرى، ونحن جميعًا نعلم أن مادة التربية الدينية يتم مذاكرتها ليلة الامتحان، وأنها مهمشة ومقصية، ولم تعد مدعاة للاحترام. والسؤال هو: هل نفكر فى تبنى مفهوم التنشة المجتمعية ونتحدث عن دور الإعلام، ودور المسجد، ودور الأسرة، وبالتالى وسائل التربية -اللانظامية- ولا نقصر الأمر على المدرسة فحسب؟ وأرى أنه لا مانع أن نجرب فى أن تصبح مادة التربية الدينية مادة داخل المجموع، ولكن؛ هل سيترتب على ذلك نهوض بها واهتمام التلاميذ بها، أم ستتحول إلى مادة تضاف إلى مستودع الدروس الخصوصية؟

فى النهاية نقول: إننا أمام باحثة واعدة، وإن هذا البحث ربما كان من أهم الأوراق البحثية فى هذه الندوة؛ لأنه ينصب فيه جميع التحولات والضغوط السياسية، وهذا لا يعفى الباحثة من الانتقادات التى وُجِّهَتْ إليها فيما يتعلق بمسألة غياب مفهوم التجديد، وكما قيل

من قبل: إن غياب مفهوم التجديد حدث فى لحظة انحطاط تاريخى للأمة العربية والإسلامية، فقد بدأنا القرن بجمال الدين الأفغانى وانتهينا بأيمن الظواهرى، وبدأنا بالشيخ محمد عبده وانتهينا فى نهاية القرن بأسامة بن لادن، وتوسطنا القرن بمالك بن نبى وانتهينا بالملا عمر. وهذا يشير إلى أن الأمة الإسلامية تسير فى شكل منحنى هابط نحو الأزمة، ولذلك لم نعد نشهد مفكرين إسلاميين وفقهاء كبار مثل الشافعى، والشاطبى، والقاضى عبد الجبار، وأتصور أن هذا البحث يثير كل هذه الأفكار وكل هذه التساؤلات.

opeikan.com

٨- تجديد الخطاب الدينى فى مصر
تحليل آراء عينة من الجمهور العام

د. إبراهيم البيومى غانم

مقدمة:

لم ينقطع الجدل الفكرى والسياسى حول علاقة الدين بالدولة الحديثة فى المجتمعات المعاصرة -وبخاصة فى العالمين العربى والإسلامى- ويمكن القول: إن مدة هذا الجدل فى بلادنا قد جاوزت مع بداية القرن الحادى والعشرين المائة سنة.

ولكن ثمة مراحل احتدم الجدل خلالها حول موقع الدين فى الدولة الحديثة، ودوره والإشكاليات التى تحول دون تفعيل هذا الدور أو تسهم فى تفعيله، ومن ذلك، المرحلة التى تشمل الربع الثانى من القرن العشرين، أو ما يُطلق عليها البعض اسم «العهد الليبرالى» فى تاريخ الفكر العربى الحديث. وثمة مراحل أخرى هدأت فيها حدة الجدل حول هذا الموضوع، ومن ذلك المرحلة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية واستمرت حتى منتصف السبعينيات من القرن الماضى تقريبًا؛ وهى المرحلة التى شهدت صعود حركة التحرر الوطنى من الاستعمار الأجنبى، ونجاحها فى تحقيق الاستقلال السياسى، وبناء الدولة الوطنية المستقلة فى أغلب البلدان العربية.

ويمكن القول: إنه مع بداية الربع الأخير من القرن الماضى، بدأت موجة جديدة متصاعدة الحدة من الجدل حول الموضوع نفسه، وعلى نطاق واسع هذه المرة عبر مختلف البلدان العربية والإسلامية، وكانت مصر بطبيعة الحال فى القلب منها، والملفت للنظر فى موجة الجدل الجديدة أنها -فى جانب أساسى منها- تعيد مناقشة القضايا نفسها التى سبق أن أثيرت ونوقشت فى المراحل السابقة، وبخاصة فى مرحلة العهد الليبرالى، وبخاصة فيما يتعلق بدور الدين فى المجتمع، وعلاقته بالدولة وبشئون الحياة بصفة عامة، كما أن ملامح خريطة القوى والتيارات السياسية والفكرية المشاركة فى تجديد الخطاب السجالى بهذا الشأن تكاد تتطابق مع نظيرتها فى المرحلة السابقة المشار إليها؛ مع ملاحظة وجود عدة اختلافات تتعلق بمدى عمق الرؤى الفكرية المطروحة -؛إذ كانت فى السابق أكثر عمقًا وثراءً- وبالسياق الاجتماعى والسياسى الداخلى والخارجى الذى يجرى طرحها فيه؛ إذ تأتى موجة الجدل الأخيرة فى سياق

ضغوط خارجية تحمل الخطاب الدينى القسط الأكبر من المسئولية عن التخلف، وعدم الاستقرار، واستمرار الاستبداد والعنف.

وإلى جانب أهمية تحليل رؤى واتجاهات صانعى الخطاب الدينى ومنتجيه؛ من مفكرين ومؤسسات وتيارات فكرية وثقافية؛ فإن من المهم أيضًا معرفة وتحليل رؤى وتصورات الجمهور المستهدف من هذا الخطاب؛ وهو الجمهور الذى يشمل قطاعات واسعة من المواطنين، والذى يُطالب فى الوقت ذاته بالاستجابة لهذا النمط أو ذاك من أنماط الخطاب الدينى؛ تحقيقًا للتغيير المجتمعى والسياسى المطلوب من الجهود الرامية إلى التجديد، ونظرًا إلى أن الأغلبية الكبيرة من هذا الجمهور العام لا تتاح لها وسيلة منظمة من تلك الوسائل التى تتاح عادة للنخب؛ كى تعبر من خلالها عن رأيها عامة، وفى موضوع تجديد الخطاب الدينى خاصة، يصبح من الضرورى استطلاع رأى الجمهور العام فى المسائل المتعلقة بهذا الموضوع، وعلى وجه التحديد رأيه فيما يجب تجديده أو المحافظة عليه فى الخطاب الدينى فى الواقع الاجتماعى المعاصر.

والهدف من هذه الدراسة -فى ضوء ما سبق- هو استكشاف آراء عينة من الجمهور العام بشأن القضايا المتعلقة بتجديد الخطاب الدينى، وبيان المعالم الرئيسية للوعى بأبعاد هذا الموضوع لدى الجمهور العام؛ بدءًا بكيفية إدراك الجمهور العام لمفهوم «الخطاب الدينى»، مرورًا بمعنى التجديد المقصود وخصائص الخطاب السائد، وصولاً إلى آليات التجديد ووسائله -كما يتصورها الجمهور العام-، وذلك بعيدًا عن الرؤى النظرية المجردة التى تطرحها النخب الفكرية والثقافية على اختلاف توجهاتها، وتعدد مرجعياتها المعرفية.

وقد اخترنا المقابلة المتعمقة الحرة أداة للحصول على آراء عينة الدراسة، التى بلغ إجمالى عدد أفرادها ١٥ فردًا. وقمنا باختيار العينة بطريقة عمدية من بعض محافظات الوجهين البحرى (٥ أفراد)، والقبلى (٧ أفراد) ومن القاهرة الكبرى (٣ أفراد)، مع مراعاة تمثيل المسيحيين (بفردين)، وتمثيل الرجال والنساء الذين تتباين مؤهلاتهم التعليمية بين أمىٍّ، وجامعى، وتتراوح أعمارهم بين ١٧ و٥٩ سنة، ومن أصحاب المهن المختلفة (نجار. سائق. مزارع. تاجر. صاحب عمل. طالب. موظف. بقال. عامل. ربة منزل).

وتضمن دليل المقابلة المتعمقة الحرة أربعة محاور رئيسية صغناها بالعامية، وهذه المحاور هى:

١. مفهوم الخطاب الدينى.

٢. خصائص الخطاب الدينى السائد.

٣. قضايا التجديد وموضوعاته الرئيسية.

٤. آليات التجديد ووسائله.

وإضافة إلى التساؤلات الفرعية التى تضمنها الدليل تحت كل محور من تلك المحاور، أتاحت المقابلة -المتعمقة الحرة- الاستطراد مع المبحوثين فى تساؤلات فرعية أخرى طلبًا لمزيد من البيان، والتحديد- لبعض المسائل التى يثيرها موضوع تجديد الخطاب الدينى، وذلك فى ضوء افتراضاتٍ أربعةٍ انطلقنا منها فى صوغ الدليل، وفى طرح الأسئلة ميدانيًا، وهى كالآتى:

١- أن وعى الجمهور العام بقضية تجديد الخطاب الدينى منخفض، وغير محدد بشكل واضح.

٢- أن الجمهور العام يميل إلى عدم الرضا عن الخطاب الدينى السائد.

٣- أن الجمهور العام يعول على القنوات الرسمية -أكثر من غيرها- من أجل تجديد الخطاب الدينى.

٤- أن الجمهور العام يميل إلى أن يكون التجديد منصبًّا على الجوانب المتعلقة بالمعاملات والعادات بدرجة أكبر من الجوانب الخاصة بالعبادات، فضلاً عن أنه يسقط من حساب التجديد القضايا السياسية، وكل ما يتعلق بشئون الحكم والسلطة.

وبعيدًا عن الجوانب الفنية والإجراءات المنهجية للمقابلات المتعمقة التى أجريناها مع عدد محدود جدًّا من عموم المصريين، فقد كانت المقابلات فرصة لممارسة نوع مختلف من القراءة؛ هى القراءة فى وجوه البشر، وليس فى صفحات الكتب، والتأمل فى تعبيرات الوجوه التى تنبض بالحياة، لا فى جماليات النصوص المنمَّقة على سطور الأوراق. وكانت فرصة كذلك لممارسة نوع مختلف من الاستماع؛ إنه الاستماع إلى الصمت عندما كان المصرى الذى قابلناه يمسك عن الكلام المباح، ويلوذ بنوع من الصمت هو أكثر بلاغة، وأعلى صوتًا من النطق. وكانت متعة القراءة فى الوجوه والاستماع إلى الصمت أكبر بكثير من متعة القراءة فى الأوراق، والإنصات إلى الكلمات المنطوقة بعناية أو المختارة بدقة.

وبعد أن انتهينا من القراءة والاستماع: زاد اقتناعنا بأن الحاجة ماسة للمضى فى تطوير هذه المنهجية الميدانية للوصول إلى فهم أفضل للظواهر الاجتماعية، وإلى توصيف أكثر دقة للمشكلات والهموم اليومية التى يعيشها الإنسان المصرى المعاصر، وهى مشكلات نادرًا ما يشعر بها غير الذى يكابدها. وما لم نتمكن من إتقان هذا النمط من القراءة والاستماع، ستظل الفجوة كبيرة بين « البحث العلمى » والحقيقة الاجتماعية. وكم كان محمد على باشا حصيفًا عندما سُئِلَ عن الكتب التى قرأها واستلهم منها مشروعه الضخم الذى وضع به أسس النهضة المصرية الحديثة، فقال: « الكتب الوحيدة التى قرأتها هى وجوه المصريين، ونادرًا ما أخطأت فيها ». وهذا هو عين ما يجب أن تدركه اليوم الجماعة العلمية المصرية عامة، والمشتغلون بالعلوم الاجتماعية والسياسية خاصة.

وفيما يلى نقدم نتائج المقابلات المتعمقة من خلال المحاور الأربعة السابق ذكرها.

أولاً: مفهوم الخطاب الدينى فى إدراك الجمهور العام:

لا يستعمل الجمهور العام فى لغته اليومية تعبير « الخطاب الدينى »، ويكاد يقتصر استعمال هذا المفهوم على النخب الفكرية والثقافية والإعلامية دون اتفاق فيما بين تلك النخب على مدلول محدد، أو معنى واحد، أو تعريف جامع مانع لما هو المقصود بالخطاب الدينى. وقد تكون حداثة استعمال هذا التعبير هى سبب حضوره فى كلام النخبة، وغيابه عن كلام الجمهور العام؛ فضلاً عن أن سبب الغياب قد يرجع إلى غموض هذا المفهوم وما يثيره من مشكلات وحساسيات عندما يرتبط بالتجديد. وأيًّا كانت الأسباب؛ فإن غياب مفهوم الخطاب الدينى من القاموس اللغوى لا يعنى بالضرورة عدم الوعى به وبحقله الدلالى العام، ومن ثم فإن ما يهمنا هو معرفة كيف يدرك الجمهور العام المعنى المقصود بتعبير الخطاب الدينى؟ ومن أجل التوصل إلى ذلك؛ تركزت أسئلة المحور الأول من دليل المقابلة المتعمقة على الجوانب التى يمكن من خلالها الكشف عن ملامح هذا التعبير كما يدركه الجمهور العام. وقد بدأنا هذا الجزء بالسؤال عن « مرجعية الخطاب الدينى » كما يدركها المبحوث، وما أساس التفرقة لديه بين ما يعتبره خطابًا دينيًّا، وما لا يعتبره كذلك؟ ثم انتقلنا إلى سؤاله عن أهم موضوعات الخطاب الدينى الذى يصل إليه، وما الجهات أو الهيئات التى يجب أن تتولى عملية إنتاج الخطاب الدينى؟ ثم كيف يمكنه معرفة الخطاب الدينى وتمييزه عن غيره؟ وكان

السؤال الأخير عن الخبرة الذاتية للمبحوث فى الاهتمام بموضوعات الدين والقضايا التى تندرج تحت تعبير «الخطاب الدينى»؛ وذلك حتى نتمكن من تقييم آراء المبحوث وأفكاره التى نطق بها فى المقابلة التى أجريت معه. وبتحليل الاستجابات التى أدلى بها المبحوثون تبين الآتى:

١- معيار الخطاب الدينى ومرجعيته:

قبل أن نعرض النتائج نشير بإيجاز: إلى أن البحوث والدراسات المعنية بقضايا الخطاب الدينى تتضمن تعريفات متعددة لهذا المفهوم. وتنقسم التعريفات السائدة فى تلك البحوث والدراسات إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية هى:

أ- اتجاه يجعله مرادفًا لمفهوم «المنهج»، أو «الدعوة»[١]، ويشير المفهوم -وفقًا لذلك إلى مجالين هما: مجال الدعوة: بمعنى الدين الموحى به؛ بأركانه وحقائقه الثابتة ومبادئه وتعاليمه المسجلة فى النصوص المنزلة؛ فالخطاب الدينى- وفقًا لرؤية هذا الاتجاه - هو الخطاب الإلهى متمثلاً فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة بالنسبة للدين الإسلامى، وفى الإنجيل وتعاليم السيد -المسيح عليه السلام- بالنسبة للدين المسيحى، والمجال الثانى هو مجال الدعوة: بمعنى الفعل البشرى الهادف إلى التبليغ ونشر تعاليم الدين، ودعوة الناس إلى الالتزام بأحكامه وتشريعاته. وهنا يكون المقصود بالخطاب الدينى: هو حصيلة الفهم البشرى من الدين المنزَّل، وما يقوم به البشر المؤمنون به من جهد لنشر هذا الفهم ووضعه موضع التطبيق.

ب- اتجاه يرى: أن الخطاب الدينى: يكاد يكون مرادفًا فقط للفكر الدينى[٢] الذى يتجلى فى أقوال وأفعال ومواقف القائلين به أو الداعين إليه. وبهذا المعنى؛ فإن الخطاب الدينى يشمل من الناحية الإجرائية «الأقوال والنصوص المكتوبة التى تصدر عن المؤسسات الدينية أو عن رجال الدين، أو التى تصدر عن موقف أيديولوچى ذى صبغة دينية أو عقائدية، أو الذى يدافع عن عقيدة معينة ويعمل على نشر هذه العقيدة»[٣]. ولا يلتفت أنصار هذا الاتجاه إلى المعنى الأصولى للخطاب الدينى الذى يشير إلى الأصول المنزلة قطعية الثبوت، أو تلك التى لا تتغير نصوصها بتغير الزمان والمكان؛ وإن تغير فهمها وتباينت دلالاتها.

ج- اتجاه ثالث: يرى أنصاره أن الفرق بين النص الإلهى كمضمون للخطاب الدينى والفهم البشرى، أصبح ضئيلاً جدًّا فى الواقع العملى؛ بحيث لم يعد من السهل تمييز ما هو ثابت

من أصول الدين المنزل، وما هو متغير من أفهام واجتهادات البشر. ويذهب بعض أنصار هذا الاتجاه إلى أبعد من ذلك؛ فيرى أن ثمة رواسب وثنية قد تسربت من العصور السابقة على نزول الأديان السماوية، وأضحت تدريجيًّا جزءًا من بنية الدين الذى يعتقده الناس « فلم يعد سهلاً التفرقة بين الدين الحق، وبين ما أدمج فيه من رواسب وثنية »[٤]. ويذهب البعض الآخر من أنصار هذا الاتجاه أيضًا إلى أن الخطاب الدينى المنزل ليس له وجود مستقل قائم بذاته خارج التأويل البشرى، وأن النص القرآنى -مثلاً- ليس مرجعية فى ذاته، وإنما مرجعيته مستمدة من قدرة العقل على تأويله؛ أى أن العقل هو مرجعية النص وليس العكس[٥].

ودون الدخول فى المجادلات النظرية حول اتجاهات التعريف بالخطاب الدينى، فإن الذى يهمنا هنا هو أن نتبين إدراك الجمهور العام للمقصود بهذا الخطاب، ثم ننظر -بعد ذلك- فى مدى اقتراب أو ابتعاد هذا الإدراك عن الاتجاهات النظرية السابق ذكرها.

وتجدر الإشارة هنا قبل الاستطراد فى عرض النتائج وتحليلها أن كلمة « الخطاب » تحمل دلالات سلبية فى جميع السياقات التى استعملت فيها فى القرآن الكريم، ويستخلص د. سيد دسوقى حسن[٦] أن هذه السياقات تشير إلى: أن الخطاب فى القرآن يعنى المحاججة بدون وجه حق، أو الرجاء غير المبرر، أو الكلام المختلط المضطرب، قال الله (تعالى) لنوح ﴿ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾[سورة المؤمنون: آية ٢٧]. والخطاب هنا رجاء ورغبة عاطفية أن لا يعاقب الله هؤلاء بالغرق، وهى رغبة مرفوضة ورجاء غير مستجاب. وأحد المتخاصمين عند داود -عليه السلام- يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾[سورة ص: الآية ٢٣]، وعزنى: أى غلبنى ظلمًا فى الحجاج. والله (تعالى) يقول فى صفات عباد الرحمن ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾[سورة الفرقان: الآية ٦٣]، فحديث الجاهلين لعباد الرحمن سمى خطابًا لاضطرابه، واختلاط معانيه؛ ولذا طالبهم ربهم أن يقولوا كلامًا ويختاروا ردودًا تؤدى إلى السلام. والله (تعالى) يتحدث عن داود فيقول﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [سورة ص: الآية ٢٠]. ويعلق الرازى على هذه الآية فيقول: فصل الخطاب يعنى كونه قادرًا على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر فى الخيال؛ بحيث لا يختلط شىء بشىء؛ وبحيث ينفصل كل مقام عن الآخر. ومعنى ذلك قدرته على تهذيب الخطاب بفصل أجزائه بعضها عن

بعض. وفى سورة النبأ يقول الله (تعالى): ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا ﴾ [سورة النبأ: الآية ٣٧]؛ أى لا يستطيع العباد أن يسائلوا ربهم أسبابًا لأقداره التى يجريها عليهم، أو سننه التى يمضيها فيهم، وفى الكون ومن حولهم. وقد تكون تلك المعانى غير الإيجابية التى تشير إليها كلمة الخطاب فى كل مواضع ورودها فى القرآن الكريم هى سبب عدم شيوعها فى الاستخدام العربى، وعدم الترحيب باستخدامها، بعد أن شاعت فى الكتابات الأجنبية.

وأيًّا كان الأمر؛ فإن من المهم فى البداية اكتشاف الأساس أو المعيار الذى يتخذه أفراد العينة -محل هذا البحث- لتمييز الخطاب الدينى عن غيره من الخطابات التى يمكن اعتبارها غير دينية، وكيف يدركون المقصود بهذا المفهوم. وكان السؤال الأول هو: هل يختلف الكلام فى الدين عن الكلام فى موضوعات أخرى؟ وتبين لنا من الاستجابات أن معيار الخطاب الدينى -فى إدراك عينة البحث- يشير إلى واحد من المعانى الآتية:

أ- هو الكلام المستند إلى كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، إنه الفهم البشرى للنصوص الإلهية المنزلة. معيار الخطاب الدينى الإسلامى إذن: هو أن مرجعيته تتمثل فى القرآن والسُّنة.. يقول أحد المبحوثين (موظف، ٣٠سنة، من القاهرة) إن «الكلام فى الدين يكون من خلال القرآن الكريم، أو الأحاديث الشريفة». وقالت أخرى (ربة منزل، ٢٥ سنة من القاهرة) «وأنا بتكلم عن الدين أكون ماشية على القرآن أو السُّنة، ما ينفعش أفتى أو أبدى رأيى بدون علم». ومن الواضح هنا: أن العلم المقصود هو العلم بالكتاب والسُّنة، وصوغ الرأى أو الفتوى أو مجرد الكلام فى ضوئهما.

وبهذا المعنى يميز فريق من المبحوثين بين الخطاب الدينى المنزَّل، والخطاب الدينى الذى يمارسه البشر من خلال فهمهم المستند إلى النصوص المنزلة، ويرون أن خصوصية الخطاب الدينى ومعياره الذى يميزه عن غيره، هو فى تلك المرجعية المحددة فى القرآن والسُّنة الصحيحة بالنسبة للدين الإسلامى.

ب- الخطاب الدينى عبارة عن رؤية شاملة للحياة بمختلف مجالاتها ومشكلاتها، مرجعيتها، الأصول المنزلة؛ أى أن معياره الإجرائى هو الشمول والإحاطة، فما كان كذلك فهو خطاب دينى إسلامى تحديدًا، وما كان جزئيًّا أو مقتصرًا على جانب دون آخر؛ فهو ليس

بخطاب دينى، حسب آراء مجموعة من المبحوثين الذين عبروا عن ذلك بصيغ مختلفة، ومنها قول أحدهم (صاحب مصنع حلوى، ٥٠سنة، طنطا/غربية) « مفيش اختلاف بين الكلام فى الدين والكلام فى غيره؛ لأن الدين شامل كل حاجة فى الحياة؛ لإن الإسلام والقرآن لم يغادرا كبيرة أو صغيرة إلا تحدث عنها، والسُّنة أوضحت ده بشكل أكبر»، ومن الواضح أنه يقصد أن الدين يقدم رؤية شاملة لكل جوانب الحياة، وأنه ما من مسألة إلا ويمكن معالجتها من منظور الدين، وهذا الذى قصده بقوله « مفيش اختلاف بين الكلام فى الدين والكلام فى غيره »، ولم يقصد عدم وجود فرق بين الخطاب المستند إلى مرجعية دينية، وغير المستند إليها.

وبتحليل استجابات عدد من المبحوثين الذين جاءت آراؤهم متقاربة بشأن اعتبار الخطاب الدينى « رؤية شاملة للحياة »، تبين لنا أنهم ينظرون نظرة وظيفية إلى مضمون الخطاب الدينى، دون أن يكون لديهم إدراك واضح للفرق بين الدين بمعنى الأصول المنزلة، والفهم البشرى للتعاليم والتوجيهات والتشريعات التى جاءت بها تلك الأصول.

ج- الخطاب الدينى هو ما كان أساسه القرآن الكريم والسُّنة، وهو -فى إدراك بعض أفراد العينة- عبارة عن دعوة للخير، ومعياره الحث على فضائل الأخلاق وتزكية النفس البشرية، وما كان خارجًا عن هذا الإطار، فليس من الدين فى شىء. قال أحدهم (تاجر، ٤٣سنة، دمياط) إن « مواضيع الدنيا كلها مواضيع بعيدة عن الدين؛ زى الكلام عن العيال، والعمل، والبيوت، والمصاريف، والمشاكل فى الشغل ». وقال آخر(سائق، ٤١سنة، الإسكندرية) « فيه واحد لما تكلمه فى الدين يهرب لأى موضوع تانى؛ لأن صلته باللّٰه قليلة، فيه حد تانى تكلمه بأقل كلام فى الدين يبكى، وعايز يستفيد من القرآن والأحاديث ».

ومثل هذا الإدراك لمعنى الخطاب الدينى، وجدناه لدى بعض مفردات العينة من المسيحيين، قال أحدهم (عامل بناء، ٣١سنة، قرية ونينة الغربية/محافظة سوهاج)، « الكلام فى الدين بيحث على التسامح والمحبة... يختلف عن السياسة والاقتصاد والمعايش، الكلام فيها سكة، والكلام فى الدين سكة تانية ». وقال آخر (مزارع، ٤٤سنة، مدينة سوهاج)، « الكلام فى الدين موقر، ولازم اللى بيتكلم فى الدين يكون مبعوث من الكنيسة ».

ونلاحظ أن بعض معانى الخطاب الدينى -التى عبرت عنها عينة البحث- تتفق مع بعض التعريفات النظرية السابق ذكرها، وبعضها الآخر لا يتفق معها. فالذين عبروا عن فهمهم

للخطاب الدينى بأنه يعنى الكلام المستند إلى القرآن الكريم والسُّنة الصحيحة، وكذلك الذين رأوا أنه عبارة عن رؤية شاملة للحياة وقضاياها ومشكلاتها، هؤلاء وأولئك يقتربون من الاتجاه النظرى الأول فى تعريف الخطاب، وهو الاتجاه الذى يجعله مرادفًا للمنهج أو الدعوة؛ بمعنى الفعل البشرى الهادف إلى التبليغ ونشر تعاليم الدين ودعوة الناس إلى الالتزام بأحكامه وتشريعاته. أما الذين ذهبوا إلى أن الخطاب الدينى عبارة عن دعوة للخير والفضائل الأخلاقية والسلوكية، فلا نجد تعريفًا نظريًّا من التعريفات السائدة للخطاب الدينى يمكن أن يندرج فهمهم هذا فى إطاره.

وفى الوقت عينه، لا نجد بين إدراكات العينة ما يتفق أو يقترب مع تعريف الخطاب الدينى -حسب رؤية الاتجاه الثالث- الذى يؤكد على أن الفرق بين النص الإلهى للخطاب الدينى والفهم البشرى له ضئيل جدًّا، وأن الخطاب الدينى المنزل ليس له وجود مستقل قائم بذاته خارج التأويل البشرى، وأن النص القرآنى -مثلاً- ليس مرجعية فى ذاته، وإنما مرجعيته مستمدة من قدرة العقل على تأويله.

مثل هذا الإدراك لم نجد ما يشير إلى وجوده فى وعى الجمهور العام، فى حدود ما كشفت عنه آراء عينة هذا البحث.

وإضافة إلى الأنماط الثلاثة لإدراك معنى الخطاب الدينى لدى عينة البحث من الجمهور العام، أوضحت الاستجابات أن ثمة اتفاقًا بين أغلبية مفردات العينة على أن الخطاب الدينى -أو الكلام فى الدين- يتطلب دراية وعلمًا وتخصصًا، وأن ثمة أسبابًا متعددة تفترض توافر هذه الشروط، ومن أهمها أن الخطاب الدينى يتعلق بالفعل والترك، وبالحلال والحرام. وذهب البعض إلى أن من يتكلم فى أمور الدين يجب أن يكون معتمدًا من جهة رسمية -كالأزهر أو وزارة الأوقاف، مثلاً- أو الكنيسة بالنسبة للمسيحيين.

٢- موضوعات الخطاب ومنتجوه:

إذا كان الجمهور العام يدرك الخطاب الدينى باعتباره إما رؤية شاملة للحياة، أو فهمًا بشريًّا للأصول المنزلة، أو دعوة للخير والفضيلة؛ وذلك فى حدود ما عبرت عنه عينة هذا البحث كما أسلفنا؛ فإن السؤال المهم هنا هو: ما الذى ينبغى أن يتناوله الخطاب الدينى؟ ومن هم المؤهلون لتناول هذه الموضوعات؟

وجهنا عدة أسئلة لأفراد العينة حول موضوعات الخطاب ومنتجيه -سواء من الجهات أو الهيئات أو الشخصيات- وبتحليل استجاباتهم وربطها بمضمون إدراكهم لمعنى الخطاب الدينى اتضح الآتى:

أ- أن الذين يدركون الخطاب الدينى -باعتباره رؤية شاملة للحياة-، يرون أن موضوعات هذا الخطاب يجب أن تشتمل أساسًا على: مسائل الأحوال الشخصية، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق والسلوك، والعقائد، والقضايا التى تستجد فى الحياة اليومية للناس. وتتسق شمولية الموضوعات التى يتصورونها للخطاب الدينى مع إدراكهم لهذا الخطاب على أنه يقدم رؤية شاملة للحياة. وكمثال على ذلك ما قاله أحدهم (تاجر، ٥٩سنة، مدينة سوهاج) الكلام فى الدين يعنى: « موضوعات عن الزوجية... الحديث فى الحلال والحرام، وإننا مَنْأَكِّلْش عيالنا حرام، ولا نكسب إلا من عرق جبينا، وإذا مشغل عندى حد لازم أعطيه أجره، ومانكلش حق حد، لو عرفنا الحلال والحرام يبقى عرفنا الدين... تربية العيال وتعليمهم الصلاة والصوم، ونعلمهم إزاى يحترموا الكبير، ويطيعوا الوالدين ده كلام فى الدين، ننصح بعضنا فى مجالسنا بلاش نجيب سيرة حد بالنميمة، الكلام فى الفقه وسيرة الرسول(ص) والزكاة والصوم والحج ومعاملة الجار كل ده كلام فى الدين ».

وليس شرطًا ضروريًّا فيمن يتصدون للخطاب الدينى -من وجهة نظر الذين يدركونه كرؤية شاملة للحياة- أن يكونوا من ذوى التخصص الرسمى، أو أن يقتصر الأمر على علماء الأزهر فقط، وإنما يكفى أن يكونوا متفقهين، وعلى دراية وفهم لأمور الدين والدنيا، وأن يكونوا أهل ثقة وقدوة حسنة فى ذاتهم حتى يكون خطابهم مقبولاً ومؤثرًا، وأن تكون لديهم القدرة على توصيل الرسالة بيسر وسهولة.. يقول أحد المبحوثين: (صاحب مصنع حلوى، ٥٠سنة، طنطا): « عمرو خالد مش مفتى، لكن بيوصل المفهوم الصحيح للناس، الأشخاص زى عمرو خالد، ومفتى الديار، وكل خريجى الأزهر، وأحمد عمر هاشم لازم يكون لهم دور فى إصلاح المجتمع ».

ب- الذين يدركون الخطاب الدينى باعتباره فهمًا بشريًّا للأصول المنزلة، أو أنه كل خطاب يستند إلى مرجعية القرآن الكريم والسُّنة، يرون أن موضوعات هذا الخطاب تشتمل بالدرجة الأولى على أمور المعاملات، والعبادات، والأحوال الشخصية، والأخلاق، والسلوكيات الاجتماعية.. قالت إحدى المبحوثات (ربة منزل، ٢٥سنة، القاهرة): « الكلام عن العمل وإنه

عبادة... وعن المال والزكاة... وعن التعامل مع الناس... وعن الصلاة والصوم... وعن تربية الأولاد، وعن الملابس وضرورة أن تكون محتشمة... ده يعتبر كلام فى الدين ». ونلاحظ أن مضمون هذه الموضوعات لا يختلف كثيرًا عن الموضوعات التى أدرجها أصحاب وجهة النظر السابقة، وإن كانت أضيق منها نطاقًا وأقل شمولاً.

وحسب رأى هذا الفريق؛ فإن الذين يحق لهم إنتاج الخطاب الدينى هم المتخصصون تخصصًا رسميًّا فقط؛ أى الحائزون على شهادات علمية رسمية فى العلوم الشرعية من الأزهر مثلاً. وعبر أحد المبحوثين (موظف، ٣٠سنة، الجيزة/القاهرة الكبرى) بقوله: « طبعًا العلماء المسلمين والمفتين فى الدين لابد أن يكونوا دارسين شريعة وفقه وسنة... حاليًا أقدر أقول لك أنه لا توجد جهات معينة يقدر الواحد يعتمد على آرائها فى مصر، مفيش هيئة علماء مسلمين آراؤهم موحدة تحل مشاكل المسلمين. مع احترامى للأزهر وعلماء الأزهر؛ لكن فين الأزهر من مشاكل المسلمين ». وأكد على ذلك مبحوث آخر (عامل، ٥٦ سنة، قرية الحجانية/ دمنهور - بحيرة) فقال « طبعًا ما ينفعش أى حد يتكلم فى الدين، لازم الوعاظ هم اللى يتكلموا، وخريجوا الأزهر، وإمام الجامع، وأهل الذكر، والمفتى، والأزهر الشريف ».

ويتسق شرط التخصص العلمى للحديث فى الشأن الدينى -حسب رأى هذا الفريق- مع نمط إدراكه لمفهوم الخطاب الدينى بأنه عبارة عن فهم الأصول المنزلة. ولكن يبدو أن ثمة قصورًا لدى هؤلاء المبحوثين فى المعرفة بوجود جهات رسمية من العلماء المتخصصين مهمتهم البحث وإبداء رأى الدين فى القضايا والمشكلات المختلفة، مثل المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ومجمع البحوث الإسلامية، ومن جهة أخرى: يبدو أيضًا أن مثل هذه الجهات لم تنجح فى إبلاغ رسالتها إلى عموم الناس، إلى حد عدم المعرفة ولو فقط باسمها.

ج- بالنسبة للفريق الذى يدرك الخطاب الدينى باعتباره « دعوة للخير وفضائل الأخلاق »، وجدنا أن جميع الأفراد -الذين قالوا بهذا الرأى- متفقون على أن أهم موضوع يجب أن يشتمل عليه الخطاب الدينى هو « الأخلاق والدعوة لتقويم السلوك »، إلى جانب موضوعات أخرى مثل العبادات، والمعاملات (من منظور أخلاقى أيضًا)، ومسائل الأحوال الشخصية. أحد المبحوثين (موظف قطاع خاص، ٢٦سنة، مدينة سوهاج) قال فى سياق حديثه عن موضوعات الخطاب الدينى إنها تعنى بالنسبة له: « صلة الرحم، وإزاى نعامل أخواتنا

وأعمامنا، وأقاربنا ده كلام فى الدين، وتربية الأطفال على قال الله وقال الرسول وإكسابهم الأخلاقيات من الصغر، وتعليمهم الصلاة والصوم، ده كلام فى الدين، واحترام الكبير وتوقيره أوصانا به الرسول ﷺ».

والملفت للنظر أن حوالى نصف العينة (٨ أفراد - منهم اثنان مسيحيان - من ١٥فردًا هم إجمالى العينة) قد انحاز لهذا الرأى الذى يدرك الخطاب الدينى من زاوية أخلاقية. وحتى إذا استبعدنا الصوتين المسيحيين، يظل عدد المؤيدين لهذا الرأى هو الأكبر مقارنة بعدد مؤيدى الرأى الأول (٤ أفراد)، ومؤيدى الرأى الثانى (٣ أفراد).

ونستشف من ذلك أن بعض أفراد الجمهور العام يشعرون أن المجتمع يعانى من أزمة فى الأخلاق، وأن إحدى مشكلات الخطاب الإسلامى تتجلَّى فى كثير من الانحرافات السلوكية، ومن ثم فهو خطاب عاجز عن معالجة هذه الأزمة.

أما من ذا الذى يحق له المشاركة فى إنتاج الخطاب الدينى -حسب رأى أغلبية هذا الفريق- فهم المتفقهون فى الدين، والحائزون للقدرة على مخاطبة الناس على قدر عقولهم فى سهولة ويسر، ولا يشترط أن يكونوا حائزين لشهادات علمية رسمية، أو أن يكونوا من خريجى الأزهر ومعاهده الدينية؛ بل إن بعض المبحوثين ذهبوا إلى أن التخصص: يعنى التعقيد فى الأسلوب، وعدم القدرة على التواصل مع الجمهور المتلقى للخطاب. قالت إحدى المبحوثات (١٧ سنة، طالبة، مدينة سوهاج): «مفروض كل اللى عارف فى الدين يتكلم، أنا عندى مُدرسة الإنجليزى بتتكلم فى الدين أحسن من مدرسة الدين نفسها... ممكن يكون فيه متخصصين؛ لكن دول بيتكلموا كلام كبير، فيه ناس بسيطة متقدرش تفهم الكلام بتاعهم».

ولكن من بين الذين يدركون الخطاب الدينى من زاوية أخلاقية هناك من يرى أن الذى يشارك فى إنتاج هذا الخطاب يجب أن يكون متخصصًا حاملاً لشهادة علمية فى العلوم الشرعية. قالت إحدى المبحوثات (ربة منزل، ٥٣سنة، الجيزة - القاهرة الكبرى): «لازم اللى يتكلم فى الدين يكون فاهم ومتخصص، ويتبع الأزهر؛ لأن الأزهر هو نبع العلم».

أما المبحوثان المسيحيان: فلم يتصورا إمكانية أن يشارك فى إنتاج الخطاب الدينى أحد من خارج الكنيسة أو المطرانية، قال أحدهما (فلاح حاليًا وموظف سابقًا، ٤٤سنة، مدينة سوهاج): «الأشخاص اللى يجب أن يقتصر عليهم الكلام فى الدين هم الرهبان، والقسيسين،

والشمامسة، والخدام اللى ورا الكاهن، ومن هم وراء القسيسين وزيهم أبيض... والجهات اللى مفروض بيقتصر عليها الكلام هى الكنيسة والمطرانية، زى مطرانية سوهاج، والكاتدرائية فى العباسية ترأس الجمهورية بالكامل من حيث الفتاوى فى الأمور المسيحية». وقال الآخر(عامل، ٣١سنة، قرية ونينة الغربية - سوهاج): «الكلام فى الدين يقتصر على رجال الكنيسة، ولازم يكون المتكلم متخصص ويتكلم من خلال الكنيسة، أو من خلال المطرانية». ويتفق مثل هذا التوجه مع الطبيعة الخاصة للخطاب الدينى المسيحى، وشدة ارتباطه بالبنية الهيراركية داخل النظام الكنسى.

وللكشف عن عمق إدراك أفراد العينة لأهمية التخصص الرسمى كشرط للمشاركة فى إنتاج الخطاب الدينى من عدمه، قمنا بتحليل موضوعات الخطاب الدينى من وجهة نظرهم فى ضوء موقفهم من اشتراط أو عدم اشتراط التخصص الرسمى فى علوم الدين والشريعة. والجدول التالى يوضح تكرارات كل موضوع فى استجابات أفراد العينة، وتكرار اشتراط التخصص، وتكرار عدم اشتراط التخصص كمؤهل للمشاركة فى إنتاج الخطاب الدينى.

جدول رقم (١)

موضوعات الخطاب الدينى وعلاقتها بشرط التخصص الرسمى لمنتجيه

موضوع الخطاب	تكرار وروده	عدد الذين يشترطون التخصص	عدد الذين لا يشترط التخصص
عبادات	١٠	٤	١١
عقائد	١	-	١
أخلاق وسلوك	١٢	٥	١٠
أحوال شخصية	١٠	٦	٩
معاملات	٧	٤	١١
مشكلات سياسية	٣	٢	١٣

ومن بين العلاقات التى يوضحها الجدول السابق، نلاحظ أن موضوع الأحوال الشخصية هو أكثر الموضوعات احتياجًا للتخصص العلمى الرسمى لمن يشارك فى الحديث عنه -من وجهة نظر أفراد عينة البحث- مقارنة بالموضوعات الأخرى المدرجة فى الجدول، ولكن أغلبية المبحوثين (٩ أفراد) لا يرون أن شرط التخصص الرسمى ضرورى لهذا الموضوع، ويكفى فى رأيهم أن يكون المتحدث متفقهًا وفاهمًا وقادرًا على إيصال رسالته بأسلوب بسيط وواضح. وكذلك يمكن القول بالنسبة لبقية الموضوعات، حيث نلاحظ أن عدد الذين لا يشترطون التخصص الرسمى للمشاركة فى إنتاج الخطاب الدينى أكبر من عدد الذين يشترطونه، وينطبق هذا فقط على الخطاب الدينى الإسلامى. أما بالنسبة للخطاب المسيحى، فقد سبقت الإشارة إلى أن التخصص والاندراج فى السلك الكهنوتى الكنسى شرطان ضروريان ولازمان فيمن يحق له المشاركة فى إنتاج الخطاب الدينى بحسب رأى المبحوثين المسيحيين.

ثانيًا: خصائص الخطاب الدينى السائد:

المقصود بالخطاب الدينى السائد فى هذا السياق: هو ذلك الخطاب الذى يحظى بالذيوع والانتشار على نطاق جماهيرى واسع؛ سواء كان صادرًا عن شخصيات أو جهات رسمية، مثل شيخ الأزهر أو المفتى أو دار الإفتاء، أو مجمع البحوث الإسلامية، أو بابا الكنيسة والقس بالنسبة للمسيحيين، أو كان صادرًا عن شخصيات وجهات غير رسمية مثل بعض الدعاة غير الرسميين من خريجى الأزهر أو من غير خريجيه، ومن خريجى المعاهد الدينية أو من غير خريجيها، أو بعض الجمعيات والجماعات المعنية بشئون الدعوة والثقافة الإسلامية. وقد تركزت أسئلة المحور الثانى من دليل المقابلة المتعمقة على الجوانب التى تسهم فى الكشف عن خصائص الخطاب الدينى السائد كما يدركها أفراد عينة البحث.

وبتحليل استجابات عينة البحث -فيما يتعلق بأسئلة هذا المحور- اتضح لنا أن الخطاب الدينى السائد بالمعنى السابق بيانه يتراوح بين ثلاثة أزواج من الخصائص هى:

أ- الوضوح والسهولة واليسر والبساطة من جهة، والغموض والتعقيد والتركيب من جهة أخرى.

ب- الواقعية والارتباط بقضايا الحياة ومشكلات الناس من جهة، والانعزالية والانفصال عن قضايا الحياة ومشكلات الناس من جهة أخرى.

ج- التأثير والإسهام فى حل المشكلات وتقديم حلول عملية لها من جهة، وانعدام التأثير والفاعلية فى الواقع الاجتماعى الفردى والجماعى من جهة أخرى.

ولقد كشف لنا تحليل استجابات أفراد عينة البحث -مع ربطها بمضمون إدراكهم لمعنى الخطاب الدينى- عن نتائج مهمة نجملها فى الآتى:

١- الخطاب غير الرسمى أكثر وضوحاً من الرسمى:

أفاد أغلب المبحوثين: بأن الخطاب الدينى الإسلامى السائد فى شقه غير الرسمى أكثر وضوحًا من الخطاب الرسمى، فلغة الأول سهلة، بسيطة، ومعانيه مباشرة وقريبة من الفهم ويمتاز بالجرأة، فى حين لغة الثانى صعبة الفهم، وأسلوبه معقد ومليء « باللف والدوران »، ومركب إلى الدرجة التى تستعصى على إدراك فئات واسعة من الجمهور العام. ويكاد يجمع كل أفراد عينة البحث على أن غير الرسمى أكثر وضوحًا من الرسمى؛ لا يختلف فى ذلك الذين يدركون الخطاب الدينى باعتباره رؤية شاملة للحياة، عن أولئك الذين يدركونه باعتباره فهمًا بشريًا للنصوص المنزلة، ولا عن الذين يدركونه باعتباره دعوة للأخلاق والفضيلة.

ومما يؤكد ذلك ما كشفت عنه استجابات المبحوثين بخصوص العلماء والدعاة الذين يفضلون الاستماع إليهم؛ حيث جاء عمرو خالد فى المرتبة الأولى يليه محمد هداية، والشيخ القرضاوى، ومحمد حسان، وخالد راشد، وعدد آخر من الدعاة المحليين (فى القرى وفى أحياء المدن). ونلاحظ أن أصحاب هذه الأسماء هم من الشباب -فيما عدا الشيخ القرضاوى- يقول أحد المبحوثين (صاحب مصنع حلوى، ٥٠ سنة، طنطا): « عمرو خالد ده كان بيتكلم وأمامه حشد لا يقل عن عشرة آلاف، وأنا مقتنع، والناس مقتنعة بيه... الشخصية دى مفروض مصر تحتضنها مش تخرجها بره مصر، وبعده عن مصر ده شيء غلط ». وقال آخر (عامل، ٥٦ سنة، قرية الحجانية . دمنهور/ بحيرة): « عمرو خالد بيقول كلام بسيط وكويس، الواحد بيفهمه وبيدخل القلب ». وقالت إحدى المبحوثات (ربة منزل، ٥٣ سنة، الجيزة / القاهرة الكبرى): « عمرو خالد بيقول كلام حلو وسهل وبيعمل حاجات مفيدة للشباب وبيحب الناس... ومحمد هداية بيتكلم بطريقة بلدى، بفهم منه الحديث ».

وبالرغم من تفضيل بعض المبحوثين لبعض العلماء الرسميين أمثال الشيخ الشعراوى، وأحمد عمر هاشم، والشيخ محمد المسير والشيخ عطية صقر؛ إلا أن بعضهم الآخر قد عبر عن

غموض خطاب شخصيات رسمية بارزة مثل شيخ الأزهر ومفتى الديار، وفضلاً عن أن أحدًا من المبحوثين لم يذكر شيخ الأزهر أو المفتى ضمن الشخصيات التى يشعر أن أسلوبها مفهوم وواضح، أكد أكثر من مبحوث على أنه لا يستطيع فهم ما يقوله المفتى، ولا يعرف ما الذى يتحدث عنه، ولا الذى يريد قوله لنا على وجه التحديد، ومن ذلك قول أحدهم (موظف، ٣٠سنة، الإسكندرية): «العلماء أنواع، فيه منهم بيتكلم بأسلوب غير مفهوم زى مفتى الديار المصرية لما بيتكلم فى التليفزيون، من أول الحديث لآخره لا أعرف هو بيتكلم فى إيه، ولا حتى بعرف هو عايز إيه، أنا مش بيعجبنى أسلوبه». وقالت مبحوثة (٥٣سنة، ربة منزل، القاهرة الكبرى): «عندك د. على جمعة مفتى الديار، مفهمش منه حاجة».

وهكذا يبدو من خلال آراء عينة البحث أن الخطاب غير الرسمى يتسم بقدر أكبر من الوضوح بالنسبة للجمهور العام مقارنة بالخطاب الرسمى؛ وقد يرجع السبب فى ذلك إلى أمرين: **أولهما:** أن الخطاب غير الرسمى غالبًا ما لا يتقيد بالشكليات التقليدية للخطاب الدينى الرسمى، وخاصة من حيث استعمال الأخير لغة عربية فصحى، كثيرًا ما لا تكون مفهومة للعامة، **وثانيهما:** غلبة الطابع العمومى على الخطاب الرسمى، والبعد عن المسائل التفصيلية التى تكون أكثر أهمية لدى الجمهور العام؛ ولهذا نجده يفضل الإنصات لمنتجى الخطاب غير الرسمى وبخاصة أولئك الذين ينتشرون فى القرى والمناطق المحلية، وتكون لديهم دراية بالمشكلات اليومية للناس، ومن ثم تكون لديهم مقدرة أكبر على تناول مشكلاتهم وتقديم حلول قد تسهم فى حلها.

بقيت الإشارة هنا إلى أن الخطاب المسيحى (وهو رسمى بطبيعة الحال)، يتسم فى نظر المبحوثين المسيحيين بالوضوح والسهولة والروحانية. قال أحدهما (عامل بناء، ٣١ سنة، ونينة الغربية - سوهاج): «دايمًا بسمع البابا شنودة، والنفر بيستفاد منيه، أسلوبه حلو بيحببنا فى الدين، وكلامه زين».

٢- الخطاب الرسمى أكثر عزلة عن الواقع من غير الرسمى:

يرى أغلب أفراد عينة البحث أن الخطاب الرسمى السائد يتسم بالغموض والتعقيد وصعوبة الأسلوب مقارنة بالخطاب غير الرسمى، ليس هذا فحسب، وإنما يرون أيضًا أن هذا الخطاب غير واقعى، وأنه أكثر بعدًا من الخطاب غير الرسمى عن مشكلات الحياة الراهنة من جهة، وعن بعض الفئات الاجتماعية التى هى فى أمس الحاجة إليه من جهة أخرى.

أما البعد عن مشكلات الواقع فيتجلى فى عدة مظاهر منها: أنه خطاب مكرر وممل، ولا يأتى بجديد، ويفضل البقاء فى الماضى، أو التحليق فى الخيالات والافتراضات غير الواقعية، وأنه نمطى وتقليدى حتى فى نبرة الصوت (بالنسبة لخطيب الجمعة، أو لمن يلقى حديثًا تلفزيونيًّا)، فى حين أن التطورات الحديثة فى وسائل الاتصال وفنون الإقناع والحوار، كلها تفترض أن يطور العلماء أساليبهم، وأن يربطوا خطابهم بالواقع ومتغيراته، وأن يجعلوا هذا الواقع هو محور تفكيرهم واجتهاداتهم، من أجل البحث عن حلول لمشكلات الناس وقضاياهم الملحة التى يعانون منها.

وقد عبر بعض المبحوثين عن إدراكهم لانفصال الخطاب الرسمى السائد عن الواقع بصيغ مختلفة، منها ما قاله أحدهم (موظف، ٢٣سنة، الإسكندرية): «الشيوخ فى المساجد مش بيفيدوا فى موضوعات هامة بالنسبة للشباب». وقال آخر (سائق، ٤١سنة، الإسكندرية): «ياريت كل واحد يتكلم عن ظروف المنطقة اللى هو فيها، مشاكل الشباب اللى بيحشش، مش بيجى يحكى قصة عن الرسول، مفروض يقول لهم الدين بيقول إيه ويربط مشاكلهم بالدين، وما ينفعش أتكلم عن حاجات بعيدة عن مشاكل الناس، وبعيدة عن حياتهم». وقال ثالث (موظف، ٢٦سنة، مدينة سوهاج) عن العلماء الرسميين: «لا أحب أسمعهم؛ لأنهم مملين زى الشيخ (فلان)، معظم الموضوعات هى هى». ويرى بعض المبحوثين أن اللغة الصعبة التى يستخدمها العلماء تسهم أيضًا فى عزلهم عن الواقع؛ إذ يتم استبعاد فئات اجتماعية واسعة عما يقول هؤلاء العلماء، ومن ثم لا يستطيعون إبلاغ رسالتهم إليهم، ولا تستطيع هذه الفئات التفاعل مع أولئك العلماء، وخاصة فى البرامج الإذاعية أو التلفزيونية المفتوحة للأسئلة. يقول أحدهم (موظف، ٤٢سنة، مدينة سوهاج): «العلماء بتوع الدولة فيهم عيب خطير، عمرهم ما بينزلوا لمستوى المتلقى اللى ممكن يكون فيه عربجى وفلاح وجاهل ومتعلم، لما بيتكلموا بيعتقدوا إن كل اللى قدامهم متعلمين تعليم عالى، ولا يعتمد على التوضيح والتواضع، مع إن ده من سمات العلماء».

ومن الملفت للنظر أن تأكيد بعض المبحوثين على أن الخطاب الرسمى واقعى ورد فى سياق محدد؛ وهو سياق الحديث عن مسائل العبادات والأحوال الشخصية، ووردت الإشارة هنا إلى الشيخ عطية صقر تحديدًا، وما يقوله من فتاوى على الهواء فى برامج تلفزيونية تتناول قضايا ومشكلات فعلية يسأل عنها الجمهور العام.

وبالرغم من أن الخطاب الرسمى تعزله اللغة الصعبة عن الواقع حينًا، ويعزله عدم الاهتمام بالقضايا المهمة والواقعية حينًا آخر؛ إلا أنه بسؤال عينة البحث عن الجهة أو الشخص الذى يثق فيه، ويتوجه إليه عادة بالسؤال عندما تعرض له مشكلة ما، جاءت الاستجابات لتؤكد توجه أغلب المبحوثين إلى العلماء الرسميين، وخاصة أئمة المساجد ودار الإفتاء. ما يفسر هذا التناقض بين الشعور بعزلة الخطاب الرسمى، واللجوء إلى بعض منتجيه عند الحاجة الشخصية فى الوقت نفسه، هو أن الجمهور العام لا يزال يشعر أن العلماء الرسميين، والمتخصصين من خريجى الأزهر الشريف هم أهل الثقة وعليهم يقع عبء الإفتاء فى المسائل الدقيقة التى تتعلق غالباً بأمور الميراث، والأحوال الشخصية وشئون العبادات، أما الدعاة غير الرسميين وغير المتخصصين فى العلم الشرعى، فلهم مجال آخر يتعلق بمسائل الترغيب والترهيب والأخلاق والسلوكيات، أكثر من تعلقه بمسائل العبادات والأحوال الشخصية وقضايا المواريث. عبر عن ذلك أحدهم (عامل، ٥٦سنة، قرية الحجانية - دمنهور - بحيرة) بقوله: «أقرب حاجة لىَّ إمام المسجد، ولو فيه حد نازل مصر نبعت معاه نسأل دار الإفتاء». وقال آخر(تاجر موبيليا، ٥٠سنة، دمياط): «بلجأ للجنة الفتوى عندنا فى دمياط، ومعظمهم بيساعد، ومتيسر إنك تسألهم، أى حد فى أى سن، سيدات ورجال... أسأل إمام المسجد، وإذا كان الموضوع أكبر منه بروح للأزهر فيه ناس متخصصة».

وفى مقابل إدراك بعض أفراد العينة لعزلة الخطاب الرسمى عن الواقع، نجد أن البعض الآخر يدرك أن الخطاب غير الرسمى أكثر قربًا من الواقع، وأكثر جرأة فى التصدى لمشكلاته وقضاياه، وبخاصة قضايا الشباب. ووردت الإشارة إلى عمرو خالد وبرنامجه «صناع الحياة» أكثر من مرة فى استجابات المبحوثين. ومن ذلك قول أحدهم (موظف، ٢٦سنة، مدينة سوهاج): «بحب أسمع لعمرو خالد؛ لإنه بيتكلم فى حاجات كثيرة واقعية، وبيربط الأحداث اللى كانت على أيام الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالأحداث اللى موجودة حاليًا، زى تحفيز الشباب على العمل من خلال برنامج صناع الحياة».

والذين يرون أن الخطاب الرسمى بعيد عن الواقع، أفادوا بأنهم لا يثقون فى أئمة المساجد، ولا فى العلماء الرسميين للحصول على فتاوى بشأن ما يعرض لهم من مشكلات وقضايا، ويفضل البعض منهم اللجوء إلى كبير العائلة، أو إلى أحد الأصدقاء، أو أحد العلماء، أو

الدعاة غير الرسميين. يقول أحدهم (طالب، ١٩سنة، قرية ونينة. سوهاج): « لا أحب سؤال إمام المسجد، لأنه يتوسع فى الموضوع زيادة عن اللزوم ويبدخل فى حاجات تانية »، وقال آخر (موظف، ٢٦سنة، مدينة سوهاج): « ألجأ لحد كبير من عيلتنا،... لم أستشر واحدًا من أئمة المساجد... إمام المسجد بيعقد الدنيا ». وبتدقيق النظر فى مثل هذه الاستجابات نلاحظ أنها قد تعكس مواقف شخصية لبعض الأفراد من أئمة المساجد فى المناطق التى يعيشون فيها، ولا تعكس بالضرورة صورة فعلية عن حال هذا الإمام أو ذاك، مع احتمال وجود بعض الأئمة ممن لا يحسنون الإجابة عن تساؤلات رواد المسجد. ولاحظنا كذلك -فى استجابات أغلب المبحوثين- أنهم يتجهون إلى مصادر الخطاب الرسمى فى مسائلهم الشخصية، ويأملون أن يكون أكثر اقترابًا من الواقع وأكثر تفاعلاً مع مشكلاتهم بدرجة أكبر مما هو عليه حاليًا.

والحاصل أن ثمة ثلاثة أسباب تجعل الخطاب الدينى منعزلاً عن الواقع - حسب آراء أفراد عينة البحث - وهى: صعوبة اللغة المستخدمة، والابتعاد عن قضايا ومشكلات راهنة، ووجود إحساس لدى الجمهور بأن بعض العلماء وبعض أئمة المساجد يتعالون عليهم، أو غير متواضعين كما هو متوقع منهم، أو غير ملمين بأحكام الشرع.

٣- تباين تأثير الخطاب السائد فى الواقع الاجتماعى:

انقسمت آراء عينة البحث بخصوص تأثير أو عدم تأثير الخطاب الدينى السائد، إلى فريقين متساويين تقريبًا: **أحدهما** يرى أن الخطاب السائد غير مؤثر، **والثانى** يرى أنه مؤثر جزئيًّا فى جانب أو آخر من جوانب الحياة.

وبتحليل الاستجابات: اتضح لنا أن أسباب عدم التأثير لدى من قال بذلك هى ذاتها الأسباب التى تجعل الخطاب الدينى معزولاً وغير واقعى، وهى: صعوبة الأسلوب الذى يحول دون وصول الرسالة إلى الجمهور المستهدف، والابتعاد عن القضايا المهمة والتركيز على مسائل هامشية، والإغراق فى العموميات، وافتقار بعض العلماء وأئمة المساجد إلى المرونة والتواضع فى تعاملهم مع الجمهور.

تساءل أحدهم (موظف، ٤٢سنة، مدينة سوهاج) مستنكرًا عدم خوض العلماء فى قضايا مهمة، مثل ارتفاع الضرائب على الفئات محدودة الدخل، وتخفيفها عن الأغنياء أصحاب المشروعات، وقال: « ياريت رجال الدين يقولوا حرام اللى بيحصل للغلابة ده ».

وأضاف بعض المبحوثين سببين آخرين يسهمان فى غياب تأثير الخطاب الدينى، وهما: تبعية بعض العلماء للحكومة، وأن مشاغل الحياة ومشاكلها لا تترك وقتًا للاستماع إلى الدعاة أو لسؤال العلماء، ويرى أحدهم (موظف، ٣٠سنة، القاهرة الكبرى) أن الخطاب الدينى: « ملهوش أى تأثير، الناس مش فاهمة العلماء بيقولوا إيه، يبقى إزاى هيؤثر فيهم الدين. العلماء عملاء للسياسة وللحاكم، بيقولوا اللى بيحفِّظوهلهم واللى مقرر إنه يقولوه، واللى بيتكلم صح يخرصوه، أو ينفوه خارج البلد؛ علشان بيعرف الناس حقوقهم وواجباتهم ». ويرى آخر (موظف، ٢٦ سنة، مدينة سوهاج): « الناس لا وقت لديها لسماع العلماء أو لسؤالهم... الحياة لاهية الناس،...التفكير فى المستقبل والشغل هو ده الهم الأكبر».

أما الفريق الذى يقول: أن الخطاب السائد مؤثر فى جوانب مختلفة من الواقع الاجتماعى، فيرى أن هذه الجوانب هى « الأخلاق والسلوكيات »، و»مسائل الحلال والحرام » وبخاصة فى الأحوال الشخصية. تقول إحدى المبحوثات (ربة منزل، ٥٣سنة، القاهرة الكبرى): « طبعًا فيه تأثير، كل ما العلماء بيكلموا الناس بتتنور وتتنبه وتعرف إن فيه حساب وتخاف الله ». ويستدل آخر (تاجر موبيليا، ٤٣سنة، دمياط) على تأثير الخطاب السائد بقوله: « دلوقتى أى وقت تدخل المسجد تلاقى شباب بيصلى، حتى النساء بيحضروا دروس بعد المغرب، والكلام ده بيهذب الإنسان، ويخلى أخلاقه الدينية عالية ».

وبربط استجابات المبحوثين بنمط إدراكهم لمعنى الخطاب الدينى؛ تأكد لنا الانقسام فى آراء العينة بشكل إجمالى بين اتجاهين: أحدهما يقول: بأن الخطاب السائد مؤثر فى بعض الجوانب، والثانى يقول: بأنه غير مؤثر على الإطلاق؛ ولكن بمزيد من التحليل للاستجابات مع ربطها بنمط إدراك مفهوم الخطاب الدينى، اتضحت تباينات أخرى فيما بين أصحاب الإدراك الواحد، وذلك على النحو الذى يوضحه الجدول التالى:

جدول رقم (٢)
علاقة نمط إدراك الخطاب الدينى.. بتأثيره فى الواقع الاجتماعي

نمط إدراك الخطاب	مؤثر ك	غير مؤثر ك
رؤية شاملة للحياة	١	٣
فهم بشرى للأصول المنزلة	٢	١
دعوة للأخلاق والفضيلة	٥	٣
المجموع	٨	٧

ومن أهم ما يوضحه الجدول السابق هو أن أكبر عدد من التكرارات الخاصة بتأثير الخطاب (خمسة تكرارات) جاءت ممن يدركون أن الخطاب الدينى عبارة عن دعوة للأخلاق والفضيلة، وهم بذلك متسقون مع ذواتهم؛ حيث إنهم إما ذوو خلفية صوفية، أو نزعة أخلاقية، على النحو الذى تشير إليه سماتهم الشخصية وبعض الملاحظات التى سجلناها بهذا الخصوص أثناء المقابلات المتعمقة معهم. ولكن أغلب الذين يدركون الخطاب على أنه رؤية شاملة للحياة.. يرون أن الخطاب السائد غير مؤثر فى الواقع الاجتماعى (٣من ٤)، وقد يرجع السبب فى ذلك إلى أن أصحاب مثل هذا الإدراك غالبًا ما يكونون على درجة أعلى من الوعى، ولديهم طموحات كبيرة فى الإصلاح الشامل، ومن ثم فهم لا يتوقفون كثيرًا عند الجزئيات التى يؤثر فيها الخطاب السائد فعلاً، مثل الجوانب الأخلاقية ومسائل الأحوال الشخصية.

ويربط الاستجابات بتوزيع أفراد العينة بين وجهى قبلى وبحرى والقاهرة الكبرى، لم يظهر فرق كبير بين قبلى وبحرى فيما يتعلق بالموقف من تأثير الخطاب السائد أو عدم تأثيره، وذلك على النحو الذى يوضحه الجدول التالى:

جدول رقم (٣)

علاقة التوزيع الجغرافى للعينة بالرأى فى قضية تأثير أو عدم تأثير الخطاب السائد

الجهة	مؤثر ك	غير مؤثر ك
قبلى	٣	٣
بحرى	٢	٤
القاهرة الكبرى	٣	-
المجموع	٨	٧

وقد يبدو من الجدول السابق: أن الاختلاف الكبير يوجد بين القاهرة الكبرى من جهة، ووجهى قبلى وبحرى من جهة أخرى؛ حيث إن جميع أفراد العينة من القاهرة الكبرى قالوا: بأن الخطاب السائد مؤثر فى بعض جوانب الحياة الاجتماعية (الأخلاقية أو السلوكية)، ولكن من المحتمل أن يكون هذا الاختلاف غير حقيقى؛ إذا أخذنا فى حسابنا أن عدد أفراد العينة من القاهرة الكبرى هو نصف عدد أىٍّ من الوجهين البحرى أو القبلى، ومن ثم فالاختلاف هنا قد يكون كميًّا فقط وليس نوعيًا.

وتؤكد بيانات الجدولين السابقين (٢) و(٣) ما سبق أن لاحظناه من وجود انقسام فى الرأى بين القائلين: بأن الخطاب السائد مؤثر، والقائلين: بعدم تأثيره فى الواقع الاجتماعى الراهن، والملفت للنظر: أن رأى الحالتين المسيحيتين جاء ليزيد هذه النتيجة تأكيدًا؛ إذ ذهب أحدهما إلى أن الخطاب الدينى مؤثر فى تقويم الأخلاق والسلوكيات، والآخر(مزارع حاليًا وموظف سابقًا، ٤٤سنة، مدينة سوهاج) قال بأنه غير مؤثر، وأضاف عبارة ذات دلالة مهمة تدل على أن التأثر يكون بقرار ذاتى من المتلقى أكثر منه بفعل الرسالة التى يتلقاها، يقول « نسيبهم يتكلموا واللى نشوفه صالح لنا نعمله ».

ثالثاً: موضوعات الخطاب وقضايا التجديد:

انتقلنا فى **المحور الثالث** إلى البحث عن موضوعات الخطاب الدينى وقضايا التجديد فيه من وجهة نظر عينة البحث. وللوصول إلى ذلك وضعنا خمسة أسئلة تحت هذا المحور، **أولها:**

يسأل عن الموضوعات الدارجة فى الخطاب السائد، وهى تلك التى تعبر عن مجالات وقضايا يهتم بها منتجو الخطاب، وإن لم تكن تعبر بالضرورة عن مجالات وقضايا تهم مستقبليه، وبخاصة من الجمهور العام، وطبقًا لتسلسل الأسئلة فى المقابلة المتعمقة الحرة؛ فإن مثل هذه المجالات والقضايا يعتبر الحديث فيها نوعًا من التكرار، ولا تتضمن جديدًا فى أغلب الأحوال من وجهة نظر المبحوث- أما **السؤال الثانى**: فهو الأكثر أهمية؛ حيث يسأل عن تلك الموضوعات التى يرى المبحوث أنها لا تحظى باهتمام منتجى الخطاب الدينى، فى حين أنها تستحق كثيرًا من الاهتمام؛ نظرًا لشدة الحاجة إليها.

ويتناول **السؤال الثالث**: الأسباب التى يمكن أن تفسر إعراض منتجى الخطاب عن بعض الموضوعات، هل هى أسباب ذاتية ترجع إلى منتج الخطاب نفسه؟ أم أسباب موضوعية تتعلق بالسياق الاجتماعى والسياسى؟ وهل يرى المبحوث أن قضايا اقتصادية مثل غلاء الأسعار، والبطالة تدخل ضمن الخطاب الدينى أم لا؟ والهدف من هذا **السؤال الرابع**: هو الوقوف على تصور المبحوث للحقول التى تدخل ضمن الخطاب الدينى، أو التى يجب أن يكون مشتملاً عليها، ويكون له دور فى معالجة مشكلاتها، أو لا يكون. وأخيرًا **السؤال الخامس**: عن الموضوعات والمشاكل التى عادة ما يتوجه الجمهور العام بالسؤال عنها لمنتجى الخطاب الدينى: ما أهم تلك الموضوعات؟ وما الذى يفسر اهتمامهم بها دون غيرها؟ وهل هى من موضوعات وقضايا المجال العام أم من موضوعات وقضايا المجال الخاص -أو الذاتى- الذى لا يتعدى الدائرة الشخصية الضيقة للفرد أو للأسرة؟

وبتحليل الاستجابات التى أدلى بها المبحوثون خلصنا إلى الآتى:

١- غلبة العبادات على موضوعات الخطاب السائد:

أفاد معظم أفراد عينة البحث (١٣ من ١٥) أن أكثر الموضوعات حضورًا فى الخطاب الدينى السائد الذى يتلقونه، هى تلك التى تتناول مسائل العبادات وفى مقدمتها الصلاة والصوم، وتأتى مسائل الأحوال الشخصية وقضايا الأخلاق فى مرتبة تالية للعبادات. عبر عن ذلك أحدهم (عامل، ٥٦سنة، قرية الحجانية/ دمنهور- بحيرة) بقوله: «بيتكلموا عن مواضيع فى فقه السنة... بيتكلموا عن تارك الصلاة، وعن فروض الإسلام، والصلاة والصيام والزكاة

والحج، والزواج بيتكلموا عنه، والمغالاة فى المهور... »، وفى الاتجاه ذاته يقول آخر (صاحب مصنع حلوى، ٥٠سنة، طنطا): « بيتكلموا فى الأساسيات: الصلاة والصوم والزكاة وتربية النشء، وعلاقات صلة الرحم والميراث... ». ولا تختلف بقية استجابات أغلبية أفراد العينة عن ذلك.

ومعنى ما سبق أن الخطاب السائد: يغلب عليه الطابع التقليدى، والبعد عن الخوض فى القضايا المستجدة؛ وهى التى تتطلب جهدًا واجتهادًا من جانب منتجى هذا الخطاب، بخلاف مسائل العبادات التى تتمتع بقدر كبير من الثبات، وتستند إلى تراث فقهى راسخ، ويعتمد الحديث فيها على النقل فى المقام الأول، ولا تؤثر التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على أحكامها إلا فى أضيق الحدود. ويمكننا القول أيضًا: إن تركيز منتجى الخطاب على موضوعات العبادات بدرجة أكبر من غيرها، يعكس الأهمية الكبرى للعبادات باعتبارها « أساسات الدين » على حد تعبير أحد المبحوثين، ولكن هذا التركيز يوفر فى الوقت نفسه مخرجًا يهرع إليه منتجو الخطاب بعيدًا عن القضايا التى تتطلب قدرًا أكبر من القدرة على الاجتهاد، وسعة اطلاع، وجرأة فى التناول؛ وهى أمور قد لا تتيسر لكثير منهم، وبخاصة الرسميين، وأصحاب المناصب الكبيرة فى المؤسسات الدينية.

وبربط استجابات المبحوثين -فى هذا الموضوع- بنمط إدراكهم للخطاب الدينى، لم تختلف النتيجة السابق ذكرها؛ حيث احتلت العبادات المرتبة الأولى فى سلم أولويات الخطاب السائد، كما يدركه أفراد عينة البحث؛ الأمر الذى يؤكد دقة الاستنتاج السابق، ويؤكده أيضًا ما توصلنا إليه بعد ربط الاستجابات بالتوزيع الجغرافى للعينة (قبلى، وبحرى، والقاهرة الكبرى). والجدول التالى يوضح تكرار أهم الموضوعات وفقًا لنمط إدراك الخطاب الدينى لدى أفراد العينة.

جدول رقم (٤)

العلاقة بين نمط إدراك الخطاب الدينى، وأهم موضوعاته

نمط إدراك الخطاب	عبادات ك	أحوال شخصية ك	أخلاق وسلوك ك	معاملات ك	إجمالى ك
رؤيــة شــاملة للحياة	٣	٢	١	١	٧
فهــم بشــرى للنصوص	٢	٢	-	-	٤
دعوة للأخلاق والفضيلة	٤	١	٣	٣	١١
المجموع	٩	٥	٤	٤	٢٢

وتجدر الإشارة هنا إلى ثلاثة أمور: **أولها:** أن التكرارات الواردة فى الجدول السابق غير منسوبة إلى إجمالى عدد أفراد العينة؛ حيث أفاد كل منهم بأكثر من موضوع فى إجابته عن السؤال الخاص بالموضوعات التى يرى أن منتجى الخطاب أكثر اهتمامًا بها. **والأمر الثانى:** هو ورود الموضوعات السياسية -مرتين- فقط فى استجابات المبحوثين باعتبارها موضوعات حاضرة فى الخطاب الدينى السائد، أما **الأمر الثالث:** فهو أن الحالتين المسيحيتين تم إدراجهما فى بيانات الجدول السابق، وقد أفاد أحدهما بأن العبادات هى الموضوع الغالب على الخطاب المسيحى الذى يتلقاه، بينما أفاد الآخر بأن الأخلاق -وما يتعلق بتقويم السلوك- هو الموضوع الغالب على الخطاب الذى يتلقاه.

٢- تنوع الموضوعات الغائبة عن الخطاب السائد:

أشار المبحوثون إلى عدد من الموضوعات التى رأوا أن منتجى الخطاب الدينى السائد لا يهتمون بها الاهتمام الكافى. وجاءت الموضوعات المتعلقة بمشكلات الشباب فى مقدمة تلك الموضوعات (تكرر ذكرها ٥ مرات)، قال أحدهم (موظف، ٢٦سنة، مدينة سوهاج): إن أول الموضوعات التى لا تحظى باهتمام العلماء هى: « موضوعات الشباب، مفروض يقولوا للشباب

يعمل إيه عشان يتجه للدين،... وإن الدين بيحث على العمل والاجتهاد، مفروض يقربوا الشباب من سياسة الدولة، بدل ما الدولة بتبعد الدعاة وتنفيهم للخارج (إشارة إلى حالة عمرو خالد)... يتكلموا فى حل مشاكل الشباب العاطل، والشباب اللى بيشرب مخدرات، ولا يكفى الكلام؛ مفروض يساهموا فى حل مشكلاتهم... ». وكذلك تكرر ذكر الموضوعات المتعلقة بالمعاملات المستحدثة (تكرر ذكرها ٤ مرات)، ومن أهمها: القروض والفوائد البنكية، والاستغلال الذى يتعرض له بعض الأفراد من جانب جهات العمل فى القطاعين الحكومى والخاص، أو تتعرض له بعض الفئات -اجتماعية- نتيجة لنظام الضرائب المعمول به، والذى يمنح أصحاب الثروات والمشروعات الاستثمارية إعفاءات كبيرة، بينما يفرض أعباء ضريبية على الموظفين والمستهلكين.

وذكر آخرون أن ثمة موضوعات غائبة تمامًا، ورغم أهميتها البالغة إلا أن منتجى الخطاب السائد -وخاصة الرسمى- يتجاهلونها، وفى مقدمتها: المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية، وتعديل القوانين الموجودة حتى تكون متفقة معها، وظاهرة الفساد المستشرى فى الدولة، والمواد الإعلامية الهابطة التى تنبو عن الأخلاق والمبادئ والقيم الدينية والأخلاقية، والأفكار الهدامة، وتقليد الأجانب فى الأمور الخاصة بالمرأة وعلاقتها بالرجل يقول أحدهم (صاحب مصنع، ٥٠سنة، طنطا): « يجب أن يتكلموا إنه فيه موضوعات تصلح للغرب، ولا تصلح لينا، الست وصلت لأعلى المناصب بمساعدة الرجل، والدين كفل لها حقوقها، مش محتاجين قوانين تزعزع العلاقة الزوجية ». وفى رأيه أن الذى يمنع من تناول مثل هذه الموضوعات، هو الخوف من السياسة كما سنوضح فيما بعد.

وبتحليل الاستجابات السابقة من حيث علاقتها بنمط إدراك الخطاب الدينى، تبين أن الذين يدركونه باعتباره رؤية شاملة للحياة، يرون أن أكثر الموضوعات غيابًا عن الخطاب السائد: هى الموضوعات الخاصة بالمعاملات، تليها موضوعات الشباب ومشكلاته، وفى مقدمتها الانحرافات الأخلاقية والبطالة.

ومن الطبيعى أن يدعوا هؤلاء إلى ضرورة العناية بقضايا المعاملات ومشكلات الشباب، باعتبارها من أبرز الظواهر التى تغيب عنها الحلول المستندة إلى أحكام الدين وتشريعاته، فى الوقت الذى يجب - حسب فهمهم للخطاب الدينى كرؤية شاملة للحياة- أن تكون مثل هذه

الموضوعات والقضايا فى صلب الاهتمام العام، وأن تأتى على قمة أولويات منتجى الخطاب الدينى. وهم يرون أيضًا أن قضايا مثل غلاء الأسعار والبطالة يجب أن تدخل فى صلب الخطاب الدينى، وأن يجتهد العلماء فى تقديم رؤى وحلول تسهم فى رفع المعاناة عن الناس، وبخاصة عن الشباب العاطلين عن العمل.

أما الذين يدركون الخطاب باعتباره فهمًا بشريًّا للنصوص المنزلة، فقد أكدوا فقط على قلة الاهتمام بالقضايا الأخلاقية، وتلك المتعلقة بمشكلات الشباب. وفى رأى بعضهم أن أكثر الموضوعات أهمية هى سيرة الرسول ﷺ وصحابته التى يجب أن تقدم للشباب ليتخذهم قدوة له فى حياته، تقول إحدى المبحوثات (ربة منزل، ٢٥سنة، القاهرة الكبرى): «دايمًا مفيش كلام عن قصص الصحابة، والنماذج اللى كانت على عهد الرسول ﷺ، اللى مفروض نحتذى بها؛ لأنها نماذج فى الصدق، والأمانة، والإنفاق فى سبيل الله، ونشر الإسلام». ويرفض أنصار هذا التوجه أن يتضمن الخطاب الدينى قضايا مثل غلاء الأسعار والبطالة وما يشبهها من مشكلات اقتصادية، ويعللون ذلك بأنها من اختصاص الحكومة، وهى التى تسببت فيها، وهى التى يجب أن تحلها.!

هذا بخلاف ما يذهب إليه الذين يدركون الخطاب الدينى -باعتباره دعوة للأخلاق والفضيلة-؛ حيث يرون أن غلاء الأسعار والبطالة وما شاكل ذلك، يدخل فى صميم الخطاب الدينى ويقع ضمن مسئولياته، ويرون أيضًا أن أهم الموضوعات التى لا تحظى بالاهتمام الكافى فى الخطاب السائد.. هى مسائل الأحوال الشخصية، وذكر أحدهم (تاجر، ٤٣سنة، دمياط) أن موضوع التفرقة بين المسلم والمسيحى غائب عن الخطاب السائد، وأن هذه التفرقة تقوم بها الدولة لصالح المسيحى على حساب المسلم، يقول: «المسيحيين واخدين حقوق أكتر من المسلمين... لو الواحد اشتكى ويكون مسلم وخصمه مسيحى فى بندر أو مركز، المسيحى بياخد حقه علشان البابا بتاعهم بيحميهم، ولو واحد سائق مسيحى أخذت رخصته بياخدها تانى بعد ساعة، لكن إحنا كمسلمين بيعذبونا...».

وقد تعكس مثل تلك الإفادة خبرة ذاتية سلبية عانى منها المبحوث، أو قد يكون على دراية بوقائع تؤكد ما ذهب إليه، وفى جميع الحالات؛ فإن الإشارة إلى هذا الموضوع تثبت أن الخطاب الدينى مقتصر على تغطية بعض الموضوعات المهمة كالتى أشار إليها بعض المبحوثين.

٣- الخوف من السلطة، يعوق تجديد الخطاب الدينى:

إذا كانت الموضوعات الغائبة عن الخطاب الدينى السائد، وتلك التى لا تحظى لدى منتجيه باهتمام كاف، تعكس جانبًا من جوانب القصور فى هذا الخطاب، وتشير إلى بعض الجوانب التى تحتاج إلى اجتهادات جديدة من شأنها الإسهام فى استيعاب المستجدات والقضايا المستحدثة، إذا كان ذلك كذلك؛ فإن من المهم البحث عن السبب أو الأسباب التى تقف خلف تهميش مثل تلك الموضوعات والقضايا. وقد كشف لنا تحليل استجابات عينة البحث عن شبه إجماع -بين كل من قابلناهم- على أن الخوف من بطش السلطة بمستوياتها المختلفة، هو السبب الأول -وإن لم يكن السبب الوحيد- الذى يدفع منتجى الخطاب الدينى إلى الإحجام عن الخوض فيما يعتبره الجمهور العام قضايا مهمة، ويبدو أن هذا الخوف ذاته: هو الذى يفسر الاهتمام بما هو أقل أهمية، وإهمال الأكثر أهمية فى آن واحد.

والجدول التالى يوضح أهم الأسباب التى يراها المبحوثون مانعة من تناول بعض الموضوعات المهمة فى الخطاب الدينى السائد:

جدول رقم (٥)

أهم أسباب غياب موضوعات مهمة عن الخطاب السائد

السبب	التكرار
الخوف من السلطة	١١
عدم التخصص	١
عدم التفرغ	١

ثمة أسباب أخرى غير تلك التى أدلى بها المبحوثون، تقف وراء غياب بعض الموضوعات المهمة عن الخطاب الدينى السائد، ولكن الذى يهمنا هو أن السبب الرئيسى فى نظرهم هو الخوف وإيثار السلامة. ويتجلى عمق الاقتناع بأن الخوف من السلطة هو السبب الرئيسى، من خلال الكلمات والتعبيرات التى عبر بها أفراد العينة عن رأيهم فى هذا الموضوع. وينبع الخوف من مختلف مستويات السلطة؛ بدءًا بسلطة وزارة الأوقاف على الأئمة والخطباء، مرورًا بسلطة وزارة الداخلية، وصولاً لسلطة الدولة بما تملكه من أجهزة ومؤسسات وأدوات للقمع، إضافة إلى

الخضوع للضغوط الخارجية حسب أقوال البعض. ومن المفيد إيراد بعضها هنا، ومن ذلك الآتى:

أ- يقول أحدهم (تاجر، ٤٣سنة، دمياط): «الخوف من السلطة؛ لأن رجل الدين مش محمى، ممكن يقول الكلمة من على المنبر وينشال تأنى يوم، وحدث هذا الموقف هنا فى دمياط... ».

ب- يقول آخر (سائق، ٤١سنة، الإسكندرية): «على ما سمعت إنه فيه لائحة ماشيين عليها (الأئمة) وهم معذورين. فيه حاجات ما يقدرش يتعداها؛ لإنه مرتبط بسياسة الدولة... ».

ج- يقول (موظف، ٤٢ سنة، سوهاج): «اتجاه الدولة أهم سبب، والأخطر من كده الضغط على الدولة من الخارج، وتهميش الموضوعات الدينية بالوسائل الإعلامية، وأبسط شىء الراديو، ونخشى كمان يبطلوا إذاعة القرآن... ده بردك سياسة دولة، رجل الدين ملهوش ذنب فيها؛ لكن له رأى.. مفروض ما يكونش سلبى... ».

د - يقول (طالب، ١٩سنة، قرية ونينة - سوهاج): «لو العلماء تكلموا فى المشاكل دى، الحكومة تعتبرها كلام فى السياسة، والدولة مش عايزة حد يتكلم فى أى موضوع من الموضوعات دى... عشان ما يهاجمش السلطة، وقلة الشغل (البطالة) من اختصاص السلطة، ولو اتكلم فيها لازم هيهاجم السلطة «.

هـ- فى رأى آخر (تاجر، ٥٩سنة، سوهاج) أن إحجام العلماء عن الخوض فى موضوعات مهمة نتيجة: «سياسة دولة،لازم الواحد فيهم يمشى جنب الحيط علشان يصون نفسه ويربى عياله... هم ما بيتوسعوش فى الكلام عشان الشباب ما يفكرش كتير ويناهد الدولة وسياستها... واللى بيخدوه بيتبهدل هو وأهله... ».

و- مبحوث آخر (صاحب مصنع،٥٠سنة، طنطا) يلخص الموقف بدقة واختصار، فيقول إن السبب يرجع إلى أن العلماء والأئمة: «ماشيين بمقولة: من لا يملك قوته لا يملك قراره ». وبهذه العبارة يكون المبحوث قد وضع يده على علة العلل المتمثلة فى فقدان كثير من العلماء لاستقلاليتهم فى مصدر رزقهم، ومن ثم فقدانهم حريتهم فى التفكير والتعبير والاجتهاد والجرأة على الجهر بما يرونه حقًّا.

وهكذا، يبدو من تلك النصوص أيضًا: أن المبحوثين لا يتصورون سببًا لغياب موضوعات مهمة عن الخطاب الدينى السائد، غير الخوف من التحدث فى السياسة، ومن ثم بطش السلطة. وتكشف استجاباتهم عن تغلغل هذا الاقتناع لديهم، بغض النظر عن طبيعة الموضوعات المهمشة أو الغائبة عن الخطاب الدينى. ومع هذا الإجماع نلاحظ انقسامًا فى الآراء بخصوص ما يجب أن يكون عليه موقف منتجى الخطاب من العلماء ورجال الدين: هل يقاومون الخوف ويغامرون بتحدى السلطة؟ أم أنهم لا ذنب لهم، والمسئولية تقع على كاهل الدولة وسلطاتها؟ بعض المبحوثين يرى: أن العالم يجب أن يكون حرًّا، وأن يصدع بكلمة الحق، ويتحمل نتيجة ذلك، وبعضهم الآخر يرى: أن العلماء معذورون، وما لم تسمح لهم الدولة بحرية القول والخوض فى جميع القضايا والمشكلات -أيًّا كانت طبيعتها- فلا مسئولية عليهم.

ويسهم الخوف -من خلال جبهة أخرى- فى إعاقة تجديد الخطاب الدينى فى القضايا العامة، وهى جبهة الجمهور العام نفسه؛ إذ كشفت استجابات عينة البحث عن أن الأسئلة التى يتوجه بها الناس إلى العلماء لا تخرج عن شئون الحياة الخاصة لهم ولأسرهم على أقصى تقدير. ولم ترد فى الاستجابات، ولو على سبيل الاستثناء، إشارة واحدة إلى الاهتمام بالشئون العامة فى الأسئلة التى يطرحها الجمهور العام على منتجى الخطاب الدينى، فقط هناك أسئلة عن الذنوب الفردية، لا الجماعية، وعن الانحرافات السلوكية الشخصية، لا المؤسسية، وعن مسائل الأحوال الشخصية التى تهم الفرد وأسرته. وإذا كان منتجو الخطاب الدينى ينأون عن الكلام فى موضوعات مهمة خشية السلطة؛ فإن الجمهور العام لا يسأل عن قضايا تدخل فى إطار المجال العام الذى يقود فى كثير من الأحيان إلى التحدث فى السياسة، ومن ثم يؤدى إلى الوقوع فيما يتصوره الجمهور العام أمرًا محظورًا، وخيم العاقبة.

رابعًا: تجديد الخطاب الدينى: الآليات والمضامين والوسائل:

ليس من المفترض أن يسهم الجمهور العام فى إنتاج الخطاب الدينى، فضلاً عن أن يشارك فى تجديده، اللهم إلا بطريق غير مباشر عبر المساهمة فى إثارة الأسئلة، ونقلها إلى أهل الاختصاص، وطلب الفتوى منهم، ومن ثم حَفْزهم على القيام بمسئولياتهم فى استيعاب المستجدات، وضبطها فى ضوء أحكام الدين ومبادئه الأساسية، وعلى هدى المقاصد العامة للشريعة. وبهذا المعنى؛ فإن تساؤلات الجمهور العام وملاحظاته، وحتى انتقاداته للخطاب

السائد، تشكل فى مجموعها طلبًا اجتماعيًّا حافزًا على التجديد، كما أنها تقدم مؤشرًا يمكن الاستدلال به على بعض القضايا المهمة التى تحتاج إلى التجديد. ولكن هذا «الطلب الاجتماعى على التجديد» -إذا جاز التعبير- قد يكون فعالاً، وقد يكون خاملاً. ويتوقف الأمر فى كلتا الحالتين على عوامل متعددة، بعضها يرجع إلى الوعى الذاتى بالقضايا والمستجدات التى تحتاج إلى فقه جديد، وبعضها يرجع إلى توافر قنوات مفتوحة وميسور الوصول إليها؛ تتلقى الأسئلة وتجيب عنها، وبعضها الآخر يرجع إلى نمط الثقافة السائدة وما إذا كانت تسمح بالسؤال أصلاً وتحض عليه؛ أم أنها تجعل من السؤال مغامرة غير مأمونة العواقب، وخاصة إذا تعلق بقضية عامة تتجاوز الاهتمام الشخصى للسائل، وتضع المسئول أمام اختبار حقيقى؛ ليس لعلمه ومعرفته فقط، وإنما لجرأته وتجرده فى قول كلمة الحق على الملأ.

ولسنا هنا بصدد البحث عن فاعلية أو عدم فاعلية الطلب الاجتماعى على تجديد الخطاب الدينى، ولا فاعلية أو عدم فاعلية الرد الفقهى والفكرى على هذا الطلب؛ فهذا موضوع لبحث آخر، ولكن ما يهمنا هو أنه بما أن الجمهور العام هو صاحب التعبير الاجتماعى على طلب التجديد، وهو فى الوقت ذاته المتلقى الأكبر عددًا، والأوسع انتشارًا للخطاب الدينى -الرسمى وغير الرسمى- فإن رؤيته يمكن أن تسهم فى الكشف عن جوانب مهمة من عملية التجديد، وهو ما حاولنا قراءته فى أذهان أفراد عينة البحث، وتحليله من واقع استجاباتهم التى أدلوا بها أثناء المقابلات المتعمقة معهم.

وقد انصبَّ اهتمامنا فى هذا المحور على محاولة الكشف عن رؤية هذا الجمهور -وإن كان ذلك من خلال عينة محدودة العدد- فيما يتعلق بالآليات الفكرية المستخدمة فى إنتاج الخطاب، ومضمون هذا الخطاب بشكل عام، والوسائل الرئيسية المستخدمة فى نقله وإشاعته فى أوساط الجمهور العام. وحول هذه الجوانب دارت تساؤلات المحور الرابع من المقابلات مع أفراد العينة.

وقد كشف تحليل الاستجابات: عن أن ثمة عدم رضا عن مجمل الخطاب الدينى الذى تنتجه المؤسسات الرسمية -باستثناء حالة الخطاب الدينى المسيحى الذى تنتجه الكنيسة، حيث قال المبحوثان المسيحيان: أنه كاف ويلبى حاجتهما إليه- أما الخطاب الإسلامى غير الرسمى فيحظى بقدر أكبر من القبول، كما يحظى بدرجة أعلى من الثقة مقارنة بالخطاب الرسمى. ولمزيد من التعمق استطردنا فى الأسئلة إلى ثلاثة أبعاد:

أولها: عن وسائل نقل الخطاب، مع التركيز على وسائل الإعلام، والمقررات الدراسية، إلى جانب الوسائل الأخرى مثل: خطبة الجمعة، والدروس المسجدية، والأشرطة المسجلة.

وثانيها: عن المضامين العامة للخطاب وموضوعاته، وما الذى يجب أن تكون عليه حتى تحقق الفائدة منها؟.

وثالثها: عن الآليات الفكرية والمعرفية التى تستخدم فى إنتاج الخطاب الدينى؛ وذلك من حيث تأثيرها، وقوة الاقتناع التى تولدها فى المستقبل لهذا الخطاب.

١. الآليات الفكرية والمعرفية لإنتاج الخطاب:

حاولنا خلال المقابلات المتعمقة أن نعرف رؤية أفراد العينة للآليات المعرفية والفكرية التى يستخدمها منتجو الخطاب الدينى فى الواقع الحالى، وكانت وسيلتنا فى ذلك هى طرح سلسلة من الأسئلة البسيطة حول نقطتين أساسيتين هما: التأثير، والقدرة على الإقناع: هل يؤثر الخطاب فى مستقبليه؟ وما الذى يجعل هذا الخطاب مقنعًا لهم؟. وافترضنا أن الإجابة عن مثل هذا النوع من الأسئلة سوف يساعدنا على معرفة وجهة نظر أفراد العينة فى آليات إنتاج الخطاب الدينى (الرسمى وغير الرسمى)، باعتبار أن عمليات التأثير والإقناع تعتمد - ضمن ما تعتمد- على نوعية الحجج التى يتضمنها الخطاب، وكيفية استنباطها وتقديمها للمتلقى، ومدى ارتباطها بهمومه ومشكلاته، وأيضًا مدى قدرته على فهمها والإنصات إليها. وقد كشفت لنا الاستجابات التى حصلنا عليها عن الآتى:

أ- أن ثمة ميلاً لدى أغلب أفراد العينة لتفضيل آلية «النقل»؛ والتى تعنى بالنسبة لهم: الاستماع لتلاوة القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، والبرامج التى تتناول سيرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام. وظهر هذا الميل بأكثر من صيغة فى كلامهم، ومن ذلك: الثناء على إذاعة القرآن الكريم، وتفضيل الاستماع إلى ما تذيعه- وبخاصة تلاوة القرآن الكريم وتفسيره-، والإعجاب الشديد بخواطر الشيخ الشعراوى، التى كان التلفزيون المصرى يبثها بانتظام عقب صلاة الجمعة. عندما سألناهم عن تفضيلاتهم إذا أرادوا زيادة معرفتهم بالدين، قال أحدهم (تاجر، ٥٩سنة، سوهاج): «بحب أسمع محمد صديق المنشاوى، والحصرى، وعبد الباسط... حاليًا بسمع قرآن كتير وأنا بمارس عملى... إذاعة القرآن كافية قوى وبرامجها حلوة ومتنوعة). وقالت أخرى: (ربة منزل، ٥٣ سنة، القاهرة الكبرى) «بحب أسمع الشيخ السديسى عشان

بفهم قراءته فى المصحف، ويحب أسمع الشيخ شعراوى فى تفسير القرآن... والشيخ عبد الباسط عبد الصمد». وقال ثالث (سائق، ٤١سنة، الإسكندرية): إذاعة القرآن كويسة، بتنوع فى البرامج خاصة قراءة القرآن والتفسير، حاجات كويسة وهو ده اللى أنا عايزه».

وقال آخر (عامل، ٥٦سنة، الحجانية/ بحيرة): «بنجيب الراديو على إذاعة القرآن الكريم، ولو فيه شريط كويس قرآن بنسمعه، والعيال عندى بيجيبوا شرايط لعمرو خالد».

ونستنتج من مثل تلك الأقوال: أن الميل للخطاب المنقول، وخاصة إذا كان فى مستوى القرآن الكريم والسُّنة، هو نتيجة طبيعية لغلبة هذا النمط على ما تقدمه وسائل نقل الخطاب للجمهور العام، أو قد يكون نتيجة شعور هذا الجمهور بقلة الفائدة التى يحصل عليها من أنماط الخطابات الأخرى؛ أو لأن هذه الأنماط غير مقنعة وغير مؤثرة بدرجة كافية؛ ومن ثم يفضل الاستماع للقرآن والأحاديث النبوية التى تحقق له إشباعًا معنويًّا وروحيًّا، ويضمن معها الحصول على ثواب الاستماع على أقل تقدير.

ب- يميل أغلب أفراد العينة إلى تفضيل آليات «التبسيط والتيسير والترغيب»؛ وهى مكملة لآلية النقل السابق ذكرها، وخادمة لها؛ حيث يعنى التبسيط والتيسير بالنسبة لهم: الحديث بلغة مفهومة تخبرهم بمراد القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، والخطاب الذى يحقق هذا الهدف هو الأكثر إقناعًا، والأكثر تأثيرًا فى الوقت نفسه. يقول أحدهم (صاحب مصنع حلوى، ٥٠سنة، طنطا): «مفيش شك إن أسلوب الشعراوى فيه من البساطة والسهولة ما يصل للرجل الأمى». وقال آخر (تاجر،٤٣سنة، دمياط): «كلام عمرو خالد كويس، بيفتح حاجات فى السيرة بنستفيد منها... خللى بالك عمرو خالد مابيقولش حاجات جديدة، لكن طريقة التناول متماشية مع روح العصر اللى إحنا عايشينه، والناس بتحب اللى يقدر يوصل لقلبها». وفى الاتجاه ذاته يؤكد مبحوث آخر (موظف، ٢٦سنة، سوهاج) على أنه يفضل الاستماع لعمرو خالد، ويشرح السبب فيقول: «لأنه بيتكلم فى حاجات كتير واقعية، بيربط الأحداث اللى كانت على أيام الرسول -عليه الصلاة والسلام- بالأحداث اللى موجودة حاليًا؛ زى تحفيز الشباب على العمل من خلال برنامج صناع الحياة... كلامه سهل ومعانيه أسهل، مش بيبكى أثناء الكلام أو بينفعل، مش بيزعق، مش بيخوفنى من الدين، بيحاول يسهل كل حاجة، على -الأقل المستقبل- بيحاول يخليه مشرق أمام الشباب... عشان كده بيقدر يوصل لى بسرعة».

إحدى المبحوثات (ربة منزل، ٥٣سنة، الجيزة / القاهرة الكبرى) عبرت عن رأيها بشيء من المبالغة فقالت: «الشيخ الشعراوى حتى لو طفل بيسمعه هيفهمه».

إن الميل لآلية التبسيط والتيسير والترغيب على هذا النحو، يبين أن الجمهور العام -من خلال آراء عينة هذا البحث- يوجه نقدًا لبعض الذين يشاركون فى إنتاج الخطاب الدينى السائد لكونهم يصوغونه بلغة صعبة ومعقدة، لا تراعى المستويات الثقافية، والقدرة على الاستيعاب لدى عامة الناس، وتعتمد على الترهيب والتخويف أكثر من اعتمادها على الترغيب والتبشير، والنتيجة هى أن مثل هذا الخطاب يكون غير مؤثر وغير مقنع. ولقد لاحظنا أن نصيب الخطاب الرسمى من هذا النقد كبير جدًّا مقارنة بنصيب الخطاب غير الرسمى؛ إذ تكررت الإشارة إلى عدم القدرة على فهم ما يقوله مفتى الديار عدة مرات، كما تكررت الإشادة بعدد من العلماء والدعاة المعروفين الذين يغلب على نهجهم التبسيط والتيسير والابتعاد عن أسلوب الزجر والترهيب، مثل الشيخ الشعراوى وعمرو خالد ومحمد هداية، وعدد آخر من أئمة المساجد المعروفين فقط على المستوى المحلى فى القرى وبعض المدن.

ج ـ نقد آليات التكرار والترهيب والاكتفاء بالوعظ الأخلاقى: إن غلبة آليات مثل التكرار والترهيب والوعظ فى اتجاه واحد على الخطاب السائد -وبخاصة فى شقه الرسمى-، قد تكون من بين الأسباب التى تدفع الجمهور العام نحو تفضيل آلية النقل (بالمعنى الذى حددناه آنفًا من حيث الاقتصار على الأصول المتمثلة فى القرآن والسُّنة الصحيحة).

ولا يشير هذا إلى أن الجمهور العام فى غنى عن خطاب شارح ومجدد فى فهم تلك الأصول وتفعيلها فى الواقع، بقدر ما يشير إلى نوع من الاحتجاج الصامت على غياب مثل هذا الخطاب، أو على ضعفه وعدم قدرته على تلبية احتياجات الناس.

وإذا كان معظم أفراد العينة قد أبدوا ملاحظات نقدية مهمة على الخطاب الدينى الرسمى؛ إلا أن ذلك لا يعنى فقدانهم الثقة فى المؤسسات الدينية الرسمية؛ بل على العكس وجدناهم يحملون قدرًا كبيرًا من الاحترام والتبجيل للأزهر الشريف ولدار الإفتاء، وينتظرون منهما الكثير فى تلبية حاجاتهم إلى رأى الدين وتوجيهاته التى تتعامل مع المشكلات الواقعية التى يواجهونها. ويستند هذا التقدير إلى التراث العريق للأزهر. وقد عبر عن ذلك أحدهم (فلاح، ٥٦سنة، الحجانية /بحيرة) فى قوله: «طلعنا لاقينا أهالينا بتتكلم عن الأزهر، ودار الإفتاء».

وهذا الرجل نفسه هو الذى قال فى استجابته: إن الشرط الأساسى الذى يجعل كلام العالم مؤثرًا هو أن يكون حرًا « رجل الدين مفروض رأيه يبقى حر، ولا تتحكم فيه السياسة ».

بقيت الإشارة هنا إلى الموقف المسيحى؛ حيث عبر كل من المبحوثين المسيحيين فى عينة هذا البحث، عن أن الخطاب الدينى المسيحى الذى تنتجه الكنيسة بمستوياتها المختلفة كافٍ ومقنع، ولا خلاف حوله. قال أحدهما (فلاح، ٤٤سنة، ونينة الغربية، سوهاج): « الكنيسة تقوم بما يكفى لتعليم الدين »، وحدد بدقة ووضوح العوامل التى تجعله مقتنعًا بالخطاب الكنسى فى ثلاثة عوامل هى: « قرب الكنيسة من بيتى ومحل سكنى، قرب الكلام من مذهبى الأرثوذكسى، وأن أصل الكلام من الإنجيل ».

وورد فى استجاباتهما للأسئلة التى وجهناها لهما ما يفيد إدراكهما أن آلية النقل هى أهم آليات إنتاج الخطاب الكنسى، إلى جانب آلية السرد القصصى لسيرة بعض القديسين والرهبان، وأدليا بآراء تفيد اقتناعهما بأن هاتين الآليتين هما الأكثر فاعلية فى إنتاج خطابًا أكثر إقناعًا، وأكثر تأثيرًا فى الواقع الذى يعيشانه.

٢- المضامين العامة للخطاب:

بينما تدور المضامين العامة للخطاب الرسمى السائد فى الأغلب الأعم -وكما يدركها معظم أفراد عينة البحث- حول قضايا قديمة؛ فإن القضايا الواقعية حظها قليل، أما القضايا المستقبلية فهى الغائب الأول فى هذا الخطاب. وسبق أن استنتجنا هذا المعنى من تأكيد المبحوثين على أن الخطاب السائد، يركز على مجال العبادات والأخلاق أكثر من تركيزه على جانب المعاملات والمشكلات التى تواجه الناس فى حياتهم اليومية. وفى مقابل ذلك يدرك المبحوثون فى معظمهم أيضًا: أن مضامين الخطاب الدينى غير الرسمى أكثر اقترابًا من مشكلات الواقع، ويدللون على ذلك بذكر أسماء بعض العلماء والدعاة الذين يركزون على مثل هذه المضامين الواقعية مثل الشيخ يوسف القرضاوى، وعمرو خالد، ومحمد هداية، والشيخ حمادة البح.

وثمة رغبة قوية لدى أغلبية المبحوثين فى أن يكون الخطاب واقعيًّا فى مضمونه. والمقصود بواقعية الخطاب -كما استنتجناها من استجابات أفراد العينة- هو أن يرتبط بقضايا تهم الناس فى حياتهم اليومية، وأن يقدم لهم ما يفيد فى التغلب على تلك القضايا، ولا يكتفى

بالوعظ الأخلاقي. وسبق أن استنتجنا هذا المعنى من تأكيد المبحوثين على أن الخطاب السائد يركز على مجال العبادات والأخلاق، أكثر من تركيزه على جانب المعاملات والمشكلات التى تواجه الناس فى حياتهم اليومية.

إن واقعية الخطاب المطلوبة فى هذا السياق لا تفيد معنى التساهل أو التفريط فى تعاليم الدين وأحكامه، ولكن المعنى الذى تقصده -بالدرجة الأولى- أن يكون الخطاب «صادقًا وجادًّا»، وأن يخرج هذا الخطاب من عزلته، وأن يتحرر من معطيات الماضى ووقائعه التاريخية، وتتوثق علاقته بما يعيشه الناس فعلاً. وبهذا المعنى يصبح المدخل الواقعى ليس فقط إحدى آليات إنتاج الخطاب الدينى، وإنما إحدى أدوات تجديده عبر ربطه بمجريات الحياة الاجتماعية دائمة التغير. يقول أحدهم (موظف، ٢٦سنة، سوهاج): «الكلام فى الدين يكون له تأثير فى الناس؛ إذا مس حياتهم اليومية، والمشاكل مثل المخدرات والبطالة والكسب الحلال...». ويرى آخر (صاحب مصنع حلوى، ٥٠سنة، طنطا) أن الخطاب الدينى يكون مؤثرًا إذا «الدعاة والشيوخ تكلموا فى مشاكل الناس اللى موجودة، يتكلموا عن الاستغلال، وغلاء الأسعار، والتكافل بين الناس ومشاكل الشباب، كل شىء لابد أن يرتبط بالدين».

ويشير الإلحاح على ضرورة أن يكون الخطاب الدينى واقعيًّا إلى الوعى بأن الخطاب السائد يفتقد هذه السمة، أو أنه يعانى نقصًا ملحوظًا فيها، ويغلب عليه الطابع التجريدى الذى يصعب فهمه أيضًا بالنسبة للجمهور العام، وينصب هذا النقد -بالدرجة الأولى- على الخطاب الرسمى كما سبق أن أشرنا. وفى هذا السياق أيضًا عبر أغلب أفراد العينة عن تبرمهم من «التكرار» كآلية من آليات إنتاج الخطاب السائد، وأفادوا بأن هذا التكرار الذى يلمسونه فى كثير من خطب أئمة المساجد، والأحاديث الدينية التى يبثها التلفزيون المصرى، يرسم صورة غير محببة عن الدين.- عبر عن ذلك أحدهم (سائق، ٤١سنة، الإسكندرية) فقال: «فيه كلام مكرر، محفوظ ومكرر عند بعض الدعاة والشيوخ -وخصوصًا بتوع الحكومة-، والناس زهقت من الكلام المكرر، مفروض يجددوا كلامهم عشان الناس تبقى حواليهم، ويحبوهم، وتتغير أفعالهم للأحسن». وللخروج من جمود التكرار: لابد من الاعتماد على آلية السؤال والجواب بين منتج الخطاب ومتلقيه، بدلاً من أن يسير الخطاب فى صيغة أوامر فى اتجاه واحد، أو كما يتصور أحد المبحوثين (موظف، ٢٣سنة، الإسكندرية) فإن من المهم أن «نبدأ بالدين كمعلومة

مش أوامر، وأن الناس العادية تشارك فى الحوار، مش يبقى الكلام فى اتجاه واحد». ويرى آخر (صاحب مصنع، ٥٠سنة، طنطا): «كل كلام فى الدين بيفيد الناس، خاصة فى البرامج اللى يبقى فيها مشاركة بين الناس وعالم الدين؛ لأن بيسألوا عن حاجات بتفيدهم، والإجابات بترشدهم للصح، واللى فيه صالحهم».

وكشفت استجابات المبحوثين أيضًا: عن أن مضمون الخطاب السائد فى شقه الرسمى يدور -فى جزء كبير منه- حول مسائل الأحوال الشخصية، وأن هذه المسائل تستحوذ على اهتمام نسبة كبيرة من الجمهور العام، وتتجلى فى كثرة الأسئلة التى يوجهونها للمفتين والدعاة والعلماء بشكل عام، كما تتجلى فى إلحاح البعض منهم على ضرورة الاهتمام بمثل هذه القضايا، وتخصيص خطوط اتصال هاتفية مجانية لتمكين الراغبين فى الاستفسار والاستفتاء من الوصول إلى العلماء، حتى يعرضوا عليهم مشكلاتهم الخاصة، ويحصلوا على حلول لها. ومن جهة أخرى لا تحظى القضايا العامة باهتمام يذكر سواء من منتجى الخطاب الرسمى أو من مستقبليه، وذكر البعض أن قضايا الشباب، وعلاقة المسلمين بغيرهم، والحرية والعدالة، كلها إما غائبة تماماً أو حاضرة بشكل محدود وغير كاف.

وبسؤالهم عن رأيهم فى مضمون المواد الدينية التى تقدم من خلال المقررات الدراسية، أو عبر وسائل الإعلام، وبخاصة التليفزيون؟! أفادوا بأن تلك البرامج والمقررات غير كافية، وذات أثر ضعيف فى التوجيه الدينى، وأرجعوا ذلك إلى عدة أسباب من أهمها: ضيق وقت البرامج الدينية فى التليفزيون، وعدم تخصص مقدمى تلك البرامج من المذيعين والمذيعات فى الثقافة الدينية، واستبعاد العلماء الذين يحظون بثقة الناس وتقديم الذين يحظون بثقة الحكومة، واستخدام لغة معقدة وصعبة الفهم بالنسبة لعموم الناس. قال أحدهم (موظف، ٣٠سنة، القاهرة الكبرى): «البرامج الدينية الكويسة موجودة على الفضائيات وممنوعة من التلفزيون العادى بأمر من الحكومة. من يقدم البرامج فى التلفزيون العادى محدش فاهمه، لازم الأسلوب يكون سهل وواضح، بلاش استخدام الألفاظ الجامدة اللى بيبقى صعب فهمها».

ولا يختلف رأيهم فيما تحمله المقررات الدراسية من مواد دينية عن رأيهم فى برامج التليفزيون، فهى -من خلال متابعتهم لأبنائهم فى المدارس- قليلة، ولا تؤثر مادة الدين فى مجموع درجات الطالب فى الامتحانات، ومن هنا لا تحظى هذه المادة بالاهتمام الذى

تستحقه، ولا تنتج أثرها المطلوب. ولمثل هذه الأسباب يرى أحدهم (عامل، ٥٦سنة، الحجانية/ بحيرة) أنه « مفروض يخلُّوا الدين مادة أساسية تضاف للمجموع، ومفروض يزودوا المدارس الأزهرية؛ لأن المدارس الأزهرية بتعلم العيال الدين والأدب والأخلاق ».

ويلفت النظر هنا -مرة أخرى- أن الذين أجرينا معهم المقابلات جميعهم -على اختلاف انتماءاتهم الجغرافية وخلفياتهم المهنية- أبدوا رأيًا واحدًا فيما يتعلق بمضمون الخطاب الدينى الرسمى السائد، وهو أنه يفتقد إلى قوة التأثير، وأنه أقل بكثير مما يجب أن يكون عليه من حيث عدم شموله لموضوعات وقضايا تهم الناس، ومن حيث ضيق المساحات المخصصة له فى مختلف وسائل الإعلام، وضعف مستوى الأداء الإعلامى الخاص بهذا الخطاب.

٣- التجديد فى وسائل نقل الخطاب:

جاءت استجابات أفراد العينة بشأن رأيهم فى وسائل نقل الخطاب الدينى محملة بكثير من النقد، والشعور بقدر كبير من المفارقة، بين إعجابهم بالتقدم التكنولوچى فى وسائل الاتصال والإعلام الرسمى من جهة، وبين رتابة وجمود الخطاب الدينى الذى يبث من خلال هذه الوسائل من جهة أخرى. وانصب معظم هذا النقد على قنوات التليفزيون المصرى، ومن بعده على قنوات الإذاعة المصرية -فيما عدا إذاعة القرآن الكريم التى حظيت بالثناء كما أسلفنا. -أما خطب الجمعة والدروس المسجدية فقد سبق أن تناولناها فى سياقات أخرى. ولم تكن الوسائل المقروءة مثل الكتب والصحف والمجلات، موضع اهتمام بالنسبة لأغلبية العينة لأسباب متعددة منها الأمية، وارتفاع أسعار الكتب، وصعوبة فهم ما هو مكتوب بالنسبة لمن يعرفون القراءة والكتابة، وعدم توافر الوقت اللازم للقراءة إلا لعدد قليل جدًّا.

وقد وجهنا عددًا من الأسئلة حول مقرر التربية الدينية فى المدارس كوسيلة أساسية تسهم فى نقل الخطاب الدينى إلى الأجيال الجديدة؛ وذلك بهدف محدد وهو معرفة الانطباع العام الذى يتركه هذا المقرر فى أذهان الجمهور -دون الدخول فى تفصيلات هذا المقرر أو محتوياته- باعتبار أن أغلبية هذا الجمهور هم من أولياء أمور التلاميذ؛ أى ولديهم حد أدنى من المعرفة عن الجدل الدائر -منذ فترة طويلة- حول التربية الدينية فى المدارس، والدعوة إلى تغييرها أو تطويرها وما إلى ذلك.

ووجهنا أسئلة أخرى حول وسائل الإعلام عامة، والتليفزيون باعتباره الأوسع انتشارًا، والأكثر قدرة على التأثير خاصة.

وبمزيد من التحليل للاستجابات التى أدلى بها أفراد العينة اتضح الآتى:

أ- يوجد شعور بالإحباط بسبب الفجوة الكبيرة بين التقدم الهائل فى تكنولوچية الاتصال ووسائل الإعلام، وبين جمود ورتابة الخطاب الدينى الذى تنقله هذه الوسائل إلى الجمهور العام. ولقد تكررت عبارات التعجب فى آراء المبحوثين من التقاعس عن توظيف هذا التقدم التكنولوچى من أجل إنتاج خطاب دينى أكثر فعالية، وأقدر على التأثير مثلما يحدث بالنسبة لأنواع الخطابات الأخرى التى تنقلها هذه الوسائل ذاتها، وبخاصة التليفزيون. أحدهم (تاجر،٤٣سنة، دمياط) عبر عن ذلك بقوله: «ليه ما يعملوش برامج تحبب الناس فى الفضيلة والتمسك بأحكام الدين بأسلوب سهل وبسيط، زى اللى بيعملوه فى الإعلانات... مرة واحدة شفت إعلان عن القطة اللى بتاكل حرام والقطة اللى صاحبها حط لها أكل. وبيَّن الفرق بين الحلال والحرام، دى لفتة كويسة، مفروض يكون فى تجديد فى الأسلوب، والاستفادة من إمكانيات الصورة المرئية... عندك النايل سات أخد مبالغ غير عادية، ولم يعملوا فيه قناة دينية، كل اللى عملوه قنوات خارجية ولموضوعات تانية، الكورة بتاخد ساعات أضعاف اللى بياخده الدين». ويرى آخر(موظف،٣٠سنة، القاهرة الكبرى) أن السلطات الرسمية تتعمد إظهار البرامج الدينية فى التليفزيون بصورة ضعيفة وغير جيدة، يقول: «البرامج الدينية الكويسة موجودة على الفضائيات (الخارجية)، وممنوعة من التليفزيون العادى بأمر الحكومة».

ويتعمق الشعور بالإحباط من أداء الخطاب الدينى الذى يقدمه التليفزيون المصرى بمقارنته بما تقدمه الفضائيات القادمة من الخارج، وخاصة بعد أن أصبحت متاحة للجمهور العام على نطاق واسع. تقول إحدى المبحوثات (ربة منزل، ٢٥سنة، القاهرة الكبرى): «فعلاً التليفزيون بيساعد، لكن مش القنوات المحلية، الفضائيات هى اللى بتجيب برامج كويسة، ياريت تبقى البرامج فى التليفزيون العادى كويسة، وتجيب مشاكل وحلها؛ علشان تبقى قريبة من الناس». ولقد تكرر التأكيد على الفرق الكبير بين الأداء الجيد للفضائيات، وتدنى أداء التليفزيون المصرى، وأرجعوا ذلك لأسباب كثيرة منها: عدم التخصص، وضيق الوقت، والخوف من السلطة. وبعضهم لاحظ مفارقة صارخة فى طريقة التلفزيون المصرى فى تقديم البرامج

الدينية؛ حيث يجلس الشيخ أو العالم المعمم أمام « مذيعة خليعة » على حد تعبير أحدهم، يقول (صاحب مصنع، ٥٠سنة، طنطا): « المفروض رجل الدين يرفض يقعد أمام مذيعة بهذا الشكل »، ويرى ضرورة أن يكون هناك اتساق بين الشكل والمضمون؛ حتى يكون الخطاب مؤثرًا.

ب- رغم اتفاق أغلب أفراد عينة البحث على أهمية مادة التربية الدينية فى جميع مراحل التعليم ما قبل الجامعى؛ إلا أنهم يرون أنها غير كافية من الناحيتين الكمية والكيفية للقيام بمهمة تجديد الخطاب الدينى، وبخاصة مقررات الدين فى مدارس التعليم العادى (غير الأزهرى). ويرون أيضًا: أن المشكلة غير مقتصرة على المقرر، وإنما تشمل أيضًا ضعف المدرس الذى يقوم بشرح الموضوعات وتفهيمها للتلاميذ والإجابة عن تساؤلاتهم؛ وذلك لعدم تخصصه فى كثير من الأحيان. وقال أحدهم (تاجر،٥٩سنة، سوهاج): « المقررات ياريت تزيد شوية، عشان فيه عيال مخها مطلمس ما عتفهامش، لازم نبسط ونجيب ناس متخصصة تشرح بأسلوب بسيط ». وآخر (موظف،٢٣سنة، الإسكندرية) عبر عن ذلك فقال: « مقررات التربية الدينية بدون واحد فاهم يقدر يوصل الرسالة ويؤثر فى الأطفال؛ يبقى ملهاش لازمة. تعالى نبص فى المقررات، جزء عم (من القرآن) فى ابتدائى وإعدادى ولكن متلاقيش حد حافظ...فقط اللى بيحفظ الأزهريون ».

ويرحب البعض بالاتجاه نحو تغيير وتطوير منهج التربية الدينية، ولكنهم فى الوقت نفسه يتوجسون خيفة مما سمعوه من أن دعوى التطوير ليست إلا غطاءً للإلغاء الفعلى لهذه المادة استجابة لضغوط أمريكية، يقول (موظف،٣٠سنة، القاهرة الكبرى): « محتاجين تغيير مناهج التربية الدينية الإسلامية فى المدارس، ولكن مش عايزين نبقى زى أمريكا ». ويعتقد آخر: أن الدولة تتعمد تهميش مادة التربية الدينية؛ لأنها « بتعلم العيال الصلاة، وشئون الدين، والدولة مش عايزة كده ».

وكما أن هناك شعورًا بالفجوة بين التطور التكنولوجى الإعلامى، ونوعية الخطاب الدينى الذى تبثه وسائل الإعلام الرسمية، يرى البعض: أن التقدم فى تكنولوجية التعليم لم يوظف لخدمة مادة التربية الدينية، وأن هذا يؤدى إلى إضعاف تأثير هذه المادة وانحسار دورها فى تربية الأجيال الجديدة، ويرى أن من الضرورى توظيف هذه التكنولوجية فى خدمة مقرر التربية الدينية. يقول (موظف،٤٢سنة، سوهاج): « ياريت يكون فيه استغلال للتطور التكنولوجى مثلاً

من خلال ربط شبكات الفيديو كونفرانس بدروس للدعاة الموثوق فى علمهم؛ ليستفيد التلاميذ فى المدارس... وإعطاؤهم مساحة كبيرة لنشر الأفكار الدينية الصحيحة، وزيادة الوعى فى كل المراحل الابتدائى، والإعدادى والثانوى، وأن يزيد الكم، والنوع حسب كل مرحلة».

والحاصل حسب رأيهم: أن مقررات التربية الدينية لا تشكل فى مجملها أداة مساعدة على تجديد الخطاب الدينى وغرسه فى أذهان الأجيال الناشئة. وأن المطلوب هو: أن يعاد النظر فى هذه المناهج، وأن تنقى من الأمثلة التى انقضى زمنها، مثل، مثال الرقيق، ومثال العبيد، وبعض أنواع الموازين والمكاييل التى انقرضت من سوق التعامل. يقول أحدهم (طالب، ١٩ سنة، سوهاج): «بدل موضوع الرقيق يضعوا موضوعات عن الحرية فى الدين الإسلامى؛ لأننا فى حاجة ماسة لها، ويناقشوا الحرية فى الكتب من المنظور الإسلامى، وياريت تكون الأفكار متماشية مع روح العصر...».

إن الملاحظات النقدية التى استنتجناها من استجابات المبحوثين بخصوص مقررات التربية الدينية فى المدارس، تشير بوضوح إلى إدراك الجمهور العام ووعيه -إلى حد ما- بالجدل الدائر حول تطوير مناهج التعليم، -وإن كان بشكل مجمل، وعلى نحو غير دقيق،- مع التشكك المبالغ فيه فى الأغراض المستترة خلف دعوى التطوير. وتشير تلك الملاحظات نفسها إلى وجود أزمة حقيقية فى واحدة من أهم وسائل نقل الخطاب الدينى وغرسه على نطاق واسع بطريقة منهجية ومنظمة عبر مؤسسات التربية والتعليم. وإذا أضفنا هذا الجانب إلى أزمة الخطاب الدينى المنقول عبر وسائل الإعلام الرسمية، اتضح لنا حجم المعضلة التى تواجهها عملية تجديد الخطاب الدينى، واتضح أيضًا أن أزمة التجديد لا تقتصر فقط على المضامين والموضوعات، وإنما تمتد أيضًا إلى العجز عن توظيف الوسائل والتقنيات المتطورة فى خدمة هذا التجديد. ويعنى بهذا أن التجديد فى تكنولوچية الوسائل المتاحة لنقل الخطاب الدينى أسرع وأسبق من التجديد فى مضامين وقضايا هذا الخطاب.

وقد تكون تلك المشكلات التى يعانيها الخطاب الدينى فى مضمونه وفى وسائله – الرسمية- سببًا من الأسباب التى تدفع قطاعات من الجمهور العام إلى البحث عن مصادر أخرى غير رسمية، لإشباع حاجتها إلى المعرفة بأمور الدين وأحكامه، وقد تكررت الإشارة على لسان أغلب المبحوثين إلى شرائط الكاسيت، وشرائط الفيديو، والبرامج الفضائية التى تحتوى

على مواد دينية أنتجها دعاة وعلماء ومفتون غير رسميين، وتحتوى على دروس ومواعظ وخطب وفتاوى وشروحات للقرآن الكريم وأحاديث الرسول (ﷺ)، يشعرون أنهم بحاجة إليها، ويرون أنها تساعدهم على معرفة الصواب من الخطأ، والحلال من الحرام.

خاتمة:

تدعونا محدودية عينة الجمهور العام التى أجرينا مع أفرادها المقابلات المتعمقة - واعتمدنا على الاستجابات التى أدلوا بها فى هذا البحث بشكل أساسى- إلى التحفظ فى تعميم النتائج التى توصَّلنا إليها، وعرضناها فيما سبق، بل وتجعل أى محاولة للتعميم عبارة عن مجازفة لا تدعمها أدلة كافية. ومع ذلك؛ فإن هذه النتائج تظل ذات دلالات مهمة كمؤشرات على الجوانب المختلفة المتعلقة بقضية تجديد الخطاب الدينى كما يدركها أولئك الأفراد من الجمهور العام. ومما يزيد من أهمية دلالات تلك النتائج أنها تقترب كثيرًا من بعض الأفكار والرؤى التى تتردد فى أوساط النخب المعنية بهذا الموضوع، وفى بعض البحوث والدراسات التى حاولت الاقتراب من أزمة الخطاب الدينى فى مصر[٧]، وبخاصة فيما يتعلق بفوضى المنافسة بين المصادر الرسمية وغير الرسمية فى عملية إنتاج الخطاب الدينى، وبغلبة الخطاب الدينى التقليدى واعتماده آلية النقل، وكذلك الانتقادات الموجهة إلى وسائل الإعلام وقنوات نقل الخطاب الدينى المرئى والمسموع والمكتوب[٨]. فمثل هذه الملاحظات المهمة جاءت نتائج تحليلنا لآراء عينة البحث لتؤكدها، ولتدعونا فى الوقت ذاته لمزيد من البحوث والدراسات الميدانية التى تستنطق القطاع الأوسع اجتماعيًّا والمستهدف أساسًا بالخطاب الدينى الذى يلقى عليه، تجديديًّا كان هذا الخطاب أم تقليديًّا.

وبإعادة النظر فى الافتراضات الأربعة التى كانت فى ذهننا -قبل الشروع فى هذا البحث- والتى أوردناها فى مقدمته، وبمقارنتها بمجمل النتائج التى كشفت عنها المقابلات المتعمقة التى أجريناها، اتضح لنا الآتى:

١- أن الوعى العام بقضية تجديد الخطاب الدينى: ليس منخفضًا أو غائمًا على النحو الذى افترضناه، وإنما هناك درجة من الوعى بأزمة هذا الخطاب لا بأس بها لدى هذا الجمهور، وتجلَّى ذلك فى الانتقادات الكثيرة التى وجهها أفراد العينة إلى جوانب مختلفة من الخطاب

السائد، وبخاصة فى شقِّه الرسمى ورموزه، ومضامينه، ووسائل نقله. صحيح أن وعى الجمهور العام قد لا يكون متبلورًا بشكل واضح أو محدد، وقد يكون هذا الوعى جزئيًّا فى بعض الجوانب، وشكليًّا فى جوانب أخرى، ولكن هذا وذاك مما يتفق وطبيعة الجمهور العام ذاته، والتشوهات والتحريفات والانحيازات التى تحف بعملية وصول المعلومات والأفكار المطروحة بصدد هذا الموضوع إلى الجمهور العام.

٢- أكدت النتائج التى توصَّلنا إليها ما افترضناه من أن الجمهور العام يميل إلى عدم الرضا عن الخطاب الدينى السائد؛ ولكن مع تركيز الموقف النقدى على الخطاب الدينى الرسمى، والانصراف إلى جهات وشخصيات أخرى تسهم فى إنتاج الخطاب الدينى بشكل غير رسمى، وتجلى ذلك من تكرار عبارات الإعجاب والإشادة بشخصيات من الدعاة والعلماء من غير خريجى المؤسسات التعليمية الدينية، ومن غير المنتسبين إلى المؤسسات الدينية الرسمية كالأزهر وملحقاته، ودار الإفتاء، والأوقاف.

٣- أكدت النتائج أيضًا ما افترضناه من أن الجمهور العام -رغم كل الانتقادات التى يوجهها للخطاب الدينى الرسمى ورموزه ومؤسساته- يضع ثقته فى تلك المؤسسات، ويعول على القنوات الرسمية -أكثر من غيرها- من أجل تجديد الخطاب الدينى، ولا يبدى الجمهور العام ارتياحًا كبيرًا للخطاب غير الرسمى إلا بسبب ضعف الخطاب الرسمى ذاته؛ ويتجلى ذلك فى الإشادة المستمرة بصورة مثالية للأزهر الشريف، وكثرة الأمنيات بأن يسترد عافيته ويستأنف دوره الفعال فى أداء مهماته فى عملية بناء الوعى الدينى الصحيح، وقيادة تجديد الخطاب السائد، وتخليصه من النواقص والعيوب التى تشوبه، وتقريبه من أفهام عامة الناس؛ حتى يلامس بساطة التدين المصرى وارتباطه بالحياة، فالأزهر كما قال أحدهم « لا يعلى عليه ».

٤- افترضنا أن الجمهور العام: يميل إلى أن يكون التجديد منصبًّا على الجوانب المتعلقة بالمعاملات والعادات بدرجة أكبر من الجوانب الخاصة بالعبادات، فضلاً عن أن هذا الجمهور يسقط من حساب التجديد القضايا السياسية، وكل ما يتعلق بشئون الحكم والسلطة. وجاءت النتائج التى توصلنا إليها لتعدل من هذا الافتراض، حيث تكررت مطالبات أفراد العينة بضرورة إيلاء مزيد من الاهتمام للجوانب المتعلقة بالعبادات، وبالأحوال الشخصية، إلى جانب المعاملات والتصرفات المدنية؛ رغبة فى معرفة الحلال من الحرام فيها، وبخاصة فيما

يتصل بالمعاملات المالية والموقف من فوائد البنوك، ومدى اتساق صيغ التعامل مع البنوك والمصارف مع أحكام الشريعة، ولكن النتائج أكدت أيضًا ما افترضناه من أن القضايا العامة، وبخاصة تلك المتعلقة بالشأن السياسى وكل ما يتعلق بشئون الحكم والسلطة يسقطها الجمهور العام من حساب التجديد، ويعزف عن الخوض فى الحديث عنها، وربما يعكس هذا الموقف قصورًا فى الوعى بمدى ارتباط مثل هذه القضايا بأزمة تجديد الخطاب الدينى بشكل عام، وأن هذه الأبعاد العامة، والسياسية منها بخاصة، هى التى تشكل المناخ العام الذى يؤثر على أية جهود تبذل بهدف تجديد الخطاب، أو إخراجه من أزمته الراهنة.

إن «اتساع الفجوة بين أنماط الحياة المعيشة، وأنماط التفكير الدينى، وبين التحولات المتسارعة»، كل ذلك لا يلقى بأعباء ثقيلة على النخب المعنية بإنتاج الخطاب الدينى فحسب، وإنما على الجمهور العام أيضًا، ويعمق من شعور هذا الجمهور بالازدواجية والتمزق بين ما هو كائن، وبين منظومات القيم والأفكار والمعايير والأحكام الدينية التى يجب أن تضبط وقائع الحياة اليومية الفردية والجماعية. إن إدراك الجمهور العام لجوانب مهمة من أزمة الخطاب الدينى السائد -على النحو الذى بيناه- قد يكون هو المسئول عن نزعة هذا الجمهور نحو تفضيل آلية النقل، باعتبارها الملاذ الآمن لمعرفة أصول الخطاب الدينى العليا المتمثلة فى القرآن الكريم والسُّنة النبوية الشريفة؛ بهدف التمسك بها، كما أن هذا الإدراك قد يكون هو المسئول كذلك عن ميل الجمهور العام إلى الإنصات لخطاب النقد -فى ظل غياب خطاب التجديد- الذى يلامس قضايا حياتية مهمة. وإذا صح هذا الاستنتاج؛ فإن اتجاه الجمهور العام يظل داخلاً ضمن إحدى الدوائر التى تبلورت حولها المهمات الكبرى للخطاب الدينى عبر مراحله التاريخية المتعاقبة وهى: مهمة التثبيت؛ التى تعنى المحافظة على أصول العقيدة وتطوير وسائل فعالة تضمن نقلها نقية من جيل إلى الذى يليه، ومهمة الدحض؛ وهى تعنى التصدى لأية انحرافات أو تشويهات قد تتعرض لها تلك الأصول وكشف زيفها، وإبطال حجتها، وتحذير الناس منها، ومهمة التجديد عبر آليات الاجتهاد وشروطه المعتبرة، من أجل استيعاب المستجدات التى تحدث مع التطور الاجتماعى والاقتصادى، ولتقديم حلول للمشكلات والتحديات التى تواجه المجتمع فى حياته اليومية، الفردية والجماعية. وبنظرة تاريخية أكثر شمولاً نلاحظ أن هذه المهمات لم تحظ بعناية منتجى الخطاب بالقدر الذى تستحقه كل منها:

على الدوام، أو فى جميع المراحل التاريخية؛ إذ استأثرت مهمة التثبيت بالجهد الأكبر تارة، بينما استأثرت مهمة الدحض بهذا الجهد تارة أخرى، وكان نصيب مهمة التجديد هو الأقل فى معظم المراحل التاريخية التى تلت الصدر الأول للإسلام، ولا يزال الحال على هذا النحو فى الوقت الراهن؛ حيث تستأثر مهمتا التثبيت والدحض بالقدر الأكبر من اهتمام منتجى الخطاب الدينى، بالرغم من كثرة الاعتبارات والعوامل التى تدعو إلى بذل قدر أكبر من الجهد والاجتهاد للوفاء بمهمة التجديد.

obeikan.com

ملحق
دليل المقابلة المتعمقة حول
تجديد الخطاب الدينى فى مصر
[الآراء والأفكار، وكافة البيانات التى تجيب عن أسئلة هذا الدليل؛ لا تستخدم إلا لغرض البحث العلمى]

المحور الأول: مفهوم الخطاب الدينى:

س١: هل يختلف الكلام فى الدين، عن الكلام فى موضوعات أخرى؟

س٢: إيه هى أهم الموضوعات اللى انت شايف إن الكلام عنها يعتبر كلام فى الدين؟

س٣: هل الكلام فى الدين، يجب أن يقتصر على جهات أو شخصيات معينة؟ وما هى هذه الجهات، ومن هم هؤلاء الأشخاص؟

س٤: إزاى نعرف كلام المتخصص فى الدين، من كلام غير المتخصص فيه؟

س٥: من إمتى بدأت تهتم بالكلام فى الدين؟

المحور الثانى: خصائص الخطاب الدينى السائد:

س١: بتحب تسمع لمين، إذا حبيت تزود معرفتك بأمور الدين؟

س٢: إذا احتجت لاستشارة -تعرف بها رأى الدين فى موضوع معين- بتلجأ لمين عادة؟

س٣: هل يعجبك أسلوب عالم الدين، عندما يتحدث فى أمور الدين؟ وهل تفهمه بسهولة؟

س٤: هل تفضل أن تقرأ بنفسك فى أمور الدين، أم تسمع لأحد المتخصصين أو الدعاة؟

س٥: هل ترى أن ما يقوله علماء الدين، له تأثير فى الواقع، وفى إصلاح أحوال الناس؟

المحور الثالث: قضايا التجديد وموضوعاته الرئيسية:

س١: يا ترى إيه أهم الموضوعات اللى بيهتم بها علماء الدين ودايمًا بيتكلموا فيها؟

س٢: إيه أهم الموضوعات اللى انت شايف إنهم ما بيدوهاش حقها من الكلام والشرح، والناس عمومًا محتاجين لها؟

obeikan.com

س٣: إيه أهم الأسباب اللى بتخلى رجل الدين يبعد عن الموضوعات دى، اللى انت شايف إنها تهم ناس كتير؟

س٤: هل أنت شايف إن الكلام فى غلاء الأسعار -مثلاً- أو أزمة البطالة يمكن أن يتكلم فيها رجل الدين، ويساعد فى إيجاد حلول لها؟

س٥: لما الناس بتوجه أسئلة لعلماء الدين. يا ترى إيه أهم القضايا إللى بيسألوا عنها؟ وليه فى رأيك هم مهتمين بهذه القضايا أكثر من غيرها؟

المحور الرابع: آليات التجديد:

س١: هل ترى إن البرامج الإعلامية (التليفزيونية والإذاعية مثلاً) يمكن تساعد على إن الناس تفهم أمور دينها بشكل أفضل؟ وازاى يمكن إنها تساعد؟

س٢: هل ترى إن المقررات الدراسية فى المدارس بتساعد على نشر رأى الدين وتعليم الأجيال الجديدة أمور دينها؟ وازاى يستفيدوا بها فى تحسين أمور الحياة إللى بيعيشوها؟

س٣: فى رأيك إزاى نقدر نخلى الكلام فى الدين، له تأثير أكبر فى حياة الناس؟

س٤: فيه دعاة أفراد بيتكلموا فى الدين وعلاقته بالدنيا ومشاكل الناس، هل انت شايف إنهم فعلاً بيقولوا كلام جديد ومفيد للناس؟

س٥: إيه هى الأسباب اللى بتخلى الناس يقتنعوا بكلام عالم أو جهة دينية معينة، على كلام عالم أو جهة دينية أخرى؟ (المفتى مثلاً أم أحد العلماء اللى بيتكلموا فى الإذاعة أو التليفزيون).

البيانات الأساسية:

١. محل الإقامة:

٢. السن:

٣. النوع: (ذكر) (أنثى)

٤. المؤهل الدراسى:

٥. المهنة أو الوظيفة:

٦. الديانة:

الهوامش:

(١) راجع مثلاً: محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الدينى فى ضوء الواقع المعاصر (القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م). وجعفر عبد السلام (مشرف)، الإسلام وتطوير الخطاب الدينى (رابطة الجامعات الإسلامية – سلسلة "فكر المواجهة" رقم – ٣.

(٢) انظر مثلاً: أعمال اللقاء التشاورى حول «السبل العملية لتجديد الخطاب الدينى» (باريس ١٢و١٣ أغسطس٢٠٠٣م – مركز القاهرة لحقوق الإنسان).

(٣) راجع الفصل الذى كتبه د. أحمد زايد بعنوان «تجديد الخطاب الدينى فى مصر المعاصرة ».

(٤) جمال البنا، تجديد الخطاب الدينى، فى اللقاء التشاورى، مرجع سابق.

(٥) من أنصار هذا الرأى، مع ملاحظة التباينات فيما بينهم: د. نصر حامد أبو زيد، ومحمد شحرور، ومحمد أركون، د. حسن حنفى.

(٦) سيد دسوقى حسن، تجديد الخطاب الدينى (ورقة غير منشورة).

(٧) انظر وقارن ما أوردناه بما أكد عليه نبيل عبد الفتاح فى كتابه: سياسات الأديان: الصراعات وضرورات الإصلاح (القاهرة: مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع /الأعمال الفكرية، ٢٠٠٣م) الباب الرابع (نحو إحياء وإصلاح علوم الدين)، ص٣٥١ – ص٤٢٦.

(٨) لمزيد من التفاصيل انظر: المرجع نفسه، ص٣٦٩ وص٣٧٠.

* تعقيب (١)

الأستاذ نبيل عبد الفتاح

لقد قام الدكتور إبراهيم غانم ببحث متميز ورصين فى لغته وتحليله واختياراته، ولديه دومًا الجديد من الأفكار والصياغات؛ حتى فيما يُعتقد أنها قد تم تحليلها أو استهلاكها على نحو موسع، وهو أيضًا باحث مهموم بالقضايا التى يتناولها، ويسعى إلى تقصى شواردها فى منابتها وجذورها، سعيًا وراء تأصيل ما يقوم به من عمل بحثى، وهو يتميز دومًا بإدخال تكييفات فى مناهجه واستراتيچياته البحثية والسردية، بما يؤدى إلى فهم أفضل، وتوظيف قادرعلى تقديم تفسيرات لمشكلة البحث، أو فرضياته، أو إشكالياته، على الاختلاف بين هذه الاصطلاحات.

مشكلة هذا البحث- والبحث فى مجال الخطاب بشكل عام فى مصر على حسب ما تابعته فى هذا الموضوع من كتابات مصرية وعربية- أنه يخوض فى موضوع أشاعته السياسة المصرية والأمريكية والأوروبية، أكثر مما أشاعته وشهرته الدراسات الأكاديمية التى لم يكن أغلبها يدور فى مجال البحث فى تحليل الخطاب، وكثيرًا مما سمعت، وكثيرًا مما يقال فى هذا الموضوع، لا يمت إليه بصلة، وربما يعود ذلك إلى أن الكتابات العربية التى استعارت هذا المصطلح لم تستطع أن تتقصى من أين جاء هذا المصطلح، وفى أى مرحلة من مراحل تطور الأدوات والمناهج البحثية فى العلوم الغربية تمت بلورته.

لقد برز هذا الاصطلاح أولاً فى مجال العلوم الأصولية واللغويات فى إطار الثورة الكبرى التى تمت فى اللغة وأنثربولوچيات اللغة منذ خمسينيات القرن الماضى، ثم انتقلت من مجال اللغة إلى مجالات متعددة؛ إلى البحوث الاجتماعية، وإلى التاريخ، وإلى الجغرافيا، وإلى العلوم السياسية.

وفى كل مرحلة: كان الاصطلاح يتطور ويتكيَّف مع الحقل البحثى الذى يقوم به. ولقد نقل هذا الاصطلاح أو تمت استعارته من الدراسات الفرنسية فى العلوم الفلسفية، بعد الخطاب - الافتتاحى- الذى ألقاه ميشيل فوكو الفيلسوف الفرنسى، عندما كان يكرس بوصفه عضوًا جديدًا فى الكولاج دوفرانس فى تاريخ الفلسفة، فالخطاب الذى تقدم به مثله مثل الخطابات التى لدينا فى مجمع اللغة العربية عندما يكون هناك عضو جديد، فيقوم عضو قديم بتقديم

العضو الجديد، الذى يقدم خطابه الافتتاحى إلى الجماعة المجمعية -سواء فى مجمع اللغة العربية فى مصر، أو فى الكولاج دوفرانس- كجزء من التقاليد التاريخية فى هذا الأمر. وقد صدر هذا الخطاب الافتتاحى فى كتاب، ونشر بالجمعية الفرنسية تحت اسم نظام الخطاب، وهذا ما شهر هذا الاصطلاح على المستوى الكونى، وأيضًا على المستوى العربى. وبدأت أول استعارة لهذا الإصطلاح من الباحث أو الفيلسوف أو «المتفلسف» المغربى محمد عابد الجابرى فى كتابه «الخطاب العربى المعاصر». وبعدها بدأ اللجوء إلى هذا الاصطلاح، والذى انتقل واستهلك فى إطار ضيق فى الجماعة البحثية العربية، ثم فجأة انتشر هذا الانتشار الكبير؛ لكن دونما أن يقال لنا: ما هو هذا الخطاب، وما هى تعريفاته، وما هى الأدوات المنهجية التى يمكن استخدامها للتعامل معه. وبدأت دراسات أخرى حاولت استخدام هذا التعبير فى تحليل الخطاب الناصرى، وبعدها انتشر الاصطلاح كثيرًا؛ لكن حتى هذه الدراسات الريادية الأولية تحتاج إلى إعادة نظر؛ فعلى سبيل المثال هل هناك خطاب دينى واحد؟ أرى أن هناك خطابات متعددة، بل يمكن أن يكون لنفس منتج الخطاب خطابات متعددة، وهناك مثلاً خطاب وعظى، وخطاب إفتائى، وخطاب يتعلق بأصول الدين فى الفقه، وخطاب تأويلى، وخطاب تفسيرى، وخطابات صوفية، وحتى داخل كل مدرسة، سوف تجد خطابات متعددة. وهذه النقلة هى أيضًا جزء من الدراسات الجديدة فى هذا الموضوع، فعندما نحلل بنية أى خطاب: نجد أننا لسنا إزاء خطاب واحد، ولكن قد تجد أكثر من خطاب داخل الخطاب الواحد، وبالطبع هذه مرحلة من التعقيد فى تناول خطاب واحد، وهذا الأمر أيضًا يسرى على خطاب مفتى الديار المصرية الدكتور/ على جمعة.

وميزة هذا البحث أنه بحث فى تحليل الخطاب، وليس فى تحليل مضمون الخطاب الذى يستخدم -كثيرًا جدًا فى بحوثنا- على أنه تحليل خطاب، وهو فى حقيقة الأمر أقرب إلى تحليل المضمون الكِّمى أو الكيفى.

وهناك بعض الملاحظات العامة حول هذه الورقة البحثية تتمثل فيما يلى:

الملاحظة الأولى: هناك بعض الصياغات العامة الافتتاحية الأقرب إلى الأحكام والمقررات التاريخية، وهذا من المألوف عند الكتابة فى مصر، أى أن يبدأ الكاتب بجمل عامة وشديدة العمومية، ولكنها فى بعض الأحيان تنطوى على بعض المثالب التى تحتاج إلى مزيد من

التدقيق؛ لأن إمعان النظر فى هذا النمط من المقدمات يحتاج أحيانًا إلى ضبط صياغى أو تاريخى؛ لأن هناك تفصيلات معلوماتية أحيانًا نقفز عليها أثناء تلك المقدمات.

الجملة المفتاحية الأولى فى الفقرة الثانية « أنه لم ينقطع الجدل الفكرى والسياسى حول علاقة الدين بالدولة فى المجتمعات المعاصرة ». وفى الحقيقة أرى: أن الجدل قد حسم، وكذلك حدود العلاقات بين الفضاءات، أو تلك المجالات وفق عدد من النماذج، فمثلاً حول علاقة الدين بالدولة لدينا عدد من النماذج الشهيرة فى العالم مثل النموذج الأمريكى، والنموذج الفرنسى، والنموذج البريطانى، والنموذج الإيطالى، والنموذج الألمانى. وهناك نموذجان حادان هما: **النموذج الفرنسى**؛ وهو ذوعلمانية متطرفة، ولقد اتضح ذلك فى الجدل الأخير الذى تم حول موضوع الحجاب، وهوجدل متجدد، وكان الموقف حاسمًا، و**النموذج الألمانى**؛ وهو نموذج مختلف بالرغم من عدم شهرته فى العالم العربى، وهو نوع من العلمانية المرنة التى بها تداخل نسبى مرن بين الدين والدولة، أى هناك اختلافات بين كل هذه المجتمعات حسب الإطار التاريخى لتطور العلاقات بين المؤسسة الدينية والدولة. ومع ذلك فإنى اتفق مع الدكتور إبراهيم غانم، إذا تم تخصيص الحكم السابق الذى ورد فى الجملة المفتاحية على العالم العربى؛ لأن الوضع فى العالم العربى مختلف ربما أكثر من العالم الإسلامى، والجدل أيضًا فى الحالة المصرية يعود إلى تأسيس الدولة المصرية الحديثة على يد محمد على، وإسماعيل باشا -فعلى سبيل المثال- أثير هذا الجدل فى تلك الفترة عند إدخال مفهوم الاتفاق الجنائى والهندسة القانونية الجنائية المعاصرة. أما المرحلة التالية التى ذكرتها الورقة البحثية: أن حدة الجدل حول هذا الموضوع قد هدأت فيها، وهى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية واستمرت حتى منتصف السبعينيات من القرن الماضى، فإنه يرد على هذا الحكم « الدفع بعدم القبول » بلغة القانونيين؛ إذ أثير الجدل حول موضوع علاقة التقنين المدنى المصرى الجديد -آنذاك- بنظرية مصادر القانون فى الشريعة الإسلامية، وكان جدلاً مهمًّا جدًّا وتمخضت عنه ثلاثة اتجاهات رئيسية: اتجاه مثَّله السنهورى باشا وكان يأخذ « بالتطعيم » أى دمج الأجزاء أو دمج بعض النظريات الموجودة فى الشريعة الإسلامية، وكانت أكثر تقدمًا، وهى الخاصة بنظرية سوء استعمال الحقوق، واتجاه آخر يرى: الأخذ بشكل كلى من الشريعة الإسلامية؛ من القرآن الكريم والسُّنة المشرفة، وكان منهم المستشار الهضيبى الذى كان مستشارًا بمحكمة النقض فى ذلك الوقت، واتجاه ثالث يرى: ضرورة سد هذا الباب؛ لأن هذا النظام علمانى

مستمد من الغرب، وبالتالى فالجدل كان مستمرًّا، لقد استمر هذا الجدل بعد ذلك مع ظهور كتاب الأستاذ خالد محمد خالد، وكذلك فى نهاية الخمسينيات مع الجدل حول الصيام أو عدم الصيام فى رمضان -بالنسبة للعاملين- والفتوى الشهيرة -للشيخ بخيت- التى رد عليها عدد من مشايخ الأزهر؛ والتى تسببت فى فصله ثم فصل وأرجع بحكم قضائى، أى أن هذه القضية لم يحسم فيها الجدل، لأنها ارتبطت بمسألة بدايات إنشاء الدولة الحديثة فى مصر والانقسام الذى تم آنذاك، وهذا ليس معناه أن تجربة مصر فى الحداثة؛ سواء الحداثة القانونية أو الحداثة بشكل عام كانت تجربة غير ناجحة؛ بل على عكس ذلك، فلقد حققت مصر إنجازات كبيرة كانت تحتاج إلى بعض التصحيح، وهذا لا ينفى كونها إنجازات كبيرة.

الملاحظة الثانية: حول فكرة العينة، فالعينة صغيرة جدًّا، وقد لا تعطى دلالات كبيرة، وربما يتعلق ذلك بقيود الأوراق البحثية، أعتبر هذه الورقة دراسة استطلاعية. وفى هذا الإطار يمكن قبول ما جاء بها؛ إلا أن حجم العينة قد لا يعبر كثيرًا عن قطاعات واسعة من الجماهير فى مصر. وكذلك فيما يتعلق بالخطاب الدينى المسيحى، وهذا الأمر يحتاج إلى دراسة خاصة؛ إذ إن كثيرًا من الباحثين يخشون إجراء دراسات حول هذا الموضوع؛ لأن تحليل أى خطاب دينى مسيحى -وهى خطابات متعددة داخل كل مذهب- يعنى حدوث مشاكل بالنسبة للباحث الذى يقوم بهذه الدراسة، وبالتالى فهذا موضوع من الموضوعات المسكوت عنها والغامضة إلى الآن؛ حتى الباحثين الأجانب لم يدرسوا هذا الأمر.

هل تجديد الخطاب الدينى أمر يحتاج إلى إدخال جماعات المستهلكين للخطابات فى هذه العملية ؟ إن الخطاب الدينى -فى الحقيقة- هو إنتاج سياسى معرفى فقهى، ومن ثم يصبح السؤال هو: هل يجوز الخضوع إلى المستهلكين وسؤالهم عن احتياجاتهم أو رغباتهم ورؤاهم لما ينبغى أن يكون عليه الخطاب الدينى، كما جاء فى جزء من هذه الدراسة؟ أى إخضاع الخطاب لسلطة العوام على ما يعرف عنهم من خضوع وعيهم الدينى للخرافات حينًا، وخلطهم بين الدين والخرافات الشائعة حينًا آخر، وهم الأقرب إلى التديُّن الشعبى فى أحيان كثيرة، ثم هل يمكن إيجاد إصلاح أو تجديد فى الخطاب الدينى بدون حرية؟ الحقيقة أن هذا الموضوع يسمى بالممارسة الخطابية، وهى تدور فى إطار التشكيلة الخطابية، أو المنظومة الفكرية السائدة وسط جماعة من الجماعات فى زمن ما، ولها مفاهيمها وموضوعاتها ومدركاتها الحسية والعقلية التى تهتم بمعالجتها، ولو أردت عمل دراسة -حول ذلك- فلابد أن

أدرس هاتين النقطتين، وهذه مجرد ملاحظات لا علاقة لها بالبحث الذى نعقِّب عليه، ولكنها تأتى فى إطار توسيع رؤانا للموضوع.

إن العينة المختارة تثير تساؤلات أيضًا حول مدى صلاحيتها كأداة بحثية لتحقيق الأهداف المعلنة من البحث؛ ومدى إعطائها لمؤشرات دالة، وهل كان ينبغى المزاوجة بين أكثر من أداة بحثية فى محاولة لتقصى موقف مستهلكى الخطاب؟! وهو الأمر الذى أفضله من الخطابات ومنتجيها، وهل إجراء ١٥ مقابلة -معمَّقة- تعطينا مؤشرات دالة لما نصبو إليه من أهداف لاستراتيچيتنا البحثية فى هذا الصدد؟

الملاحظة الثالثة: تتعلق بالفرضيات، فالفرضية التى ذهبت إلى أن مسألة الوعى بالتجديد منخفض -أو غير محدد بشكل واضح- تعد صحيحة، ولكن هذا ينطبق أيضًا على عدد كبير من صناع الخطاب ومروجيه؛ بعضهم من كبار رجال الدين أو المتخصصين، وأقصد هنا بالوعى، الوعى بمقولة تجديد الخطاب نفسه.

كذلك أتساءل عن أى خطاب دينى يميل الجمهور إلى عدم الرضاء عنه؟: هل هو الخطاب الرسمى؟ وأى خطاب داخله؟ وهل يدمج المستهلكون بين هذه الخطابات الرسمية على تعددها؟ وكيف يمكن الربط بين تعويل الجمهور العام على القنوات الرسمية؟!.. فى حين أنه يميل إلى عدم الرضا عن هذا الخطاب الرسمى كما ظهر فى نتائج البحث؟!!

إن الفرضية الرابعة تثير هى الأخرى سؤالاً هو: هل الجمهور بالفعل يُسقط الجوانب السياسية وشئون الحكم والسلطة، أم العكس هو الصحيح؟ أى أن جزءًا منها يدخل فى قلب هذه الجوانب، صحيح أن أغلب المستجوبين ذهبوا إلى هذا المذهب وهو: أن الجوانب السياسية المتعلقة بالقمع والخوف تؤثر على إنتاج الخطاب الدينى، ولكن أيضًا هناك الخطاب الدينى الراديكالى، وهو خطاب سياسى «بامتياز» حتى وإن تقنع بلغة أصول الفقه أو تدثر بأسانيد من بعض المدارس الفقهية فى مرحلة ما من مراحل تطور مدارس الفقه الإسلامى.

لقد كان للورقة البحثية ملاحظات مهمة حول خطاب الصمت؛ الذى أصبح الآن موضوعًا للدراسة، وهناك رسالة دكتوراة فى الفلسفة -لزميلة تونسية- عن خطاب الغمغمة، وكان أحد الشخصيات المهمة فى الدراسات اللغوية: يرى أننا نبحث عما وراء البنيات، وليس مجرد البنى الظاهرة الموجودة فى خطاب ما من الخطابات المتاحة.

إن مفهوم الخطاب غير غامض كما جاء فى « مفهوم الخطاب الدينى فى إدراك الجمهور العام »، لكن الغموض فى كيفية إدراك الصفوة لهذا المفهوم والمعانى والدلالات التى تضفيها عليه، وهل نبدأ بالبحث عن مرجعية الخطاب أم معناه أساسًا؟ فالمرجعية تبد وسهلة؛ لأن الإشارات إليها معروفة ومتداولة، فأى إشارة دينية قد تحيل إلى أن هذا خطاب دينى، لكن المعنى والدلالة هو المهم، فهو معيار التفرقة بين الخطاب الدينى، وغيره من الخطابات.

الملاحظة الرابعة: تتعلق باتجاهات تعريف الخطاب الدينى ومستوياته ويؤخذ عليها ما يلى:

١- غموض اتجاهات تعريف الخطاب الدينى السائدة فى الكتابات المصرية، والحقيقة أن المقصود من الخطاب: هو المقولات البشرية -لمنتج الخطاب- حول الدين عمومًا -سواء أكان هذا حول الجوانب العقائدية أم التشريعية- لكن ليس المقصود هو الخطاب الإلهى المنزل على المكلفين به.

٢- تعليق الباحث على الاتجاه الثانى فى تعريف الخطاب: هو محض تعليق فقهى، وهو أمر يحتاج إلى المراجعة؛ لأن الخطاب الإلهى منزه، ومن ثم فإن تجديده أو إصلاحه قد يتصادم مع نصوص عقدية لا تتغير؛ إلا أن المتغير دومًا هوالخطاب حول النص.

٣- أن تسند تعريفات الاتجاه الثالث -فى هذه الورقة البحثية- إلى مراجع؛ لأن هناك خلطًا بين أمور عديدة فى تعريفات الخطاب الدينى، وأشير فى هذا الصدد إلى ظاهرة عدم التمييز لدى البعض (نصر أبو زيد وأركون وحسن حنفي) بين « النص الدينى المقدس والسنى »، وبين آراء الفقهاء والدعاة والوعاظ وما أسمِّيه « وعَّاظ الشوارع » أو الوعَّاظ الجدد، وأنماط التدين الشعبى السائدة، وكل هذه الأنماط والمستويات تنطق بها خطابات دينية تختلف وقد تختلط فيما بينها.

٤- بخصوص الخطاب الإلهى المتعالى والمنزه إلى المكلفين، يمكن الفصل بينه وبين الإدراكات العديدة له؛ والمتغيرة أحيانًا بتغير الثقافات والمراحل التاريخية؛ كالمدارس الفقهية التفسيرية أو الخطابات الفقهية والوعظية والبحثية، وهذا شىء آخر من حيث الاصطلاحات والمعانى والدلالات.

هذه المآخذ الأربعة: تهدف بالأساس إلى الإشارة إلى أن هناك بعض الغموض الذى يشوب التعريفات السائدة لدى الباحثين، وربما يعود هذا إلى حداثة الدراسات الخاصة بالخطاب نظريًّا ولغويًّا وسيسيولوچيًّا.

الملاحظة الخامسة: حول الاقتباس المأخوذ من الدكتور سيد الدسوقى -حول تجديد الخطاب الدينى- فلا أدرى ما معنى « دلالة المعانى اللغوية » التى درسها الدكتور سيد دسوقى فى دراسة اصطلاحية؛ لأن المعانى السلبية التى جاء بها من المعجم للاصطلاح تتناقض تناقضًا تامًّا مع الاصطلاح بالمعنى الحديث.

من ناحية أخرى، هل اعتبار الخطاب الدينى -فيما يتعلق بإدراك معانى الخطاب لدى المجموعة- رؤية شاملة فى الحياة، وهو إدراك للخطاب ومعناه ومعيار تميزه؟ أم أنه خلط بين الخطاب، ومعنى الدين ذاته كرؤية شاملة للحياة؟ ومن هنا تكون صوابية الاستنتاج الذى انتهى إليه البحث؛ حيث يتضح أن الاتجاه الثالث به خلط بين الدين والخطاب حول الدين، وأتفق مع الباحث فى أن الاتجاه الثالث قد لا نجد فهمًا له بين المجموعة المبحوثة؛ لأن هذا المعنى الاصطلاحى -مع اختلافى معه- غالبًا لا يوجد إلا فى إطار المجموعة البحثية التى تنتمى لاتجاهات أيديولوچية علمانية محددة؛ ولذلك لا أعتقد أن هذا الاتجاه قد يكون سائدًا ضمن هذه المجموعة.

كذلك هل تعريف البحث للخطاب الدينى يتعلق بالعقل والشرك والحلال والحرام؟ أم بنمط من الخطاب؟ أعتقد أن البحث قد خلط بين نمط الخطاب الدينى وبعض موضوعات علم أصول الفقه أو الخطابات حول أصول الفقه.. هل إدراك الخطاب ومعناه وصنـّاعه يجب أن يأتى من أهل التخصص؟ وكيف نسلم بهذا وأغلب صناع الخطابات الدينية الجديدة « الدعاة الجدد أو دعاة الشوارع » غير متخصصين فى الشئون الدينية؟ وربما يكون أحد وسائل نجاح هذا الخطاب أمرين، الأول: السهولة كما ذهبت المجموعة المبحوثة، وكما ذهب الباحث، والأمر الثانى: ربما يكون عدم التخصص الدقيق، وبالتالى التركيز على القضايا ذات الطابع الأخلاقى والْقِيَمِى، ومحاولة إشباع الاحتياجات الروحية لدى مُستهلِكى هذا الخطاب، وهذه هى المساحة التى يشغلها خطاب عمرو خالد وغيره من الدعاة الجدد.

* تعقيب (٢)

الدكتور السيد عمر

فى الحقيقة لى ملاحظات كثيرة على ورقة الدكتور إبراهيم غانم، كلها تدور حول المنهجية وبناء المفاهيم، وأظن أن أى دراسة ميدانية تذهب بعيدًا عن تحديدها النظرى وتحديدها الإجرائى، تحبس عن نفسها الفضاء الذى يمكن فيه بحق أن تجرب وأن تطبق. تبدأ الورقة البحثية بتحديد إشكالية؛ أظن أن المفهوم الجوهرى فيها هوالتجديد -تجديد الخطاب الدينى- ولكننى حين نظرت فى الورقة وجدت الدكتور إبراهيم يبدأ بإشكالية العلاقة بين السياسة والدين؛ إشكالية العلاقة بين الدين والدولة ولا أدرى لماذا -ونحن ندرس ظاهرة إسلامية فضلاً عن الشق المسيحي- لا نبدأ من رؤيتنا وتحديدنا لمفهوم الدين فى المنظور الإسلامى؟! لأنه إذا تبنيت من البداية المفهوم الغربى للدين، فقد حكمت على دراستى بالسير فى دروب لا أريد أن تقف عندها، وفى فضاء محدود للغاية.

لقد تعرض الدكتور إبراهيم فى عنوانه لتجديد الخطاب الدينى لدى الجمهور العام، وكنت أود أن أجد تعريفًا محددًا لكل من (التجديد، الخطاب الدينى، الجمهور العام، الوعى)، وكان يجب أن يكون هذا نقطة بداية فى جزء نظرى نستطيع من خلاله أن نحدد، ماذا سنبحث؟!.

إن المنهج المستخدم فى الدراسة هو منهج المقابلة المتعمقة، ووصف «المتعمقة» يقتضى أيضًا تحديد فضاء الظاهرة التى يتم بحثها، وهو ما قد أعتقد -فى ضوء ما سأقول لاحقًا- أنه فضاء حُدد بشكل مختزل إلى حد بعيد؛ سواءً على صعيد العينة، أم على صعيد الإشكاليات التى تم تناولها فى ورقة البحث.

ربما حين ننظر فى المنهج المستخدم نجد عبارات مثل: القراءة فى وجوه البشر، الاستماع إلى الصمت، وهذا يقتضى من الباحث أن يحدد الضوابط التى تحكمه بما أنه سوف يقرأ الصمت، وبما أنه سوف يقرأ فى الوجوه. وبالنظر إلى **المحاور الأساسية أو الأربعة** التى تضمنتها الورقة، نجد أن **المحور الأول**: هو مفهوم الخطاب الدينى؛ وليس مفهوم تجديد الخطاب الدينى، **والمحور الثانى**: هو خصائص الخطاب الدينى، **والمحور الثالث**: هو قضايا التجديد، مع أن مسألة التجديد هى بؤرة هذه الورقة التى لا يجب أبدًا أن تتأجل إلى المحور الثالث، ثم نجد بعد قضايا التجديد الآليات والوسائل.

لقد قامت الورقة البحثية على أربع فرضيات، وانتهت إلى أربع فرضيات معدلة. هذه الفرضيات لا ينطبق عليها وصف الفرضية؛ لأن الفرضية العلمية هى علاقة بين متغيِّرين، وما فى ورقة الدكتور إبراهيم هى مقولات، وهذه المقولات نحن نبحث فى صدقيتها، وكنت أتمنى لو استعان الدكتور إبراهيم بالأدبيات التى كتبت فى موضوع تجديد الخطاب الدينى، وقد حصرت فى عجالة شديدة نماذج -حوالى ٢٠ نموذجًا- كُتبت فى التسعينيات تحدد حالة هذا المجال العلمى، ومن خلال حالة هذا المجال العلمى نستطيع أن نصل إلى مقولات، وأرى فى هذا الصدد ضرورة استبدال كلمة مقولات بفرضيات، أى نصل إلى المقولات من خلال ما كتبه الآخرون من قبلنا، حتى يكون هناك تراكم، وكنت أتمنى فى هذه الورقة: أن يكون من بين المصادر التى اعتمدت عليها فى بناء هذه المقولات، الدراسات التى قدمت فى هذا المشروع البحثى ذاته، ثم ينتقل من هذه الفرضيات إلى الدراسة الميدانية.

إذا انتقلنا إلى تحديد الإشكالية البحثية فى هذا الموضوع، سنجد أن الباحث استطاع أن يخرج من أشياء محدودة جدًّا بنتائج مهمة جدًّا. وهذا بقدر ما أسعدنى أحزننى أيضًا، وإذا تناولنا المفهوم الأول: وهو مفهوم الخطاب، وجدنا أن الدكتور إبراهيم استند إلى رأى الدكتور السيد الدسوقى فى أن كل المواضع التى ورد فيها الخطاب فى القرآن الكريم سلبية؛ وحين رجعت لقياس اللغة ولسان العرب، لم أجد أن هذه المفاهيم سلبية؛ بل وجدت مفهوم الخطاب مفهومًا محايدًا، والسؤال الذى يطرح نفسه هو: ما هو مضمونه حتى نحكم عليه بالسلبية أو بالايجابية؟ وحين استعرضت المواطن القرآنية فى الخطاب ذاته، وجدت أنه لا يمكن أبدًا أن نعتمد على رأى واحد ورد فيه أن الخطاب يحمل دلالات سلبية، والحقيقة أن هذه نقطة يجب أن يعاد النظر فيها، وأرى أن الخطاب بالفعل فى القرآن الكريم ليس سلبيًّا بالمرة؛ بل إننى رأيت أن الخطاب خط أو خطة أو مشروع، يرتبط دائمًا بفكرة الأطراف والتفاعل والضوابط... وهكذا.

وحين انتقلت أيضًا إلى مفهوم الجمهور نفسه بعيدًا عن الدلالات المصطلحية، هالنى أن أجد: أن كلمة الجمهور -فى لغتنا- هى جل الناس وأشرافهم أيضًا؛ وكأن المفهوم نفسه لا يستبعد النخبة ولا يقيم هذه الفوارق الموجودة التى أنشأها فى ذهننا الرجوع إلى المرجعية الغربية، وإلى المصادر الغربية التى فتتت لدينا كل شىء، وحجبت عنَّا كل شىء؛ حتى مفاهيمنا ذاتها، ووجدت أن جمهرات العرب ذاتها هو مفهوم يطلق على القصائد السبع

التالية مباشرة فى أهميتها للمعلقات السبع؛ وكأنه لا يتحدث أبدًا وهو يتحدث عن هذا اللفظ عن فكرة الأمين أو غيرهم، وكان من الممكن للدكتور إبراهيم أن يقف عند دلالات هذا المفهوم الذى لا يختص فقط بالعوام من الناس.

سوف أطرح بعض النقاط البسيطة التى برزت حين بدأت أقرأ فى آليات التجديد فى التسعينيات. لقد وجدت أن لدينا مصادر تتحدث عن! بما هو التجديد؟ وما هى روافده؟ وما هى مجالاته؟ وما هى عملية التجديد؟ وما هى الرؤية الكلية للتجديد؟ ووجدت أيضًا نماذج تطبيقية عن الخطاب السياسى للجماعة الإسلامية. وفى تحليل الخطاب هناك كتب تتحدث عن اتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم، واتجاهات التجديد فى التعامل مع السنة، واتجاهات التجديد فى التعامل مع التراث أيضًا، ولا أدرى لماذا أغفل الدكتور إبراهيم المدرسة الإسلامية فى المعرفة، ولعلها مدرسة تقدم الكثير فى مجال التجديد الدينى، وهو نفسه أحد أقطابها، وربما أن الإنسان ينسى الشىء نتيجة أنه عضو فيه. والدكتور عبد الجبار الرفاعى لديه موسوعة كاملة لمصادر النظام الإسلامى، فيها جزء كامل عن الاجتهاد والتجديد، ووجدت عنده أيضًا كتابًا: محررًا يدور حول مقابلات مع رموز إسلامية شيعية، وهذا كان من الممكن أن يضيف بعدًا جديدًا.

وجدت أيضًا: أن هناك دراسات تحدد مفهوم الوعى ذاته، فالوعى هو إدراك الحقيقة وتشخيص الواقع وتحديد الأولويات والتواصل مع الواقع.. إلخ، ووجدت كذلك رسائل جامعية، وكثيرًا من نماذج التجديد مثل، حسن الترابى، والشيخ القرضاوى، وكنت أتمنى فى نهاية هذه الكلمة لو أن الدكتور إبراهيم شرح لنا لماذا لم تسترح العينة المبحوثة لفكر أستاذنا الشيخ على جمعة؟! فالدكتور على جمعة قدم كتابًا هو إحدى الوصلات الشديدة الأهمية فى مجال تجديد الخطاب الدينى.

المحاضرة الختامية:
حول قضايا تجديد الخطاب الدينى(*)

دكتور محمد عمارة

بسم الله الرحمن الرحيم، و صلاة و سلامًا على سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- و على آله وصحابته أجمعين.

فى البداية: أنا أعبر عن سعادتى بوجودى معكم ، وأقول لكم إن عهدى بالخطاب الدينى والخطابة الدينية والكتابة هو عهد قديم ، فقد بدأت أخطب سنة ١٩٤٧م؛ لكن أول مرة أجد نفسى فى حرج و أنا معكم الآن؛ فأنا خطبت كثيراً و حاضرت كثيراً، وكتبت كثيراً، غير أن حالتى الصحية اليوم متدنية ويبدو إنها تشبه الخطاب الدينى فى هذا التدنى، يضاف إليها حالة الإرهاق التى أنتم فيها، و بالتالى فالتطلع إلى محاضرة هو أمر صعب، إنما أنا حقيقة تعلمت كثيراً من هذه الجلسات التى شرفت بالاستماع فيها، و أنا أريد فى نقاط سريعة أن أقول بعض الأفكار.

إن أى خطاب -سواء دينى أو غير دينى- ينبع من نظرية معرفة، فالماركسى خطابه ينبع من نظرية معرفة تركز على العوامل الاقتصادية والعوامل الاجتماعية والبناء التحتى الذى ينتج البناء الفوقى ، والصوفى خطابه يركز على القلوب وعلى علم القلوب، وحتى الإنسان الوضعى العلمانى مادى؛ فهو يعزل السماء عن الأرض، وبالتالى الواقع هو مصدر المعرفة، والعقل والتجربة هى سبل المعرفة، و بالتالى عندما نتكلم عن الخطاب الدينى الإسلامى: لابد أن ينبع خطابنا وتنظيرنا لهذا الخطاب من نظرية معرفة إسلامية: و كلكم تعلمون إننا نعتبر فى نظرية المعرفة الإسلامية أن مصادر المعرفة هى الكون والغيب - أى كتاب الله المنظور وكتاب الله المسطور - ودائماً ما أشير إلى ما قاله الإمام محمد عبده، وهو يفسر قول الله سبحانه وتعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [سورة الفاتحة: آية ٦]، إنه قدم نظرية متكاملة فى سبل المعرفة سماها الهدايات الأربع، وأنا بالمناسبة سوف اقرأ عليكم سطوراً قليلة حول ماذا قال، فهو -أولاً- عرف الهداية وهو يتكلم عن الهدايات الأربع فى اللغة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب، ويقول: إن الله منح الإنسان أربع هدايات لكى يتوصل بها إلى سعادته.

(*) تفريغ نص المحاضرة بعد تحريرها.

أولها: هداية الوجدان الطبيعى، والإلهام الفطرى، و تكون فى الأطفال منذ ولادتهم.

والهداية الثانية: هى هداية الحواس والمشاعر، وهى متممة للهداية الأولى فى الحياة الحيوانية، ويشارك الإنسان فيهما الحيوان الأعجم، بل الحيوان فيهما أكمل من الإنسان، فإن حواس الحيوان وإلهامه يكملان له بعد ولادته بقليل، بخلاف الإنسان، فإن ذلك يكمل فيه بالتدريج فى زمن غير قصير.

والهداية الثالثة: هى هداية العقل وخلق الإنسان ليعيش مجتمعاً و لم يعط من الإلهام من الوجدان ما يكفى مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية؛ كما أعطى المحيا والموت فحباه الله هداية هى أعلى من هداية الحس و الإلهام - وهى العقل - الذى يصحح غلط الحواس والمشاعر، و يبين أسبابه و ذلك: أن البصر يرى الكبير على البعد صغيراً، ويرى العود المستقيم فى الماء معوجاً، والعقل هو الذى يحكم بفساد هذا الإدراك .

الهداية الرابعة: هى الدين، وقد يغلط العقل فى إدراكه كما تغلط الحواس، وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية والنوعية، و يسلك بهذه الهداية مسالك الضلال ويجعلها مسخَّرة لشهواته ولذاته، حتى تُوردَهُ موارد الهلكة، ومن ثم تحتاج إلى هداية ترشدهم فى ظلمات أهوائهم؛ إذا هى غلبت على عقولهم و تبين لهم حدود أعمالهم؛ ليقفوا عندها ويكفوا أيديهم عما وراءها.

ثم إن مما أودع فى غرائز الإنسان: الشعور بسلطة غيبية متسلطة على الأكوان، ينسب إليها كل ما لا يعرف له سبباً؛ لأنها هى الواهبة كل موجود لما به قوام وجوده، وبأن له حياة وراء هذه الحياة المحدودة، فهل يستطيع أن يصل بتلك الهدايات الثلاث إلى تحديد ما يجب عليه لصاحب تلك السلطة الذى خلقه وسواه ووهبه هذه الهدايات وغيرها وما فيه سعادته فى تلك الحياة الثانية ؟! .. كلا إنه فى أشد الحاجة إلى هذه الهداية الرابعة -الدين- و قد منحه الله إياها.

ولكن بقى معنا هداية أخرى، وهى المعبر عنها بقوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [سورة الأنعام: آية ٩٠]، فليس المراد من هذه الهداية كما سبق ذكره، فالهداية فى الآيات السابقة بمعنى الدلالة وهى بمنزلة إيقاف الإنسان على رأس الطريقين المهلك

والمنجى، مع بيان ما يؤدى إليه كل منهما، وهى ما تفضل الله به على جميع أفراد البشر، أما هذه الهداية فهى أخص من تلك، والمراد بها إعانتهم، وتوفيقهم للسير فى طريق الخير والنجاة مع الدلالة، وهى لم تكن ممنوحة لأحد، كالحواس والعقل شرع الدين، ولما كان الإنسان عرضة للخطأ والضلال فى فهم الدين، وفى استعمال الحواس والعقل - على ما قدمنا - كان محتاجاً إلى المعونة الخاصة، فأمرنا الله بطلبنا منه فى قوله ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ فمعنى اهدنا الصراط المستقيم؛ أى دُلَّنا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ، ما كان هذا أول دعاء علمنا الله إياه فى سورة الفاتحة؛ إلا لأن حاجتنا إليه أشد من حاجتنا إلى كل شىء سواه .

معذرة لقد أطلت عليكم فى قراءة هذا النص، لأننى أتصور أن الإمام محمد عبده رغم ما كتب فيه حول تعامله مع القرآن الكريم؛ فإنه لا يزال حقلاً بكرًا ينتظر الدراسة، فالبشير الإبراهيمى -وقد كتبت عنه بحثًا مؤخرًا- من أفضل من تحدث عن مدرسة الأفغانى ومحمد عبده، فهو يقول: إن تفسير محمد عبده للقرآن ليس تفسيراً للقرآن، وإنما تفسير لمعجزات القرآن، وإنه هو الذى أثبت أن القرآن إنما يفسر بلسانين؛ بلسان العرب ، وبلسان الزمان، وأنا لا أريد أن أطيل؛ لكن أريد أن أقول: إن هذا الرجل أقام بناء لنظرية معرفة إسلامية سواء فى مصادر المعرفة، أو فى سبل المعرفة؛ أى فى الهدايات الأربع، ثم نطلب من مسبب الأسباب خالق الهدايات أن يهدينا فيما وراء هذه الهدايات الأربع، وأى خطاب يغيب عنه التوازن بين هذه الهدايات الأربع هو خطاب منقوص، والهدايات الأربع: ليس معناها .. تجاورها مع بعضها البعض؛ كأنها نقاط رياضية ثابتة وجامدة؛ إنما بمعنى أن تتزامل وتتفاعل وأن يكون الخطاب وأن تكون الثقافة الإسلامية مؤسسة عليها.

لابد للهدايات الأربع -أو لسبل المعرفة- أن تتكامل وتتوازن، وتتفاعل لتثمر خطابًا وثقافة هى مزيج من هذه الهدايات، فلو ركز أحد على العقل وحده سوف يثمر خطابًا دينيًّا معيبًا، وعندما نقرأ لبعض الباحثين نراهم يقولون إن الوحى هو من المخيلة. وآخرون يقفون عند ظاهر اللفظ ويغفلون المقاصد من وراء اللفظ، ومن وراء مقاصد الشريعة، أى إن ما أريد قوله: هو أن التركيز على هداية واحدة، أو حتى استخدام الهدايات باعتبارها نقاطًا رياضية متجاورة، هو منهج خطأ فى التعامل مع نظرية المعرفة الإسلامية، وبالتالى تنتج خطابًا مغلوطًا أو منقوصًا

من الناحية الدينية، ولذلك هذه النقطة الأولى يمكن الانطلاق منها بالقول إلى أننا فى تراثنا الحديث كان عندنا هذه المدرسة؛ المدرسة التى بدأت بالعطار والطهطاوى والأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا والمراغى وعبد المجيد سليم وعبد الجليل عيسى والباقورى والشيخ البنا والشيخ الغزالى، وهذه مدرسة من المدارس التى بارك الله فيها ولا تزال فاعلة؛ لأنهم كانوا خير ما فى حياتنا فى الفكر الدينى الآن وامتداد لهذه المدرسة. و هذه المدرسة قمت برصد عشرة أصول لخطابها الدينى، ولتجديدها للعقل المسلم فى العصر الحديث.

أولاً: نقد ورفض الجمود والتقليد. وأنا عندما أقرأ ما كتبه محمد عبده فى نقد الجمود والتقليد -ليس فقط الجمود والتقييد للموروث، وإنما الجمود والتقليد للمادية الغربية وللوافد الغربى- وهذا ملمح من ملامح الخطاب الدينى، وهو رفض ونقد الجمود والتقليد.

ثانياً: التجديد، وهو عنوان الحلقة البحثية التى نحن فيها، وأنا ممن يركزون دائمًا على تحليل مضامين المصطلحات فمصطلح التجديد يحدث خلط شديد ومعيب بينه وبين مصطلح الحداثة بالمعنى الغربى: والحداثة بالمعنى الغربى هى إقامة قطيعة معرفية كبرى مع الموروث ، والموروث الدينى على وجه الخصوص. وأتذكر أن الدكتور عبد العزيز حمودة قد كتب فى هذا الموضوع، وكذلك الدكتور محمد خاتمى، و تحدث عن أن الحداثة هى الثقافة التى تتمحور حول الإنسان، و ليس حول الله ، وأن الثقافة المسيحية فى عصور ما قبل الحداثة هى مثلها مثل الثقافة الإسلامية، كان الله هو محورها لكن عندما عزلت السماء عن الأرض، وعندما أصبح الواقع هو المصدر الوحيد للمعرفة .. أصبح هناك دين للحداثة، و أصبحت الحداثة دينًا يسمى بالدين الطبيعى. وقد كتب هاشم صالح - مترجم مؤلفات محمد أركون - فى جريدة الشرق الأوسط: أن أحداث الحادى عشر من سبتمبر هى فرصة للتخلص من الأصولية، والعودة إلى الدين الطبيعى، مثلما عاد فولتير و روسو إلى الدين الطبيعى، وهو يغفل أن الأفغانى كتب ضد فولتير وروسو كلامًا نفيسًا ندرسه فى مدارسنا إلى الآن، وقد تحدث فى هذا الصدد عن ماديتهم وإلحادهم، وانتقد هذا الكلام قبل قرن؛ إذاً التجديد هو سنة من سنن الله - يبعث الله على رأس هذه الأمة كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها - فالتجديد هو استصحاب الثوابت والتطور والتغيير والتجديد فى الفروع وفى المتغيرات، وبالتالى تنتج فروع جديدة تبين المستجدات؛ لكنها تستمد روحها من جذر الشجرة، وهو الهوية الإسلامية والثوابت

الإسلامية وهى ليست القطيعة مع الماضى وليست هى القطيعة مع الموروث، والتجديد يعنى أيضًا: الأصول وفى الثوابت وليس الفروع فقط لكن ليس بمعنى التغيير وإنما بمعنى إزالة غبار البدع والخرافات عن هذه الأصول؛ فالرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما قال: « جددوا إيمانكم. قالوا: كيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟! قال: « أكثروا من ذكر لا اله إلا الله »؛ لأن إلا اله إلا الله: هى الثورة ضد الطواغيت، وإنعاش للوحدوية وبالتالى إزالة البدع والخرافات عن التوحيد وكل هذا يعتبر تجديدًا. و أنت حينما تجدد السيف إذا علاه الصدأ، فليس معنى هذا أن تغير السيف؛ إنما أن تعيد إليه ضياءه من جديد، وحتى فى الأصول فهناك تجديد بهذا المعنى، وأنا أقول: إن كثيرًا من الناس يتحسسون مسدساتهم عندما نتكلم فى مثل هذه الأمور، ولكن بضبط المصطلحات بهذا الشكل يمكن أن نميز بين التجديد والحداثة .

ثالثًا: خطاب الإصلاح بالإسلام، والبعض يرفع اليوم شعار الإسلام هو الحل، وأول من رفع هذا الشعار فى العصر الحديث هو رفاعة الطهطاوى الذى يعتبره بعض الإسلاميين متغربًا. ودليلى على أن الطهطاوى هو أول من رفع شعار « الإسلام هو الحل » هو أنه عندما وقف ضد القوانين الأجنبية، وتكلم عن أن بحر الشريعة - الغراء - لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها، وأنه لا يجب أن نأخذ من قانون نابليون، وإنما يجب أن نحتكم إلى الشريعة، فمعنى هذا أنه يقول: إن الإسلام هو الحل. كذلك عندما يقول جمال الدين الأفغانى: إن الدين هو السبب لسعادة الإنسان وإن الحل للخروج من هذا المأزق أن نعود بهذه الأمة للصيغة التى خرجت منها من البداوة والجاهلية، عندما يقول ذلك، فهو يقول: إن الإسلام هو الحل. كذلك عندما يقول محمد عبده: إن سبيل الإصلاح فى المسلمين هو الإسلام وأن إتيانهم بأى شىء آخر لن تجد له مساعدًا؛ فإذا كان الدين كفيلاً بسعادة الدارين و محقق للسعادة، فلم العدول عنه؟! هذا العنصر إذاً يشير إلى الإصلاح بالإسلام، و ليس التحرر من الإسلام .

رابعًا: الوسطية الجامعة، و قد أشرنا فى هذا الصدد إلى الهدايات الأربع.

خامسًا: العقلانية، فما كتبه الأفغانى ومحمد عبده عن العقل كمّ مهول جدًا، لكن محمد عبده كان صريحًا، وأنا أريد القول: إن محمد عبده لم يكن معتزليًّا، وله نقد كثير للمعتزلة حتى موضوع التحسين والتقبيح بالعقل؛ فإنه ينتقدهم فى هذا، وكلامه فى تفسير القرآن يدل على أنه يرفع راية أن القرآن يفسر بمنطق القرآن، وليس بمنطق اليونان، والعقلانية عنده مؤمنة؛

لأن هناك أموراً لا يستقل العقل بإدراكها، سواء فى أحكام عالم الغيب أو فى أحكام العبادات، و يقول إن العقل كأى ملكة من ملكات الإنسان نسبى الإدراك، وهنا تقف هذه المدرسة فى مواجهة التنوير الغربى الذى يرفع شعار أنه لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده، أى إنهم يأهلون العقل، ويريدون أن يجعلوا الفكر الدينى نسبيًّا بينما يؤلهون إدراكات العقول. والعقلانية تكون مؤمنة؛ لأنها نابعة من القرآن لتستدل بالعقل على حقائق القرآن.

سادساً: الوعى بسنن الله فى الكون. والكلام عن السنن هو موضوع مفتوح منذ محمد عبده إلى الآن؛ فقد تحدث محمد عبده عن سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل. وقال: إنه يتمنى على المسلمين أن يستخرجوا من القرآن علم السنن الكونية، و يمكن تسميته بعلم الاجتماع الدينى؛ لأن التقدم له قوانين، و التخلف له قوانين، ومن يخرج عن هذه القوانين سينهزم، حتى لو انتسب للصالحين.

سابعًا: أن الدولة إسلامية ومدنية فى الوقت نفسه؛ بحيث نخرج من الثنائيات المتناقضة التى ابتلتنا بها الحضارة الغربية؛ الفرد / المجموع ، الدنيا / الآخرة ، الدين / الدولة، الذات / الآخر، كل هذه الثنائيات لا علاقة للحضارة الإسلامية بها، فالدولة مدنية وإسلامية فى ذات الوقت. مدنية المؤسسات و النظم والسلطات والأمة مصدر السلطات، وفى ذات الوقت هى إسلامية المرجعية؛ لأن كل هذا يتم فى حدود الحلال والحرام. و قد ركزت هذه المدرسة على موضوع الشورى بشكل كبير. وكذلك على موضوع العدالة الاجتماعية. وأنا أقول لكم: إن محمد عبده عندما - فسر القرآن - أشار لماذا أسضاف الله - سبحانه - و تعالى المال إلى الفرد فى سبع آيات، وأضاف المال إلى المجموع فى سبع وأربعين آية لينبهنا على أن الأموال التى فى أيديكم ليست هى أموالكم، وإنما هى أموال أمتكم. كذلك فكرة التكافل الاجتماعى وفكرة العدالة الاجتماعية. النقطة التالية هى إنصاف المرأة وما كتبه محمد عبده فى موضوع إنصاف المرأة وفى موضوع تحرير المرأة، وما كتبته عن محمد عبده فى هذا الإطار ترجم إلى الفرنسية. و بالتالى ونحن أمام الهجمة الغربية، يجب أن نحتمى بهذه المدرسة وبما كتبته هذه المدرسة، ولذلك أنا أدعو إلى أن نلتفت إلى هذا المنبع، وإلى هذه الصياغات، وإلى هذه النظرية المتكاملة فى الخطاب الدينى و فى نظرية المعرفة عندما نتحدث عن تجديد الخطاب الدينى.

ثامنًا: إن التجديد سنة أو قانون مستمر؛ فإذا كان الإغريق يقولون إنك لن تنزل البحر

مرتين؛ فإن هذا يؤكد على أن التجديد سنة دائمة ومستمر، ولذلك أثار إعجابى من ضمن الأوراق ورقة الدكتور سيف عبد الفتاح؛ لأن التجديد لن يأتى من الحملة الفرنسية أو الحملة الأمريكية، وكنت أتساءل قديمًا لماذا ندرس فى الأزهر كتبًا كلها مؤلفة فى عصر المماليك -أى فى عصر التراجع الحضارى- و لماذا لا ندرس الشيخ شلتوت مثلاً ، و هنا نتساءل هل أجيالنا مثل أجيال محمد عبده؟ أذكر أن بعض الكتاب كتبوا: أن الأفغانى كان متألقًا، ومحمد عبده تراجع خطوة، ورشيد رضا تراجع خطوة، وحسن البنا تراجع خطوة، وسيد قطب تراجع خطوة، وبالتالى فالخط تراجعى، وقد قمت بدراسة صغيرة بعنوان اليقظة الإسلامية؛ لأن توازنات التحديات تختلف من عصر إلى آخر فعصر الأفغانى ومحمد عبده يركز على نقد الموروث أكثر من نقد التغريب، وقد تحدث الأفغانى عن نقد الغرب بشكل نحن فى حاجة إليه، لكن التركيز الأكبر كان على الموروث؛ ذلك لأن ثقل الموروث الجامد كان أعلى من ثقل التغريب، ومع مجىء حسن البنا كان ثقل التغريب أكبر من ثقل الموروث، وكانت جهود الأفغانى وعبده آتت أكلها فى نقد الموروث، إذاً ليس صحيحًا أن هذه المدرسة هى سلسلة ذهبية وكانت هناك ثوابت، وقد جمعت لحسن البنا عن العقل والعقلانية ما يثبت عدم وجود خلاف بينه وبين ما قاله محمد عبده والأفغانى حول نفس القضية. وأول كتابين قررهما البنا للإخوان هما رسالة التوحيد لمحمد عبده، وكتاب الإسلام والنصرانية، كذلك حسن البنا هو الذى أصدر جريدة المنار، وظل ينشر كلام عبده والأفغانى لمدة ٤٠ سنة، فى الوقت الذى ينتقد فيه اليوم الإسلاميون كلاً من محمد عبده والأفغانى، وما أريد قوله: هو أننا مطالبون بمراجعة هذه الصيغ، وأن نعيد الاعتبار لهذه المدرسة؛ إذا تحدثنا عن الخطاب الدينى.

نحن الآن لسنا بالأمس، وكل هذا يبين أن إدراكنا للنواقص والعيوب الموجودة فى خطابنا الدينى شىء، وما يُعرض علينا ويُفرض علينا شىء آخر، وأذكر أنه فى ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م استخدم بوش تعبير الحملة الصليبية، والفاتيكان: أكد أنه كان يقصد الحملة الصليبية، و بلير قال: إنها الحرب بين المدنية والحضارة ضد البربرية، وبيرلسكونى قال: إنه سيواصل تعليم حضارته وفرض نفسه على الشعوب، وجوزيف ليبرمان قال: إنه لا حل مع الشعوب الإسلامية والعربية؛ إلا أن تفرض أمريكا عليها القيم والنظم والسياسات، فالشعارات التى أعلنتها أمريكا عند استقلالها لا تنتهى عند الحدود الأمريكية، بل تتعداها إلى الدول

الأخرى. أشكروفت وزير العدل الأمريكى السابق قال: إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل الإله. الولايات المتحدة فى العراق قالت: إن إلاهنا أكبر من إلاههم، وإن إلاهنا إله حقيقى وإله المسلمين صنم، وإنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنها دولة مسيحية يهودية وحربنا معهم هى حرب على الشيطان؛ كذلك إن الدين الإسلامى دعا إلى العنف وإن أمريكا بحاجة إلى إنذار ضد خطر المسلمين الذين يكرهون أمريكا و يحاولون تدمير إسرائيل.

أول ما قامت الحرب فى أفغانستان كتب توماس فريدمان: إن الحرب الحقيقية فى المنطقة الإسلامية هى فى المدارس، لذلك يجب أن نفرغ من حملتنا العسكرية على أفغانستان بسرعة لنعود بالكتب الحديثة لينمو جيل جديد يقبل سياساتنا كما يقبل فطائرنا، وإلى أن يحدث هذا لن نجد أصدقاء لنا هنا.

فوكوياما فى عدد النيوزويك السنوى ديسمبر ٢٠٠١م يريد حربًا داخل الإسلام، ليكون إسلامًا ليبراليًّا علمانيًّا يقبل المبدأ المسيحى "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله".

كل ذلك يدعو إلى إعادة بناء الدين الإسلامى، وإعادة تحديث الدين الإسلامى، وبالطبع النصوص كثيرة. وأنا أريد فقط لفت النظر: إلى أن الناس غضبت لما حدث للقرآن الكريم، لكن أنا بودى أن يكون لدينا وعى بالتاريخ، هل هذه هى البداية؟ وقد قرأت كلمة - يجب أن توقظنا نحن - وهى أن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد. فمشكلة الشرق مع الغرب هى ظهور الإسلام. و بعض الكتاب الغربيين يقولون: إن محمدًا كان كاردينالاً كاثوليكيًّا رشح نفسه للانتخابات البابوية فرسب فى الانتخابات، فأحدث انقسامًا فى المسيحية، وهو المرتد الأكبر على المسيحية. ويقولون فى ملحمة رونالد الشعبية سنة ١١٠٠م إن المسلمون يعبدون الثالوث. و انظروا إلى ما كتبه جوته عن القرآن و ما كتبه مارتن لوثر عن الرسول - صلى الله عليه و سلم - وعن القرآن فيقول: إنه كتاب بغيض، وفظيع ، كذلك ما كتبه توماس الإكوينى عن رسول الله ليقول: أنه صائد العاهرات والمومسات ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾. وأنا لا أريد أن أؤذى أسماعكم بالخطاب الغربى تجاه الإسلام، لكن هذا ليس وليد ١١ سبتمبر، إنما هذا تاريخ طويل فى الثقافة الغربية، ولذلك فما حدث بعد ١١ سبتمبر، هو انفجار لمخزون ثقافة الكراهية السوداء ضد الإسلام،

ولذلك لا يجب أن نخفى عيوب خطابنا الدينى؛ لكن لا نريد أن نتبنى المقولات الغربية فيما يتعلق بخطابنا الدينى.

الإمام الخمينى كان يقول: إن بقاءنا بالمساجد والمحاريب ليلاً و نهارًا سيسعد الغرب؛ لأنهم يريدون البترول، ولذلك هم فى الخطاب الدينى يريدون أن ينزعوا سلاح الأمة؛ العزة و الكرامة، ذلك نحن نريد استمرار مسيرة التجديد، فنحن فقراء فى التجديد وأثرياء فى التقليد، وهذه حقيقة لابد أن ندركها، وكثير من خطاباتنا الدينية ولأنها افتقدت نظرية المعرفة والتجاور والامتزاج بين الهدايات الأربع لا توقظ عقلاً ولا ترقق قلبًا، وأنا ألفت النظر إلى أن علماءنا الذين تركوا بصماتهم فى الخطاب الدينى كانوا يجمعون بين عقلانية الفيلسوف، وقلب الصوفى مثل جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده ورشيد رضا و حسن البنا والشيخ الغزالى: أى إن: الجمع بين هذه الهدايات وسبل المعرفة، هو نقطة البداية لخطاب دينى صحيح وسلام الله عيكم و رحمته وبركاته.

obeikan.com

obeikan.com

التقرير الختامى

قضايا واتجاهات المناقشة

د. إبراهيم البيومى غانم

obeikan.com

obeikan.com

التقرير الختامى:
قضايا واتجاهات المناقشة

دكتور إبراهيم البيومى غانم

تمهيد:

بعد أن انتهى الباحثون المشاركون فى مشروع «تجديد الخطاب الدينى فى مصر» من الكتابة الأولى لأبحاثهم، وقبل أن نقوم بتجهيزها للطباعة، عقد مركز البحوث والدراسات السياسية ندوة فى يومى ١٥ و١٦ يونيو ٢٠٠٥م لمناقشة تلك البحوث. وقد دعا المركز عددًا محدودًا من الخبراء والمتخصصين، إضافة إلى مقدمى البحوث، وذلك للمشاركة فى أعمال الندوة، ولتبادل الآراء وتنقيح الأفكار وإثراء المناقشات والتعقيبات حول القضايا والمشكلات التى تناولتها، ولتكون حصيلة تلك المناقشات رافدًا يستفيد منه مقدمى البحوث فى صياغتها النهائية.

وقد استهدف المركز أن تكون هذه الندوة بمثابة تحكيم جماعى متخصص ومفتوح للبحوث التى غطت المستويات الثلاثة للمشروع وهى: الرؤية التاريخية لتجديد الخطاب الدينى فى مصر، ومسح الكتابات المتعلقة بهذا الموضوع بمنهجية مقارنة، ومجالات الخطاب الدينى وأبعاده فى واقعه الراهن؛ وبخاصة فى الفترة التى أعقبت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

وطبقًا للمخطط الأساسى لهذا المشروع، فقد طلب المركز من مقدمى البحوث معالجة عدد من الإشكاليات البحثية -كل حسب طبيعة موضوعه ومنهجيته فى التحليل- وكان من أهم تلك الإشكاليات الآتى:

١- إشكالية المفهوم؛ بمعنى تحديد المقصود بالخطاب الدينى، وأسباب تجددا لاهتمام به.

٢- إشكالية الإطار النظرى المناسب لدراسة الموضوع، وذلك فى ضوء اقترابات علاقة الدولة بالمجتمع المدنى من ناحية، وعلاقة الدين بالدولة من ناحية أخرى.

٣- إشكالية كيفية توظيف ميراث الخبرة المصرية -فى مجال تجديد الخطاب الدينى- خلال القرن العشرين.

٤- إشكالية تحديد سبل دراسة نظم التعليم والإعلام والرأى العام، فى أبعادها المتعلقة بالخطاب الدينى ومشكلاته.

٥- إشكالية العامل الخارجى، وبيان تأثيره فى قضية تجديد الخطاب الدينى، وبخاصة بعد ١١ سبتمبر.

ونظرًا إلى أن مشروع هذا البحث يندرج ضمن برنامج المركز لدراسة التحولات السياسية والمجتمعية فى مصر عبر ربع قرن؛ فقد كان من الضرورى وضع مفهوم «الخطاب الدينى» بمختلف جوانبه تحت مجهر البحث العلمى، وخاصة أنه مع ذيوعه وانتشاره على نطاق واسع -فى الأوساط الإعلامية والثقافية والأكاديمية المصرية بصفة خاصة- ؛ إلا أنه لا يزال يحيط به الغموض من حيث مضمونه والمقصود به تحديدًا، ومن حيث موضوعاته ومجالاته الرئيسية التى ينبغى التركيز عليها فى عملية التجديد، وكذلك من حيث آليات التجديد ومناهجه.

وتضفى تلك الاعتبارات أهمية خاصة على مشروعنا البحثى هذا؛ حيث إنه يمثل إضافة علمية مهمة، مقارنة بما هو متوافر حتى الآن بالمكتبة العربية فى موضوع تجديد الخطاب الدينى بشكل عام، وفيما يتعلق بواقع حال عملية التجديد فى مصر بوجه خاص. كما يكتسب هذا المشروع أهميته من كونه قد سعى على نحو غير مسبوق -وربما لأول مرة فى الدراسات العربية- لرسم خريطة الموضوعات والقضايا النظرية والمنهجية والمعرفية المتعلقة بتجديد الخطاب الدينى، وكذلك المؤسسات والهيئات المعنية بهذه القضية أو المشاركة فيها.

وقد شهدت وقائع الندوة مناقشات ثرية ومهمة حول الأبحاث الثمانية التى قدمت فيها؛ حيث قام بالتعقيب على كل بحث اثنان من المتخصصين فى موضوعه تم تكليفهما بذلك رسميًّا، إضافة إلى مناقشات ومداخلات بعض المشاركين الآخرين الذين حضروا جلسات الندوة.

وليس من السهل أن ننقل هنا أجواء المناقشات الثرية والمكثفة التى دارت حول البحوث التى نوقشت على مدى يومى الندوة، كما أننا لن نتعقب الملاحظات والتعقيبات التى وردت على كل بحث على حدة بالتفصيل؛ خشية الوقوع فى التكرار، أو الإغراق فى بعض تفصيلات ليس هنا موضعها. وما سنقدمه هنا هو عبارة عن صياغة لأهم اتجاهات تلك المناقشات،

وبخاصة فيما يتعلق بالمسائل الأساسية التى تشكل الأهداف العامة للمشروع، وذلك على النحو الآتى بيانه:

أولاً: مفهوم الخطاب الدينى وأنماطه:

كان تعرُّف مفهوم الخطاب الدينى وأنماطه المختلفة، هدفًا من أهداف المشروع، ولذلك لم يتبن المخطط الأساسى للبحث تعريفًا محددًا لهذا المفهوم، وترك أمر تحديده إلى كل باحث فى ضوء المعطيات الخاصة بموضوع بحثه، وفى ضوء ما يتوافر له من مادة علمية ذات صلة به. وقد كشفت البحوث والمناقشات التى جرت حولها عن تعدد الحقول الدلالية التى يشير إليها مفهوم الخطاب الدينى، كما كشفت عن وجود عدة أنماط لهذا الخطاب.

أ- المفهوم:

تعددت استعمالات المفهوم بتعدد منظورات البحث ومستويات التحليل. وقد جرى استخدام «الخطاب الدينى» للإشارة إلى أحد المعانى الآتية:

١- من منظور استهدف رسم ملامح خريطة الخطاب الدينى - كما هى فى الواقع المصرى بصفة عامة -فإن المقصود بالخطاب الدينى هو: «أقوال ونصوص مكتوبة صادرة عن مؤسسات أو رجال دين، أو التى تصدر عن موقف أيديولوچى ذى صبغة دينية أو عقائدية، والذى يعبر عن وجهة نظر محددة إزاء قضايا دينية أو دنيوية، أو الذى يدافع عن عقيدة معينة، ويعمل على نشر هذه العقيدة».

٢- قريب من المعنى -السابق ذكره- نجد البحث الذى استهدف متابعة اتجاهات الجدل حول هذا الموضوع بصفة خاصة، قد تبنى تعريفًا يقول: بأن الخطاب الدينى «هو اجتهاداتنا البشرية؛ أى اجتهادات رجال العلم من المثقفين فى الدين، مسلمين أو مسيحيين، التى تصلنا منهم مشافهة أو مسجلة أو مكتوبة أو مطبوعة. وفى هذا الإطار يحتوى الخطاب عادة على مستويين: الأول يتشكل من البنى الفكرية التى تستند إلى المعانى التى على البشر أن يستوعبها، فى حين يضم المستوى الثانى فاعلية هذه الأفكار أو المعانى فى توجيه سلوكيات البشر للتعامل مع مشكلات واقعهم الاجتماعى».

٣- على مستوى إدراك الجمهور العام للمقصود بالخطاب الدينى: نجد ثلاث دلالات يشير

إليها الخطاب الدينى وهى: مجمل الفهم البشرى للنصوص المنزلَّة من عند اللّه، ورؤية شاملة للحياة تَّتَّخذ من النصوص المنزلة مرجعية لها، ودعوة للخير والفضائل ومكارم الأخلاق.

٤- من زاوية نظرية تأصيلية فقهية، ذهب البعض إلى أن الخطاب الدينى يقصد به «الكلام الصادر عن علماء الدين والموجه إلى المسلمين وغير المسلمين، ويكون متعلقًا بعلوم الوحى فى معالجتها لأحوال الناس فى الواقع المعيش»، أو هو بصورة أكثر تحديدًا «خطاب اللّه المتعلق بأفعال المكلفين».

وقد انقسمت الآراء التى أظهرتها المناقشات حول المقصود بمفهوم الخطاب الدينى إلى اتجاهين أساسيين:

الأول: ذهب إلى أن الخطاب الدينى عبارة «عن نصٍّ دال على حركة، وأنه يخدم فعلاً تاريخيًّا معينًا»، وعليه فكل ما ليس له صلة بأعمال ذات أثر فى تحديد مسار التطور الاجتماعى العام لا يمكن تصنيفه ضمن الخطاب الدينى بهذا المعنى. ويركز هذا الرأى أيضًا: على أنه من الضرورى التمييز باستمرار بين مرجعية النص الدينى، والرأى الشخصى للقائل به؛ إذ غالبًا ما يحدث توحُّد بين المستويين، وإذا حدث هذا التوحُّد، فإن عملية تجديد الخطاب الدينى تكون أكثر صعوبة، كما تكون عرضة للتلاعب وإساءة توظيف هذا الخطاب بعيدًا عن أهدافه الأصلية.

الثانى: عبر عن عدم ارتياحه من حيث المبدأ لاستعمال مفهوم الخطاب الدينى، وبخاصة عندما يقترن بمطلب التجديد؛ والسبب فى ذلك هو الملابسات التى أحاطت بإثارة هذا المفهوم، وربطته بجملة من الضغوط الخارجية والأهداف الأجنبية التى لا تصب بالضرورة فى اتجاه تحقيق نهضة الأمة وتقدمها. ويرى أنصار هذا الاتجاه: أن ثمة مفارقة كبيرة تكشفها دعوى تجديد الخطاب الدينى؛ من حيث أن الأعلى صوتًا فى المطالبة بذلك يركزون على أمور بعينها مثل الإرهاب، والجهاد، والتسامح، والمرأة، ولكنهم لا يلتفتون إلى جوانب أخرى أكثر احتياجًا إلى التجديد مثل الخطاب السياسى الاستبدادى السائد، والأنظمة التى تحتكر السلطة، وأطروحات الفكر العلمانى؛ التى لم تنتج إلا مزيدًا من التأخر والتبعية وتكريس الاستبداد السياسى والتفكك الاجتماعى، فضلاً عن أن بعض الذين يرفعون شعار تجديد الخطاب الدينى يجادلون فى أصل الدين ذاته، ويسعون إلى تنحيته بعيدًا عن المجال العام، ومن ثم تثور

علامات استفهام كثيرة حول هذا المفهوم ودلالاته الواقعية. وإلى جانب ذلك يؤكد أصحاب هذا الاتجاه: على ضرورة أن يكون هدف التجديد هو النهوض بالأمة، وليس تحقيق أهداف قوى خارجية.

ب - الأنماط:

مثلما اختلفت الرؤى بشأن مدلول الخطاب الدينى، نجد أنها قد تعددت أيضًا بخصوص أنماط هذا الخطاب. فبينما ذهب البعض إلى وجود أربعة أنماط رئيسية للخطاب الدينى من منظور تاريخى هى: الوسطى، والنصوصى، والرافض، والصوفى، أكدت المناقشات على عدم صحة هذا التقسيم؛ حيث يصعب - مثلاً - الحديث عن خطاب نصوصى بمعنى الاقتصار على إعادة إنتاج النص المنزل دون تقديم فهم له أو تأويل لمعانيه ومقاصده، وربطها بظروف الزمان والمكان والأحوال الاجتماعية. كذلك ليس من اليسير وضع معيار يمكن على أساسه الحكم على وسطية الخطاب أو تطرفه.

وفى مقابل التقسيم المحدود للخطاب الدينى إلى (وسطى، وصوفى، ونصوصى، ورافض)، ذهب بعض المناقشين إلى توسيع الحديث عن الأنماط وتقسيمها إلى: وعظى، وقصصى إخبارى، وفقهى، وتأويلى، وتفسيرى، وصوفى، وحركى، ومحافظ، وثورى...

ومن منظور أكثر اقترابًا من واقع حال الخطاب الدينى فى التاريخ الحديث لمصر، أكدت بعض المداخلات على أن لهذا الخطاب عدة أنماط أساسية أهمها:

١- الخطاب الأزهرى؛ وهو الذى يعبر عن وسطية الإسلام واعتداله، وبالرغم من أن هذا الخطاب كان يصادر الخطاب الصوفى فى مرحلة سابقة؛ إلا أنه عاد ليستوعبه ويجذبه ويدمجه ضمن منظومة الوسطية والاعتدال.

٢- الخطاب الوهَّابى: الذى يميل إلى الفهم الحرفى واختيار الآراء الأكثر محافظة وتشددًا، وقد تأثر أنصاره بمنهج محمد بن عبد الوهاب وحركته الإصلاحية فى شبه الجزيرة العربية.

٣- خطاب العنف: وهو الذى يسعى أنصاره إلى إحداث التغيير والإصلاح الاجتماعى والسياسى فى المجتمع عن طريق استخدام القوة، مستندين إلى فهم محدد لبعض نصوص القرآن والسنة النبوية.

٤- الخطاب الرسمى: الذى يصدر عن المؤسسات الدينية الحكومية والناطقين باسمها، فى مقابل الخطاب غير الرسمى الذى يصدر عن الحركات والجمعيات الدينية غير الحكومية والدعاة المستقلين.

٥- الخطاب الحركى الذى يركز على الجوانب السياسية والعملية إلى جانب الجوانب السلوكية والأخلاقية والعبادية، والخطاب الدعوى الذى يهتم -أساسًا- بالبيان والبلاغ والتعريف بالمبادئ العامة للدين وتعاليمه.

ج - التجديد:

لم يحظ المقصود بالتجديد فى الخطاب الدينى باهتمام كبير فى معظم البحوث والمناقشات، مقارنة بما دار من جدل حول معنى الخطاب وأنماطه. وقد ذهب البعض إلى أن التجديد ينصرف إلى « إحياء الثوابت والأصول، ونفض الغبار عنها، وإعادتها إلى صفائها الأول »، كما أنه يعنى على مستوى الفقه « استنباط أحكام جديدة للنوازل المستحدثة ».

وفى مقابل هذا التحديد الضيق للمقصود بالتجديد، ذهب البعض الآخر إلى توسيع دلالة التجديد ليشمل إلى جانب إحياء النص ونفض الغبار عنه « التلاؤم مع معطيات الواقع، وإعادة قراءة النص واستنطاقه ». وذلك « حتى يواكب روح العصر، ويتجاوب مع متغيراته، ويصبح رافدًا لجهود الإصلاح السياسى والاجتماعى، ويوظَّف لتفعيل وتعزيز هذه الجهود، وهذا يعنى أيضًا تنقية الأفكار والممارسات مما لا يمت إلى صحيح الدين، وتحقيق التوازن المطلوب بين الجوانب العقيدية والتعبدية والمعاملات، وتوجيه الخطاب نحو المستقبل، والبعد عن التشدد، واختيار التوسعة والتيسير». ودعا البعض إلى التأكيد على أن تجديد الخطاب ليس هو تجديد النص المنزَّل، وإنما هو تجديد شروط إنتاج الخطاب المستند إلى هذا النص، مع إدراك أن هناك عقبات كثيرة تعترض عملية التجديد بهذا المعنى.

ولكن ماذا عن معنى التجديد، كما عبرت عنه الكتابات الغربية المعنية بهذا الموضوع؟

هناك اختلاف حول المقصود تحديداً بالتجديد فى الإدراك الغربى من واقع عينة من الكتابات المتخصصة، ويتسع هذا الاختلاف ليبدأ من ضرورة التجديد فى طرائق الفهم والتفسير، ليصل إلى ضرورة التجديد فى النصوص المنزلة ذاتها. وبالرغم من هذا الاختلاف بشأن معنى التجديد؛ فإن هناك -فى الكتابات الغربية كما هو فى الكتابات العربية والإسلامية- اتفاقًا على ضرورة

إصلاح الخطاب السائد؛ وذلك انطلاقاً من اعتبارات نفسية وأخرى سياسية. فمن الناحية النفسية يرى الغربيون أن من المهم إعادة بناء الذات الإسلامية من جديد؛ حتى تتأهل للتعامل مع الآخر. أما من الناحية السياسية، فثمة حاجة يراها الغربيون أصحاب تلك الرؤية لتحجيم عدوانية الذات الإسلامية، والحد من الخطر الذى تمثله فى الحاضر والمستقبل.

ومثل هذه الرؤى الغربية مبنية على افتراضات غير دقيقة، منها: أن الذات العربية الإسلامية -وليست الذات الأوروبية أو الأمريكية- هى التى ترفض الآخر ولا تقبل التعامل معه، والصحيح هو أن الذات الغربية الأوروبية والأمريكية هى التى تستعلى على غيرها دومًا، بل وتتنكر لمبادئ العدل والمساواة - عندما يتعلق الأمر بحقوق العرب والمسلمين وقضاياهم العادلة - ومنها أيضًا: أن الذات الإسلامية -وليست الأوروبية أو الأمريكية- هى التى تشن العدوان على الآخرين، وتحتل أرضهم، وتستنزف ثروات بلادهم، ومارست عمليات إبادة جماعية بحق شعوب بأكملها. والواقع أن الكتابات الغربية لا تلتفت إلى دقة افتراضاتها إلا نادرًا، كما لا يلتفت إليها الذين يتبنون الرؤية الغربية فى مصر، وفى غيرها من البلاد العربية والإسلامية.

فى المحاضرة الختامية للندوة أوضح د. محمد عمارة المعنى المقصود بالتجديد فى الخطاب الدينى بطريقة أخرى .. عبر مقارنته بمفهوم الحداثة كما عرفتها الخبرة الغربية، فبينما أشارت الحداثة إلى قطيعة معرفية مع الموروث الدينى والثقافى لأوروبا فى العصور الوسطى التى مرت بها، والانتقال إلى تأسيس معرفة جديدة تتَمَحْور حول الفرد والذات الإنسانية، نجد أن التجديد فى الرؤية الإسلامية سُنَّة مستمرة؛ تستصحب الثوابت العقيدية، وتراعى التغيرات الجارية فى الواقع، وأن عملية التجديد تتطلب تحقيق التوازن بين ما أطلق عليه الإمام محمد عبده «الهدايات الأربع» وهى: الوجدان، والحواس، والعقل، والدين؛ فإذا ما تحقق هذا التوازن، كان بالإمكان إنتاج خطاب دينى متجدد وفعال وإيجابى.

ثانيًا: مسائل منهجية:

أظهرت المناقشات جملة من الملاحظات على المنهجية التى اعتمدها الباحثون فى تناول الموضوعات الخاصة بكل بحث. وقد غطت هذه الملاحظات عدة مسائل بدأت بالمداخل النظرية ومدى ملاءمتها لموضوع البحث، مرورًا بالمفاهيم والتعريفات الإجرائية، وأدوات البحث

وبخاصة العينة فى حالة البحوث المسيحية المقارنة والميدانية، وصولاً إلى بعض المسائل الخاصة بتثبيت المراجع وطريقة تقسيم البحث. وثمة عدد من الملاحظات المهمة التى دارت حولها المناقشات ومن أهمها:

الملاحظة الأولى: هى اتفاق معظم الآراء بشأن ملاءمة الأطر النظرية التى جرى توظيفها فى البحوث؛ كل حسب موضوعه. وبالرغم من ذلك؛ فإن بعض المعقِّبين أشار إلى بعض أوجه القصور فى توظيف المدخل النظرى المختار فى بعض البحوث.

ومن ذلك الآتى:

١- **مدخل العلاقة**: بين الدين والدولة الذى تم توظيفه فى بحث الخلفية العامة لتجدد الجدل حول الخطاب الدينى وموقعه من النظرية السياسية؛ حيث رأى البعض أن من المفيد أيضًا النظر إلى الموضوع فى ضوء علاقة المجتمع بالدولة، وليس فقط فى ضوء علاقة الدولة بالدين، إضافة إلى أهمية إيضاح مستوى الخطاب الدينى المطلوب تجديده: هل هو الخطاب الرسمى أم الشعبى/ غير الرسمى؟.

٢- **المدخل التاريخى**: الذى تم استخدامه لمسح الخبرة المصرية فى هذا المجال على مدى القرنين الماضيين؛ فقد رأى البعض أن فكرة التحقيب الزمنى باختيار لحظات فارقة فى هذه الخبرة يمكن أن تقود إلى بعض الاستنتاجات والتعميمات التى لا تؤيدها الوقائع التاريخية، كالماثلة بين لحظة الحملة الفرنسية فى مطلع القرن التاسع عشر، ولحظة الحملة الأمريكية فى مطلع القرن العشرين، وما ترتب على كليهما من تداعيات مختلفة حكمتها الظروف والملابسات التى أحاطت بكل منهما.

٣- **مدخل التأويل**: الذى اعتمده بحث خريطة الخطاب الدينى فى مصر؛ حيث ذهب عدد من المناقشين إلى القول: بأنه لم يتم تطبيق التأويل فى كل جزئيات البحث وفقًا لخطوات محددة وواضحة يمكن متابعتها، أو الاستفادة من المقدرة التفسيرية أو التأويلية لهذا المدخل فى كشف الملامح العامة لخريطة الخطاب الدينى من خلال المادة العلمية التى أخضعت للبحث. واقترح المناقش مدخلاً منهجيًّا بديلاً هو «تحليل الإثبات»، وهو الأكثر استخدامًا فى تحليل الخطاب والكشف عن أبعاده «الأنطولوچية»، وهو يتضمن دراسة الأفكار المرجعية الكبرى للخطاب، ويرد الخطاب إلى بعض الأفكار الأساسية فى الخبرة التاريخية الخاصة به ويحاكمه

إليها، ويوضح طبيعة علاقة المرجع الأعلى بالخطاب الذى ينتجه المفسر أو الشارح، ويبين ما إذا كان الوصول إلى نتيجة معينة يبدأ من الواقع أم ينطلق دومًا من النص، ويحاكم الواقع إلى هذا النص؟!

الملاحظة الثانية: هى أن العيِّنات التى اعتمدت عليها بعض البحوث تحتاج إلى مزيد من التدقيق والتوضيح فى عدد من الجوانب المتعلقة بالأسس العلمية لاختيار مفردات العينة وتقدير الحجم المناسب، وتعميم النتائج المستخلصة منها.

أ- من حيث أسس اختيار العينة، اتجهت المناقشات -فى أغلبها- إلى أن معظم البحوث -التى استخدمت فيها عينة دراسية- لم تتضح فيها معايير اختيار العينة، وأن اختيار مفرداتها خضع لقدرة الباحث الذاتية، أكثر مما خضع لمنهجية محددة تتضح فيها اعتبارات الزمان والمكان والخصائص العامة لمجتمع العينة، ومحددات المناخ السائد وقت إجراء البحث؛ سواء أكانت هذه العينة من البشر، أم من النصوص والكتابات المنشورة.

ب- من حيث حجم العينة، ذهب المعقبون إلى أن حجم العينة صغير العدد فى أغلب البحوث، إلى الدرجة التى تجعلها غير ممثلة بالمعنى الإحصائى المتعارف عليه فى البحوث الميدانية. هذا مع الاعتراف بأن ثمة كثيرًا من الصعوبات التى تحول دون الحصول على عينة كبيرة الحجم نسبيًّا، فضلاً عن أن تكون ممثلة للمجتمع الأصلى الذى سحبت منه؛ وذلك نظرًا إلى محدودية الإمكانيات المتاحة للباحثين من جهة، وإلى غياب نظم إحصائية توفر بيانات دقيقة من جهة ثانية، وندرة البحوث والدراسات السابقة فى هذا المجال، والتى يمكن البناء عليها، من جهة ثالثة.

ج- كان من الطبيعى فى ضوء الملاحظات التى وردت على العينات الدراسية: أن يشير المعقبون إلى وجود قدر ملحوظ من التعميم فى النتائج التى توصل إليها الباحثون يتجاوز الحجم الصغير للعينة، وكونها غير ممثلة لمجتمعها الأصلى.

وبالرغم من أهمية أغلب الملاحظات التى كشفت عنها المناقشات بخصوص مسألة العينة المستخدمة فى بعض البحوث؛ فإن من العسير التغلب على بعضها، وخاصة الشرط الذى يؤكد على أن تكون العينة ممثلة حتى يمكن تعميم نتائجها؛ فحتى المشروعات البحثية الكبيرة التى تنفذها هيئات علمية متخصصة فى البحوث الميدانية وتعتمد على أسلوب العينة، نجد أنها

تعانى من تلك المشكلات نفسها، والمهم هو التنبيه -كلما أمكن- إلى محدودية النتائج بحدود العينة التى استخدمت، وعدم التوسع فى تعميم تلك النتائج، والتنبيه -كذلك- إلى المصادر المحتملة للتحيز من جراء النواقص المنهجية التى شابت العينة، وهذا ما تنبه إليه أصحاب البحوث ذات الطابع الميدانى فى هذا المشروع.

الملاحظة الثالثة: تتعلق بوجود قدر كبير من الاتساع فى عناوين بعض البحوث، الأمر الذى يوضح رغبة الباحثين فى الإلمام بالجوانب المختلفة للموضوع نظرًا إلى جدته، وندرة البحوث والدراسات السابقة بشأنه. ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه، ولهذا ظلت بعض العناوين أوسع من المضامين التى وردت تحتها. ويمكن إيجاز أهم أسباب ذلك فى الآتى:

أ- غموض بعض المفاهيم الأساسية للبحث، ومنها مفهوم الخطاب الدينى نفسه، الذى حظى بقدر كبير من المناقشات والاختلافات فى الوقت نفسه -كما أسلفنا- وقد دفع هذا الغموض المفهومى إلى ضرورة بيانه وإيضاحه ولو على حساب بعض القضايا الأخرى؛ وبخاصة فى ظل عدم وجود دراسات سابقة يمكن الاستناد عليها أو الإحالة إليها.

ب- اتساع نطاق القضايا والمشكلات التى سعى كل بحث إلى تناولها، وتقديم إجابات محددة عنها.. ولم يكن من السهل غض النظر عن تلك القضايا والمشكلات مع تعدد روافدها وأهميتها الكبيرة فى إلقاء الضوء على جوانب أساسية من واقع حال التجديد.

ج- وجود قدر من التداخل بين مضامين الخطاب الدينى والرؤى التى يحملها، كما عبر عنها منتجو هذا الخطاب من جهة، وبين الرأى الذى يتحمل الباحث مسئوليته كنتيجة لقراءته من جهة أخرى، أو كحصيلة لإعمال أدواته المنهجية التى اختارها للبحث.

ثالثًا: موضوعات الخطاب الدينى وقضاياه:

تحديد موضوعات التجديد فى الخطاب الدينى هو أحد الأهداف الرئيسية لمشروع البحث وفقًا للمخطط الأساسى. وكان من المفترض أن يخصص كل باحث جزءًا من بحثه للكشف عن تلك الموضوعات التجديدية فى الخطاب السائد من جهة، ولإلقاء الضوء على الموضوعات التى ينبغى الاهتمام بها؛ نظرًا إلى أنها لم تحظ بما تستحقه فى إطار عملية التجديد المطلوبة من جهة أخرى.

وقد كشفت البحوث والمناقشات: عن أن تحديد موضوعات التجديد لم يأخذ ما يستحقه من جهد الباحثين؛ سواء فى الخطاب الدينى السائد، أم فيما يجب أن يهتم به الخطاب الدينى المجدد، أو المرغوب فيه. وانصبَّ أغلب الجهد على رصد وتحليل محتويات الخطابات الدينية السائدة التى خضعت للبحث والتحليل. ولاحظنا أن لغة الوصف وبيان خصائص الخطاب السائد غلبت على تصنيف موضوعات هذا الخطاب، وبيان ما إذا كانت تندرج ضمن عملية التجديد، أم أنها موضوعات تقليدية لا تستجيب لمتطلبات الواقع ومستجداته.

وكشفت البحوث والمناقشات أيضًا عن أن أزمة الخطاب الدينى السائد قد فرضت الاهتمام بإثارة القضايا والمشكلات -التى تعترض هذا الخطاب- أكثر من الاهتمام بموضوعات التجديد ومسائله المختلفة، وأكثر بكثير من محاولة استكشاف موقع عملية التجديد المطلوبة من جهود الإصلاح والنهوض الحضارى العام بالمجتمع. وفيما يلى مزيد من التفاصيل حول اتجاهات المناقشات بشأن أهم « موضوعات » الخطاب وأهم « قضاياه »:

١- موضوعات الخطاب:

تباينت الرؤى بشأن مجالات التجديد فى الخطاب الدينى السائد، سواء منها ما يصنَّف على أنه تجديد فعلاً، أم ما يحتاج إلى تجديد أصلاً.. فبينما ذهب البعض إلى التركيز على الفقه كميدان لعملية تجديد الخطاب الدينى؛ بمعنى تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع والمشكلات المستحدثة، واستنباط أحكام تلائمها، والخروج على الرؤى والأحكام القديمة التى انقضى زمنها، ولم تعد مؤثرة فى الواقع الراهن، ذهب آخرون إلى أن التجديد: يجب أن ينصرف - بالدرجة الأولى- إلى الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية بالمعنى الذى يشير إلى ضرورة معالجة هذه الجوانب فى ضوء التصورات والأفكار المستمدة من المرجعية الدينية، بحيث يتجاوز هذا الخطاب الجديد الإطار الفقهى -القانوني- بالمعنى الضيق الذى قصده الفريق الأول.

وكانت أهم الموضوعات التى عالجتها البحوث وتطرقت إليها المناقشات هى:

أ- موضوع الهوية: وهو من الموضوعات الكلية ذات الطابع المركزى فى سياق التحدى الحضارى. ويعتبر هذا الموضوع هو الأهم من منظور البحث التاريخى فى خبرة التجديد على مدى القرنين الماضيين. وبالرغم من أهمية هذا الموضوع، ووضوح -التحدى الأجنبى الذى فرض

العناية به دومًا-، فإن الخطاب الذى أنتجته النخب الفكرية والثقافية حوله جاء ملتبسًا، بل ومتضاربًا فى كثير من الأحيان لأسباب متعددة: أهمها، انقسام المرجعيات المعرفية لتلك النخب. فكان هناك خطاب المقاومة وخطاب المسايرة، ووجد خطاب فكرى بمرجعية دينية يتمسك بالأصالة، وآخر يدعو لإهدارها ويدعو إلى التغريب والعلمنة.

ب- موضوع علاقة الدين بالدولة، وملامح النموذج السياسى المطلوب للدولة فى المجتمع الإسلامى المصرى المعاصر. وقد تضاربت الرؤى بهذا الخصوص أيضًا، ولم تتمكن النخب الفكرية والثقافية من التوصل إلى توافق عام حول مجموعة من القواعد والمحددات التى تحكم علاقة الدين بالدولة وبالسياسة؛ فذهب الفريق الداعى للتغريب: إلى ضرورة الفصل بينهما اقتفاءً لأثر التجربة الغربية فى عملية التحديث السياسى، وبناء الدولة العصرية، فى حين ذهب آخرون من أنصار الأصالة والتراث إلى ضرورة الوصل بينهما تأسِّيًا بخلاصة التجربة العربية الإسلامية فى فترات ازدهارها وقوتها، وتجديدًا لتلك الخبرة بلغة معاصرة، مع امتداد عملية التجديد فى هذا الموضوع إلى كل ما يتعلق بالنظام السياسى، وبعملية بناء الدولة؛ ليس فقط على المستوى الداخلى ومشكلاته المتعددة وفى مقدمتها مشكلة الاستبداد السياسى، وإنما أيضًا على مستوى العلاقات الدولية، وما يتصل بها من مشكلات، فى مقدمتها مشكلات الاستعمار، والجهاد واستخدام القوة لتحقيق أهداف الدولة.

ج- موضوع التنمية ومشكلاتها، وكيف يتناولها الخطاب الدينى، وإلى أى مدى يمكن أن يسهم فى إنجاز تلك التنمية المنشودة، والتغلب على العقبات التى تعترضها. وقد أشارت البحوث والمناقشات كذلك إلى ضعف المكون التنموى فى الخطاب الدينى السائد، وانصرافه عن المشكلات الأساسية فى الموضوع، وسطحية المعالجات التى يقدمها -وخاصة تلك المتعلقة ببطالة الشباب- والانحرافات السلوكية الاجتماعية، والنموذج الأمثل الذى يجب أن يحتذى فى عملية الإصلاح والتنمية بشكل عام.

د- موضوع العمل الاجتماعى المؤسسى من منظور إسلامى، وضرورة توافر الحرية للعمل المدنى واستقلاليته فى الإدارة والتمويل. وبالرغم من أهمية هذا الموضوع فإن المناقشات كشفت عن ضعف الاهتمام به فى مختلف أنماط الخطاب الدينى السائد؛ الرسمى وغير الرسمى، وأن هناك خطابات يمكن تسميتها بالخطابات الموازية، التى تنتجها بعض الهيئات والجمعيات

والمدارس وحتى بعض الحركات الدينية الإسلامية والمسيحية المعنية بالعمل المدنى أساسًا، ولكن هذه الخطابات لا تزال بعيدة عن أضواء البحث العلمى، ولا تزال المعرفة العلمية المنتظمة بها محدودة؛ الأمر الذى يجعل من الصعب الحكم عليها من حيث موقعها من عملية تجديد الخطاب الدينى، وهل كانت تدعم التجديد وتصب فى صالحه أم لا؟

هـ- تجديد لغة الخطاب الدينى وأساليبه، وتبسيط مفرداته، وتحديث نماذجه وأمثلته الشارحة. وقد لاحظ عدد من المعقبين والمناقشين، أن ثمة قصورًا واضحًا فى اللغة السائدة، وأنها تحمل قدرًا كبيرًا من الجمود والرتابة والتقليدية. كذلك الحال بالنسبة للنماذج والقوالب التعبيرية المستعملة التى لا تساعد على تحقيق التواصل الفعال للخطاب الدينى، وما تقدمه أدوات التنشئة التعليمية (كما فى مقررات التربية الدينية مثلاً)، والإعلامية (كما فى برامج إذاعة القرآن الكريم مثلاً)، التى لا تسهم على نحو فعال فى تجاوز مشكلات لغة الخطاب الدينى. وينطبق ذلك على الخطاب الإسلامى أكثر مما ينطبق على الخطاب المسيحى.

و- موضوع المرأة، والنموذج الأساسى لدورها وموقعها فى المجتمع من منظور الرؤية الدينية. وقد كشفت المناقشات، وكذلك نتائج بعض البحوث عن أن ملامح هذا النموذج لا تزال محل منازعة كبيرة بين توجهات مختلفة: دينية وعلمانية، بل وفيما بين التيارات الدينية ذاتها، وأن هذه المنازعة تنعكس سلبيًّا على إمكانية تجديد الخطاب الدينى الذى يتناول قضايا المرأة ومشكلاتها فى المجتمع الإسلامى المعاصر، ومن أهمها قضايا الزى (الحجاب)، والعمل، والمشاركة فى الحياة العامة، وتولى المناصب القيادية فى القضاء والمجالس التشريعية ورئاسة الدولة.

لقد عرضت أغلب البحوث لما هو متداول من موضوعات فى الخطاب الدينى السائد -كل بحث فى حدود المسألة التى اختص بها- دون التطرق كثيرًا إلى بيان موقع تلك الموضوعات من عملية التجديد. ومن الملفت أن أيًّا من البحوث المقدمة لم يقف على أجندة محددة المعالم للموضوعات الرئيسية التى يتعين تجديدها فى الخطاب الدينى السائد، اللهم إلا البحث الذى تناول قضية التجديد من منظور الكتابات الغربية، حيث أشار إلى أن تلك الكتابات تركز على أن أهم الموضوعات التى يجب تجديدها فى الخطاب الدينى -الإسلامى- هى بمعيار المفاهيم الغربية: مفهوم الجهاد والعنف أو الوحشية، فى مقابل مفهوم التسامح والتحضر، والنظرة

الدونية إلى المرأة فى مقابل تمكين المرأة، والاستبداد والثيوقراطية فى مقابل الديمقراطية والحرية.

كذلك كشفت نتائج دراسة آراء عينة من الجمهور العام عن أن أهم الموضوعات التى يتعين بذل مزيد من الجهود من أجل تجديد الرؤى والاجتهادات الخاصة بها هى موضوعات المعاملات المدنية، وقضايا الأخلاق والسلوكيات غير السوية، وبعض المسائل المتعلقة بالعبادات، ومدى تأثرها بالتطورات التكنولوچية، وثورة الاتصالات. مع ملاحظة أن الجمهور العام لا يعطى أهمية كبيرة للموضوعات الخاصة بشئون الحكم والسلطة والسياسة بصفة عامة، ليس لكونها خارجة عن إطار الخطاب الدينى بالضرورة - فى رأى البعض- وإنما لاعتبارات أخرى تتعلق بأولوية الموضوعات التى يجب صرف الاهتمام إليها أولاً من وجهة نظر الجمهور العام، كما تتعلق بالخوف من بطش السلطة، والاستبداد الذى تمارسه تجاه من ينخرطون فى النشاط السياسى.

والحاصل أن ثمة تباينًا كبيرًا فى تحديد أجندة موضوعات الخطاب الدينى السائد، وكذلك فى تحديد الموضوعات التى يجب تجديد الخطاب بشأنها، وقد اتضح هذا التباين فيما بين أعضاء الفريق البحثى للمشروع، وتشير كثير من معطيات الواقع إلى كثرة الموضوعات وتداخلها إلى الحد الذى يجعل من الاتفاق على ترتيب واحد لأولوية كل منها أمرًا بعيد المنال. وقد أكدت البحوث والمناقشات وجود هذا التباين على المستويين النظرى والتطبيقى. ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى اختلاف الدلالات التى يشير إليها مفهوم الخطاب الدينى لدى الباحثين والمعقبين؛ إذ اتضح أن كل باحث أو معقب يتبنى صراحة أو ضمنًا حقلاً دلاليًّا معينًا من الحقول المتعددة التى يشير إليها مفهوم الخطاب الدينى.. هذا إلى جانب أثر الالتباس الحادث أصلاً فى استعمالات المفهوم، ودلالاته فى الواقع الفعلى.

والنتيجة الأساسية هنا هى -كما استنبطناها من مجمل البحوث والمناقشات- أن المطالبات الخاصة بتجديد الخطاب الدينى فى بلادنا لم تبرح مستوى العموميات، ولم تقدم حتى الآن تصورات واضحة حول مناطق التجديد وأهميتها، وموقع كل منها على سلم أولويات عملية التجديد، والفوائد التى يمكن أن تقود إليها، هذا بخلاف بعض الرؤى المستمدة من بعض الكتابات الغربية التى تندرج ضمن أجندة ذات ملامح أكثر وضوحًا؛ مع ما قد يرد عليها من تحفظات.

وفى رأينا أن توقف دعوات تجديد الخطاب الدينى عند مستوى العموميات يرجع فى جانب منه إلى أن المبادرة بتلك الدعوات -فى الفترة الأخيرة على الأقل- جاءت رد فعل على المطالبات الخارجية وما صاحبها من ضغوط وتحديات. ويرجع هذا التوقف فى جانب آخر إلى تراكم مشكلات الخطاب الدينى على المستوى الداخلى، دون وجود جهد منظم ودائم ترعاه جهات أو هيئات متخصصة فى هذا المجال. ولهذين السببين فإن عملية التجديد أضحت أكثر صعوبة، وتحتاج إلى وقت أطول، وإلى وضع خطط وبرامج واضحة بالقضايا والموضوعات التى تحتاج إلى دراسات وبحوث متعمقة؛ وبخاصة فى الشئون المتعلقة بمستجدات الواقع الاجتماعى، والتطورات التكنولوچية وكيفية توظيفها فى خدمة التجديد، واستيعاب تأثيراتها على تغيير المفاهيم والتصورات والأفكار والأحكام السابقة، ومن المؤكد أن نتائج مشروعنا هذا: سوف تسهم فى توفير مادة أساسية يمكن البناء عليها والإفادة منها.

٢- قضايا التجديد:

من الإسهامات المهمة التى أوضحتها البحوث والمناقشات: إلقاء الضوء على حالة التَّأزم التى يتسم بها الخطاب الدينى السائد، ومن ثم الكشف عن «قضايا» ذات طابع معرفى سجالى بشأن هذا الخطاب. ومن أهم هذه القضايا الآتى:

أ- الخلفية النظرية للتجديد؛ بمعنى هل تأتى الدعوة لتجديد الخطاب الدينى امتدادًا لمدارس تجديدية أصيلة فى المجتمع، ولمناقشات وحوارات فكرية حول إسهام الدين فى عمليات التطور الاجتماعى بهدف تفعيل هذا الإسهام؟ أم تأتى على خلفية أخرى تتعلق بالجدل الدائر منذ فترة حول علاقة الدين بالدولة والمجتمع.. من منظور تحديثى ينزع إلى تحجيم دور الدين فى الحياة العامة؟ وقد كشفت المناقشات والبحوث عن وجود انقسام فى الرؤى بشأن هذه القضية؛ إذ ذهب البعض إلى أن التجديد سنة طبيعة ماضية باستمرار، وأنه جزء من طبيعة الخطاب الدينى الإسلامى الذى يستصحب دوماً الثوابت ويستوعب المتغيرات، ولا يقوم على إحداث قطيعة معرفية كاملة مع الموروث الدينى، وإنما يستبعد الزائف وغير المفيد منه، ويضيف إليه عبر الاجتهاد ما يلبى احتياجات العصر؛ ومن ثم: فإن دعوى التجديد الراهنة تأتى فى سياق المنطق الذاتى بدرجة أكبر مما هى عليه نتيجة لاعتبارات نظرية ومعرفية أخرى.

وذهب البعض الآخر إلى أن دعوى التجديد تأتى على خلفية الجدل حول علاقة الدين بالدولة والمجتمع، وأن تحديد موضوعات التجديد وأهدافه يحكمهما هذا الجدل، وعليه فإن أهم الموضوعات التى يجب أن تكون مطروحة حاليًا هى موضوعات ذات طابع سياسى، مع عدم إغفال الموضوعات الأخرى بالقدر الذى يخدم قضية السياسى والدينى وحدود العلاقة بينهما. وفى هذا السياق ذهب البعض إلى أن أحد أوجه أزمة تجديد الخطاب الدينى فى مصر يتمثل فى استيلاء السياسة على الدين، وتوظيفها له لخدمة أغراضها، ووقف فاعليته فى تحجيم الاستبداد الذى تمارسه السلطات الحاكمة، أو فى تحجيم التدخل الخارجى، ومواجهة العدوان المستمر على الأمة.

ب- الخلفية العملية لدعوى التجديد: هل هذه الدعوى رد فعل -كما يرى البعض- للضغوطات الخارجية التى تصاعدت فى السنوات الأخيرة، وبخاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر، وما أدت إليه من إملاءات على أغلب النظم الحاكمة فى البلدان العربية والإسلامية ومنها مصر؟ أم أن دعوى التجديد -كما يرى البعض الآخر- تأتى كتطور تلقائى للفكر الدينى وسعيه لاستيعاب تحديات الواقع ومتطلباته الراهنة والمستقبلية؟ وهناك رأى ثالث يؤكد أنصاره: على أن التجديد يجب أن يكون جزءًا من عملية أشمل تستهدف التجدد الحضارى العام للأمة، وليس فقط مجرد الاستجابة لضغوطات خارجية.

لقد كشفت المناقشات -وبعض البحوث- عن أن البعد الخارجى- وما يمثله من ضغوط متعارضة فى أغلب الأحيان- كان حاضرًا باستمرار، ولهذا كانت عملية التجديد تعانى من كثير من المشكلات النظرية والعملية، وهو ما كشفت عنه خبرة التجديد فى مصر خلال القرنين الأخيرين، من منظور تاريخى. وقد ألقت بعض البحوث الضوء على معوقات التجديد النظرية والعملية. ولهذا الموضوع أهمية قصوى فى بيان أن الخطاب الدينى لا يحمل العجز عن التجدد بداخله، وأن المشكلة تكمن فى ضآلة الجهد المبذول فى عملية التجديد؛ ومن ثم فالقصور عن التجديد يرجع لأسباب خارجة عن هذا الخطاب، ولا يرجع لاعتبارات نابعة من داخله.

ودارت مناقشات أيضًا حول اعتبارات عملية أخرى منها: هل يكون التجديد المرغوب فيه من خلال المؤسسات والشخصيات ذات الصفة الرسمية كالأزهر ودار الإفتاء والمجالس الإسلامية العلمية على سبيل المثال؟ أم يكون غير رسمى من جانب العلماء وكل من توافرت

فيه مؤهلات النظر والاجتهاد فى القضايا والمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى ضوء المرجعية الدينية؟ أم أنه يمكن الجمع بين الرسمى وغير الرسمى، وما السبيل إلى مثل هذا الجمع من الناحية التطبيقية؟ وثمة تساؤل عملى آخر -يتعلق بطريقة التجديد- هل يحدث طفرة أم يأتى بالتدريج؟ وجاءت الإجابات عن مثل هذا التساؤلات جزئية، وفى حاجة إلى مزيد من الاجتهاد والتعمُّق.

ج- دارت مناقشات بين بعض الباحثين والمعقبين حول أسباب زيادة التركيز على ضرورة تجديد الخطاب الدينى فى المرحلة الأخيرة، وبخاصة بعد الحادى عشر من سبتمبر؟ وما الذى يفسر هذا التحول من التركيز على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية (المادية) فى تفسير الظاهرة الإسلامية، إلى إعطاء وزن أكبر للمكوِّن الثقافى والمعنوى؟ وهل يعنى ذلك أن الخطاب الدينى هو المسئول الأول عن حالة التدهور والضعف التى يعانى منها المجتمع؟ وهل هو المسئول عما يسمَّى الإرهاب الإسلامى؟. وبعبارة أخرى: هل التركيز على منظومات القيم والأفكار -التى يغرسها الخطاب الدينى- يعنى أنه المسئول عن حالة الأزمة الراهنة، ومن ثم هو مفتاح الخروج منها عبر عملية التجديد المنشودة ؟ أم أن هذا الاهتمام يعكس فقط إدراكًا لقيمة الدين ودوره الحاسم فى المجتمعات العربية والإسلامية، ومنها المجتمع المصرى، ومن ثم فبقدر هذه القيمة يجب إعطاؤه ما يستحق من الاهتمام ؟. وأثار البعض تساؤلات أخرى حول حاجة الخطابات الأخرى -غير الدينية- إلى التجديد، وفى مقدمتها الخطاب السياسى، والخطاب الفكرى العلمانى، وكلاهما يتَّسمان بدرجة عالية من الجمود والتكرارية، والانفصال عن المجتمع ومشكلاته، وعدم القدرة على نقد الذات، فضلاً عن تسببهما فى كثير من الكوارث التى أصابت المجتمع خلال القرن المنصرم، وغير ذلك من الاتهامات التى غالباً ما توجه فقط للخطاب الدينى.

رابعًا: آليات التجديد ووسائله:

كشفت المناقشات وبعض البحوث: عن أن الخطاب الدينى السائد يعانى من مشكلات متعددة فى الآليات الفكرية والمعرفية التى تنتجه، وفى وسائل نشره وإذاعته بين الجمهور العام.. وفى ضوء الملاحظات السابق ذكرها بخصوص تركيز البحوث والمناقشات على وصف الحالة الراهنة للخطاب السائد، كان من الطبيعى أن تتجه المناقشات إلى بيان أوجه النقص

فى آليات وإعادة إنتاج هذا الخطاب فى وضعه الراهن، دون التطرق -إلا قليلاً- إلى بيان آليات تجديده ووسائل تفعيله فى الواقع الاجتماعى من منظور مستقبلى. وجاءت أغلب المقترحات والأفكار حول المبادئ العامة لعملية التجديد. وتحتاج هذه الآليات إلى بحوث متعمقة ووافية؛ وذلك ضمن مشروعات بحثية أخرى، كحلقة جديدة تكمل ما بدأناه فى هذا المشروع.

١- نقد آليات إنتاج الخطاب السائد:

حظى هذا الجانب -كما أسلفنا- باهتمام عدد من البحوث وأغلب المناقشات التى دارت حولها، وأوضحت المناقشات: أن أوجه القصور التى يعانى منها الخطاب الدينى السائد -الرسمى منه بصفة خاصة وعلى رأسه خطابات مؤسسة الأزهر ودار الإفتاء- على مستوى الآليات المعرفية لإنتاجه، هى فى الوقت ذاته من أهم معوقات تجديده. وينطبق ذلك بدرجات متفاوتة على الخطابين الإسلامى والمسيحى. وتركزت أهم الانتقادات فى الآتى:

أ- تغليب آلية النقل: التى تعيد التذكير بالنصوص دون بذل جهد كبير فى فهمها، أو إعادة شرحها بلغة جديدة تكون قريبة من أفهام المخاطبين بها.

ب- الميل لاختيار الأصعب والأكثر تشددًا من الآراء والأحكام، مع توظيف آليات الترهيب والتخويف والنزعة التشاؤمية، وهى آليات من شأنها دعم التشدد كآلية فكرية ومعرفية لإنتاج وإعادة إنتاج الخطاب الدينى.

ج- تفضيل اللغة المعقَّدة على الميسَّرة، والفصحى على العامية، واللجوء بكثرة إلى النصوص المنزَّلة مما يضفى على الخطاب قدسية ورهبة، ولا يترك مجالاً كبيرًا أمام المخاطبين للتفكير والتساؤل والحوار.

د- الاعتماد على التكرار والسرد القصصى فى محاولة للوصول إلى نتائج ومعلومات تستند إلى الماضى ويجرى استنتاجها منه، فى حين أن المقصود هو التعامل مع الواقع ومعالجة مشكلاته الراهنة؛ الأمر الذى يخلق فجوة كبيرة بين الخطاب المنتج والواقع المتأزم، ويقلل من قدرة هذا الخطاب على الإسهام فى معالجته وتجاوز أزماته.

هـ- التحيز لطريقة التفكير الفقهى على حساب التفكير الفلسفى، وبما أن المنطق هو آلية

رئيسية للتفكير الفقهى؛ فإن القدرة على تحدى الخطاب الذى يأتى ثمرة هذا المنطق تكون أقل؛ إذ غالباً ما يأخذ الطابع المغلق، بخلاف الخطاب الذى يتولَّد عن التفكير الفلسفى المعتمد بدرجة أكبر على الحجج العقلية والبراهين المستمدة من استقراء الواقع، أو من الاستنباط من المقدمات الكلية التى يؤيدها العقل، أو بمزيج من الاستقراء والاستنباط. ويرى أنصار هذا النقد أن قسمًا كبيرًا من الخطاب الدينى السائد حصيلة الآليات الفقهية فى إنتاج المعرفة، وأن هذا أحد الأسباب التى تفسر مخاصمة هذا الخطاب للأفكار الفلسفية، وحتى للخطاب الصوفى فى بعض تجلياته المعرفية، أو تأملاته الروحية.

لقد أخذت تلك الانتقادات حيزًا مهمًّا من المناقشات التى جرت حول بعض البحوث التى كان من أهدافها بيان آليات تجديد الخطاب، وخاصة البحث الذى استهدف رسم خريطة هذا الخطاب، والبحث الذى درس آراء عينة من الجمهور العام، وكذلك البحث الذى حلل دور الإعلام، والبحث الذى تناول البرامج والمقررات الدراسية.

٢- المبادئ العامة لتجديد الخطاب:

طرحت المناقشات عددًا من المبادئ العامة التى يجب أن تحكم عملية تجديد الخطاب الدينى السائد، والتى تكفل - من وجهة نظر القائلين بها - إخراج هذا الخطاب من أزمته الراهنة، وتفعيل دوره فى حل مشكلات الواقع الاجتماعى ومواجهة سلبياته؛ التى تعود فى جانب منها إلى جمود الخطاب الدينى ذاته. ومن أهم هذه المبادئ التى وردت فى بعض البحوث، ودارت حولها المناقشات الآتية:

أ- ضرورة التمييز بين النص التأسيسى (القرآن والسُّنة الصحيحة)، والنصوص الأخرى المتولدة عنهما أو حولهما، وتتجلَّى أهمية هذا التمييز فى اختلاف آليات تجديد كل من هذين النوعين من النصوص؛ فبينما يقتصر التجديد فى النص التأسيسى على إعادة التذكير به، وتثبيته، ودحض الشبهات التى تثور حوله، وتقديم شروحات جديدة له؛ فإن التجديد فى بقية النصوص المتولدة عنه أو حوله يتسع إلى الأخذ منها والرد، والقبول والرفض، والاقتصار على معرفة العبرة، والدروس المستفادة التى كشفت عنها الممارسة الاجتماعية عبر المراحل التاريخية المتعاقبة، دون التقيد بهذه الممارسة أو تلك، ناهيك عن السعى لإعادة إنتاجها فى الواقع الراهن مرة أخرى.

ب- المحافظة على ثوابت الخطاب الدينى وأصوله، مع استيعاب متغيرات الواقع ومستجداته؛ بحيث يصبح الخطاب الجديد مواكبًا لروح العصر، ورافدًا من روافد الإصلاح والنهضة، وهذا يقتضى التمكن من معرفة الواقع وتحدياته بقدر التمكن من النصوص التأسيسية، ومعرفة أحكامها ودلالاتها، وطرائق فهمها، وتنزيلها على الواقع المعيش.

ج- تنقية التراث من الأفكار السلبية، والممارسات التى تناقض تعاليم الدين وأحكامه ومبادئه؛ ذلك لأن القضاء على هذه الرواسب أمر ضرورى لتهيئة البيئة المناسبة لعملية تجديد الخطاب الدينى، وتخليصه من عوامل القصور والعجز عن ممارسة دوره بفاعلية.

د- تحقيق التوازن بين المكونات الأساسية للخطاب الدينى على النحو الذى يتسق مع أوزانها النسبية فى الحياة الواقعية الراهنة، وبخاصة فيما بين الجوانب الاعتقادية والعبادية، وجوانب المعاملات والعادات. ويضرب البعض مثالاً على ذلك بباب فقه الطهارة الذى احتل حيزًا كبيرًا فى الفقه القديم، نظرًا إلى اعتبارات عملية كانت خاصة بصعوبة توافر المياه، وكيفية الحصول عليها، وأولوية استخدامها، وغير ذلك من المسائل التى أصبحت جزءًا من الماضى بعد أن تطورت شبكات المياه، وتيسَّرت وسائل الحصول عليها، ومن ثم فإن الأمر لم يعد يتطلب الإسهاب الفقهى فى هذا الباب كما كان فى السابق.

هـ- أن ينصرف التجديد إلى القول والعمل؛ بمعنى: توجيه جانب من جهود التجديد إلى النماذج والأساليب والنظم التطبيقية، وألا تنحصر هذه الجهود فى مستوى التنظير والتأصيل الفكرى فحسب.

وكنا نتوقع من بعض البحوث: أن تسهم بتقديم بعض الأمثلة التوضيحية لكيفية الالتزام بتلك المبادئ العامة للتجديد، ولكن جهد الباحثين والمناقشين انصرف - كما أسلفنا- إلى نقد الخطاب السائد وكشف نقائصه، ثم انصرف بدرجة أقل إلى الحديث عن المبادئ العامة التى يجب أن تحكم عملية التجديد، وبأقل من هذا جاء الحديث عن الآليات الفكرية والمرتكزات المعرفية التى يجب أن يقوم عليها التجديد المرغوب.

٣- الآليات المعرفية للتجديد:

ورد الحديث عن الآليات المعرفية لإنتاج وتجديد الخطاب الدينى -الإسلامى والمسيحى مع قدر من التفاوت والاختلاف بينهما- فى ثلاثة بحوث هى: [بحث خريطة الخطاب، وبحث

اتجاهات الجدل حول تجديده، وبحث آراء عينة من الجمهور العام. ودارت بعض المناقشات حول الأفكار والرؤى التى حملتها هذه البحوث. ويمكن إجمال حصيلة أهم ما ورد بشأن الآليات المعرفية الأكثر ملاءمة لإنتاج خطاب جديد فى الآتى:

أ- المقارنة بين الواقع وما يحفل به من مشكلات، وبين المثال الذى توصى به مبادئ الدين وتعاليمه، ولا تجدى هذه المقارنة نفعًا إذا كان الهدف منها إعادة إنتاج خطاب قديم.. كان فاعلاً فى سياق ظروف وملابسات تاريخية واجتماعية لم يعد لها وجود، وإنما تتجلَّى أهمية هذه الآلية فى عملية التجديد من خلال بيان عدم جدوى تكرار الخطاب القديم، الذى تولد عن النصوص التأسيسية، وضرورة الاجتهاد من أجل إنتاج خطاب جديد يحمل الفاعلية التى تلائم هذا الزمن المعاصر، مثلما حمل الخطاب القديم فى زمنه.

ب- نقد الأفكار السائدة ومحاكمتها إلى المبادئ المستمدة من الأصول المنزَّلة من جهة، واعتبارات الواقع الراهن، ومدى فائدتها فى التعامل معه من جهة أخرى. وقد أشارت المناقشات إلى أن سيادة فكرة معينة لا تعنى بالضرورة أنها ذات جدوى ما لم يتم التحقق منها برؤية نقدية تردها إلى المرجعية العليا للنص، وإلى المرجعية العملية للواقع، وبالرغم من أهمية ممارسة النقد على هذا النحو فى إعطاء دفعة تجديدية للخطاب الدينى السائد؛ فإن بعض البحوث كشفت عن أن ممارسة هذا النقد تميل إلى النزعة المحافظة التى لا تترك مجالاً كبيرًا للأفكار والاجتهادات الجديدة، وتفضل بدلاً من ذلك إعادة إنتاج الأفكار القديمة، ويتضح ذلك من التركيز على آليات فرعية أخرى مثل: التخويف، والمزاوجة بين التفاؤل والتشاؤم، والشماتة وجلد الذات، والاستفهام الاستنكارى، ومثل هذه الآليات -وإن كانت مكملة لآلية النقد- إلا أنها تفرغها من مضمونها التجديدى فى أغلب الأحيان.

ج- البدء من الواقع للوصول إلى نتائج جديدة فى ضوء أصول الخطاب الدينى وثوابته، وهذا بخلاف الاتجاه العكسى الذى يبدأ بالنص؛ إذ غالبًا ما يقود إلى إعادة إنتاج الخطاب القديم، وتكرار الفهم السابق، وتكون النتيجة هى تقييد الواقع باجتهادات ذات طابع تاريخى، ومن ثم تكريس جمود الخطاب الدينى وسلب فاعليته. أما البدء بالواقع كآلية لاستنباط الرأى والوصول إلى الحكم، فإنها إضافة إلى الوعى بأبعاد الواقع ومشكلاته، تتطلب تشجيع ثقافة السؤال، والثقة فيما تعبر عنه الفطرة السليمة لجمهور المخاطبين. وتفترض هذه الآلية أن

الأسئلة التى يثيرها أهل هذا الزمن لابد أن تأتى مختلفة عن أسئلة أهل الأزمنة السابقة،إضافة إلى الاختلاف الذى يفرضه تباين البيئة الاجتماعية والجغرافية، ومن ثم يحدث التجديد كلما اقترب الخطاب من الواقع وانطلق منه بهذا المعنى.

وقد دار جدل حول جدوى سؤال مستهلكى الخطاب الدينى كأحد آليات تجديده، فذهب بعض المناقشين: إلى أنه لا حاجة إلى ذلك، وبخاصة إذا كان وعى المخاطبين ضعيفًا، أو كانوا غير قادرين على نقل الأسئلة المهمة فى الواقع. وذهب آخرون: إلى أن الاعتماد على هذه الآلية يستند إلى افتراض أساسى مؤداه نقاء الفطرة السليمة للقطاعات الأوسع من الناس، وهم المعبر عنهم بالجمهور العام، وأن ورود بعض السلبيات لا ينفى جدوى هذا الافتراض الأساسى، إضافة إلى وظيفية سؤال الجمهور العام فى التنبيه إلى المسائل التى تحتاج إلى اجتهادات جديدة من جهة، وإلى نقد الخطاب السائد والحث على تجاوزه؛ لعدم جدواه من جهة أخرى.

ولابد أن نلاحظ هنا أن ما طرحته البحوث والمناقشات بشأن الآليات المعرفية والفكرية لتجديد الخطاب الدينى لم تستوف هذه الآليات؛ وإنما تناولت نماذج منها فقط، والأهم من ذلك هو أن منهجية تناول هذه الآليات والحديث عنها من منظور باحثين وخبراء فى العلوم الاجتماعية -بتخصصاتها المتعددة- تختلف اختلافًا بينًا عن منهجية العلماء والمتخصصين فى العلوم والدراسات الدينية (الإسلامية والمسيحية)، وهو ما كشفت عنه بعض الملاحظات التى أدلى بها بعضهم من منظور التخصص فى مجال العلم الدينى -إذا جاز التعبير- ومن ذلك ما ورد فى المحاضرة الختامية نقلاً عن الإمام محمد عبده بخصوص تكامل الهدايات الأربع كآلية للوصول إلى المعرفة وإنتاج خطاب فعال فى الواقع، وهذه الهدايات هى: الوجدان، والعقل، والقلب، والحواس.

وعلى أية حال فقد كشفت المناقشات -رغم قلتها- حول الآليات المعرفية والفكرية لعملية التجديد عن الأهمية البالغة لهذا الموضوع، وضرورة إيلائه ما يستحق من البحث والتعمق فى مختلف أبعاده، مع تنويع الرؤى والمداخل النظرية: الاجتماعية والفقهية والفسلفية، التى تساعد على بلورة هذه الآليات وتوضح كيفية استخدامها وتطبيقها عمليًّا.

٤- وسائل نقل الخطاب وتعميمه:

يظل الخطاب بلا جدوى حقيقية -حتى وإن استوفى كل شروط التجديد المثالية- إذا لم

يجد طريقه إلى المخاطبين به عبر وسيلة مناسبة وفعالة فى عملية النقل والتعميم على أوسع نطاق ممكن؛ ولهذا كان التأكيد فى آيات الكتاب والسُّنة على أهمية القيام بمهمات «البلاغ»، و«الدعوة»، و«البيان»، والتحذير من كتم العلم، أو حبسه. وثمة وسائل متعددة لنقل وإذاعة الخطاب، وبخاصة الخطاب الدينى، ومنها الخطب والمواعظ، والدروس المسجدية والكنسية، والكتب والمؤلفات، والمقالات والمواد والبرامج التى تبثها وسائل الإعلام المقروءة، والمسموعة والمرئية، وكذلك المقررات الدراسية. وقد حاولت بعض البحوث معالجة هذا الموضوع من خلال تحليل نماذج من مقررات التربية الدينية فى المدارس، وبرامج إذاعة القرآن الكريم، إضافة إلى ما ورد فى بحوث أخرى بخصوص توظيف وسائل الإعلام المختلفة فى نقل رسائل الخطاب الدينى بصفة عامة.

وإذا كانت مسئولية الوسيلة تقتصر على نقل ما يطلب منها نقله، فإن الواقع المعاصر يشير إلى أن القائمين على إدارة وتسيير الوسائل الإعلامية والمتحكمين فى سياساتها يسهمون بقدر ملحوظ فى إنتاج الخطابات والرسائل التى تقوم هذه الوسائل بنشرها؛ إما بشكل مباشر -عبر تكليف أشخاص بعينهم- أو جهات محددة بإنتاج المادة المطلوبة، أو بشكل غير مباشر من خلال الانتقاء مما هو متوافر، وتحديد حجم ووقت البث أو النشر، وتوظيف التكنولوچية المتقدمة أو عدم توظيفها فى نقل رسائل الخطاب الدينى، وغير ذلك من الأدوات والمؤثرات الفنية التى بات من الصعب تحييد أثرها فى عملية إنتاج ونشر الرسائل الإعلامية عامة، والخطاب الدينى باعتباره نوعًا من هذه الرسائل بصفة خاصة.

وقد كشفت البحوث والمناقشات: عن أن الخطاب الدينى غير الرسمى أكثر قدرة على توظيف الوسائل الحديثة فى نشره وتعميمه مقارنة بالخطاب الرسمى، الذى لا يزال يعتمد على الوسائل التقليدية، ويستخدم القوالب القديمة. ويمكن إيجاز الأفكار الرئيسية حول هذا الموضوع فى الآتى:

أ- بالرغم من أهمية المقرر الدراسى كوسيلة لنقل وترسيخ مضامين الخطاب الدينى لدى الأجيال الجديدة؛ إلا أن هذا المقرر لا يزال يحتل موقعًا هامشيًّا فى منظومة التعليم المصرى؛ الأمر الذى يقلل من فاعلية المضمون الذى يحتويه، حتى لو افترضنا توافر مواصفات التجديد المرغوب فى هذا المضمون.

ب- أن مقرر التربية الدينية فى المدارس المصرية بمرحلة التعليم الأساسى (الابتدائى والإعدادى)، قد شهد تغيرات ملموسة خلال سنوات العقد الأخير، وأن هذه التغيرات جاءت لتستوعب جوانب مهمة من المطالبات بضرورة تطوير المناهج، وتجديد محتوياتها بما يؤدى إلى الإسهام فى حل مشكلات الواقع وتحدياته. وإدخال مفردات جديدة مثل: حقوق الإنسان، والمواطنة، والتنمية، وتقديم ما يدعمها من النصوص المنزلة، والخبرات والتجارب التاريخية فى عصور التقدم والازدهار الحضارى الإسلامى. ورغم ذلك، ومع إدراك أن هذا المقرر لا يزال بحاجة إلى مزيد من التجديد فى مضمونه، إلا أن فاعليته لا تزال محدودة بسبب هامشيته -كما أسلفنا- وعدم اعتباره مادة أساسية تضاف للمجموع الذى يحصل عليه التلميذ فى سنواته الدراسية المختلفة.

ج- أكد بعض المعقبين والمناقشين على أن إضعاف التعليم الأزهرى - بمختلف مراحله - باعتباره الوسيلة المؤسسية لتكوين الكوادر العلمية المتخصصة فى إنتاج الخطاب الدينى وتعميمه، هذا الإضعاف كانت له آثار سلبية بالغة السوء على إمكانيات تجديد هذا الخطاب؛ حيث حرم من العناصر عالية الكفاءة التى تحتاجها عملية التجديد من جهة، وترك المجال مفتوحًا أمام العناصر الأقل كفاءة، والأكثر استعدادًا للشطط والتطرف بسبب قلة علمها وضعف تكوينها الفكرى، ومن ثم خسر الخطاب الدينى مرة ثانية بظهور الأفكار العشوائية، والابتعاد عن الوسطية والاعتدال. ولهذا طالب البعض بضرورة إصلاح شأن التعليم الأزهرى، وتطويره، ووضع شروط تضمن تشجيع ذوى الكفاءات والقدرات العلمية العالية على الالتحاق به فى مختلف درجاته؛ من مستوى المعاهد الابتدائية إلى مستوى جامعة الأزهر وفروعها.

د- أن ثمة مفارقة كبيرة بين التطور الهائل فى الوسائل الإعلامية -وبخاصة الإذاعية والتلفزيونية- وما تمتلكه هذه الوسائل من قدرات هائلة على التأثير فى مستقبليها، وبين استمرار الخطاب الدينى السائد على تقليديته القديمة، ورتابته المعهودة من أزمان سابقة. فضلاً عن محدودية المساحات الزمنية المخصصة لبث هذا الخطاب، والقصور فى توفير الكفاءات المؤهلة والمتخصصة فى هذا المجال، وهى عوامل أدت فى رأى البعض إلى هروب المستقبلين للخطاب إلى الفضائيات -غير المحلية- إضافة إلى استعانتهم بوسائل إعلامية أخرى غير آمنة، مثل أشرطة الكاسيت، والأقراص المدمجة، ومواقع الإنترنت. صحيح أن هناك

قدرًا من الرضا عن أداء إذاعة القرآن الكريم كما كشفت عنه دراسة آراء عينة من الجمهور العام وأكده تحليل برامجها فى دراسة أخرى؛س إلا أن هذا الرضا يرجع فى جانب منه إلى القصور الشديد فى المواد والبرامج التى تقدمها الوسائل الإعلامية الأخرى.

هـ- لاحظ البعض أنه لا توجد استراتيجية إعلامية واضحة لنشر وتعميم الخطاب الدينى؛ بحيث تضمن التنسيق والتكامل بين مختلف الأدوات والوسائل الإعلامية المستخدمة، وتتحاشى التضارب والتناقض الحاصل فعلاً فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين الوسائل الأخرى التى تشارك فى نشر وتعميم الخطاب الدينى، ومنها المدرسة، والمسجد، والجمعيات الدينية الأهلية. وفى غياب التنسيق ضمن استراتيجية محددة يمكن أن تلغى وسيلة الجهد الذى تبذله وسيلة أخرى، أو تعمل فى اتجاه معاكس لها، وتكون النتيجة مزيدًا من تعقيد أزمة الخطاب الدينى السائد.

obeikan.com

خاتمة:

لعل أهم نتيجة كلية كشفت عنها بحوث هذا المشروع والمناقشات التى جرت حولها، هى أن قضية تجديد الخطاب الدينى لا تزال غامضة إلى حد كبير فى إدراك الجماعة العلمية المصرية، وأن هذا الغموض يلف جوانب تبدو للوهلة الأولى أنها واضحة، والحقيقة أنها إلى الغموض أقرب، ومنها مثلاً: مفهوم الخطاب الدينى، والمقصود بتجديده على وجه الدقة. ويضاف إلى الغموض الاختلاف بين أقسام هذه الجماعة بشأن أغلب المسائل التى تثيرها قضية تجديد الخطاب الدينى؛ بدءًا بأسباب الدعوة لتجديده، مرورًا بأهداف هذا التجديد، وصولاً إلى تحديد آلياته المعرفية ووسائله العملية، وتحديد أهم المناطق المتأزمة فى الخطاب السائد، وأيها أكثر أولوية فى عملية التجديد. وثمة أسباب متعددة يمكن أن تفسر هذا الغموض: منها مثلاً، الملابسات التى طرحت فيها قضية التجديد فى السنوات الأخيرة وارتباطها بالضغوط والمطالبات الخارجية، ومنها أيضًا عدم وجود تراكم علمى منتظم فى هذا الموضوع بالرغم من الجذور القديمة للتجديد فى الخبرة المصرية خاصة، والعربية والإسلامية عامة.

وبالرغم من ثراء الأفكار التى وردت فى التعقيبات والمناقشات على البحوث المقدمة -وقد تم رصدها وتوجيهها للأساتذة مقدمى البحوث للاستفادة بها فى إعداد الصياغة النهائية لها- فإن بإمكاننا القول: بأن الملامح العامة لقضية تجديد الخطاب الدينى صارت أكثر وضوحًا، وأضحى طريق البحث المتعمق أكثر تمهيدًا من ذى قبل؛ سواء فى الموضوعات التى طرقتها البحوث، أو تلك التى كشفت عنها نتائجها، أو أثارتها المناقشات والتعقيبات التى دارت حولها. **ومن بين أهم التساؤلات التى تحتاج إلى سلسلة مترابطة من البحوث**، نقترح الآتى:

١- مواضع التجديد فى الخطاب الدينى السائد وموضوعاته، ومداخل عملية التجديد المنشود، واتجاه هذا التجديد وأهدافه العملية. وقد أوضحت البحوث والمناقشات أن ثمة أنماطًا ومستويات متعددة للمقصود بالخطاب الدينى، ولكن تحديد مواضع وموضوعات التجديد فى كل منها، وكيفية إنجاز هذا التجديد وربطه بالاعتبارات العملية فى الواقع، كلها مسائل لا تزال بحاجة إلى بحوث خاصة بها، ويمكن القول: إن مجمل البحوث والمناقشات التى دارت حولها تؤدى إلى نتيجة أساسية تتلخص فى أن عملية التجديد فى الخطاب الدينى تقع فى

صلب الجهود الرامية إلى التجدد الحضارى، حتى ولو جاءت الدعوة للتجديد محفوفة بملابسات وتحديات داخلية أو خارجية.

٢- كيفية تحديد الأوزان النسبية لمكونات الخطاب الدينى بالنظر إلى طبيعة المخاطبين به، وطريقة نشر هذا الخطاب وتعميمه، والأهداف العملية المطلوب تحقيقها. لقد أشارت نتائج بعض البحوث إلى وجود اختلال فى المكونات الأساسية للخطاب الدينى السائد على نحو يسهم فى عزلة هذا الخطاب عن الواقع ومتغيراته، وحبسه فى مستويات محددة أهمها العبادات والعقوبات الزجرية، وذلك على حساب المستويات الأخرى التى يتعين على الخطاب الدينى أن يقدمها وأهمها: المعاملات، والعلاقات الاجتماعية، وما يواجهه المجتمع من مشكلات وتحديات فى مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية؛ وذلك ليصبح الخطاب الدينى عامل نهضة وعمران، وتجدد حضارى شامل.

٣- ما شروط إنتاج خطاب دينى جديد يجيب عن أسئلة الواقع الداخلى فى مجتمعنا، ولا يكون مجرد رد فعل لضغوط خارجية، ويجمع بين التوحيد والعمران، ويسهم فى تحقيق الإصلاح والتقدم، ولا يكون مجرد وعظ أخلاقى أو توجيه روحى ونزوع عاطفى فقط ؟ وإذا كان مناط التجديد المطلوب هو تفعيل الخطاب الدينى فى واقع المجتمع الراهن ومستقبله المقبل، فكيف يمكن تحقيق التوازن الذى يجمع بين الوسطية والاعتدال فى الرؤية وفى الوعى وفى السعى؟ وكيف يكون خطابًا مقاومًا للظلم والاستبداد الداخلى ومجاهدًا ضد الاستغلال الخارجى، ويكون فى الوقت ذاته خطابًا داعيًا للتعاون، داعمًا للتكافل، مساعدًا على إبلاغ الرسالة العالمية للإسلام، مؤديًا إلى استيعاب روح العصر والاندماج فيه، والتخلص من سلبيات العزلة والمحاصرة التى يعانى منها؟.

٤- على من تقع مسئولية تجديد الخطاب الدينى؟ هل هى المؤسسات والهيئات الرسمية فقط، أم يجب أن تشاركها الهيئات غير الرسمية أيضًا؟ وهل يمكن تحقيق نوع من التعاون والتنسيق بين الرسمى وغير الرسمى فى هذا المجال؟ وهل تدرك الدولة وأجهزتها أهمية هذا الموضوع؟! وهل لديها الاستعداد لدعم عملية التجديد وتوفير المناخ الملائم لها؟

تلك بعض أهم التساؤلات التى أثارتها البحوث والمناقشات، ومن شأن الاهتمام بها الإسهام فى استكشاف مواضع التجديد المطلوب فى الخطاب الدينى السائد، وفى توثيق عُرَى

هذا الخطاب بعملية التجديد الحضارى الشامل للأمة، وتمكينها من الإسهام فى بناء نظام عالمى إنسانى. وربما يتطلب الأمر تبنى برنامج لبحوث ودراسات تجديد الخطاب الدينى، يستهدف تغطية تلك الموضوعات، وتعميق الوعى بها، وتحقيق التراكم العلمى المطلوب فى مختلف قضاياها. وقد يكون ذلك بأن يتبنى مركز البحوث والدراسات السياسية هذا البرنامج، وأن يواصل ما بدأه بهذا المشروع.

وتشير النتائج الرئيسية التى عرضنا لبعضها، وكذلك النتائج التفصيلية التى تضمنتها بحوث هذا المشروع، إلى أهمية هذا العمل البحثى وريادته فى هذا المجال؛ حيث لم يسبق أن أجريت دراسة شاملة ومتخصصة فيه. وخاصة أن هذا الإسهام قد جاء من مركز علمى متخصص فى البحوث والدراسات السياسية، وقدم رؤية كلية لهذه القضية، وهى لا تزال بحاجة إلى إعمال أدوات منهجية، ورؤى فكرية متنوعة لإكمال ما بدأناه والبناء عليه.

obeikan.com

التعريف بالمشاركين

١- د. إبراهيم البيومى غانم	خبير أول (أستاذ مساعد) - قسم بحوث وقياسات الرأى العام - المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.
٢- د. أحلام السعدى فرهود	مدرس العلوم السياسية - كلية التجارة وإدارة الأعمال- جامعة حلوان.
٣- د. أحمد زايد	عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة.
٤- د. السيد عمر	أستاذ مساعد - قسم العلوم السياسية - كلية التجارة وإدارة الأعمال جامعة حلوان.
٥- د. إمام حسانين	خبير بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.
٦- د. أمانى مسعود	مدرس العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.
٧- د. بشير نافع	مؤرخ ومحاضر بجامعة لندن.
٨- الشيخ/ جمال قطب	الرئيس الأسبق للجنة الفتوى بالأزهر الشريف.
٩- أ. حازم على ماهر	باحث فى العلوم الاجتماعية.
١٠- د. حسن الشافعى	أستاذ بكلية دار العلوم وعضو مجمع اللغة العربية.
١١- أ. رضوى صلاح	باحثة فى العلوم السياسية.
١٢- د. سيف الدين عبد الفتاح	أستاذ العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ونائب مدير مركز البحوث والدراسات السياسية.
١٣- د. صفوت العالم	أستاذ الإعلام - كلية الإعلام - جامعة القاهرة.

obeikan.com

١٤- أ. ضياء رشوان	رئيس وحدة النظم السياسية - مدير تحرير تقرير الحالة الدينية فى مصر - مركز الدراسات السياسية والاستراتيچية بالأهرام.
١٥- د. على ليلة	أستاذ الاجتماع- كلية الآداب- جامعة عين شمس.
١٦- د. عمار على حسن	باحث فى العلوم السياسية.
١٧- أ. فهمى هويدى	كاتب صحفى.
١٨- د. فوزى خليل	مدير عام البرامج - إذاعة القرآن الكريم.
١٩- د. كمال الدين إمام	أستاذ بكلية الحقوق - جامعة الإسكندرية.
٢٠- د. كمال المنوفى	العميد السابق لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية.
٢١- د. محسن خضر	أستاذ مساعد فى أصول التربية - جامعة عين شمس.
٢٢- د. محمد السيد سعيد	نائب مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيچية – الأهرام.
٢٣- أ. مدحت ماهر	باحث فى العلوم السياسية.
٢٤- د. محمود خليل	أستاذ بقسم الصحافة - كلية الإعلام - جامعة القاهرة وخبير بمجمع اللغة العربية.
٢٥- د. نادية محمود مصطفى	مدير مركز البحوث والدراسات السياسية.
٢٦- د. ناهد عز الدين	مدرس العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.
٢٧- أ. نبيل عبد الفتاح	خبير بمركز البحوث السياسية والاستراتيچية بالأهرام.
٢٨- أ. هبة رءوف عزت	مدرس مساعد فى العلوم السياسية -كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.
٢٩- أ. هشام جعفر	رئيس تحرير موقع العربى بشبكة إسلام أون لاين.

أعضاء مجلس الإدارة

«وفقا للترتيب الأبجدى»

د.أحمد يوسف أحمد	مدير معهد البحوث والدراسات العربية.
د. أسامة الغزالى حرب	رئيس تحرير مجلة السياسة الدولية.
د. سمعان بطرس فرج الله	الأستاذ غير المتفرغ بقسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.
د. سيف الدين عبد الفتاح	نائب مدير المركز والأستاذ بقسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.
د. عبد الملك عودة	الأستاذ غير المتفرغ بقسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية- جامعة القاهرة.
د. عليّ الدين هلال دسوقى	الأستاذ المتفرغ بقسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.
د. مصطفى الفقى	رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشعب.
د.منى البرادعى	رئيس مجلس إدارة المركز وعميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.
د. نادية محمود مصطفى	مدير المركز والأستاذ بقسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.
د. نازلى معوض أحمد	الأستاذ بقسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.
د. نجوى أمين الفوال	مدير المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.
م. نجيب ساويرس	رئيس شركة أوراسكوم تليكوم القابضة.
د. هبه أحمد نصار	نائب رئيس مجلس إدارة المركز، ووكيل الكلية لشؤون خدمة المجتمع وتنمية البيئة - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة.

منسقا المشروعات بالمركز:

أ.مروة عيسى　　أ.نسمة شرارة

openkan.com

قائمة كتب المركز

م	عنوان الكتاب	المؤلف (المحرر)
١	دراسات فى السياسة الخارجية المصرية	د. على الدين هلال (محرر)
٢	اتجاهات حديثة فى علم السياسة	د. على عبد القادر (تقديم)
٣	تحليل السياسات العامة: قضايا نظرية ومنهجية	د. على الدين هلال (محرر)
٤	تحليل السياسات العامة فى مصر	د. على الدين هلال (تقديم)
٥	القطاع الخاص والسياسات العامة فى مصر	د. أمانى قنديل (محرر)
٦	النظم المحلية فى الدول الإسكندنافية	د. السيد عبد المطلب غانم
٧	الثورة والثورة المضادة فى نيكاراجوا	د. نادية محمود مصطفى
٨	الأقليات والاستقرار السياسى فى الوطن العربى	د. نيفين عبد المنعم سعد
٩	التجديد السياسى والواقع العربى المعاصر	د. سيف الدين عبد الفتاح
١٠	تحليل السياسة الخارجية	د. محمد السيد سليم
١١	انتخابات الكنيست الثانى عشر فى إسرائيل	د. على الدين هلال (محرر)
١٢	الإدارة المصرية لأزمة طابا	د. أحمد حسن الرشيدى (محرر)
١٣	تقويم السياسات العامة	د. السيد عبد المطلب (محرر)
١٤	تدريس العلوم السياسية فى الوطن العربى	د. عبد المنعم سعيد (محرر)
١٥	التحولات السياسية الحديثة فى الوطن العربى	د. مصطفى كامل السيد (محرر)
١٦	العلاقات المصرية-السودانية	د. أسامة الغزالى حرب (محرر)
١٧	حكم هيئة تحكيم طابا	د. أحمد صادق القشيرى
١٨	التبادل الطلابى بين مصر والدول الأفريقية	د. رجاء سليم
١٩	مصر والجماعة الاقتصادية الأوروبية ١٩٩٢م	د. هناء خير الدين د. أحمد يوسف أحمد (محرران)
٢٠	الأيديولوچية والتنمية فى أفريقيا	د. حمدى عبد الرحمن
٢١	العالمية والخصوصية فى دراسة المنطقة العربية	د. نيفين عبد المنعم مسعد (محرر)
٢٢	البحث الإمبيريقى فى العلوم السياسية	د. ودودة بدران (محرر)
٢٣	النظام السياسى المصرى: التغير والاستمرار	د. على الدين هلال (محرر)
٢٤	سياسة مصر الخارجية فى عالم متغير	د. أحمد يوسف أحمد (محرر)
٢٥	مصر وتحديات التسعينيات	د. عبد المنعم سعيد (محرر)
٢٦	معجم النظم السياسية الليبرالية	د. حسن نافعة
٢٧	سياسة التعليم الجامعى فى مصر	د. أمانى قنديل (محرر)

م	عنوان الكتاب	المؤلف (المحرر)
٢٨	الوطن العربى فى عالم متغير	د. نازلى معوض (محرر)
٢٩	التوظف الحكومى فى مصر	د. السيد عبد المطلب غانم (محرر)
٣٠	الدور السياسى للأزهر (١٩٥٢-١٩٨١م)	د. ماجدة على صالح ربيع
٣١	الانعكاسات الدولية والإقليمية لأزمة الخليج	د. أحمد الرشيدى (محرر)
٣٢	الكويت وتحديات مرحلة إعادة البناء	مجموعة باحثين
٣٣	اقترابات البحث فى العلوم الاجتماعية	د. ودودة بدران (محرر)
٣٤	الدولة والنظام العالمى: مؤثرات التبعية ومصر	د. أحمد ثابت
٣٥	تطور علاقة مصر بالجماعة الاقتصادية الأوروبية (١٩٨٩ - ١٩٩٠م)	د. ودودة بدران (محرر)
٣٦	تصميم البحوث فى العلوم الاجتماعية	د. ودودة بدران (محرر)
٣٧	حرب الخليج والسياسة المصرية	د. مصطفى علوى (محرر)
٣٨	حتى لا تنشب حرب عربية / عربية أخرى	د. مصطفى كامل السيد (محرر)
٣٩	حدود مصر الدولية	د. أحمد عبد الونيس شتا (محرر)
٤٠	قضايا نظرية فى السياسة المقارنة	د. عبد الغفار رشاد (محرر)
٤١	الإدارة الأمريكية الجديدة والشرق الأوسط	د. هالة سعودى (محرر)
٤٢	التحولات الديمقراطية فى الوطن العربى	د. نيفين عبد المنعم مسعد (محرر)
٤٣	مصر وأمن الخليج بعد الحرب	د. مصطفى علوى (محرر)
٤٤	جامعة الدول العربية	أ. جميل مطر، وآخرون
٤٥	الكويت من الإمارة إلى الدولة:دراسة فى نشأة دولة الكويت، وتطور مركزها القانونى وعلاقاتها الدولية	د. أحمد الرشيدى (محرر)
٤٦	السياسات الخارجية للدول العربية (ط١)	د. بهجت قرنى د. على الدين هلال (محرران)
٤٧	دليل تقييم كفاءة التنظيم فى المنظمات العامة	د. أحمد رشيد
٤٨	العلاقات العربية –الأفريقية	د. إجلال رأفت (محرر)
٤٩	المفاوضات العربية-الإسرائيلية ومستقبل السلام فى الشرق الأوسط	د. مصطفى علوى (محرر)
٥٠	النظام العالمى الجديد	د. محمد السيد سليم (محرر)
٥١	ماذا يعنى خريج علوم سياسية	د. على الصاوى
٥٢	التحول الديمقراطى فى المغرب	د. أحمد ثابت

م	عنوان الكتاب	المؤلف (المحرر)
٥٣	اتجاهات جديدة فى الإدارة بين النظرية والتطبيق	د. عطية حسين أفندى
٥٤	الجماعة الأوروبية (ألمانيا ومصر)	د. ودودة بدران (محرر)
٥٥	السياسة والتغير الاجتماعى فى الوطن العربي	د. جلال عبد الله معوض
٥٦	الأمم المتحدة فى ظل التحولات الراهنة فى النظام الدولى	د. حسن نافعة (محرر)
٥٧	معجم المصطلحات السياسية	د. على الدين هلال (مشرف) د. نيفين مسعد (محرر)
٥٨	أمن الخليج العربى: دراسة فى الإدراك والسياسات	د. عبد المنعم المشاط (محرر)
٥٩	التطور السياسى فى مصر (١٩٨٢-١٩٩٢م)	د. صفى الدين خربوش (محرر)
٦٠	الثقافة السياسية فى مصر بين الاستمرارية والتغير	د. كمال المنوفى د. حسنين توفيق (محرران)
٦١	التعليم والتنشئة السياسية فى مصر	د. كمال المنوفى (محرر)
٦٢	منظمة المؤتمر الإسلامى فى عالم متغير	د. محمد السيد سليم (محرر)
٦٣	الدور الإقليمى لمصر فى الشرق الأوسط	د. عبد المنعم المشاط (محرر)
٦٤	المرأة المصرية والعمل العام: رؤية مستقبلية	د. علا أبو زيد (محرر)
٦٥	إصلاح الأمم المتحدة	د. حسن نافعة
٦٦	الحركات الإسلامية فى عالم متغير	د. علا أبو زيد (محرر)
٦٧	المصالحة العربية الرؤى-الآليات-احتمالات النجاح	د. صفى الدين خربوش (محرر)
٦٨	السياسة والنظام المحلى فى مصر	د. السيد عبد المطلب غانم (محرر)
٦٩	ظاهرة العنف السياسى من منظور مقارن	د. نيفين عبد المنعم مسعد (محرر)
٧٠	النخبة السياسية فى العالم العربي	د. على الصاوى (محرر)
٧١	التحليل السياسى الإمبريقى: طرق البحث فى العلوم السياسية	مجموعة مترجمين
٧٢	مصر والقوى الكبرى فى النظام الدولى الجديد	د. أحمد الرشيدى (محرر)
٧٣	الانتخابات الإسرائيلية «الكنيست الرابعة عشر ١٩٩٦م» ومستقبل التسوية	د. عبد العليم محمد
٧٤	قضايا الخصخصة فى مجلس الشعب	د. عزة وهبى
٧٥	تطور النظام السياسى فى مصر ١٨٠٣-١٩٩٧م	د. على الدين هلال

م	عنوان الكتاب	المؤلف (المحرر)
٧٦	منظمة المؤتمر الإسلامى: دراسة قانونية-سياسية فى ضوء قانون المنظمات الدولية	د. أحمد الرشيدى
٧٧	المؤسسة التشريعية فى الوطن العربى	د. أحمد الرشيدى (محرر)
٧٨	الحماية الدولية للاجئين	د. أحمد الرشيدى (محرر)
٧٩	مصر ومشروعات النظام الإقليمى الجديد فى المنطقة	د. نادية محمود مصطفى (محرر)
٨٠	القضية الفلسطينية وآفاق التسوية السلمية	د. أحمد الرشيدى (محرر)
٨١	تطور النظام السياسى فى مصر ١٨٠٣- ١٩٩٩م(ط٢)	د. على الدين هلال
٨٢	مصر ودول الجوار الجغرافى فى التسعينيات	د. نازلى معوض أحمد (محرر)
٨٣	العلاقات الدولية بين الأصول الإسلامية وبين خبرة التاريخ الإسلامى	د .نادية محمود مصطفى د. سيف عبد الفتاح (محرران)
٨٤	السياسات الخارجية للحركات الإسلامية	د. نيفين عبد المنعم مسعد د. عبد العاطى محمد
٨٥	تطور النظام السياسى فى مصر ١٨٠٣-١٩٩٩م (ط٣)	د. على الدين هلال
٨٦	الليبرالية الجديدة	د. نازلى معوض أحمد (محرر)
٨٧	قضايا العلاقات المصرية-التركية	د. جلال عبد الله معوض
٨٨	مصر ودول الجوار الجغرافى فى التسعينيات (ط٢)	د. نازلى معوض أحمد (محرر)
٨٩	الخبرة السياسية المصرية فى مائة عام	د. نازلى معوض أحمد (محرر)
٩٠	إحياء النظام الإقليمى العربى	د. أحمد الرشيدى
٩١	المدرسة المصرية فى السياسة الخارجية (مجلدان)	د. مصطفى علوى (محرر)
٩٢	السياسات الخارجية للدول العربية (الطبعة الثانية)	د. علىّ الدين هلال د. بهجت قرنى (محرران)
٩٣	العدوان على العراق:خريطة أزمة ومستقبل أمة (الطبعة الأولى)	د. نادية محمود مصطفى د. حسن نافعة (محرران)
٩٤	حول دلالات عملية الانتخابات الإسرائيلية ونتائجها: إسرائيل فى مفترق طرق	د. نادية محمود مصطفى أ. جلال الدين عز الدين (محرران)
٩٥	الفكر السياسى المصرى المعاصر	د. علا أبو زيد (محرر)
٩٦	مصر والأمة: ماذا بعد العدوان على العراق؟	د. عمرو دراج د. نادية محمود مصطفى (محرران)
٩٧	إسرائيل من الداخل:خريطة الواقع وسيناريوهات المستقبل	د. نادية محمود مصطفى أ. هبه رءوف (محرران)

م	عنوان الكتاب	المؤلف (المحرر)
٩٨	تطور النظام السياسى فى مصر ١٨٠٢-١٩٩٩م (الطبعة الخامسة)	د. على الدين هلال
٩٩	الدور الإقليمى لمصر فى مواجهة التحديات الراهنة	د. نادية محمود مصطفى د. زينب عبد العظيم (محرران)
١٠٠	ماذا بعد انهيار عملية التسوية السلمية؟	د. نادية محمود مصطفى (محرر)
١٠١	بيان تطور الحل العسكرى الإسرائيلى ومراجعة السياسة الإسرائيلية تجاه التسوية السلمية ٢٠٠٠-٢٠٠٤م: قراءة فى وثيقة جنيف وتداعياتها.	د. نادية محمود مصطفى أ. أمجد جبريل (محرران)
١٠٢	استراتيچية التواصل مع فلسطينيى ٤٨	إعداد: د. أحمد جراد - د. نادية مصطفى د. نادية مصطفى (محرر)
١٠٣	أبعاد الصراع فى دارفور: الأزمة والأفق المستقبلى	إعداد: د. إجلال رأفت - أ. هانىء رسلان د. نادية مصطفى (محرر)
١٠٤	ثلاثون عامًا على حرب أكتوبر: نظرة للأمام	د. نادية مصطفى د. باكينام الشرقاوى (محرران)
١٠٥	المواطنة المصرية ومستقبل الديمقراطية: رؤى جديدة لعالم متغير	د. علا أبو زيد أ. هبة رءوف عزت (محرران)
١٠٦	الشرق الأوسط بعد ١١-٩- رؤى مصرية وتركية	د. نادية مصطفى د. باكينام الشرقاوى (محرران)
١٠٧	برامج التربية المدنية فى مصر حاضرها ومستقبلها	د. علا أبو زيد (محرر)
١٠٨	الاتحاد الأوروبى والوضع السياسى الجديد فى الوطن العربى ١٩٩١-٢٠٠٣م	د. وفاء السعد الشربينى (محرر)
١٠٩	التعليم العالى فى مصر: خريطة الواقع واستشراف المستقبل	د. سيف الدين عبد الفتاح أ. أسامة أحمد مجاهد (محرران)
١١٠	حال تجديد الخطاب الدينى فى مصر	د. نادية مصطفى د. إبراهيم البيومى غانم (محرران)
١١١	مفهوم معاداة السامية بين الأيديولوچيا والسياسة والقانون: الأبعاد والتداعيات المستقبلية	د. نادية مصطفى (محرر)